



الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة باتنة 1– الحاج لخضر

كليّة العلوم الإنسانية والاجتماعية

قسم التاريخ وعلم الآثار

أصناف المعارف وشيوخ العلم في المغرب الأوسط زمن الموحدين

- من القرن السادس إلى القرن السابع الهجريين (ق 12-13م)-

أطروحة مقدمة لنيل درجة دكتوراه الطور الثالث (ل. م. د) في التاريخ

تخصص: العلم والاقتصاد والمجتمع في المغرب الأوسط في العصر الوسيط

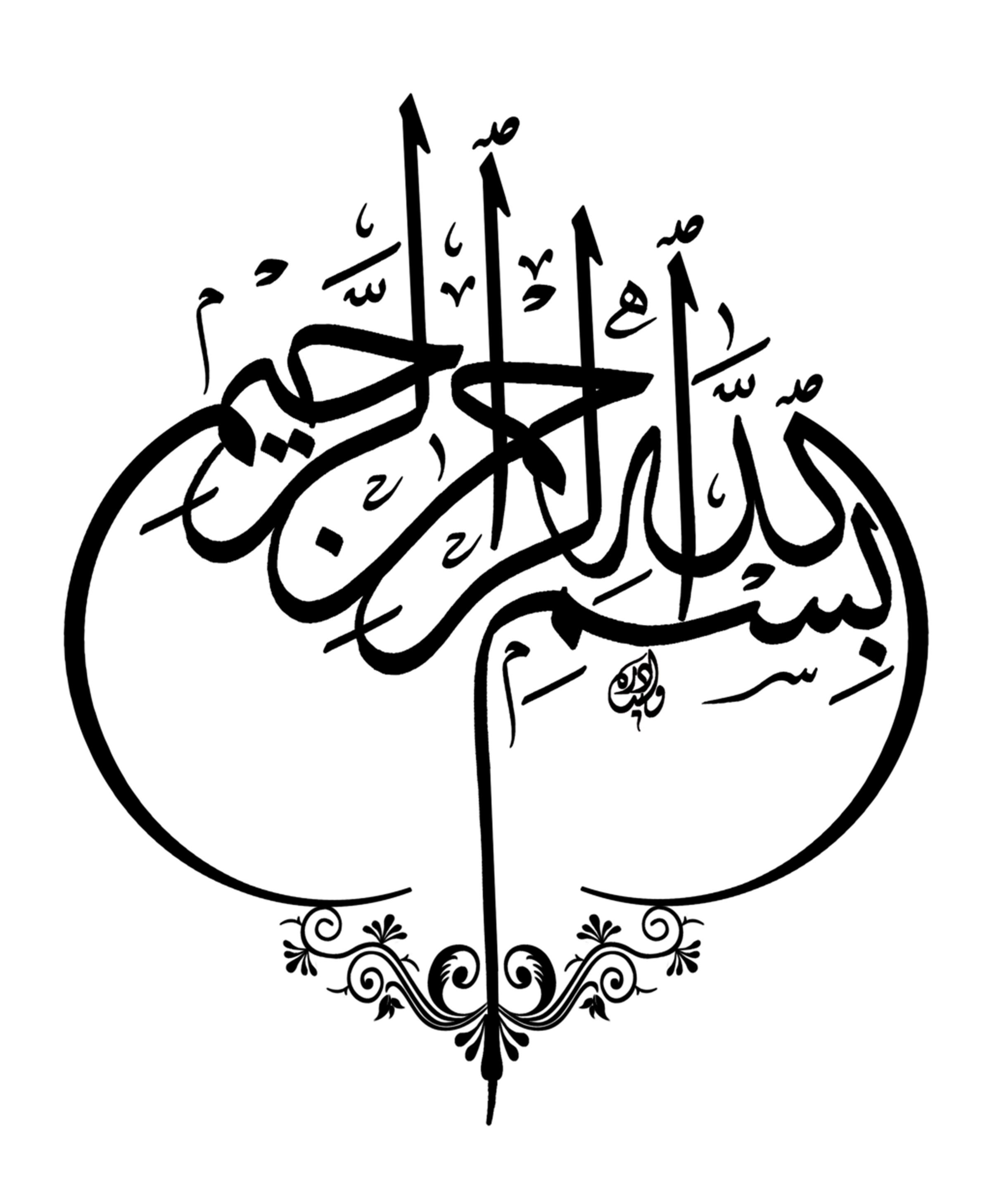
إعداد الطالبة:
سليمة بن حسن

إشراف الأستاذ الدكتور:
صلاح الدين هدوش

أعضاء لجنة المناقشة

الاسم واللقب	الدرجة العلمية	الجامعة الأصلية	الصفة
الوردي طرطاق	أستاذ محاضر- أ	جامعة باتنة 1 الحاج لخضر	رئيسا
صلاح الدين هدوش	أستاذ التعليم العالي	جامعة باتنة 1 الحاج لخضر	مشرفا ومقررا
عبد المالك بكاي	أستاذ التعليم العالي	جامعة سطيف 2	عضوا
سمير طي	أستاذ محاضر أ	جامعة باتنة 1 الحاج لخضر	عضوا
سليم حاج سعد	أستاذ محاضر أ	جامعة الوادي	عضوا

السنة الجامعية: 1444-1445هـ/ 2023-2024 م


بسم الله الرحمن الرحيم



إلى والديا اللذين لا يمكن أبدًا الوفاء بحقهما: أمي الغالية و أبي

حفظهما الله ورعاهما ومتعهما بالصحة والعافية.

إلى ساعدي الأيمن أختي العزيزة الأستاذة الدكتورة: نورة

إلى أختي الصغرى المدللة رميساء وإخوتي: عبد الحكيم، يعقوب، يوسف، أيوب، عبد الواحد، موسى، أحمد

إلى سندي وعوني: زوجي الغالي المحترم لحسن

إلى زوجة أخي ريمة وابنتهما المدللة المحبوبة أنسام

إلى جميع الأهل والأصدقاء

أهدي ثمرة جهدي.

محبتكم سليمة



شُكْرٌ وَتقْدِيرٌ

الحمد والشكر لله الذي أنعم علي بنعمه التي لا تعد ولا تحصى، وأرشدني إلى النور الذي تطْمَئن به القلوب.

ثم اتوجه بخالص الشكر والامتنان للمشرف على هذه الأطروحة الأستاذ الدكتور: صلاح الدين هدوش على كل ما قدمه لي من نصائح وتوجيهات قيمة، وتحمله مشاق الإشراف على هذه الأطروحة ومتابعتها، وتشجيعه على إتمامها.

وصل اللهم وسلم وبارك على نبيِّنا محمدٍ وعلى آله وصحبه أجمعين.




مُقَدِّمَةٌ

الحمد لله الذي نزّل القرآن بلسان عربي مبين ليعلم الإنسان ما لم يعلم، ويخرج الناس من الظلمات والشرك إلى نور العلم والتوحيد، والصلاة والسلام على سيدنا محمد ﷺ وعلى آله وصحبه ومن تبعه بإحسان إلى يوم الدين.

أمّا بعد:

اعتنى الشارع الحكيم بالعلم عناية فائقة، فحث القرآن الكريم على طلبه منذ نزوله؛ وذلك في أول آية نزلت وهي قوله تعالى:﴿ اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ﴾ سورة العلق، الآية(01)، وبه فضّل الله تعالى آدم على سائر الملائكة وأهَله للاستخْلاف في الأرض وحمْل الأمانة فقال:﴿وَعَلَّمَ آدَمَ الأَسْمَاء كُلَّهَا﴾ سورة البقرة، الآية(31)، وهو ما أكده النبي ﷺ في أحاديث كثيرة تحفّز على تحصيله وتبين فضل العلم والعالم منها قوله:{ طلَبُ العِلْم فَريضَة عَلى كُل مسْلم ومسْلِمة}[1]، فالعلم نعمة من الله، ويعد ركناً ضرورياً لتطوير الدولة وازدهار الحركة الفكرية والعلمية في كل مجتمع، وسبيل حتمي في تنظيم وترقية سلوك الإنسان، لذلك اهتم المسلمون بالعلم وأنشئوا مؤسسات كثيرة من أجل نشره، وكان للموحدين دور في ذلك، ومن بينهم مؤسس الدولة المهدي بن تومرت الذي يرى أن العلم نور في القلب نميز به الحقائق، ويعد من أعز ما يطلب، وأفضل ما يكتسب، وأنفس ما يدخر، وأحسن ما يعمل، وقد جعله الله سبب الهداية إلى كل خير[2].

1-التعريف بموضوع الدراسة

نظراً للأهمية التي ينفرد بها المغرب الأوسط كان دائما محط أنظار الدول من أجل الاستحواذ عليه، فبعدما كان جزء منه تابعًا لدولة المرابطين في الكثير من المجالات منها مجال العلم والمعرفة، خاصة العلوم الدينية كالفقه المالكي، فورثت الدولة الموحدية هذه المنطقة وما تتميز به من تطور وازدهار بعد صراع مرير، فزادت الحياة الثقافية والعلمية تطورًا وازدهارًا وذلك بفضل عدة عوامل، وظهر علماء وشيوخ لهم باع طويل في مختلف

[1]- أخرجه ابن ماجة(ت273هـ) في سننه: تحقيق الأرناؤوط وآخرون، دار الرسالة العالمية، ط1، دمشق، 2009م، باب فضل العلماء والحث على طلب العلم، رقم224، ج1، ص107.

[2]- ابن تومرت: أعز ما يطلب، تقديم وتصحيح عمار طالبي، المؤسسة الوطنية للكتاب، الرغاية الجزائر، 1985م، ص02-03.

المجالات العلمية، ودور أساسي في تطوير العلوم والمعارف، فأصبح هذا العصر حافلاً بالمصنفات والكتب في شتى المجالات.

2-أهداف البحث

سعينا بهذه الدراسة لتحقيق الأهداف الآتية:

- ✓ إعادة الاعتبار لتراث علمائنا في مجال العلوم والثقافة، خاصة وأن الموضوع يعتبر دراسة تاريخية فكرية لحقبة زمنية عاشها المغرب الأوسط في كنف الدولة الموحدية.
- ✓ رصد الإنتاج الفكري في مختلف العلوم العقلية والنقلية، وعرض أهم الأحداث الفكرية.
- ✓ تقديم نبذة عن حياة علماء المغرب الأوسط خلال عهد الموحدين، وتعزيز جهودهم وإبراز دورهم في الإشعاع العلمي والثقافي، وتسليط الضوء على مدى مساهماتهم في النهضة الفكرية بالمغرب الأوسط؛ وذلك بإحياء تراثهم العلمي والثقافي، والتعريف بآثارهم العلمية.
- ✓ إثراء رفوف المكتبات بمرجع هام في مجال العلم؛ نظرًا لقلة المصادر في هذا المجال الذي يعد في نفسه كما يقال (هو غذاء العقل ونزهة الروح وصفة الكمال).

3-أهمية البحث

تكمن أهمية هذه الدراسة في كونها تُعنى بالتعريف بأنواع العلم ومصنفاته، وتسهم في إبراز علماء المغرب الأوسط وشيوخه، والوقوف على جهودهم العلمية وإماطة اللثام عن تراثهم؛ من أعمال ومؤلفات ومصنفات كان لها الفضل في رقي سائر المجالات الدينية والثقافية والعلمية، والكشف عن مكانتهم العلمية بين علماء العالم الإسلامي، والمناصب التي تقلدوها في مختلف حواضر الدول الإسلامية، والإطلاع على واقع العلم والعلماء خلال فترة طويلة تفوق القرن من تاريخ المغرب الأوسط، لأنهم يمثلون ركن أساسي لإرساء دعائم النهضة الثقافية في البلاد.

4-دوافع اختيار الموضوع

لقد حملنا على هذه الدراسة مجموعة من الدوافع والأسباب، والملخصة في العناصر الآتية:

أ- الأسباب الشخصية

من الأسباب الشخصية التي دفعتنا إلى اختيار موضوع البحث؛ تكملة مذكرة الماستر التي كانت بعنوان "**التعليم والعلماء في الأوراس خلال العصر الوسيط (3هـ -10هـ/9م-16م)**، والرغبة في الوقوف على الإسهامات الفكرية والحضارية لعلماء المغرب الأوسط ومآثرهم وأخلاقهم ومكانتهم في العهد الموحدي، وتسليط الضوء على هذه المرحلة التي تعد البذرة الأولى في تطور بعض العلوم في الفترات اللاحقة، والبحث عن الحقيقة التاريخية لهذه الحقبة الزمنية، وكذلك اهتمامنا بتاريخ المغرب الإسلامي وحضارته منذ بداية المسار الجامعي.

ب- الأسباب الموضوعية

أما الأسباب الموضوعية محاولة البحث في الموضوع نظرًا لقلة الأبحاث الأكاديمية التي خصت بدراسة المغرب الأوسط زمن الموحدين، على الرغم من أن هذه الفترة مميزة من الناحية العلمية والثقافية والسياسية والمذهبية، وقلة الاهتمام بالتاريخ الفكري من أصناف العلم وشيوخه في المغرب الأوسط خلال هذه الفترة، والمساهمة في إحياء التراث العلمي والثقافي، وكشف الغموض حول هذا الموضوع في بلاد المغرب الإسلامي وتاريخه، مع الرغبة في إبراز دور ومساهمة علماء المغرب الأوسط في نشر العلوم وتطويرها، والمساهمة في كتابة تاريخه.

5-إشكالية البحث

إن أغلب المؤرخين والباحثين وجهوا اهتمامهم لدراسة المجال السياسي والاقتصادي والاجتماعي للدول، وتقل العناية بالمجال العلمي والثقافي، وذلك عكس ما هو عليه الحال في الآونة الأخيرة، حيث اتجه مسار البحث والتأليف إلى دراسة مدى اهتمام الدول بالمجال العلمي ودوره في تطورها، وهذا التغير ربما جاء إدراكا لما للعلم والعلماء من دور في التطور والرقي، ولأن العلم هو الدعامة الأساسية في باقي المجالات، وبه تتفوق الأمم وتبنى الحضارات.

من هنا انبثقت إشكالية هذه الدراسة التي تمحورت حول تسليط الضوء على علماء المغرب الأوسط الذين برزوا زمن الموحدين، والعلوم التي برعوا فيها حتى بلغوا درجة الإبداع، ويمكن صياغة الإشكالية في السؤال الجوهري الآتي:

❖ **ما مدى حضور أصناف المعارف وشيوخها في المغرب الأوسط زمن الدولة الموحدية؟**

وتندرج ضمن هذه الإشكالية عدة تساؤلات فرعية منها:

- ✓ كيف كانت حدود المغرب الأوسط خلال عهد الدولة الموحدية؟
- ✓ ما هي أهم المراكز والمؤسسات التعليمية في المغرب الأوسط زمن الموحدين؟
- ✓ فيما تتمثل أصناف العلوم السائدة آنذاك؟ ومن ذاع صيته من العلماء؟ وفيما تكمن آثارهم؟ وما هي عوامل تطور العلوم في هذا العصر وأسبابه؟
- ✓ إلى أي مدى ساهم علماء المغرب الأوسط في تطوير أصناف العلوم والمعرفة في ظل الدولة الموحدية؟

من هذا المنطلق وللإجابة عن هذه الإشكالية وما تفرع عنها من أسئلة ناسب بحث الموضوع في الأطروحة بعنوان:" **أصناف المعارف وشيوخ العلم في المغرب الأوسط زمن الموحدين" من القرن السادس إلى القرن السابع الهجريين" (ق 12-13م)**، لنسلط الضوء على فترة زمنية من تاريخ بلاد المغرب الأوسط من الناحية العلمية والثقافية.

وحصرنا مجال البحث وإطاره الزماني والمكاني في الفترة الموحدية خلال القرنين(6هـ و7هـ/12م و13م) في مجالها العلمي والثقافي، أما النطاق الجغرافي يتمثل في المغرب الأوسط حسب حدوده زمن الموحدين.

6-الدّراسات السابقة

خلال إنجاز هذا البحث سجلنا دراسات سلطت الضوء على جوانب من الحياة الفكرية في المغرب الأوسط منها:

- ✓ رسالة بعنوان "المغرب الأوسط في عهد الموحدين دراسة تحليلية للأوضاع الثقافية والفكرية" للباحث علي عشي، وهي رسالة ماجستير في التاريخ الوسيط، جامعة الحاج لخضر باتنة، الجزائر،2011م/2012م، ولا نخفي ما لهذه الدراسة من عون لنا في توجيهنا إلى المصادر والمراجع ذات الصلة بموضوع بحثنا، كذلك التعرف على علماء هذه الفترة وأهم المؤسسات العلمية فيها.

- ✓ أطروحة دكتوراه بعنوان" الحركة الفقهية في المغرب الأوسط بين القرنين7و9هـ/13و15م" للباحث عبد القادر بوعقادة، جامعة أبو القاسم سعد الله الجزائر2014م/2015م، اعتمدنا عليها في مجال العلوم الدينية.
- ✓ أطروحة الدكتوراه بعنوان" التعليم في المغرب الأوسط بين القرنين 4 و7هـ/10و13م" من إعداد الباحث قاسمي بختاوي من جامعة الجيلالي اليابس سيدي بلعباس، الجزائر سنة2015م/2016م، تطرق فيها إلى عنصر مهم في بحثنا وهو طرق التعليم في المغرب الأوسط.
- ✓ كذلك أطروحة الدكتوراه بعنوان" العلوم والمعارف الثقافية بالمغرب الأوسط ما بين القرنين7هـ و9هـ/13م و15م" للباحثة زينب رزيوي من جامعة سيدي بلعباس الجزائر سنة 2015م/2016م، استفدنا منها التطلع على أنواع العلوم المتداولة في المغرب الأوسط.
- ✓ أطروحة دكتوراه بعنوان" جهود علماء المغرب الأوسط في تطور العلوم العقلية من ظهور الرستميين إلى نهاية الزيانيين (160هـ-962هـ/777م-1554م)، للباحث نوح تيرس، جامعة الجيلالي اليابس، سيدي بلعباس، الجزائر2018م/2019م، خدمتنا في الاطلاع على أنواع العلوم العقلية زمن الموحدين.

ويتميز بحثنا هذا عما سبقه من البحوث في أنّه لا يقتصر على ذكر أسماء العلماء، أو ذكر لبعض أنواع المعارف والعلوم، بل بذل الوسع في الإلمام بجوانب حياة علماء وشيوخ المغرب الأوسط، وبجهودهم مع تقديم ترجمة لهم، واستقصاء العلوم والمعارف التي ظهرت في المنطقة وسادت آنذاك، وهذا في ظل ما أتيح وتوفر لنا من مادة علمية في هذا المجال.

7-منهج البحث

ولمعالجة إشكالية الدراسة وتحقيق أهدافها اعتمدنا المنهج التاريخي، والذي يناسب جمع ونقد وتحليل وتركيب وترتيب وتتبع الأحداث التاريخية التي طبعت هذه الفترة الزمنية، أملاً في الوصول إلى الحقائق التاريخية للإنتاج العلمي، واقتفاء آثار العلماء الذين كان لهم دور في تطور العلم في المغرب الأوسط خلال عهد الموحدين، مع استحضار بعض المناهج والأدوات المساعدة في مختلف أجزاء البحث منها:

المنهج الوصفي للتعريف بأصناف العلوم ووصف المؤسسات العلمية، والتعرّف على سيرة وآثار شيوخ المغرب الأوسط في مختلف المجالات، ووصف الأحداث والحواضر من

الناحية الجغرافية والثقافية، ووصف العوامل والأسباب التي أدت إلى تطور شتى أنواع العلوم.

إضافة إلى المنهج السردي في ذكر الأحداث التاريخية وترتيبها كرونولوجيًا، أما المنهج التحليلي فيتجلى في التحليل والكشف عن إسهامات علماء المغرب الأوسط في نشر وتطور العلوم، واستقراء الأحداث التاريخية واستنباط استنتاجات من خلال أراء المؤرخين، كما حاولت رعاية النظرة الشمولية عند تناول الظواهر والأحداث التاريخية لرصد جزئيات الحدث التاريخي.

8- دراسة المصادر والمراجع المعتمدة

إن هذه الدراسة اقتضت اعتماد الكثير من المصادر والمراجع منها كتب التراجم والتاريخ والجغرافيا، حيث تأتي كتب التراجم على رأس القائمة نظرًا لأهميتها في تتبع دور وآثار العلماء، رغم النقص الوارد خاصة في الكتب الأجنبية، ومن أهمها:

أ- المصادر

- البكري أبو عبيد الله عبد الله بن عبد العزيز (ت487هـ/1094م) كتاب "المغرب في ذكر بلاد افريقية والمغرب" وهو جزء من كتاب "المسالك والممالك"، وقد اعتمد في جمع مادته على الأندلسيين الذين زاروا المغرب، والمغاربة الوافدين إلى الأندلس ومن سبقه في الكتابة، استهديت به في التعريف بالحواضر الثقافية الموجودة في المغرب الأوسط.
- البيذق أبو بكر الصنهاجي (ت550هـ/1165م) كتاب "أخبار المهدي بن تومرت" وهو مصدر مهم لأنه عاصر مؤسس الدولة الموحدية فهو تلميذ المهدي ومرافقه، وقد تم الاطلاع من خلاله على حياة مؤسس هذه الدولة المهدي بن تومرت وبدايات دعوته وأثره ببلاد المغرب ومختلف الجوانب الفكرية والثقافية خلال هذه الفترة، وكيفية إخضاع المغرب الأوسط خاصة تلمسان، والكشف عن بعض عادات أهل بجاية.
- الإدريسي أبو عبد الله محمد بن محمد (ت559هـ/1166م) كتاب "نزهة المشتاق في اختراق الآفاق"، ألفه في القرن 6هـ وتميز بدقة وصفه، وكان بشكل تقرير مفصل قدم لملك صقلية روجار الثاني، ويعود ذلك إلى أن هذا الرحالة عاش الفترة الموحدية وزار مختلف الحواضر التي قدم لها وصفاً دقيقاً.

- ابن صاحب الصلاة عبد الملك (ت594م/1198م) كتاب "المن بالإمامة"، أورد الكثير من الأحداث التي عاشها بحكم قربه من الموحدين وولائه لهم وخدمته في دواوينهم، نقل لنا الأخبار التي عاصرها، وأبرز المنجزات الحضارية لخلفائهم وذكر عدد من أعلام المغرب الإسلامي.
- ابن الأبار محمد بن عبد الله القضاعي (ت658هـ/1261م) كتاب "التكملة لكتاب الصلة"، هو تكملة لكتاب الصلة الذي وضعه ابن بشكوال (ت578هـ/1182م)، ألفه سنة 631هـ وذكر أن من حرضه إليه هو شيخه أبو الربيع سليمان بن موسى الكلاعي، وصارت جاهزة في مسودتها سنة 636هـ، ويعتبر من المصادر الأولية في التأريخ لسيرة علماء المغرب والأندلس، وقد ساعدنا في التعرف على بعض أعلام المغرب الأوسط خاصة الذين توجهوا إلى الأندلس، وعلماء هذه الأخيرة الذين استوطنوا المغرب الأوسط، كما ذكر أهم العلوم التي نبغ فيها هؤلاء العلماء، وكان مقربا من أحفاد الموحدين، وأحد الكتاب في بلاطهم، كما يعتبر ابن الأبار من العلماء الذين دخلوا بجاية ودرّس بها منذ سنة 635هـ/1237م.
- مؤلف مجهول (ت.ق6هـ) كتاب"الاستبصار في عجائب الأمصار" عاش خلال فترة الموحدين، استرشدت به في التقسيمات الجغرافية لبلاد المغرب وأهم حواضره، رغم غلبة الأخبار السياسية فيه.
- ابن جبير الأندلسي (ت614هـ/1217م) " تذكرة بالأخبار عن اتفاقات الأسفار" وتسمى رحلة ابن جبير، فيها معلومات واضحة ومفصلة عن الجالية الأندلسية المغربية إلى المشرق خلال القرن 6هـ وعن حواضر المغرب الأوسط مثل بجاية، والعلاقات الثقافية بين المشرق والمغرب.
- ياقوت الحموي أبو عبد الله شهاب الدين (ت622هـ/1225م) "معجم البلدان" استوعب فيه الجغرافية الإقليمية للعالم الإسلامي، وقد عدت إليه في التعريف بالعديد من المواقع الجغرافية من مدن وأقاليم خاصة في المغرب الأوسط.
- ابن الزيات التادلي (ت628هـ/1230م) له كتاب"التشوف إلى رجال التصوف"، من المصنفات الأساسية لمجموعة من الصوفية؛ احتوى ترجمة لمائتين وتسع وسبعين صوفياً من المغرب الإسلامي منهم زهاد ومتصوفة المغرب الأوسط وإسهاماتهم العلمية خاصة في بجاية

وتلمسان، ألف كتابه في الفترة الانتقالية التي عرفتها الدولة الموحدية في المغرب بعد موقعة العقاب وما تلاها من انتكاسات على جميع الأصعدة.

• عبد الواحد بن علي المراكشي (ت647هـ/1249م) كتاب" المعجب في تلخيص أخبار المغرب"، مصدر قيم لفترة الموحدين لأنه نشأ فيها، وبحكم قربه من بلاط الموحدين حرص على تدوين ما كان يشاهده من أحداث، كان عون لنا في الجزء الخاص بالدولة الموحدية وخلفائها ومساهمتهم في تشجيع الحياة الفكرية والعلماء ووصف أحوالهم وعلاقتهم بالسلطة.

• ابن القطان المراكشي (حي سنة650هـ/1252م) كتاب "نظم الجمان لترتيب ما سلف من أخبار الزمان"، عاصر أواخر خلفاء الموحدين ترأس طلبة العلم بمراكش، كما نال بخدمة السلطان وذكر المظاهر الحضارية للدولة الموحدية ووصف شخصية المهدي بن تومرت وفكره.

• ابن أبي أصيبعة (ت668هـ/1270م) كتاب "عيون الأنباء في طبقات الأطباء" وهو أكمل مؤلف عن الأطباء في التاريخ الإسلامي، أرخ لهم منذ فترة ما قبل الإسلام حتى الفترة القريبة من تاريخ وفاته، وأرخ لتاريخ الطب في المنطقة، وقد عاصر فترات مهمة من تاريخ الدولة الموحدية، أخذت عنه ترجمة أطباء المغرب الإسلامي نظراً لمعاصرته لبعضهم مثل ابن البيطار.

• الدرجيني (ت670هـ/1272م) كتاب "طبقات المشائخ في المغرب" الذي يعد من أهم المصادر الإباضية التي تناولت مشائخ إباضية، ومن خلاله تعرفت على فقهاء وعلماء إباضيين في المغرب، ونظام العزابة والجلسات العلمية وكيفية تنظيمها.

• ابن خلكان أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد (ت681هـ/1282م) "وفيات الأعيان وأنباء الزمان"، ج 5، معاصر الدولة الموحدية ومترجم لخلفائها، احتوى معلومات بالغة الفائدة عن العلماء المغاربة خاصة الذين هاجروا إلى المشرق.

• ابن عذارى أبو عبد الله محمد المراكشي (ت695هـ/1295م) كتاب "البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب"، وهو من أمهات المصادر التاريخية المغربية، له جزء خاص بالموحدين ويعتبر مصدر مهم لأنه وضح لنا الأوضاع السياسية وحياة بعض الخلفاء الموحدين، والحياة الفكرية والثقافية لهذه الدولة.

• الغبريني أبو العباس أحمد بن أحمد بن عبد الله (ت704هـ/1304م) كتاب "عنوان الدراية في من عرف من العلماء في المائة السابعة ببجاية"، يعد من أقدم الكتب المتخصصة في تراجم علماء ومتصوفة المغرب الأوسط، حيث استوعب 149 ترجمة، نعتبره أهم مصدر استشفينا منه تراجم الفقهاء والعلماء والأدباء، وتوضيح الازدهار العلمي الذي وصلت إليه بجاية في القرنين السادس والسابع الهجريين، منهم العلماء الأصليين الذين ولدوا ونشأوا ببجاية والوافدين إليها من مختلف الأقاليم خاصة الأندلس، وإبراز مظاهر المجتمع البجائي وحياة العلماء والصوفية بها.

• ابن منظور أبو الفضل جمال الدين ابن مكرم الإفريقي (ت711هـ/1311م) "لسان العرب"كان عمدتنا في تحديد من بعض التعريفات اللغوية وأسماء الأماكن.

• محمد العبدري (ت720هـ/1320م) "الرحلة المغربية"، فيها معلومات هامة عن حواضر المغرب الأوسط خاصة الحياة العلمية في بجاية وتلمسان.

• ابن أبي زرع الفاسي (حيا سنة726هـ/1326م) كتاب "الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار المغرب" أرخ لأخبار ملوك بلاد المغرب وفيه عرض لتاريخ الموحدين وحضارتهم، ذكر لنا بعض العلماء والشخصيات السياسية في الدولة الموحدية، وأهم الأحداث التي جرت في المغرب الأوسط.

• ابن خلدون يحي (ت780هـ/1378م) كتاب "بغية الرواد في ذكر الملوك من بني عبد الواد" يعتبر من أهم مصادر الدولة الزيانية، ألفه بأمر من السلطان الزياني أبي حمو حيث كان كاتب السر في بلاطه، الذي خلد لملوك بني عبد الواد، فهو مصدر مهم لتاريخ تلمسان والحياة الفكرية فيها، وللأعلام التي قدمها لنا خاصة فقهاء تلمسان وأحوازها في الفترة الموحدية وإسهاماتهم العلمية ودورهم في الحياة الاجتماعية والثقافية.

• مجهول (حيا سنة783هـ/1381م) "الحلل الموشية" كان مصدرًا للإطلاع على جوانب عدّة للدولة الموحدية خاصة الجانب الثقافي والسياسي والتاريخي، وكيفية ظهور الدولة الموحدية.

• ابن خلدون عبد الرحمن (ت808هـ/1405م) كتاب "العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر" ج6، يعد أهم المصادر في التاريخ الإسلامي ويورد تحليلات مهمة لا توجد في مصادر أخرى، يحتوي معلومات كثيرة

ومهمة خاصة بالدولة الموحدية في جميع مجالاتها خاصة السياسية والثقافية، ومعرفة القبائل والأماكن في بلاد المغرب الأوسط، كذلك كتابه "المقدمة" الذي أفادنا في التعريف بالعلوم خاصة الدينية منها وبعض العلوم التي ظهرت في العالم الإسلامي لاحقاً والكتب التي كانت متداولة في المغرب الإسلامي ومختلف طرق التعليم آنذاك.

- القلصادي(ت891هـ/1428م) كتاب الرحلة الحجازية المسماة " تمهيد الطالب ومنتهى الراغب إلى أعلى المنازل والمناقب"، وهي رحلة فهرسية يذكر فيها أبرز العلماء والفقهاء الذين لقيهم أثناء الحج، وقد دخل تلمسان ومكث بها ثمانية أعوام وسبعة أشهر، أفادنا في التعريف بمدن المغرب الأوسط وشيوخه، كما تتمثل أهميته في تصوير النشاط الفكري والعلمي الذي حظيت به تلمسان من خلال نشاط علمائها والعلوم التي برعوا فيها، وترجمة لبعض علماء المغرب الأوسط.
- الونشريسي أحمد (ت914هـ/1509م) "المعيار المعرب والجامع المغرب عن فتاوى أهل إفريقيا والأندلس والمغرب" يتضمن هذا الكتاب فتاوى منذ عهد تلامذة الإمام مالك إلى نهاية القرن 9هـ بما فيها الفترة الموحدية، حيث كان عوناً في التعرف على واقع وطرق التعليم ومؤسساته في المغرب الأوسط، ودور علمائه من خلال الفتاوى خاصة، التلمسانيين والبجائيين مما أظهر لجوء الناس إلى هؤلاء العلماء.
- حسن الوزان المدعو ليون الإفريقي (ت957هـ/1550م) كتاب"وصف إفريقيا" وهو جزء من كتابه "الجغرافيا العامة"، من موارده بنيت الفصل الأول والثاني لأنه تناول جغرافية المغرب الإسلامي وتحديد المؤسسات العلمية التي أنشأها الموحدون ووصف حواضر المغرب الأوسط.
- ابن مريم محمد الشريف المديوني (ت1014هـ/1605م) كتاب" البستان في ذكر الأولياء والعلماء بتلمسان" مصدر مهم لتاريخ المغرب الأوسط، وفي مقدمته الواقع العلمي والثقافي لتلمسان، حيث ترجم لأكثر من مائة وثمانين عالماً من تلمسان وأوليائها وكراماتهم وممن نزلوا بها، وأشار إلى آثارهم وتآليفهم، كما تتطرق لذكر شيوخهم وتلامذتهم والمؤلفات الشائعة في عهدهم، أولائك العلماء الذين رسموا المشهد العلمي بتلمسان وبلاد المغرب الإسلامي.
- التنبكتي أبو العباس أحمد بابا بن أحمد بن عمر التكروري (ت1032 هـ /1623م) كتاب "نيل الابتهاج بتطريز الديباج"، وهو جانب من كتاب "الديباج المذهب" لابن فرحون، مكمل

له وهو موسوعة لتراجم علماء المذهب المالكي، منهم علماء المغرب الأوسط المالكيين، حيث تميزت تراجمه بدقة الوصف والتفصيل، وجدنا به ضالتنا بشكل كبير في ترجمة علماء المغرب الأوسط ومؤسساته العلمية وإسهاماتهم في الحركة العلمية والتأليف، وكتاب "كفاية المحتاج" للتنبكتي وهو اختصار لنيل الابتهاج اقتصر فيه على مشاهير الأئمة، كما أضاف فيه بعض الأسماء التي أغفلها في نيل الابتهاج، حيث أورد فيه عدداً كبيراً من علماء المغرب الأوسط.

- المقري شهاب الدين التلمساني (ت1041هـ/1639م) كتاب" نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب"، موسوعة أندلسية مغربية جمع فيها الأخبار المتعلقة ببلاده من فنون وتاريخ وتراجم وأدب، واستفدنا منه ما ذكر من التابعين الذين دخلوا الأندلس خاصة العباد والزهاد من المغرب الأوسط وتتبع أخبار العلماء في مجال العلوم العقلية والنقلية.
- السلاوي أبو العباس شهاب الدين أحمد بن خالد الناصري (ت 1315هـ/1897م) "الإستقصا في أخبار دول المغرب الأقصى"، ج1، تحدث عن تاريخ الموحدين واهم منجزاتهم الحضارية.

ب- **المراجع**

زيادة على ما سبق تقديمه من مصادر الدراسة، أفادتنا مراجع بشكل متفاوت في جمع المادة العلمية نوجز أهمها على النحو الآتي:

-محمد المنوني "حضارة الموحدين" تناول المرجع آثار مهمة لحضارة الموحدين وهو عبارة عن تكملة لبحث أنجزه المنوني بعنوان "العلوم والآداب والفنون على عهد الموحدين"

- عبد الله عنان" دولة الإسلام في الأندلس" تحدث عن عصر الموحدين في الأندلس والمغرب خاصة المجال السياسي والثقافي.

- عادل نويهض "معجم أعلام الجزائر" أفادني في ترجمة أعلام المغرب الأوسط، حيث ألمّ فيه بعدد كبير من العلماء والشخصيات المهمة رغم ترجمته الموجزة في ذلك.

- البشير رمضان التليسي كتاب" الاتجاهات الثقافية في بلاد المغرب الإسلامي خلال القرن (4هـ/10م)" تحدث فيه عن الطب والأطباء والبيمارستانات في المغرب الإسلامي.

كما اعتمدنا عدد من أطروحات الدكتوراه والرسائل الجامعية التي لها صلة بالموضوع المدروس، إضافة إلى المجلات العلمية والثقافية ومختلف المقالات لا يتسع المجال لذكرها.

ج- المراجع باللغة الأجنبية

1-LE Tourneau Roger: The Almohad Movement in north Africa in the twelfth and thirteenth centuries.

2-Bourouiba Rachid: Ibn Tumart, 2eEd, Alger, S.N.E.D, 1982

3-Marçais(G) et William, Les monuments arabes de Tlemcen, Fontemoing paris, 1905

9-خطة البحث

بناءً على ما سبق قسمنا الدراسة على النحو التالي:

مقدمة: وهي عرض موجز للدراسة؛ وتتضمن إشكالية البحث وبيان مدى أهميته والأهداف المتوخاة منه، ثم أسباب تناوله، كما ذكرت أهم الدراسات السابقة في هذا الموضوع، طمعاً في ملء ما فيها من فجوات واستدراك ما فات أصحابها أو لم يكن محل عنايتهم، وثنيت ذلك بالمنهج المتبع في إنضاج الأطروحة، لتتلوه خطة البحث مذيلة بأهم الصعوبات التي شكلت عائقاً أمام البحث جرياً على عادة أغلب البحوث الأكاديمية.

الفصل الأول: المغرب الأوسط وحواضره العلمية زمن الموحدين، تطرقنا فيه إلى التعريف بالمغرب الأوسط والدولة الموحدية والإطار الجغرافي لبلاد المغرب الأوسط في عهد هذه الدولة وكيف أصبح تابع لها، ثم عرضنا فيه أهم الحواضر العلمية التي يزخر بها خلال هذه الفترة.

الفصل الثاني: التعليم ومؤسساته في المغرب الأوسط زمن الموحدين، خصصناه لطرق التعليم التي كانت سائدة ومؤسساته في المغرب الأوسط زمن الموحدين؛ منها المساجد والرباطات والزوايا والمدارس والكتاتيب والمكتبات.

الفصل الثالث: العلوم النقلية في المغرب الأوسط زمن الموحدين، عرضنا فيه أصناف المعارف منها؛ العلوم النقلية المتمثلة في العلوم دينية مثل التفسير والقراءات والفقه، وعلم التاريخ وعلم اللغة والأدب، في المغرب الأوسط خلال العهد الموحدي.

الفصل الرابع: العلوم العقلية في المغرب الأوسط زمن الموحدين، درسنا فيه أنواع العلوم العقلية السائدة في المغرب الأوسط خلال الفترة المدروسة، منها: الطب والرياضيات

وعلم الفلك، والمنطق والفلسفة، كذلك تناولت فيه أهم عوامل ازدهار الحركة الفكرية في المغرب الأوسط.

الفصل الخامس: جهود علماء المغرب الأوسط زمن الموحدين، تم فيه عرض لأهم شيوخ العلم الذين تعود أصولهم من المغرب الأوسط من شيوخ العلوم النقلية وشيوخ العلوم العقلية وأسباب هجرة بعضهم إلى مختلف مناطق العالم، ودورهم في نقل العلوم وتطويرها، وسرد أهم آثارهم المناصب التي اعتلوها.

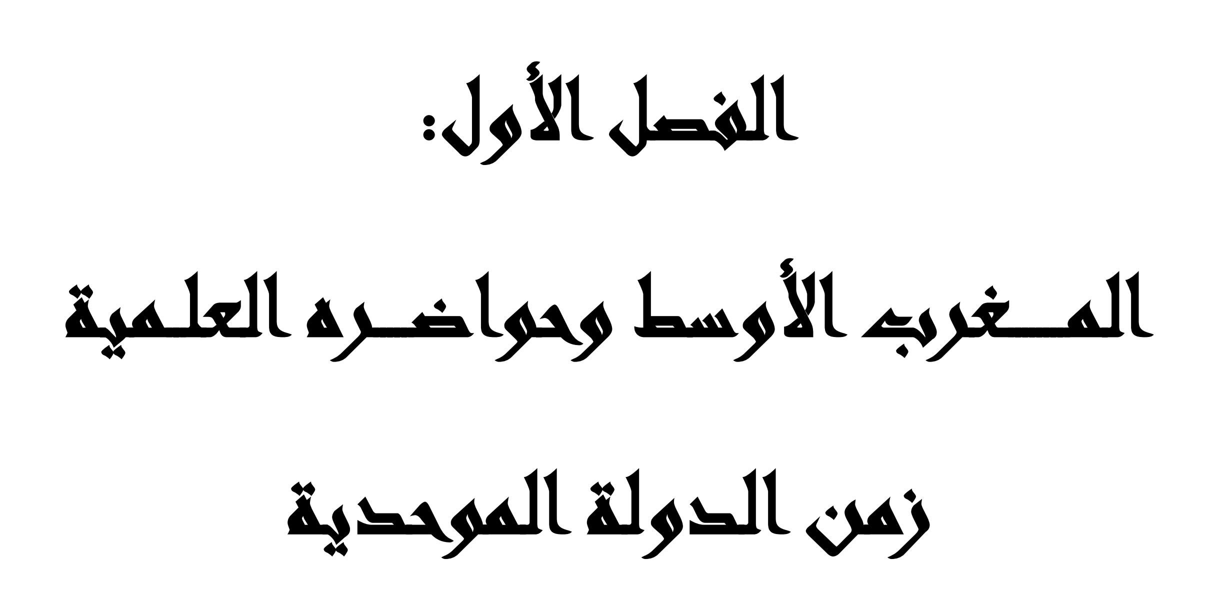
أخيراً **خاتمة** تتضمن أهم النتائج المتوصل إليها من خلال هذه الجهود المبذولة لتطور الحياة العلمية والثقافية بالمغرب الأوسط زمن الموحدين، وجملة من التوصيات، ثم أتبعنا الخاتمة بملاحق توضيحية، وفهارس متنوعة؛ فهرس الأماكن وفهرس الأعلام، ثم ذيلتها بقائمة المصادر والمراجع وفهرس الموضوعات.

10-الصعوبات

رغم ما بُذل من مجهود لتحقيق المقصود، فقد واجهتنا في هذه الرحلة الطويلة الشاقة والشيقة بعض الصعوبات والعقبات التي كانت تسعى للنيل من عزيمتنا والحيلولة دون إنهاء الأطروحة إلا أننا بفضل الله غالبناها وحاولنا تذليلها لاستكمال البحث وبلوغ الأهداف وتلمس النتائج، وتأتي في صدارة هذه الصعوبات:

- الفاصل الزمني الكبير الذي يفصلنا عن عهد الدولة الموحدية، ونقص المادة المصدرية التي تتناول الموضوع بصفة مباشرة مقارنة بالمجالات الأخرى، وصعوبة الحصول على بعضها لعدم توفرها على الشبكة العنكبوتية.
- صعوبة الاطلاع على الإنتاج الفكري لعلماء المغرب الأوسط، لأن أغلبها مازال مخطوطًا غير محقق أو غير منشور أو مفقودًا.
- إشكالية تصنيف هؤلاء العلماء نظرًا لموسوعية أغلبهم وتعدد تخصصات كل عالم شأن أغلب المتقدمين، واختلاف بعض كتب التراجم في تواريخ وفاة بعضهم.

ومع ذلك تبقى هذه الدراسة كأي عمل بشري قد يعتريه التوفيق كما يعتريه النقصان والخطأ، فإن أصبنا ففضل من الله سبحانه وتعالى عليه توكلنا وهو رب العرش العظيم، وإن أخطأنا فحسبنا أجر من اجتهد إن شاء الله.



الفصل الأول:

المــغرب الأوسط وحواضــره العلمية

زمن الدولة الموحدية

المبحث الأول: المغرب الأوسط وضمه للموحدين

المبحث الثاني: الحواضر العلمية في المغرب الأوسط زمن الموحدين

تمهيد:

الموقع الاستراتيجي للمغرب الأوسط أحد الأسباب التي جعلته محل اهتمام لإقامة كيانات سياسية فيه أو التفكير في ضم أجزائه لدول مجاورة، ومن أمثلة هذه الأخيرة الدولة الموحدية، ونجحت في إلحاقه بها واعتبرته جزءً لا يتجزأ منها، وبذلك دخل عهداً حافلاً بالأمجاد في جميع المجالات الحضارية، خاصة المجال العلمي والثقافي الذي أدى إلى بروز عدة حواضر تعج بالطلاب والعلماء، وفي المستهل نتساءل عن المغرب الأوسط وحدوده خلال الفترة الموحدية؟ وكيف صار جزءً منها؟ وما هي الأسباب والعوامل التي جعلت هذه الدولة ترث سابقتها من الدول في جميع المجالات؟ وما حواضره العلمية التي جعلته وجهة العلماء من مختلف الأقطار؟. وهذا ما سنكتشفه من خلال المباحث الموالية.

المبحث الأول: إلحاق المغرب الأوسط بالموحدين

لقد أُنشئت عدة دول في المغرب الإسلامي بعد الفتوحات الإسلامية، فأحياناً تقام دول في المغرب الأوسط وأحياناً يصبح هذا الأخير جزءً تابعًا لدولة مجاورة كما هو الحال مع الدولة الموحدية، فما دلالة المغرب الأوسط؟ وكيف أصبح تابعاً لدولة الموحدين؟.

المطلب الأول: دلالة المغرب الأوسط

إن كلمة المغرب عكس المشرق، استعملها المسلمون في العصر الوسيط للتعبير على المكان الواقع غرب مصر إلى غاية المحيط الأطلسي، أما مصطلح المغرب الأوسط فيرى أغلب الباحثين أنّه لم يظهر في كتب الجغرافيا والرحلات والتاريخ قبل القرن (5هـ/11م)، حيث نجد الكتب التي تتحدث عن الفتح الإسلامي لبلاد المغرب تذكر إفريقية وهي تونس والمغرب الأوسط (الجزائر)[1] ثم يليه المغرب الأقصى.

---

[1]– الجزائر: مدينة جليلة قديمة البنيان فيها آثار الأول، عليها سور في نحر البحر، فيها أسواق كثيرة ولها عيون على البحر الطيبة، ولها بادية كبيرة وجبال، كانت تسمى على عهد الفينيقين والرومان إيكسم: بمعنى جزيرة الشوك أو جزيرة الدجاج أو طيور البحر، وفي العصر الإسلامي نزلتها قبيلة صنهاجة وتسمى مزغني أو مزغنان نسبت إليها المدينة، تأسست على يد بلكين بن زيري سنة (337هـ)، مدينة عامرة آهلة وتجارتها مربحة وصناعتها نافقة، وأكثر أموال أهلها المواشي والنحل والعسل، يتجهز عنهم إلى سائر البلاد والأقطار المجاورة، بينها وبين قلعة بني حماد خمس مراحل وبينها وبين تنس مرحلتان، وبينها وبين بجاية أربع مراحل ونصف. ينظر ياقوت الحموي(ت626هـ): معجم البلدان، دار صادر، بيروت، 1977م، ج2، ص132.

يقال أن كلمة المغرب الأوسط ظهرت في عهد الدولة الموحدية، وهذا عكس ما جاء في المصادر حيث كان أول ظهور لها في القرن الخامس للهجرة عند الجغرافي أبي عبيد الله البكري (ت487هـ/1040م) الذي عاش قبل مجيء الدولة الموحدية يقول:" تلمسان[1] قاعدة المغرب الأوسط، دار مملكة زناتة ومتوسط قبائل البربر ومقصد التُجار، دار العلماء والمحدثّين وحملة الرأي على مذهب مالك بن أنس رحمه الله".[2]

نلاحظ أنّ البكري ربط مفهوم المغرب الأوسط بتلمسان، باعتبارها مركزه وقاعدته، وهي محل ديار زناتة، وتعد من الحواضر الكبرى المتضمنة شروط الحضارة، وحددها من نصف طريق مليانة ووجدة وواجرسيف؛ فتقسيمه قائم على معيار قَبَلي لأنّ زناتة أكبر القبائل البربرية عدداً[3].

أما صاحب كتاب الاستبصار (ت ق6هـ/12م) فذكر المغرب الأوسط وجعل تلمسان قاعدته وأشار إلى حدوده من واد مجمع(نصف الطريق من مليانة إلى تلمسان) طولا وفي العرض من البحر الذي على ساحل البلاد إلى مدينة تنزل أول الصحراء على سجلماسة[4].

---

[1]– تلمسان: تقع في سطح جبل طرارة وتشرف على ساحل بحري، وهي عبارة عن مدينتين متجاورتين؛ القديمة هي أقادير اختطها الزناتيون قديما والثانية تاقرارت اختطها الملثمون، كما يتألف اسمها من كلمتين بربريتين(تلم) ومعناها تجمع، (سان) ومعناها اثنان "تجمع إثنين"، الصحراء والتل، بمعنى أنها تجمع بين الطبيعة التل والصحراء لوقوعها في مكان ملائم، ونواة هذه المدينة القديمة قرية أقادير، اختطها بنو يفرن الزناتيون. ينظر: ياقوت الحموي، المصدر السابق، ج2، ص44، يحي بن خلدون (ت780هـ/1379م): بغية الرواد في ذكر ملوك من بني عبد الواد، تحقيق ع الحميد حاجيات، المكتبة الوطنية، الجزائر، 1980م، ص85، يحي بوعزيز: تلمسان عاصمة المغرب الأوسط، وزارة الثقافة، الجزائر، 2007م، ص15.

[2]– أبو عبيد الله البكري(ت487): المغرب في ذكر بلاد إفريقية والمغرب، تحقيق حماه الله ولد سالم، دار الكتب العلمية، بيروت، 2013م، ص164.

[3]– سمية مزدور: المجاعات والأوبئة في المغرب الأوسط، رسالة ماجستير، جامعة منتوري، قسنطينة، 2008/2009م، ص26.

[4]– مؤلف مجهول(ت ق6هـ): الاستبصار في عجائب الأمصار، نشر وتعليق سعد زغلول عبد الحميد، المطبعة الجامعية، الإسكندرية، 1958م، ص186.

في حين نجد الإدريسي (ت560هـ/1164م) يذكر المغرب الأوسط ويَعُدّ مدنه من مدينة بجاية[1] عاصمة بني حماد وجزائر بني مزغنة قسنطينة[2]، وتلمسان قفل بلاد المغرب[3]، معتمدًا المعيار السياسي، واعتبر المغرب الأوسط المجال الخاضع للحكم الحمادي (395-547هـ/1004م-1152م) الممتد من بونة شرقًا إلى سويسرات غربًا (إحدى مدن معسكر) ومن ساحل البحر الأبيض المتوسط شمالاً إلى ورجلان جنوبًا، أمّا المنطقة الواقعة غربًا سويسرات وجنوب الصحراء فخاضعة لحكم المرابطين[4] (476-539هـ/1083-1144م)[5].

---

[1]- بجاية: بكسر الباء وهي مدينة على ساحل البحر بين إفريقية والمغرب، أول من اختطها الناصر بن علناس بن حماد بن زيري بن مناد بن بلكين (454-481هـ/1062-1078م) سنة (457هـ/1064م) فسميت بالناصرية، كانت في عهد ازدهارها تحتوي أكثر من عشرين ألفا من الدور العامرة، بناها الرومان على سفح جبل كبير ينظر إلى البحر على بعد ثلاثين ميلا شرقي الجزائر وعلى بعد اثني عشرة فرسخا من جيجل في الجهة الأعلى على عرض دنسا وديني وتسمى صالداي، كانت محصنة بأسوار عالية عندما دخلها الخليفة صاحب القيروان وأخضعها وقد عاد إليها العمران بعد ذلك ودور المدينة جيدة البناء، وبها عدد من المساجد وعدد من المدارس العتيقة تدرس بها العلوم، وللمدينة أحد عشر بابا منها باب اللوز، باب البنود، باب البحر، باب المرسى، باب سادات، باب إيلان، باب الدباغين، الباب الجديد، باب باطنة، باب أمسيون، ويصفها العبدري قائلاً:" بجاية مدينة كبيرة حصينة منيعة شهيرة برية وثيقة البنيان عجيبة الإتقان رفيعة المباني غريبة المعاني موضوعة في أسفل جبل وعر مقطوعة بنهر وبحر"محمد العبدري الحاحي(ت ق7هـ): ما سما إليه الناظر المطرق في خير الرحلة إلى بلاد المشرق، تقديم سعد بوفلاقة، منشورات بونة للبحوث والدراسات، الجزائر، 2007م، ص49. ينظر كذلك: أبو عبيد الله البكري: المصدر السابق، ص82، ياقوت الحموي: المصدر السابق، ج1، ص339، مارمول كربخال: إفريقيا، ترجمة عماد حجي، دار المعرفة، الرباط، المغرب، 1984م،ص3.

[2]- قسنطينة: يسميها الإدريسي القسنطينة تقع على قطعة جبل منقطع مربع يحيط بها الوادي، وهي مدينة قديمة بناها الرومان لها أسوار عتيقة عالية مبنية بالحجر المنحوت، وهي واقعة على جبل شاهق ومحاطة من جهة الجنوب بصخور عالية. ينظر: الإدريسي(ت560هـ): نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، تحقيق إسماعيل العربي، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1983م، ص265، حسن الوزان(ت960هـ): وصف إفريقيا، ترجمة محمد حجي ومحمد الأخضر، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1983م، ج2، ص55.

[3]- الإدريسي: المصدر السابق، ص222.

[4]- المرابطون: اسم ارتبط بدولة عربية إسلامية ظهرت في المغرب مابين(448هـ-541هـ/ 1056م-1146م)، أخذت تسميتها من حركة دينية كانت تدعو للجهاد عن طريق إقامة ربط مُعدة للعبادة إلى جانب الجهاد، أول ملوكها أبو بكر بن عمر اللمتوني الصنهاجي، بسطت سلطانها على المغرب والأندلس والسنغال: أنظر مصطفى عبد الكريم الخطيب: معجم المصطلحات والألقاب التاريخية، مؤسسة الرسالة، ط1، بيروت، 1994م، ص330.

[5]- محمد الأمين بلغيث: نظرات في تاريخ الغرب الإسلامي، دار الخلدونية للنشر والتوزيع، الجزائر، 2007م، ص61، سمية مزدور: المرجع السابق، ص26.

كما أنّ الزهري (ت ق6هـ/12م) قسّم بلاد المغرب إلى ثلاثة أقسام: أولها إفريقية التي تضم قبائل البربر من زناتة وبرغواتة، ومدنها المهدية وسوسة وتونس وجزائر بني مزغنة وثانيها المغرب الأقصى يضم تنس[1] ووهران[2] ومليانة وتلمسان، أمّا القسم الثالث هو السوس الأقصى[3]، ويوحي تقسيم الزهري اعتماده على التوزيع القَبَلي والسُلطة السياسية الموحدية التي عاصرها[4].

أما أبو الفداء(ت732هـ/1331م) يُقسّم المغرب إلى ثلاثة أجزاء في قوله:" وبلاد المغرب ثلاث قطع؛ الغربية وتعرف بالمغرب الأقصى من ساحل البحر المحيط إلى تلمسان غربا، والقطعة الثانية المغرب الأوسط وهي من شرقي وهران وتلمسان إلى آخر حدود مملكة بجاية من الشرق، ويليه المغرب الأدنى"[5].

أما ابن خلدون(808هـ/1405م) فيحدد المغرب الأوسط وفق معيار توزع القبائل حيث يرى أنّه يتمثل في ديار زناتة من مغراوة وبني يفرن ومديونة ومغيلة وكومية ومطغرة ومطماطة، ثم بني ومانو وبني يلومي، ثم صار لبني عبد الواد وتوجين من بني مادين وقاعدته تلمسان، ومن الشرق بلاد صنهاجة من الجزائر، ومتيجة والمرية وما يليها إلى

---

[1]– تنس: بينها وبين البحر ميلان، مسورة حصينة داخلها قلعة صغيرة، وبها مسجد جامع وأسواق كثيرة، وهي على نهر يسمى تناتين يأتيها من جبال جهة القبلة ويستدير بها من جهة الجنوب، مدينة أزلية بناها الأفارقة في منحدر جبل على مسافة قريبة من البحر المتوسط، يحيط بها سور، وكانت خاضعة لملك تلمسان، وتنس الحديثة بناها البحريون من أهل الأندلس سنة 262هـ. ينظر: البكري: المصدر السابق، ص62، حسن الوزان: المصدر السابق، ج2، ص35.

[2]– وهران: مدينة حصينة على ضفة البحر، يحيط بها سور متقن، ذات مياه سائحة وأرحاء ماء وبساتين، وشرب أهلها من واد يجري إليها من البر، لها مسجد جامع، وبها أسواق مقدرة وصنائع كثيرة، وتجارات ناضجة، ولها مرسى صغير وعلى ميلين منها المرسى الكبير، ومراكب الأندلس إليها مختلفة، أسسها محمد بن أبي عون ومحمد بن عبدون وجماعة من الأندلسيين البحريين الذين كانوا ينتجعون مرساها باتفاق مع نفزة وبني يزسقن سنة 290هـ، ثم خربت سنة 297هـ، ثم عاد إليها أهلها سنة 298هـ بأمر من عامل تيهرت أبي حميد دواس بن صولات، وتنافس الناس في البناء بها فعادت أحسن مما كانت. ينظر: أبو عبيد الله البكري: المصدر السابق، ص57، ينظر كذلك: البشير غانية: مدينة وهران النشأة والتطور والدور في العصر الوسيط، مجلة المعارف، جامعة الوادي، الجزائر، 2021م، العدد2، ص264.

[3]– الزهري(ت ق6هـ): كتاب الجعرافية، تحقيق محمد حاج الصادق، مكتبة الثقافة، القاهرة، مصر، د ت، ص107.

[4]– سمية مزدور: المرجع السابق، ص28.

[5]– أبو الفداء(ت732هـ): تقويم البلدان، اعتنى به رينود والبارون، دار الطباعة السلطانية، باريس، 1840م، ص122.

بجاية[1] وقسنطينة[2] وتشملان (قبائل زواوة وكتامة ومجيسة وهوارة)، مرورًا بواد شلف، بني واطيل مرورًا بالزاب ثم مستغانم[3].

رغم هذا التحديد القَبَلي الذي اعتمده ابن خلدون إلا أنّ حدود المغرب الأوسط ليست ثابتة بسبب حركة القبائل البربرية والعربية، إضافة إلى حالة القوة والضعف التي مرت بها الدول المتعاقبة على حكمه وأغراضها السياسية والمذهبية والعسكرية ورغبتها في التوسع والهيمنة.

ويرى حسن الوزان(ت960هـ) أنّ بلاد المغرب تنقسم إلى ممالك(مراكش، فاس، تلمسان، تونس)، حيث يذكر مملكة تلمسان في قوله:"يحدها من الغرب نهر زا ونهر الملوية ومن الشرق الواد الكبير(واد الصومام) وصحراء نوميديا من الجنوب وهذه المملكة في القديم تدعى قيصرية كانت تحت سيطرة الرومان"[4]، وهذا التقسيم السياسي ربما يعود إلى زوال الدويلات الثلاث الحفصية والزيانية والمرينية.

على ضوء ما سبق نجد أنّ المغرب الأوسط اشتهر بهذا الاسم لتوسطه المغرب الأدنى والمغرب الأقصى، كانت عاصمته تيهرت في عهد الدولة الرستمية، وفي عهد الدولة الحمادية القلعة ثُم أشير، إلى أن جاءت الدولة الزيانية فأصبحت عاصمته تلمسان.

لقد اتفقت معظم المصادر على أنّ الحدود الغربية للمغرب الأوسط هي نهر ملوية كحد فاصل بينه وبين المغرب الأقصى، أمّا الاختلاف فيكمن في تحديد الحدود الشرقية لأنّها مطاطية تتحكم فيها الظروف السياسية بالدرجة الأولى ولم تخضع لحاجز طبيعي، ويُعد المغرب الأوسط مصطلحا سياسيا أكثر منه جغرافياً محدداً على أرض الواقع[5].

---

[1]– عبد الرحمن بن خلدون(ت808هـ): كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر، مراجعة سهيل زكار، دار الفكر للطباعة، ط1، بيروت، لبنان، 2000م، ج6، ص134.

[2]– يسميها عبد الواحد المراكشي قسطنطينية الهواء وسميت بذلك لإفراط علوها وشدة منعتها. ينظر: عبد الواحد المراكشي(ت647هـ): المعجب في تلخيص أخبار المغرب من لدن الفتح الأندلسي إلى آخر عصر الموحدين، تحقيق محمد سعيد العريان، مكتبة مصر ،القاهرة، 1962م، ص250.

[3]– ابن خلدون: العبر، المصدر السابق، ج6، ص134.

[4]– حسن الوزان: المصدر السابق، ص16.

[5]– فوزية كرراز: عامة المغرب الأوسط في ظل السلطة الموحدية، أطروحة دكتوراه، جامعة بن بلة، وهران، 2015/2014م، ص13.

من الجهة الشرقية يبدأ من حدود إفريقية غربا؛ المتمثلة في مدينة مليانة وزواوة وقسنطينة وبقلعة بني حماد ومدينة برشك(المدية وشرشال)[1]، أمّا من الناحية الغربية فقد اعتبر المؤرخون والجغرافيون تلمسان قاعدة المغرب الأوسط ونهايته، لذلك تعتبر تلمسان ووهران آخر مدن المغرب الأوسط من جهة الغرب والمحاذية للمغرب الأقصى[2]، أما من الجهة الجنوبية فيحُد المغرب الأوسط الصحراء الكبرى(مدينة وركلان[3])[4]، حيث وصلت دعوة الموحدين إلى غاية الإقليم الإباضي بالصحراء فامتدت إلى إقليم توات(نسبة إلى نبات التوت) عبر وركلان[5].

حسب ما ورد في كتاب عبد الرحمن الجيلالي أنّ المغرب الأوسط كان مقسماً إلى ولايتين اثنتين شرقية وغربية؛ أولها ولاية بجاية وهي تقريبا عين حدود العمالة القسنطينية، والثانية ولاية تلمسان التي تمتد من وادي ملوية غرباً إلى مينة شرقاً؛ والجنوب الشرقي من الجزائر ملحق بولاية تونس[6].

بهذا نصل إلى أنّ حدود المغرب الأوسط خلال عهد الموحدين تبدأ من بونة وقسنطينة شرقًا إلى تلمسان ووهران غربًا، ومن البحر الأبيض المتوسط شمالاً إلى الصحراء الكبرى جنوبًا، وبحسب المصادر فإنّ حدود المغرب الأوسط خلال العصر الوسيط لا تختلف كثيرًا عن حدود الجزائر الحالية خاصة من الناحية الغربية، أمّا الناحية الشرقية فبين مدّ وجزر حسب قوة الدول المتواجدة في المنطقة آنذاك(خريطة1).

---

[1]– أبو الفدا: المصدر السابق، ص109.

[2]– الزهري: المصدر السابق، ص140، أبو الفداء: المصدر السابق، ص129.

[3]– ورجلان: بفتح أوله وسكون الثانية وفتح الجيم، وآخره نون، كورة بين افريقية وبلاد الجريد، ضاربة في البر كثيرة النخل والخيرات، يسكنها قوم بربر ومجّانة، واسم هذه الكرة فجوهة. ينظر: ياقوت الحموي: المصدر السابق،ج5، ص371.

[4]– ابن خلدون: العبر، المصدر السابق، ج6، ص134، يوسف أشباخ: تاريخ الأندلس في عصر المرابطين والموحدين، ترجمة محمد عبد الله عنان، مكتبة الخانجي، ط2، القاهرة، 1996م، ج2، ص50.

[5]– الدرجيني(ت670هـ): طبقات المشائخ، تحقيق إبراهيم طلاي، دار البعث، قسنطينة، 1975م، ج2، ص315، علي عشي: المغرب الأوسط خلال عهد الموحدين، رسالة ماجستير، جامعة باتنة1، الجزائر، 2011م/2012م، ص33.

[6]– عبد الرحمن الجيلالي: تاريخ الجزائر العام، دار الأمة، الجزائر، 2009م، ج2، ص294.

المطلب الثاني: نشأة الدولة الموحدية وتوسعاتها (524هـ-668هـ/1130م-1269م)

نتطرق من خلال هذا المطلب إلى إرهاصات نشأة الدولة الموحدية، ودور المغرب الأوسط في تأسيسها، وكيف أصبح المغرب الأوسط جزءً منها

الفرع الأول: أسس ومبادئ قيام الدولة الموحدية

ظهر المذهب الظاهري[1] (التوحيد)[2] في المغرب الإسلامي خلال القرن 6هـ/12م وأطلق أصحابه على أنفسهم اسم الموحدون[3] لأنّهم يدعون للتوحيد(التوحيد الخالص لذات الله)، وتأويل النصوص ونفي الصفات والتشبيه عن الخالق، واتهموا المرابطين بالتجسيم لأنهم يقرّون الصفات[4].

كانت بوادر تأسيس هذه الدولة على كاهل رجل السياسة والعلم والدين، الداهية محمد بن عبد الله الشهير باسم ابن تومرت[5] الهرغي المصمودي السوسي الملقب بالمهدي، الذي

---

[1]- المذهب الظاهري: نشأ هذا المذهب بالمشرق على يد أبو سليمان داود بن علي بن خلف الأصبهاني(202-270هـ/817-883م) الذي كان شافعيا ثم تحول عنه وبنى مذهبه وقال:" لا علم في الإسلام إلا مع النص" ونهى عن التقليد، فانتشر في بغداد وبلاد فارس وقال به قوم قليل في افريقية والأندلس التي وطد فيها دعائمه العالم الأندلسي ابن حزم. ينظر: عبد الهادي حسيس: موقف يعقوب المنصور من الظاهرية، مجلة دار الحديث الحسنية، مطبعة المعارف الجديدة، الرباط، 1981م، العدد2، ص318.

[2]- التوحيد: هو علم يبحث في إثبات الواحد ونفي ما سواه من إله أو شريك، والتوحيد هو نفي التجسيم الذي كان عليه مذهب المغرب خلال عهد الدولة المرابطية، واعتمد ابن تومرت في الجانب التشريعي على ظاهر القرآن الكريم والحديث، متهما فقهاء المذهب المالكي بالانقطاع لدراسة كتب الفروع، وإهمال النظر في القرآن والحديث لاستخراج الأحكام الشرعية. ينظر: الزركشي(ت ق9هـ): تاريخ الدولتين الموحدية والحفصية، تحقيق الحسين اليعقوبي، المكتبة العتيقة، ط1، تونس، 1998م، ص13، عبد الله عنان: دولة الإسلام في الأندلس، مكتبة الخانجي، ط2، القاهرة، 1990م، ج2، ص239.

[3]- الموحدون: ينتمون إلى القبائل العربية المغربية منها: هرغة ومصمودة وهنتانة، هسكورة وهزرجة، هيلانة التي تقطن منطقة السوس جنوب المغرب الأقصى التي قامت على أكتافها هذه الدولة في صورة دولة قبائلية. ينظر: البيذق(ت ق6هـ): أخبار المهدي بن تومرت، تحقيق ع الحميد حاجيات، المؤسسة الوطنية للكتاب، ط2، الجزائر، 1986م، ص37.

[4]- ابن القطان(ت ق7هـ): نظم الجمان لترتيب ما سلف من أخبار الزمان، تحقيق محمد علي مكي، دار الغرب الإسلامي، ط2، بيروت، لبنان، 1990م، ج6، ص67، الحسن السائح: الحضارة الإسلامية في المغرب، دار الثقافة للنشر والتوزيع، ط2، الدار البيضاء، المغرب، 1986م، ص206، عبد الله علي علام: الدولة الموحدية بالمغرب، دار الطباعة، الجزائر، 2007م، ص43.

[5]- ابن تومرت: محمد بن عبد الله بن وجليد بن بامصال بن حمزة بن عيسى يلقب في صغره أمغار، وتعني العالم أو الفقيه، أصله من هرغة من بطون المصامدة، أعظم القبائل البربرية من أهل سوس مولده بها بضيعة منها تعرف بإيجلي أن وارغن، ذكر بعض مؤرخي المغرب أنّه محمد بن تومرت بن نيطاوس بن ساولا بن سفيون بن الكلديس بن خالد، وزعم الكثير من المؤرخين أنّ نسبه في أهل البيت وأنّه محمد بن عبد الله بن عبد الرحمن بن هود بن خالد بن تمام بن عدنان بن

قوض وأتباعه دولة المرابطين، واتهموهم بالانحراف والجمود والتجسيم لأخذهم بظاهر النصوص دون تأويل، وترك الكتاب والسنة والانحلال والعجز عن تحرير الأندلس من يد النّصارى، فجاء هؤلاء الموحدون يحملون روحا ثائرة ضد الصوفية والمدارس الفقهية والمذهبية المالكية التي جاء بها عبد الله بن ياسين[1]؛ وذلك ليدعموا مذهباً جديداً يتضمن آراء حزمية (يقولون بالظاهرية ونفي التأويل) وصوفية غزالية ونزعة شيعية (عصمة الإمام)[2]، وتشدداً حنبلياً، وأشعرياً في جل المسائل منها العقاب والثواب والقدرة والإرادة، أمّا نفي الصفات وفهم التوحيد فكان مثل فهم المعتزلة[3]، فهي ثورة إصلاحية تأخذ من كل المذاهب[4]، وخرج بمنهج جديد وتصور مغاير لما كان سائداً من أوضاع اعتبرها منافية للدين فاتخذ من شعار الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر بداية للتغيير[5].

فهذه الحركة الإصلاحية لدى الموحدين حسب مزاعمهم قامت على أساس ديني باتهام المرابطين بالتجسيم والجمود الفكري والكفر، من أجل القضاء عليهم وإسقاط دولتهم، فقام

سفيان بن صفوان بن جابر بن عطاء بن رباح بن محمد من ولد سليمان بن عبد الله بن حسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب، ولد سنة (475هـ/1082م). أمّا وفاته كانت سنة (524هـ/1131م)، وتومرت معناها الفرح لأنّ أمه فرحت بمولده كثيرا ولما سئلت عنه أجابت بلسانها البربري"ديك تومرت" ومعناه صار فرحا، فغلب عليه ذاك اللقب. ينظر: ابن خلدون: العبر، المصدر السابق، ج6، ص301، ابن القطان: المصدر السابق، ص87، البيذق: المصدر السابق، ص21، عبد الله علي علام، المرجع السابق، ص44، عبد الرحمن الجيلالي: المرجع السابق، ج2، ص29.

[1]– عبد الله بن ياسين بن مكو الجزولي المصمودي(ت451هـ/1059م): الزعيم الأول للمرابطين، وجامع شملهم، وصاحب الدعوة الإصلاحية فيهم، كان من طلبة العلم في دار أنشئت بالسوس وسميت" دار المرابطين". ينظر: الزركلي الدمشقي (ت1396هـ): الأعلام، دار العلم للملايين، ط15، بيروت، 2002 م، ج4، ص144.

[2]– ابن خلدون: العبر، المرجع السابق، ج6، ص302، عبد الواحد المراكشي: المصدر السابق، ص162، لخضر بولطيف: فقهاء المالكية والتجربة السياسية الموحدية في الغرب الإسلامي، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، ط1، فرجينيا، الولايات المتحدة الأمريكية، 2009م، ص122.

[3]– المعتزلة: فرقة إسلامية ظهرت في المشرق من أهل الكلام والتأويل اعتمدت العقل في تأييد القضايا الدينية، سيأتي الكلام عنها في الفصل الخاص بأنواع العلوم. ينظر: عبد الواحد المراكشي: المصدر السابق، ص162، عبد المجيد النجار: المهدي بن تومرت، دار الغرب الإسلامي، لبنان، 1983م، ص133، محمد المنوني: العلوم والآداب والفنون على عهد الموحدين، دار المغرب، ط2، الرباط، 1977م، ص58.

[4]– حسن علي حسن: الحضارة الإسلامية في المغرب والأندلس، مكتبة الخانجي، ط1، مصر، 1980م، ص454، الحسن السائح: المرجع السابق، ص205.

[5]– تيرس نوح: جهود علماء المغرب الأوسط في تطور العلوم النقلية من ظهور الرستميين إلى نهاية الزيانيين، أطروحة دكتوراه، جامعة الجيلالي اليابس، سيدي بلعباس، 2018م/2019م، ص25.

أصحاب هذا المذهب بمزج بعض مبادئ مختلف المذاهب، والتي تخدم مصالحهم من أجل الوصول إلى تحقيق أهدافهم الخفية منها تأسيس كيان سياسي، وبذلك انضمت إليه الكثير من فئات مجتمع المغرب الإسلامي.

كذلك من أسباب ظهور هذا المذهب خلال عهد الدولة المرابطية غلوهم في إتباع المذهب المالكي وميلهم للحديث دون الرجوع للأصول، ويؤكد الباحثون أنّ الموحدين المصامدة لهم قبل الإسلام حضارة، عاشوا حياة السهول والجبال ممّا ساعد في ظهور حضارة بين قبائلهم[1].

كما ارتبط قيام دولة الموحدين بأمرين أساسيين، أولهما انتشار ظاهرة الفساد على مستوى أعلى هرم السلطة المرابطية، والأمر الثاني بروز شخصية ابن تومرت الذي سعى إلى تغير المنكر[2]، ومن أهم الأسباب التي جعلت الموحدين يؤسسون دولة هو ضعف الدول الإسلامية في الشرق والغرب، خاصة دولة المرابطين الذين انغمسوا في الرفاهية والدعة، لذلك استطاع الموحدون بناء دولتهم على أنقاض هذه الدولة.

كما ذكرتُ سابقاً يعود الفضل في تأسيس المذهب الموحدي إلى المهدي محمد بن تومرت، وساعدته في ذلك عوامل عدة؛ بعدما حفظ القرآن في طفولته بمساجد قريته بدأ رحلته الطويلة إلى المشرق وأقام بمكة للحج ثم رجع إلى الأندلس، ودامت هذه الرحلة حوالي خمسة عشر عاما، تتلمذ على كبار العلماء من بينهم أبي حامد الغزالي وابن حمدين بقرطبة والطرطوشي بمصر[3]، ودرَس في مختلف الحواضر الإسلامية منها بغداد، قرطبة، دمشق، القاهرة، لذلك أصبح له قدم راسخة في الطريقة الأشعرية[4]، قد لازم الغزالي ثلاث سنوات وبشره بشأنه العظيم، ثمّ عاد إلى المغرب بعد تأكده من ضعف الدول الإسلامية وانتشار

---

[1]- الحسن السائح: المرجع السابق، ص206.

[2]- عبد القادر بوعقادة: الحركة الفقهية في المغرب الأوسط ق(7و9هـ/13و15م)، أطروحة دكتوراه، جامعة الجزائر2، 2015/2014م، ص230.

[3]- عبد الواحد المراكشي: المصدر السابق، ص245، محمد الصلابي: تاريخ دولتي المرابطين والموحدين، دار المعرفة، ط2، 2005م، ص12، ابن خلكان(ت681هـ/1282م):وفيات الأعيان وأنباء الزمان، تحقيق إحسان عباس، دار صادر، بيروت، لبنان، 1972م، ج5، ص46، محمد المنوني: حضارة الموحدين، المرجع السابق، ص11، عبد المجيد النجار: المرجع السابق، ص68.

[4]- الأشعرية: هي فرقة كلامية تنسب لأبي الحسن الأشعري(ت324هـ) ظهرت في القرن الرابع الهجري، تطورت في المناهج الكلامية. ينظر: ناصر بن عبد الكريم العقل: الفرق الكلامية، دار الوطن، السعودية، 2001م، ص49.

المنكرات وعموم الفساد، فحمل الدعوة الإصلاحية التي عاد بها من المشرق، وجُلّ المؤرخين وصفوه بالتبريز في العلم كما وصفه ابن خلدون أنّه رجع إلى المغرب "بحراً متفجراً من العلم، وشهاباً وارياً من الدين"[1]، وبفضل العلماء والشيوخ والمفكرين المشارقة والمغاربة تحددت شخصية ابن تومرت العلمية والفكرية، وعن طريق ما أخذه منهم من علم وثقافة أصبحت له شخصية ومكانة في المجتمع الإسلامي.

قفل المهدي إلى المغرب في ربيع الأول من سنة (510هـ) وعرّج في قفوله على الحواضر العلمية والسياسية بالمغرب الأوسط، وحيثما حلّ درّس العلم وأمر بالمعروف ونهى عن المنكر، وعندما دخل المهدية درّس في أحد مساجدها وأخذ يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر، وقد ورد في كتاب ابن القطان أنّه وُجد مسجد في زويلة يعرف باسمه، وكان أمير إفريقية علي بن يحي بن تميم يحضّره في مجالس الفقهاء، لكن أمره فيما بعد بالرحيل خوفاً من الفتنة[2].

وفي سنة (515هـ) أقام ابن تومرت بمنطقة سوس في صورة آمر بالمعروف ناهٍ عن المنكر[3]، وخلال عودته إلى هذه المنطقة حاول تذكير أهلها بأوضاعهم التاريخية موضحا لهم الأوضاع الجديدة التي تتطلب التّعاون والدفاع عن كيان هذه القبيلة التي اضطهدت من طرف المرابطين، واستطاع إقناعهم[4]، وعندما ذاع صيته استدعاه للمناظرة أمير المرابطين علي بن يوسف بن تاشفين الذي دبّ الخوف في قلبه حيث أدرك قوة شخصية ابن تومرت وعلمه ونسبه ووضوح صفات الزعيم فيه، فأُشير عليه بقتله، لكن الأمير اكتفى بإبعاده وإخراجه من الحواضر لكي لا يفسد ويحرض عقول العامة[5].

[1]– ابن خلدون: العبر، المصدر السابق، ج6، ص302، محمد المنوني: العلوم والآداب والفنون، المرجع السابق، ص11، عبد المجيد النّجار: المرجع السابق، ص132.

[2]– ابن القطان: المصدر السابق، ص40، البيذق: المصدر السابق، ص50، الزركشي: المصدر السابق، ص09، عبد المجيد النجار: المرجع السابق، ص88.

[3]– عبد الواحد المراكشي: المصدر السابق، ص 178، ابن خلكان: المصدر السابق، ج5، ص45.

[4]– يوسف عابد: الحركة الموحدية الإصلاحية، مجلة جامعة الأمير عبد القادر قسنطينة، الجزائر، 2013م، العدد3، ص282.

[5]– ابن أبي زرع (ت ق8هـ): الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس، تحقيق عبد الوهاب بن منصور، دار المنصور للطباعة، الرباط، 1972م، ص174، البيذق: المصدر السابق، ص36، ابن خلدون:

كانت مساعي ابن تومرت هذه بعدما أدرك ما يُعانيه المغرب من انتشار الفواحش ونقص في تعليم الأصول[1]، وشملت دعوته في النّهي عن المنكر والأمر بالمعروف ثلاث فئات هي: العامة، الأمراء والفقهاء[2]. وبهذا يريد المهدي استقطاب جميع فئات المجتمع لكي لا يقع في النُّفور والتّصدي والمقاومة، والذكاء من خصاله التي تمتع بها كرجل طموح يسعى إلى تولي القيادة.

يرى الباحث لخضر بولطيف أنّ الحركة الموحدية بدأت أشبه ما تكون بحزب سياسي أو تنظيم ثوري، حيث بدأ ابن تومرت حركته وقد وضع مخططاً ثورياً لنسف حكم المرابطين وإقامة حكم جديد على أنقاضه[3]، حسب المؤرخ البيذق فإنّ نواة هذا الحزب تشكلت إبّان إقامته في المشرق مع خمسين رجلا من الديار المصرية والرباطات الشامية، كانوا مثل أعضاء جسده؛ سامعين لقوله محبين لأمره[4].

وقد اعتمد ابن تومرت في دعوته على ركيزتين؛ الأولى تقوم على فكرة المهدوية؛ حيث أعلن أنّه مهدي الزمان وتمت مبايعته على أساس أنّه المهدي المنتظر الذي يملأ الأرض عدلاً بعدما ملئت جورًا (وهي فكرة شيعية تقوم على العصمة، يكفر كل من خالف عقيدته التوحيدية، لذلك يقال أنّ مذهبه مزيج بين المذاهب، إذ كان ميكيافيليا في أفكاره،

العبر، ج6، ص302، لخضر بولطيف: فقهاء المالكية، المرجع السابق، ص100، الزركشي: المصدر السابق، ص12، عبد المجيد النّجار: المرجع السابق، ص101.

[1]– مبارك الميلي: تاريخ الجزائر في القديم والحديث، ج2، تقديم محمد الميلي، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1999م، ج3، ص832، ع الرحمن الجيلالي: المرجع السابق، ص3، ع المجيد النّجار: المرجع السابق، ص84.

[2]– صديقي عبد الجبّار: محنة المالكية في العهد الموحدي، مجلة الإنسان والمجال، المركز الجامعي نور البشير، البيض، الجزائر، 2015م، العدد1، ص206.

[3]– لخضر محمد بولطيف: فقهاء المالكية، المرجع السابق، ص98،عباس الجراري: الموحدون ثورة سياسية ومذهبية، مجلة المناهل، وزارة الشؤون الثقافية، الرباط، 1974م، العدد1، ص89، حسين بولقطيب: ابن تومرت وتجديد الفكر الإسلامي، مجلة الاجتهاد، بيروت، 1993م، العدد20، ص90، عبد المجيد النجار: المرجع السابق، ص377.

[4]– البيذق(ت ق6ه): المقتبس من كتاب الأنساب في معرفة الأصحاب، تحقيق عبد الوهاب بن منصور، دار المنصور للطباعة، الرباط، المغرب، 1971م، ص30.

استغل ذلك لخدمة مشروعه السياسي)[1]، أما الركيزة الثانية تتمثل في إقامة حملة ضد فقهاء الدولة المرابطية واتهامهم بالخروج عن مبادئ الدين الإسلامي والمتاجرة بالعلم لكسب وِد الحكام.

يبدو أنّ ابن تومرت لم يكن يهمه الفكر العقدي على قدر اهتمامه بالسلطة، فإدراكه لأهمية الوازع الديني في الأوساط الاجتماعية جعله يدمج بين المذاهب لإرضاء أكبر شريحة في المجتمع، وساعده على ذلك طبيعة تكوينه في المشرق حيث ذكر ابن خلدون أنّ ابن تومرت عاد من هناك متشبعا بعلوم ومذاهب مختلفة ممّا جعله يقطف من كل مذهب ما يخدم سياسته[2].

ولم تكن من أهدافه المضمرة ولا المُعلنة طرح مذهب جديد على الساحة الفكرية، وإنّما قام بصياغة المرامي السياسية صياغة فكرية مخالفة للفكر المرابطي[3]، فكانت دعوته عقدية، إذ يعتبر الدين الأساس الذي بنى عليه ابن تومرت حركته الإصلاحية، فأثّر تأثيراً بيّناً في مستقبل الحكم الموحدي، حيث أخذ الحكم صبغة دينية في مختلف المجالات، واعتمد في تبليغ دعوته على طريقتين؛ طريقة التدريس المباشر وإلقاء الخطب والمواعظ وطريقة تصنيف الكتب وإنشاء الرسائل[4]، وقد تبنى فكرة المهدوية من أجل كسب ثقة الشعب خاصة من حيث الجانب الروحي.

وبحسب الباحث حسين بوبيدي فإنّ الخلفاء الموحدين رغبوا في إعادة تشكيل المرجعية المذهبية من أجل اكتساب الشرعية الدينية، فعمل المهدي بن تومرت على تأسيس مذهب توفيقي تلفيقي ليتمكن عبره من تجاوز الشرعية الفقهية المالكية[5]، بعد فهمه جيداً طبيعة البيئة الدينية لسكان بلاد المغرب، وتيقنه من قوة تعصب المفاهيم السائدة في كل

---

[1]– إبراهيم القادري بوتشيش: مقالات في تاريخ الغرب الإسلامي خلال عصري المرابطين والموحدين، مطبعة سجلماسة، ط4، المغرب، 2018م، ص56، علي علام: المرجع السابق، ص151، عبد الحميد سعد زغلول: محمد بن تومرت وحركة التجديد في المغرب والأندلس، دار الأحد، بيروت، لبنان، 1973م، ص21.

[2]– ابن خلدون: العبر، ج6، المصدر السابق، ص303.

[3]– لخضر بولطيف: فقهاء المالكية، المرجع السابق، ص133.

[4]– عبد المجيد النجار: المرجع السابق، ص386.

[5]– حسين بوبيدي: بلاد المغرب الإسلامي بين التعايش والصراع المذهبي، مجلة الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة قسنطينة2 عبد الحميد مهري، الجزائر، 2002م، مج11، العدد1، ص219.

ناحية، فكان أول عمل قام به بعد عودته من رحلته العلمية النزول إلى العوام وتلقينهم مبادئ الأشعرية[1]، فاستفحلت دعوته واستحكمت في الوسط البربري الذي سحرته كلماته بما اشتهر به منغزارة العلم والقدرة على الإقناع مع قوة الحجة مخاطباً إيّاهم باللغة العربية والبربرية، فاقبل النّاس عليه أفواجاً وعلى رأسهم أفراد قبيلته مصمودة وما جاورها، فأعلن مهداويته وصنّف تصانيف منها " أعز ما يطلب"[2]، وقد بلغ من شدة تعصب دولة الموحدين للإسلام والدفاع عن حوزته أن أصدرت الحكومة أمرها لجميع من يوجد بالمغرب الإسلامي من أهل الكتاب، الإسلام أو الجلاء؛ فكان هذا سبباً في إسلام كثير من اليهود والنصارى[3]، حيث أصدر عبد المؤمن بن علي مرسوم يأمر فيه أهل الذمة بالإسلام أو الهجرة أو القتال، كما ألزمهم الخليفة المنصور بلبس لباس خاص[4].

لذلك يرى بعض المؤرخين والباحثين أنّ مبدأ الإصلاح عند المرابطين كان دينيا اجتماعيا ثمّ تطور إلى مشروع سياسي لقيام دولة مسلمة، أمّا الحركة الإصلاحية عند الموحدين فكان هدفها سياسيا باستخدام الدين والإصلاح واتهام المرابطين للوصول إلى إقامة دولتهم[5].

الفرع الثاني: دور المغرب الأوسط في ظهور الدولة الموحدية

كان للمغرب الأوسط دور في ظهور الدولة الموحدية، وذلك عند قدوم الزعيم الروحي للدعوة الموحدية المهدي بن تومرت من تونس (مع الدكالي والبيذق والحاج عبد الرحمان) ونزوله على قسنطينة سنة (510هـ) عند الفقيه عبد الرحمن الميلي، وكان أميرها آنذاك ابن سبع بن العزيز بن المنصور بن الناصر بن علناس بن حماد الصنهاجي (ت511هـ/1117م)، ثُمّ توجه إلى بجاية خلال حكم الدولة الحمادية على عهد العزيز بالله

(1)- مجهول: الحلل الموشية، المصدر السابق، ص113.

(2)- ابن خلدون: العبر، المصدر السابق، ج6، ص358.

(3)- عبد الرحمن الجيلالي: المرجع السابق، ص310.

(4)- ابن عذارى المراكشي (ت ق8هـ): البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، تحقيق محمد إبراهيم الكتاني وآخرون، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1985م، ص356.

(5)- ميلود بن حاج: الإصلاح الديني والاجتماعي عند المرابطين والموحدين، مجلة دراسات تاريخية، الجزائر، 2022م، مج10،العدد2، ص209.

بن منصور بن الناصر بن علناس (ت518هـ/1123م)[1]، ونزل بمسجد الريحانة وكان يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر، فبنى مسجدا في ملالة[2] (صورة2) والذي أصبح مدرسة تستقطب الطلبة من كل مكان، وكان يحضر إليه زيادة على طلبة العلم من الطلبة والمتعلمين جماعة من الفقهاء، فكانت فرصة للمدارسة والتناظر فيُبلِغ فيها مذهبه الجديد في الأخذ بالأصول وانتهاج التأويل[3].

التقى ابن تومرت بملالة عبد المؤمن بن علي[4] (ت558هـ/1162م) الذي قُدّر له أن يكون خليفته ويحمل لواء دعوة الموحدين ومؤسس دولتهم فسأله عن وجهته فأخبره أنّه متوجه إلى المشرق للعلم، فقال له ابن تومرت الذي يسميه البيذق بالمعصوم:"العلم الذي تريد اقتباسه بالمشرق قد وجدته بالمغرب ولا يقوم الأمر إلاّ بعبد المؤمن سراج الموحدين"[5]، واصطحبه نحو المغرب الأقصى مرورًا بمتيجة ثم الأخماس، وقام بأدوار إصلاحية منها؛ إقامة المساجد وعمارتها، فكلما وجدوا مسجدا مهدماً يأمر ببنائه، أو معطلاً فيأمر بعمارته.

ثم توجهوا إلى وانشريس والتقوا عبد الله بن محسن البشير الوانشريسي الذي التحق بهم فواصلوا السير نحو الشلف ونزلوا عند الفقيه أبي الربيع ثم البطحاء وتلمسان أين التقى

---

[1]– عبد المجيد النجار: المرجع السابق، ص89، البيذق: المصدر السابق، ص51، ابن خلدون: العبر، ج6، ص302.

[2]– ملالة: قرية صغيرة تبعد 7كم عن بجاية جنوبا، وهي ضيعة لبني ورياغل على فرسخ من بجاية. ينظر: الحموي: المصدر السابق، ج5، ص189، عثمان الكعاك: تلمسان ونشأة الدولة الموحدية، مجلة الأصالة، وزارة التعليم، الجزائر، 1975م، العدد26، ص121.

[3]– ابن القطان: المصدر السابق، ص77، البيذق: المصدر السابق، ص52

[4]– عبد المؤمن بن علي: هو عبد المؤمن بن علي بن علوي بن يعلى بن علي بن حسن الكومي من قوم يقال لها بنو مجبر مولده بضيعة من أعمال تلمسان تعرف بتاجرا، بالقرب من ندرومة بتلمسان، أمه كومية، ولد في آخر سنة(487هـ) في أيام يوسف بن تاشفين، وتوفي في جمادى الآخرة سنة (558هـ)، ومدة حكم ولايته 37سنة. ينظر:عبد الواحد المراكشي(ت647هـ): المصدر السابق،ج3، ص (272،273،274)، ابن القطان: المصدر السابق، ص176، البيذق: المصدر السابق، ص21، مجهول أندلسي: الحلل الموشية في ذكر الأخبار المراكشية، تحقيق سهيل زكار وعبد القادر زمامة، دار الرشاد الحديثة، ط1، الدار البيضاء، 1979م، ص106، ابن خلكان: المصدر السابق، ج5، ص48، وينظر: أحمد مختار العابدي: دراسة في تاريخ المغرب والأندلس، مؤسسة الشباب الجامعة، الإسكندرية، د ت، ص111، حسن علي حسن: المرجع السابق، ص310، ابن أبي دينار: المؤنس في ذكر أخبار إفريقيا وتونس، مطبعة الدولة التونسية، تونس، 1967م، ص110.

[5]– البيذق: المصدر السابق، ص19، بن قربة: عبد المؤمن بن علي، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1991م، ص11.

ابن صاحب الصلاة، ثم وجدة وتنملت، حيث كان ابن تومرت يختار أصحابه ممن يرى فيهم صفات الذكاء والإخلاص. كان يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر أينما حلّ ويأمر أصحابه أن يقوموا بذلك، كما كان يبني ويرمم ويُعمر المساجد حيثُما نزل[1]، فما غادر مدينة إلاّ وترك بها سمعة وأنصارا[2]، وتقاسم ابن تومرت وعبد المؤمن مرارة الحرمان والمطاردة والحرب ضد المرابطين، وقدر لهما أن يسجلا صفحات من البطولة والمجد[3].

إن هذا الاستقرار النسبي بملالة كان فرصة سانحة لابن تومرت ليرسم فيها طريق المستقبل، ويضع خطته في التغيير، لذلك كان بعد الفراغ من التعليم يجلس تحت شجرة خروب على قارعة الطريق يُكثر من التّأمل، ينظر إلى المارة، ولعلّه بذلك شرع في خطوته الأولى باحثا عن ساعد قوي يشُد أزره، فإذا هو يعثر على عبد المؤمن بن علي الذي سيكون له شأن في تأسيس الدولة الموحدية، خاصة أنه يتميز ببعض الكرامات منذ ولادته منها الرؤى والأحداث التي وقفت عليها أمه في صغره[4].

تميز ابن تومرت بالذكاء والتريث سواء في اختيار ساعده الأيمن عبد المؤمن بن علي وأصحابه الذين يتميزون بالصدق والوفاء والذكاء، أو في اختيار المكان المناسب لزرع بذور أفكاره في مناطق محاذية للمرابطين من أجل تتبع خطواتهم بعيدًا عن أنظار هؤلاء المرابطين، بذلك كان لظهور دعوة ابن تومرت في ثوب المهدي وقعٌ كبير الألم على دولة المرابطين، انتهت بسقوطها وقيام دولة كبيرة محلها ذات صبغة بربرية محلية، لم تستمد جذورها من المشرق كما كان عليه الأمر سابقا[5].

رغم هذا لا يعتبر المهدي المؤسس الفعلي للدولة الموحدية لأنّه لم يفتح شيئا من البلاد، إنّما المؤسس الفعلي لها هو عبد المؤمن بن علي أحد أتباعه المقربين الذي كانت له

---

[1]- عبد الله الونشريسي: من أهل المغرب الأوسط نسبة إلى جبل ونشريس بجنوب بلدة الشلف، كان عالما فصيحا وهو من أهل العشيرة، قاد عددا من الحملات ضد المرابطين إلى جانب المهدي وتوفي في وقعة البحيرة سنة 524هـ/1130م. ينظر: البيذق: المصدر السابق، ص(37-40)، عبد الرحمن الجيلالي، المرجع السابق، ص4.

[2]- مبارك بن محمد الميلي: المرجع السابق، ص832، عبد المجيد النجار: المرجع السابق، ص95.

[3]- صالح بن قربة: عبد المؤمن بن علي، ص13.

[4]- عبد المجيد النجار: المرجع السابق، ص92.

[5]- محمد عبد الله عنان: المرجع السابق، ص157.

الفتوحات والممالك[1]، لكن تعاليم ابن تومرت رسخت في قلوب أتباعه حتّى أصبح النّصر مضمونا للموحدين الذين هيأهم المهدي روحيا، وحققه من بعده خلفاؤه سياسياً وحربياً، فدور المهدي دور روحي في شكله وظاهره وسياسي حربي في جوهره ومضمونه[2]، ولولاه لما وجدت هذه الدولة لأنّه هيأ الأرض لزرع بذورها، فهو المؤسس السياسي والمذهبي للدولة،المبلور أسس النّظام الموحدي الواضع أجهزته ومؤسساته، أحد أفذاذ علماء عصر الموحدين.

أثناء تواجده بمراكش طرده المرابطون منها فتوجه إلى تينملل[3] واستقرّ بها، ولما استوثق من قبيلته ومنعة موضعه ألقى فيهم خطبته وبايعه أتباعه تحت شجرة الخروب سنة (515هـ) وسمّاهم الموحدين، وكان عبد المؤمن أول مبايعيه ولقبوه بالمهدي، فأصبحت القاعدة الحربية له ولأتباعه، وكانت طاعة المصامدة للمهدي تزداد وتكثر واشتّد حبهم وعظمتهم له، واعتقادهم أنّه المهدي المعصوم الذي سيملأ الأرض عدلاً كما ملئت جوراً، وما ساعد على ذلك طباعهم من خفة سفك الدماء[4].

بعدما رسخ المهدي بن تومرت عقائده وطبع مواليه بطابع الوحدة والتجديد، فكّر في القضاء على المرابطين فأنشأ جهازًا تنظيميًا يَحصر هؤلاء الأتباع ويُسهل مراقبتهم ويتكون من هيئات هي: أهل العشرة أو أهل الجماعة: وهو مجلس يشتمل على عشرة أشخاص من خيرة أصحابه، منهم عبد المؤمن بن علي، أهل الخمسين: وهم خمسون شخصاً يمثلون

---

[1]– الذهبي: العبر، تحقيق محمد السعيد زغلول، دار الكتب العلمية، لبنان، 1985م، ج2، ص423، ابن خلكان: المصدر السابق، ج5، ص55.

[2]– شوقي أبو خليل: الأرك، دار الفكر، لبنان، 1993م، ص11.

[3]– تنملل: أو تينملل أو تينمل، مدينة مغربية تاريخية مرتبطة بالمصلح الديني ابن تومرت، هي جبل عال جداً شديد البرودة، لا ترتقي إليه دابة البتة إلا بعد جهد ومشقة، يزحم بالسكان فيه من كل جهة، وعلى قمته مدينة تحمل اسمه عامرة ومزدانة بمسجد جميل ويخترقها نهر جار فيها خيرات كثيرة، زاد في تشييده ابن تومرت وتحصينه، وبه قبره الذي أصبح مزاراً لسكانه، دمرها المرينيون باستثناء مسجدها الأعظم، ومازالت تحمل نفس الاسم، تقع جنوب شرق مدينة مراكش في طريق تارودانت. ينظر: الإدريسي: المصدر السابق، ص230، حسن الوزان: المصدر السابق، ج1، ص141.

[4]– عبد الواحد المراكشي: المصدر السابق، ص254، صالح بن قربة: عبد المؤمن بن علي، المرجع السابق، ص15، مبارك الميلي: تاريخ الجزائر، المرجع السابق، ص302، ابن القطان: المصدر السابق، ص124، البيذق: المصدر السابق، ص73، الزركشي: المصدر السابق، ص15، ابن خلدون: العبر، ج6، ص304، عبد المجيد النجار: المرجع السابق، ص113، ابن أبي دينار: المصدر السابق، ص109.

القبائل، منهم هرغة[1] وتنمل، وأهل السبعين: ويضم الخمسين السابقين وعشرين آخرين يمثلون قبائلهم[2]، حيث نهج في تنظيم دعوته نهج السيرة النبوية الشريفة، وذلك من خلال اختيار عبد المؤمن بن علي كصديقه المقرب اقتداءً بالرسول ﷺ مع أبي بكر الصديق، وسمى أصحابه بجماعة العشرة تمثيلا بالعشرة المبشرين بالجنّة، وكان كثيراً ما يردد عبارة:"أول من آمن بي" ويسمي حروبه مع المرابطين بالغزوات[3].

في سنة (517هـ) ظهرت الدعوة في ثوبها العسكري، فجهز ابن تومرت جيشا عظيما أغلبه من تينملل والسوس للهجوم على المرابطين بتاودزت كما بعث لهم رسالة[4] وعظ وتهديد، وكان للمهدي تسع غزوات[5] شارك في سبعٍ منها؛ آخرها بهسكورة، وكان يأمرهم بالبقاء في الجبال إلى أن يصعد العدو، وفي سنة (524هـ) قصد جيش المهدي عاصمة المرابطين مراكش ووقعت بينهم معركة البحيرة التي خسر فيها الموحدون الكثير من الجيوش منهم أبي عبد الله الونشريسي وسليمان أحضري وقائد الجيش محمد البشير، تأثر المهدي ولازم بيته في تنملل إلى أن توفي هناك عام (524هـ/1130م) فكفنه عبد المؤمن وصلى عليه ودفنه في مسجد تينملل، لكنّه وأصحابه كتموا وفاته وشنوا غارات لمدة ثلاث سنوات ثم أعلنوا وفاته سنة (527هـ)[6]، وقد بايع أهل الدار (أخته وأكابر أصحابه أهل العشرة وخدمه) عبد المؤمن بيعة السرّ سنة 524هـ، ثم بايعه القوم[7] بعد إعلان وفاته وتسمى بيعة العامة

---

[1]- هرغة: قبيلة مصمودية اسمها البربري أرغن، مساكنها جنوبي وادي سوس إلى الشرق من مدينة رودانة، والمصامدة ينتسبون لايلان بن مصمود بن مازيغ، مواطنهم بالمغرب الأقصى. ينظر ابن خلدون: العبر، المصدر السابق، ج6، ص223، الزركشي: المصدر السابق، ص43، حسن علي حسن: المرجع السابق، ص300.

[2]- مجهول: الحلل الموشية، المصدر السابق، ص109، عبد المجيد النّجار: المرجع السابق، ص117.

[3]- الزركلي(ت1396هـ): المصدر السابق، ج6، ص229.

[4]- نص الرسالة موجود في بعض المصادر. ينظر: مجهول: الحلل الموشية، المصدر السابق، ص111.

[5]- البيذق: المصدر السابق، ص77.

[6]- عبد الواحد المراكشي: المصدر السابق، ج3 ص913، البيذق: المصدر السابق، ص79، ابن خلدون: العبر، المصدر السابق، ج6، ص306، مجهول: الحلل الموشية، المصدر السابق، ص117، ص303، الزركشي: المصدر السابق، ص16، عبد المجيد النجار: المرجع السابق، ص124.

[7]- يرى بعض المؤرخين أن عبد المؤمن استعمل الحيلة والدهاء لكسب عامة الموحدين حتى أضحى عبد المؤمن خليفة للمهدي وزعيم الموحدين الروحي والسياسي. ينظر: ابن أبي الزرع: المصدر السابق، ص184، البيذق: المصدر السابق، ص97، مجهول: الحلل الموشية، المصدر السابق، ص150، بن قربة: عبد المؤمن بن علي، ص26، عبد الحميد النجار: المرجع السابق، ص39.

بتنملل[1]، فتسلّم زمام الأمور والحكم وهو لم يتجاوز الثلاثين من عمره، وهذا بعد عشر سنوات من وفاة المهدي[2].

انتصر عبد المؤمن بن علي بذكائه وحكمته في عدة معارك أمام المرابطين في المغرب الأقصى، خاصة في منطقة السوس التي تشبه حروبها حرب العصابات، كما له عدة غزوات منها غزوة حصن تاسغيموت شرق مراكش ودرعة، ثم دخل الموحدون تارودانت بعدما انضمت إليهم صنهاجة الجبل وهسكورة، واستولوا على منطقة جبال الأطلس[3]، ثم أقدم عبد المؤمن على خطوة جريئة بنقل ميدان المواجهة إلى أرض المغرب الأوسط[4]، وانتزاع الأمر من يد أهل السوس قوم ابن تومرت وجعله في قومه، حيث استقدمهم إليه واجتهد في تنشئتهم حربيا منهم حوالي ثلاثة ألاف شاب من أذكياء المصامدة وغيرهم من فطناء المغرب حتى حذقوا الفنون والآداب وبان شأوهم[5].

لقد استطاع عبد المؤمن بن علي أن يتحمل أعباء الدعوة الموحدية عقب وفاة ابن تومرت وحمل مسؤولية قيامها، وقد رأى أن الفرصة سانحة للتوسع في المغرب الأوسط وكان له ذلك.

أولا: فتح تلمسان ووهران

بعدما رست قواعد دولة الموحدين في السوس خرج عبد المؤمن سنة (535هـ) في جيش باتجاه بلاد المغرب الأوسط، ففتح غمارة بشمال المغرب الأقصى[6]، ثم توجه إلى أعمال تلمسان وشرع في سفك الدماء وافتتاح البلاد المغربية، وذاع سيطه في سائر

---

[1]- ابن أبي الزرع: المصدر السابق، 184، ابن صاحب الصلاة(ت ق6هـ): المن بالإمامة، تحقيق عبد الهادي التازي، دار الغرب الإسلامي، ط3، بيروت، لبنان، 1987م، السفر2، ص17.

[2]- البيذق: المصدر السابق، ص83.

[3]- المصدر نفسه، ص37، ابن القطان: المصدر السابق، ص225، ابن خلدون: العبر، المصدر السابق، ج6، ص306، صالح بن قربة: عبد المؤمن بن علي، المرجع السابق، ص28، عبد الله عنان: المرجع السابق، ص225.

[4]- ابن عذارى المراكشي: المصدر السابق، ص23.

[5]- عبد الرحمن الجيلالي: المرجع السابق، ج2، ص295.

[6]- صالح بن قربة: عبد المؤمن بن علي، المرجع السابق، ص28.

الأقطار[1]، فمرّ على الرّيف واستولى عليه ثم كان الدور على أحواز تلمسان، وصل ندرومة ودخل أهلها الدعوة الموحدية سلماً وحصل على دعم قبيلته كومية[2].

لقد حاصر تلمسان من جهاتها الأربع بجيشه المركب من أربع فرق (فرسان المزارق، المدرعة، فرق تحمي القسي والمقالع، فرسان الوسط)، وحينما أحس أمير المرابطين علي بن يوسف بن تاشفين الهزيمة وهو مقيم بجبل تيطري بتلمسان استنجد بأسطوله المتواجد بالأندلس، وبيحي بن عبد العزيز الحمادي فجاءته النجدة، لكن أضرم الموحدون فيها النّار فحاول أمير المرابطين الفرار لكنّه ما تبعد سقوطه من فرسه[3].

كان لوفاة أمير المرابطين علي بن يوسف سنة (537هـ) أثر في سقوط المرابطين، وعندما خلفه ابنه تاشفين أحس بالخطر الذي يداهم تلمسان فتراجع إلى وهران[4]، كما وقع خلاف بين قبيلة لمتونة ومسوفة التي انضمت إلى الموحدين، وما إن دخل عبد المؤمن المدينة تاجراً حتى أعلنت طاعتها وولاءها للموحدين مما زاد من قوتهم[5].

أرسل عبد المؤمن بن علي سرايا في جهات مختلفة من المغرب الأوسط منها وهران وتلمسان[6]، وانضمت قبائل زناتة إلى قوات الموحدين ضد المرابطين مما أعطى أبعاداً قوية لهم[7]، فتغير الوضع الحزبي بالنسبة للموحدين وتركوا منطقة الجبال ونزلوا من أوكارهم إلى السهول وعلى المدن الكبرى[8].

غادر الجيش الموحدي نحو تلمسان ونزل الصخرتين (تل يشرف على المدينة)[9] وتمّ حصارها، حيث استطاع عبد المؤمن بن علي قتل الربرتير[1] قائد جيش المرابطين سنة

---

[1]- ابن القلانسي(ت555هـ/1160م): ذيل تاريخ دمشق، تحقيق سهيل زكار، دار حسان، دمشق، 1983م، ص457.

[2]- عبد الواحد المراكشي: المصدر السابق، ص163.

[3]- عبد الرحمن الجيلالي: المرجع السابق، ص298، الزركشي: المصدر السابق، ص19.

[4]- صالح بن قربة: عبد المؤمن بن علي، المرجع السابق، ص37، محمد بن رمضان شاوش: باقة السوسان في التعريف بحضارة تلمسان، تحقيق الحاج الغوثي بن أحمدان، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 2001م، ج1، ص58.

[5]- ابن خلدون: العبر، المصدر السابق، ج6، ص306.

[6]- البيذق: المصدر السابق، ص81.

[7]- ابن عذارى المراكشي: المصدر السابق، ص20، مجهول: الحلل الموشية، المصدر السابق، ص131، صالح بن قربة: عبد المؤمن بن علي، المرجع السابق، ص29.

[8]- ابن الأثير(ت630هـ): الكامل في التاريخ، دار صادر، بيروت، 1989م، مج10، ص580.

[9]- صالح بن قربة: عبد المؤمن بن علي، المرجع السابق، ص29.

(539هـ/1144م)، وبذلك سقطت تلمسان وتبعها سقوط المدن المرابطية،[2] وضعفت قوتهم[3] ثم واصل عبد المؤمن فحاصر وهران مع قائده أبي حفص عمر بن يحي الهنتاني حيث مات تاشفين بن علي المرابطي في السنة نفسها وواصل الحصار لمدة شهرين، فنزل أهل وهران على حكمه[4]، وتمكن من فتحها[5].

بعدما تمكن عبد المؤمن من فتح وهران وتلمسان سنة (539هـ/1144م) نظم شؤونها وفرض حكم الموحدين، واستقر في وهران مدة سبعة أشهر استعداداً لمواصلة الجهاد ثمّ ولّى عليها سليمان بن محمد بن وانودين الهنتاني ليتجه إلى فاس[6].

على غرار ما جرى في وهران، أعمل جيش الموحدين السيف في أهل تلمسان حيث قتل أهلها وأُخذ ما لا يحصى من المال[7]، وكان المقدم على تلمسان الفقيه ابن صاحب الصلاة ولم يتمكن الموحدون من دخولها إلا بمداخلة جماعة من أهلها[8]، فتلقى البيعة من عاملها المرابطي اللمتوني يحي بن إسحاق انكمار سنة (540هـ/1145م)، كما تلقى البيعة

---

[1]–الربرتير: فارس نصراني قائد جيش الروم في الجيش المرابطي. ينظر: عبد الله عنان: المرجع السابق، ص147.

[2]– ابن عذارى المراكشي: المصدر السابق، ص15، البيذق: المصدر السابق، ص95، عز الدين عمر موسى: الموحدون في الغرب الإسلامي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، د ت، ص43.

[3]– قصد تاشفين الحصن الذي بناه في الساحل، فلحق به الموحدون وأحرقوا الحصن فخرج منه، وبسبب الظلام سقط من أعلى الجرف وفي الصباح وجدوه ميتا وفرسه تحته يوم 27 رمضان (539هـ/1145م)، ينظر: ابن خلدون: العبر، المصدر السابق، ج6، ص308، رشيد بورويبة: وهران فن وثقافة، وزارة الإعلام، الجزائر، 1985م، ص26.

[4]– مجهول: الحلل الموشية، المصدر السابق، ص133، ابن عذارى: المصدر السابق، ج4، ص126، ابن أبي زرع: المصدر السابق، ص187، ابن خلدون: العبر، المصدر السابق، ج6، ص308، ابن صاحب الصلاة: المصدر السابق، ص115.

[5]– ابن عذارى: المصدر السابق، ج4، ص126، ينظر كذلك: أبو الفدا: المختصر في أخبار البشر، المطبعة الحسينية، القاهرة، د ت، ج2، ص234، ورشيد بورويبة: وهران فن وثقافة، المرجع السابق، ص26، صالح بن قربة: عبد المؤمن بن علي، المرجع السابق، ص30، وشهاب الدين النويري(ت733هـ): نهاية الإرب في فنون الأدب، تحقيق عبد المجيد تروجيني، دار الكتب العلمية، لبنان، د ت، ج24، ص159.

[6]– ابن خلدون: العبر، المصدر السابق، ج6، ص306، ابن محرز الوهراني: مناماته ومقاماته ورسائله، تحقيق إبراهيم شعلان ومحمد تغش، دار الكتاب العربي، القاهرة، 1968م، ص11، مبارك الميلي: تاريخ الجزائر، ج3، ص314.

[7]– مجهول: الحلل الموشية، المصدر السابق، ص135.

[8]– ابن الأثير: الكامل في التاريخ، المصدر السابق، ج10، ص581، يحي بن خلدون: المصدر السابق، ج1، ص319، النويري: المصدر السابق، ج22، 408.

من أهل سجلماسة[1]، وفي سنة (544هـ/1149م) قام الموحدون بفتح مليانة وأحوازها، وأنهوا حكم المرابطين بالمغرب[2].

ثانيا- فتح المغرب الأقصى والأندلس

في سنة(541هـ/1146م) فتح عبد المؤمن فاس ومراكش ثمّ توجه نحو الأندلس وبنى مدينة رباط الفتح وخَلُص الأمر له سنة(544هـ/1149م)[3]، ودخلت الدولة الموحدية عصرًا جديدًا عُرف بعصر الازدهار[4] حيث تطورت فيه الدولة في مختلف المجالات العلمية والفنية؛ وذلك بتعليم المعارف والعلوم خاصة العلوم الدينية عن طريق إنشاء مؤسسات علمية ودينية مثل المساجد، وإلقاء محاضرات فيها من طرف العلماء والفقهاء وتشجيع الخلفاء لهم.

بعد الهزائم المتوالية للمرابطين وتفكك وحدتهم السياسية وبروز إمارات متنافسة في الأندلس وهو ما يعرف بعصر الطوائف الثاني (539هـ/552هـ)[5]، قامت ثورات وفتن منها: ثورة أحمد بن الحسن بن قسي سنة (540هـ) الذي خلع طاعة المرابطين فثار ضدهم المرابطي يحي بن غانية، ولجأ أحمد بن الحسن إلى الخليفة الموحدي عبد المؤمن ودعاه لامتلاك الأندلس، فأرسل هذا الأخير جيشاً سنة (541هـ/1146م) وفتح الأندلس[6]، وبهذه الانتصارات أصبح الموحدون القوة الرئيسة في الأندلس والمغرب الأقصى وتمكنوا من توحيد معظم أرجائها تحت سلطانهم في وقت قصير[7]. وتوجه اهتمام عبد المؤمن إلى الشرق[8].

---

(1)- ابن عذارى: المصدر السابق، ج4، ص126، ابن خلدون: العبر، المصدر السابق، ج6، ص319، حسين مؤنس: معالم تاريخ المغرب والأندلس، مكتبة الأسرة، ط1، مصر، 2004م، ص217.

(2)- عبد الرحمن الجيلالي: المرجع السابق، ص298.

(3)- البيذق: المصدر السابق، ص88، ابن عذارى: المصدر السابق، ص25، ابن أبي الزرع: المصدر السابق، ص186.

(4)- عز الدين عمر موسى: المرجع السابق، ص43.

(5)- حسين مؤنس: موسوعة تاريخ المغرب والأندلس، مكتبة الثقافة الدينية، مصر، 1996م، ج1، ص78.

(6)- ابن خلدون: العبر، المصدر السابق، ج6، ص312.

(7)- نسرين سلامة عطوان السيوف: الحياة العلمية في الأندلس في عهد الدولة الموحدية، رسالة ماجستير، الجامعة الأردنية، الأردن، 2007م، ص14.

(8)- كينة مليودة: العنف السياسي في الدولة الموحدية، مجلة المعارف للبحوث والدراسات التاريخية، جامعة الوادي، الجزائر، 2015م، العدد17، ص676.

ثالثا- فتح الجزائر وبجاية

إن عبد المؤمن بن علي قبل أن يخرج من مراكش سنة (545هـ/1150م) إلى شرق المغرب الأقصى، كان قاصداً القضاء على إمارة بني حمّاد[1]، فبعدما امتلك جميع أعمال المغرب الأوسط الغربية اتجه نحو الشرق حيث دخل سنة (546هـ/1155م) مدينتي الجزائر والمدية[2] صلحا، وغزا نواحي وانشريس وسيوسرات (547هـ/1156م)[3]، وهزَم الحماديين بقيادة يحي بن عبد العزيز بن المنصور وسقطت بجاية دون أن يعلن عليها الحرب[4]، وهرب يحي إلى أخيه الحارث في بونة(عنابة)[5]، ثم توجه إلى أخيه الحسن بقسنطينة، في حين راسل عبد المؤمن شيوخ قسنطينة يحثهم على الاستسلام والاقتداء ببجاية مقابل إلغاء الضرائب[6]، فدخل عبد المؤمن قسنطينة سنة (547هـ/1152م) واعتقل يحي بن عبد العزيز الذي قبل الدعوة ثمّ توجها إلى بجاية[7]، وبذلك انهزم آخر حكام بني حماد الذي ترك عرشه ومدينته في مواجهة جيش الموحدين.

اتجه عبد المؤمن نحو قلعة بني حماد معقل الصنهاجيين الأعظم وأخضعها،[8] وجهز جيشا بقيادة عبد الله بن عمر الهنتاني متجها نحو سطيف ودخل أغلبهم في

---

[1]- عقيلة الغناي: قيام دولة الموحدين، دار الكتب الوطنية، ط2، بنغازي، 2008م، ص310.

[2]- المدية: مدينة قديمة جليلة من مدن موريتانيا القيصرية التي أسسها الرومان وتسمى "لمبدية"، ويسميها ابن خلدون لمدونة ونسبها إلى قبيلة صنهاجة، كانت مقراً لبلكين في عهد والده زيري، ومع قدوم القبائل الهلالية استوطنها الثعالبة الذين واصلوا الزحف واستقروا في مدينة الجزائر، وتطورت في عهد الحماديين والموحدين فوصفها العلماء بغناها لما تحويه من سهول وبساتين وأنهار وبيوت جميلة وسكانها أغنياء. ينظر: البكري: المصدر السابق، ج2، ص732، ينظر كذلك ابن خلدون: العبر، المصدر السابق، ج6، ص300، وحسن الوزان: المصدر السابق، ص412.

[3]- عبد الرحمن الجيلالي: المرجع السابق، ص298.

[4]- مبارك الميلي: المرجع السابق، ج2، ص304، صالح بن قربة: عبد المؤمن بن علي، المرجع السابق، ص39.

[5]- ابن خلدون: العبر، المصدر السابق، ج6، ص316، السلاوي(ت1315هـ): الاستقصا لأخبار المغرب الأقصى، تحقيق جعفر الناصري، دار الكتاب، المغرب، 1954م، ج2، ص108، حسن علي حسن: المرجع السابق، ص310، عبد العزيز شهبي: تاريخ المغرب الإسلامي، " مختصرات لطلاب الجامعات"، مؤسسة كنوز الحكمة، ط1،الجزائر، 2013 م،ص79 ، صالح بن قربة: عبد المؤمن بن علي، المرجع السابق، ص40، علي الصلابي: المرجع السابق، ص335.

[6]- عبد الواحد المراكشي: المصدر السابق، ص144، السلاوي: المرجع السابق، ج2، ص108.

[7]- ابن الأثير: المصدر السابق، ج11، ص159، لخضر بولطيف: فقهاء المالكية، المرجع السابق، ص216.

[8]- ابن قربة: عبد المؤمن بن علي، المرجع السابق، ص40، مصطفى أبو ضيف: القبائل العربية في المغرب في عصري الموحدين وبني مرين، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1982م، ص71، حسن علي حسن: المرجع السابق، ص46.

طاعته،[1] ثم انقسم الجيش الموحدي إلى فرقتين؛ فرقة اندفعت خلف الفارّين فأدركوهم بتبسة وتمّ أسرهم، والثانية يممت مدينة قسنطينة فحاصرتها حتى استسلم يحي بن عبد العزيز آخر ملوك بني حماد ونزل عن عرشه مبايعا للخليفة عبد المؤمن[2]، وبذلك أُسدل الستار على الدولة الحمادية سنة (548هـ)، مكث عبد المؤمن بن علي ببجاية مدة شهرين استكمل فيها توطيد ملكه بها، وعيّن ابنه عبد الله والياً على بجاية سنة (551هـ/1156م) وكان في عمر الخامسة عشر [3].

رابعا- فتح بونة(عنابة)

أدرك والي الحماديين على بونة الحارث بن العزيز الخطر الداهم فبادر إلى الاستغاثة بالنورمان، فأجابوه وجهزوا أسطولا ضخما بقيادة فليب المهدوي سنة (548هـ/1153م) ومكثوا فيها عشرة أيام ثم رحلوا وبقي الحارث تحت طاعتهم، فأعاد الموحدون كرتهم وفتحوها عنوة فقتلوا صاحبها،[4] وتمّ ضم بونة إلى أملاك الدولة الموحدية سنة (551هـ/1156م) وبذلك أصبح المغرب الأوسط تابعاً للدولة الموحدية من جهاته الأربع[5].

خامسا- إمارة الأعراب الثعالبة بمتيجة

لقد زحف الثعالبة (نسبة إلى جدهم ثعلب بن علي بن بكر بن صغير) كجماعات بشرية من المشرق مع الهلاليين والسليميين تدريجيا إلى المغرب الأوسط، واستقروا بمنطقة التيطري ثم أسسوا كيانات[6]، وعندما قدم ابن تومرت من المشرق مرّ على متيجة وتعرّف إليه هؤلاء الثعالبة وأكرموا نزله وحافظوا على ولائه، وعندما استولى الموحدون على المغرب

---

[1]- البيذق: المصدر السابق، ص114، السلاوي: المرجع السابق، ج2، ص108، ابن خلدون: العبر، المصدر السابق، ج6، ص316.

[2]- عبد الرحمن الجيلالي: المرجع السابق، ص300، محمد بن عميرة ولطيفة بشاري: تاريخ بجاية، دار الفاروق قسنطينة، الجزائر، 2015م، ص102.

[3]- ابن صاحب الصلاة: المصدر السابق، ص170، ابن أبي زرع: المصدر السابق، ص209، البيذق: المصدر السابق، ص116.

[4]- عبد الرحمن الجيلالي: المرجع السابق، ص300، محمد بن عميرة ولطيفة بشاري: المرجع السابق، ص102.

[5]- مجهول: الحلل الموشية، المصدر السابق، ص154، عبد الرحمن الجيلالي: المرجع السابق، ص300.

[6]- علاوة عمارة، زينب موساوي: مدينة الجزائر في العصر الوسيط، مجلة إنسانيات، الجزائر، 2009م، العدد44، ص49.

الأوسط أسندت للثعالبة إمارة متيجة والمدية والتيطري سنة (548هـ/1153م)، وقد بالغ الموحدون في إكرامهم نظرًا إلى موقفهم المشكور إزاء المهدي بن تومرت[1].

بعد انضمام المغرب الأوسط إلى الدولة الموحدية لم يلبث عبد المؤمن إلاّ قليلا حتّى دخل المهدية وامتلك تونس بأعمالها ودخلت تحت طاعته، ثم فتح بلاد الأندلس وعند عودته وافته المنية في سلا سنة (558هـ/1163م)، وتم دفنه في تينملل بإزاء ضريح المهدي بن تومرت[2]، وقد حكم مدة أربعا وثلاثين سنة، وتُعد من أزهى عصور الدولة الموحدية واستمر خلفاؤه في تطويرها خاصة في مجال العلوم والفنون والعمران.

سادساً- حروب المغرب الأوسط مع بني غانية

عرفت الدولة الموحدية عدة محاولات استقلالية ضدها منها رغبة بنو غانية المتواجدين بجزر البليار أخذ الثأر لأخوالهم المرابطين، وإحياء دولتهم والانتقام من الموحدين فنقضوا البيعة بالأندلس[3]، وخرج علي بن غانية اللمتوني من جزيرة ميورقة بقيادة أسطوله (الاعتماد على العصبية العربية ولي على العصبية اللمتونية) نحو باب اللوز واحتلال بجاية سنة (580هـ/1184م)[4] واستغلاله فرصة خلو المدينة وغياب عاملها أبي الربيع بن عبد المؤمن بجيشه خارج البلاد وإرغام أهلها على مبايعة ابن غانية باسم الخلافة العباسية وانضمام قبائل بني هلال إليهم، فعاد أبو الربيع ووقعت حرب بينهم وانهزم هذا الأخير وفرّ إلى تلمسان[5].

بعد أسبوع احتل بنو غانية الجزائر وموزاية والمدية وأَشير، ثم مليانة، ومازونة وتلمسان ووهران ثم قلعة بني حماد، وحاولوا احتلال قسنطينة لكن فشلوا في ذلك[6]، فجهز الخليفة الموحدي المنصور جيشا بقيادة أبي زيد بن أبي حفص[7]، وبعث رسائل إلى أهل

---

[1]- عبد الرحمن الجيلالي: المرجع السابق، ص301.

[2]- المرجع نفسه والصفحة نفسها.

[3]- مبارك الميلي: تاريخ الجزائر، ج3، ص317، عبد الرحمن الجيلالي: المرجع السابق، ص303.

[4]- ابن عذارى المراكشي: المصدر السابق، ص192، مصطفى أبو ضيف: المرجع السابق، ص78.

[5]- عبد الرحمن الجيلالي: المرجع السابق، ص303، مبارك الميلي: تاريخ الجزائر، ج3، ص317.

[6]- ابن قنفذ(ت810هـ): الفارسية في مبادئ الدولة الحفصية، تحقيق محمد الشاذلي النيفر وعبد المجيد التركي، الدار التونسية للنشر، 1968م، ص103، ابن عذارى المراكشي: المصدر السابق، قسم الموحدين، ص176، ابن خلدون: العبر، المصدر السابق، ج6، ص327، عبد الرحمن الجيلالي: المرجع السابق، ص304.

[7]- ابن خلدون: العبر، المصدر السابق، ج5، ص507، ابن عذارى: المصدر السابق، قسم الموحدين، ص181.

المدن المحتلة من طرف اللمتوني يَعِدهم بالأمان والصفح، فقام الأهالي بطرد بني غانية من الجزائر وتَمّ قتل عاملهم بمليانة بعد معركة طاحنة بشلف[1].

وصل الأسطول الموحدي بجاية سنة (581هـ/1185م) ففرّ بنو غانية منها إلى قسنطينة التي كانوا يحاصرونها وتمّ فك الحصار عنها ثم لجأوا إلى الأوراس[2] ثم الصحراء ثم أشير[3]، لكنّ الموحدين قاموا باسترجاع أشير وقتل علي بن غانية سنة (583هـ/1187م)، لذلك ولّى بنو غانية هاربين إلى صحراء الجريد بتونس وتحالفوا مع قراقوش الغزي الأرميني مملوك تقي الدين شاهنشاه أخ صلاح الدين الأيوبي،[4] وفي سنة (596هـ/1200م) وقعت معركة بين الجيش الميورقي بقيادة يحي بن غانية وجيش الموحدين بقيادة أبي الحسن بين قسنطينة وبجاية حيث انهزم الموحدون وتمكن بنو غانية من احتلال بسكرة[5] وتبسة وبونة،[6] وفي سنة (599هـ/1202م) احتل بجاية لمدة سنتين،[7] فأعدّ الخليفة الموحدي أبو عبد الله محمد بن يعقوب المنصور الملقب بالناصر حملة كبيرة سنة (601هـ/1204م) فواجه بني غانية بكل حزم وتمكن من إخماد الثورة، وتمّت السيطرة

---

(1)– ابن خلدون: العبر، المصدر السابق، ج6، ص327.

(2)– الأوراس: هي قطعة متصلة بجبل درن المغرب كاللام مياهه كثيرة، وتعتبر سلسلة من جبال الأطلس الصحراوي بالمغرب الأوسط ويمثل شكلا رباعيا يبلغ محيطه نحو 65 ميلا، وفي نهاية هذه السلسلة إلى الجنوب تمتد تلال قليلة الارتفاع حتى تصل بالصحراء. ينظر: الإدريسي: المصدر السابق، ص264، الوزان: المصدر السابق، ج2، ص102.

(3)– ابن عذارى المراكشي: المصدر السابق، قسم الموحدين، ص181، ابن خلدون: العبر، المصدر السابق، ج6، ص327، حسن علي حسن: المرجع السابق، ص48.

(4)– ابن قنفذ: المصدر السابق، ص104، ابن عذارى المراكشي: المصدر السابق، قسم الموحدين، ص181، ابن خلدون: العبر، المصدر السابق، ج6، ص327، ابن الأثير: الكامل، ج10، ص136.

(5)– بسكرة: هي مدينة في المغرب الأوسط تمتد من بلاد الزاب وهي قاعدة تلك البلاد، وهي كبيرة وكثيرة النخيل والزيتون وأصناف الثمار، عليها سور وخنادق وبها جوامع ومساجد كثيرة وحمامات وحواليها بساتين كثيرة. ينظر الحميري(ت900هـ): الروض المعطار في خبر الأقطار، تحقيق إحسان عباس، مطبعة هيدلبورغ، ط2، بيروت، لبنان، 1984م، ص113، ياقوت الحموي: المصدر السابق، ج1، ص422.

(6)– ابن عذارى: المصدر السابق، قسم الموحدين، ص238، ابن خلدون: العبر، المصدر السابق، ج6، ص259.

(7)– محمد بن الشماع (ت863هـ): الأدلة النورانية في مفاخر الدولة الحفصية، تحقيق الطاهر بن محمد المعموري، الدار العربية للكتاب، تونس، 1984م، ص49، عبد الرحمن الجيلالي: المرجع السابق، ص305، مبارك الميلي: تاريخ الجزائر، المرجع السابق، ج3، ص319.

على بجاية وباقي مدن المغرب الأوسط وإفريقية،[1] وألحق بجاية بتونس التي جعل على رأسها عبد الواحد الحفصي جدّ الأسرة الحفصية بتونس، كوالٍ على بلاد إفريقية كلها سنة (603هـ/1206م)، وعاد الخليفة الموحدي إلى مراكش مرورا بتلمسان وفاس[2].

لقد أعاد ابن غانية الهجوم على تلمسان وقتل عامل تيهرت أبا عمران حفيد عبد المؤمن سنة (605هـ/1208م)[3]، ثمّ لاذ بالصحراء واستغل وفاة الخليفة الموحدي النّاصر سنة (610هـ/1213م)[4] فاحتل بسكرة سنة (618هـ/1220م)، ثم قام عامل إفريقية ابن أبي حفص وقضى على حركة ابن غانية سنة (618هـ/1221م)، وتمّ استرجاعها من طرف الموحدين سنة (620هـ/1222م)[5]، وبعدما قام أبو زكريا الحفصي بقتل يحي بن غانية بوادي شلف وقيل بالزاب سنة (631هـ/1233م)، انقرض ملك لمتونة بموته وانتهت الاضطرابات السياسية في المغرب الأوسط[6].

لقد دامت ثورة ابن غانية نصف قرن فخلّفت الخراب بالمغرب الأوسط، حيث خرّب كثيرا من القصور في الصحراء بوادي ريغ وخربت تيهرت وقصر عجيسة وزرقة وشلف ومتيجة وحمزة ومرسى الدجاج والقلعة[7].

سابعا- تأسيس مازونة

كان اختطاطها على عهد الدولة الموحدية بعمالة وهران سنة (565هـ/1170م) على يد بني منديل بن عبد الرحمن المغراوي أشهر زعماء مغراوة، من فصيلة زناتة، وكانت

---

[1]- الحميري: المصدر السابق، ص126، ابن عذارى المراكشي: المصدر السابق، قسم الموحدين، ص244، ابن خلدون: العبر، المصدر السابق، ج6، ص334.

[2]- ابن أبي زرع: المصدر السابق، ص233، ابن عذارى المراكشي: المصدر السابق، قسم الموحدين، ص249، ابن خلدون: العبر، المصدر السابق، ج6، ص260، حسن علي حسن: المرجع السابق، ص48، عبد الرحمن الجيلالي: المرجع السابق، ص305.

[3]- ابن عذارى المراكشي: المصدر السابق، قسم الموحدين، ص253، ابن خلدون: العبر، المصدر السابق، ج6، ص261، الحميري، المصدر السابق، ص127.

[4]- ابن أبي زرع: المصدر السابق، ص241، ابن عذارى المراكشي: المصدر السابق، قسم الموحدين، ص265.

[5]- ابن خلدون: العبر، المصدر السابق، ج6، ص262، الزركشي: المصدر السابق، ص40.

[6]- عبد الرحمن الجيلالي: المرجع السابق، ص306.

[7]- مبارك الميلي: تاريخ الجزائر، المرجع السابق، ج3، ص321.

الجزائر المؤمنية مقسمة إلى ولايتين كبيرتين: ولاية تلمسان من ملوية غربا إلى نهر مينة شرقا، وولاية بجاية إلى حدود عمالة قسنطينة اليوم شرقا[1].

ثامنا- دور الموحدين في المشرق الإسلامي

كانت أهداف الموحدين توسعية إصلاحية لإقامة خلافة دينية، وحاولت توحيد العالم الإسلامي تحت سلطانها، وتخليص بيت المقدس والشام والأندلس من المد الصليبي[2]، وقد نفّذ هذه السياسة الموحدون الأوائل أمثال عبد المؤمن وابنه يوسف وحفيده يعقوب، ولقيت سياستهم استجابة من طرف العامة في المغرب والمشرق، خاصة بعدما فتحت الباب أمام المتطوعين من المغاربة للسفر إلى مصر والشام والمشاركة في جهاد الصليبيين براً وبحراً، لاسيما عندما استنجد صلاح الدين الأيوبي بيعقوب بن يوسف بن عبد المؤمن بن علي ضد الصليبيين[3].

يُعد خلفاء الدولة الموحدية -حسب ما ذكره المؤرخ ابن القطان- رمزا للجهاد والتضحية وقد اعتبروا خلاص بيت المقدس سيتم على أيديهم، والدليل على ذلك رخامة بيضاء تم العثور عليها في بيت المقدس منقوشاً فيها اسم الإمام المهدي بن تومرت وخليفته عبد المؤمن بن علي[4]، وهذا دليل على الأمل المعقود على وصول الموحدين إلى فلسطين لتحرير بيت المقدس[5]، وكان أسطولهم قوياً وذا سيادة على البحر الأبيض المتوسط، حيث استنجد بهم بطل الإسلام السلطان صلاح الدين الأيوبي في حروبه الصليبية، كما نصت عليه رسالته إلى الأمير يعقوب المنصور سنة (586هـ/1190م)[6].

واستطاع الموحدون توحيد بلاد المغرب الإسلامي لأول مرة في تاريخه[7]، وعاش المغرب الأوسط في كنف الدولة الموحدية، وساهم في بناء صرحها وخدمة خلفائها، فأول من

---

(1)-مبارك الميلي: تاريخ الجزائر، المرجع السابق، ج3، ص314.

(2)- عز الدين أحمد وعمر موسى: دراسات في تاريخ المغرب الإسلامي، دار الشروق، ط1، مصر، 1983م، ص75.

(3)- رشيد عبد الله الجميلي: دولة الأتابكة في الموصل، دار النهضة العربية، ط1، بيروت، 1970م، ص25، عبد المجيد النجار: المرجع السابق، ص378.

(4)- ابن القطان: المصدر السابق، ص69، عبد المجيد النجار: المرجع السابق، ص380.

(5)- عبد الهادي التازي: رسالة المنصور الذهبي لأحد أقطاب الشرق، مجلة دعوة الحق، المملكة المغربية، 1967م، العدد98-99، ص34.

(6)- عبد الرحمن الجيلالي: المرجع السابق، ص310.

(7)- صالح بن قربة: عبد المؤمن بن علي، المرجع السابق، ص14.

استكتبه عبد المؤمن بن علي هو أبا القاسم عبد الرحمن القالمي من مدينة بجاية، ومن قضاته أبي محمد عبد الله بن جبل من مدينة وهران[1].

بعد فتح الموحدين للمغرب الأوسط شهد فترة أمن وعدل، ونشطت الحركة الاقتصادية والتجارية، ونهضت العلوم والآداب والصنائع والحرف[2]، وبلغت الدولة الموحدية أقصى اتساعها من طرابلس شرقا إلى المحيط الأطلسي غربا، ومن الصحراء الإفريقية جنوبا إلى جبال الشارات بالأندلس شمالا[3] بعدما دخلت القبائل الهلالية رياح وزغبة والاثبج مملكة الحماديين في النصف الثاني من القرن الخامس الهجري، وانتشرت في القرن السادس هجري من بونة شرقاً إلى ما وراء تلمسان غرباً إلى الصحراء جنوباً، بعناصرها القبلية من بربر وعرب الذين اندمجوا فيما بينهم، وما زاد في ترابطهما خضوعهما لسلطة مركزية واحدة في بجاية وتلمسان أثناء الحكم الموحدي الذي فرض منذ أواخر النصف الأول من القرن السادس هجري نظاماً مذهبياً وسياسياً موحداً، ممّا جعل السكان يشعرون بالانتماء إلى وطن واحد[4].

رغم أنّ الدولة الموحدية تأسست بالمغرب إلا أّنها كانت تُلَوِح بصرها إلى المشرق وخاصة مصر تجاوبا في ذلك مع ما كان يذكره المهدي من امتلاك المغرب والمشرق، وقد أصبح ذلك الأمل واقعاً لمّا تولى الحكم أبو يوسف يعقوب المنصور (580هـ-595هـ/1184م-1198م)، حيث بلغت الدولة أوجها على عهده، وظهرت خططها العلمية والاقتصادية والسياسية[5]. ويذكر المراكشي أنّ ابن تومرت صرّح للموحدين بالرحلة إلى المشرق وذكر المناكر والبدع التي كانت في مصر ويقول: "نحن مطهروها"[6].

---

[1]- عبد الواحد المراكشي: المصدر السابق، ص171.

[2]- مبارك الميلي: المرجع السابق، ص705.

[3]- عز الدين عمر موسى: المرجع السابق، ص48، عبد الفتاح مقلد غنيمي: موسوعة تاريخ المغرب العربي، مكتبة مدبولي، ط1، القاهرة، 1994م، مجلد3، ص14.

[4]- بونابي: التصوف في الجزائر خلال القرنين6و7هـ/12و13م، دار الهدى، عين مليلة، الجزائر، 2004م، ص30.

[5]- عبد المجيد النجار: المرجع السابق، ص380، خالد الصمدي: مدرسة فقه الحديث بالغرب الإسلامي، منشورات وزارة الأوقاف، ط1، المملكة المغربية، 2006م، ج1، ص78.

[6]- عبد الواحد المراكشي: المصدر السابق، ص360، عبد المجيد النجار: المرجع السابق، ص380.

لقد ركز الموحدون في البداية على وحدة سياسية من حدود قشتالة إلى طرابلس، وساهموا في التوحيد بين عناصر الفن الإسلامي[1]، فكانت حضارتها مطبوعة بطابع ثلاثي؛أبعاده العظمة والدين والتجديد، حيث العظمة تتمثل في تلقب ملوكها بالأمراء المؤمنين والخلفاء، أمّا طابع الدين تمثّل في التوحيد ونبذ ظاهرة التجسيم لدى المرابطين وإقامة حدود الإسلام، أمّا التّجديد في سائر مظاهرها فمنها فكرة المهدوية والظاهرية وتأسيس المؤسسات العلمية من مستشفيات ومدارس ودار ضيافة وانتشار الكثير من العلوم والآداب والفنون[2]. وبهذا توسعت الدولة الموحدية في كل أجزاء الغرب الإسلامي[3].

المطلب الثالث: سقوط الدولة الموحدية وانعكاسه على المجال العلمي في المغرب الأوسط

كما نعلم أنّ لكل بداية نهاية وللدول والحضارات أعمارا، وهي سُنّة الحياة في قيام الحضارات والدول وسقوطها، حيث تبدأ بمرحلة التأسيس والنشأة، ثُمّ مرحلة التطور والقوة لتؤول إلى الشيخوخة والزوال، وهذا شأن دولة الموحدين التي رغم ما بلغت من قوة عسكرية وتطور علمي ومعرفي إلاّ أنّها انتهت بالانهيار، فما الأسباب التي أدت إلى ضعفها وسقوطها؟ وفي عهد من كان ذلك؟ ومتى كانت بدايته؟

لقد تقلص نفوذ الموحدين وبدأ الضعف يدب في أركان دولتهم منذ تولى يعقوب المنصور الحكم إلى وفاة النّاصر (580هـ-610هـ/1184م-1213م)، وتُعد هزيمة الموحدين في معركة حصن العقاب (609هـ/1212م) البداية الفعلية لانهيار هذه الدولة[4]، حيث كلّفتها خسائر مادية وبشرية كبيرة فاضطربت بعدها الأحوال وتناقضت الأعمال واختلفت الكلمة وساءت سمعة الدولة. وتعتبر وفاة يوسف المستنصر (620هـ/1223م) بداية ضعف الدولة الموحدية لِما أعقبها من نزاع على الخلافة بين أفراد الأسرة المؤمنية، ونزاع سادة بني عبد المؤمن على الأمر أتاح فرصة لمراكز القوة للنفوذ ضمن شؤون الدولة، فتسلط الأشياخ وسيطر الوزراء واستبد الولاة وضعفت الإدارة واختل الجيش وكثرت الثورات

---

[1]– الحسن السائح: المرجع السابق، ص245.

[2]– محمد المنوني: حضارة الموحدين، دار توبقال، ط1، الدار البيضاء، 1989م، ص12.

[3]– حسن علي حسن: المرجع السابق، ص56.

[4]– السلاوي: المرجع السابق، ج2، ص156، مجهول(ق8هـ): الذخيرة السنية في تاريخ الدولة المرينية، تحقيق محمد بن أبي شنب، مكتبة جون كربونل، الجزائر، 1920م، ص22.

وضعفت قوة الخلفاء[1]، وكانت الأندلس سباقة بالانفصال عن الدولة حيث قام أبو عبد الله محمد بن هود بمرسية (625هـ/1228م) وحكم تحت شعار العباسيين تقرباً إلى العامة، فدخلت الأندلس عهد الطوائف[2].

كما يُعد تعيين عبد الواحد بن أبي حفص الهنتاني والياً على إفريقية سنة (623هـ/1226م) إيذاناً في التفكير بالانفصال عن الدولة الموحدية،[3] حيث قام أحد أبنائه وهو أبو زكريا يحي بتسمية نفسه الأمير سنة (625هـ/1228م)، ثم زحف على قسنطينة وبجاية سنة (628هـ/1230م)، وعين ابنه أبا يحي والياً على بجاية،[4] وتم القبض على والي قسنطينة ابن علناس،[5] ولاحق ابن غانية إلى غاية ورقلة حيث مات سنة (631هـ/1234م)، ثم استولى أبو زكريا على الجزائر والزاب ووصل إلى شلف[6]، حيث استغل والي إفريقيا الضعف الذي آلت إليه الدولة الموحدية من أجل الانفصال بالجزء الشرقي منها.

كما يعود ضعفها إلى الصراع مع ولاة الدولة، منها المناوشات مع بني عبد الواد بتلمسان بقيادة واليها أبو سعيد عثمان بن يعقوب أخ أمير المؤمنين إدريس المأمون[7]، وظهرت شخصية قوية والمتمثلة في كبير قوم بني عبد الواد أبو محمد جابر بن يوسف الذي عينه إدريس بن المأمون على تلمسان سنة (627هـ/1230م)، عندما أظهر الولاء والطاعة للموحدين فثبته الخليفة الموحدي حاكما على إقليم تلمسان[8]، لذلك أصبح بنو عبد الواد لهم سيادة على تلمسان وضواحيها، فكانت الخطوة الأولى نحو تأسيس دولتهم، وبعد وفاة جابر

---

(1)– عز الدين عمر موسى: المرجع السابق، ص55.

(2)– المرجع نفسه، ص56.

(3)– ابن قنفذ: المصدر السابق، ص107، الزركشي: المصدر السابق، ص21، حسن علي: المرجع السابق، ص50.

(4)– ابن خلدون: العبر، المصدر السابق، ج6، ص626، ابن قنفذ: المصدر السابق، ص107.

(5)– محمد بن الشماع التونسي(ت ق9هـ): الأدلة النورانية في مفاخر الدولة الحفصية، تحقيق الطاهر المعموري، الدار العربية للكتاب، ليبيا، 1984م، ص58، ابن خلدون: العبر، المصدر السابق، ج6، ص382.

(6)– إسماعيل بن الأحمر(ت807هـ): تاريخ الدولة الزيانية بتلمسان، تحقيق هاني سلامة، مكتبة الثقافة الدينية، ط1، بور سعيد، مصر، 2001م، ص9، يحي بن خلدون: المصدر السابق، ج1، ص199.

(7)– ابن خلدون: العبر، المصدر السابق، ج7، ص99.

(8)– يحي بن خلدون: المصدر السابق، ج1، ص200، ابن خلدون: العبر، المصدر السابق، ج7، ص99.

خلفه ابنه الحسن ثم أخوه عثمان (630هـ-631هـ)، ثم ابن عمه زيدان بن زيان (631هـ-633هـ)[1].

وبقيت تلمسان في يد بني عبد الواد إلى أن ظهرت منهم شخصية قوية وهو يغمراسن بنزيان الذي بويع سنة (631هـ/1233م)[2]، وأعلن انفصاله عن الدولة الموحدية سنة (633هـ/1236م)[3]، وجعل تلمسان قاعدة لإمارته التي أخذ يوسع رقعتها على حساب الحامية الموحدية الضعيفة[4]، حيث قامت دولة بني زيان في المغرب الأوسط، وهو الجزء الأكبر من الجزائر حاليا[5].

بانفصال الأندلس واستقلال إفريقية والمغرب الأوسط لم يبق لخلفاء مراكش سوى المغرب الأقصى الذي لم يعد له نفوذ على بواديه، وقد استبد بها بنو مرين وبدأ نفوذهم يعظم فهزموا جيوش الموحدين فعظموا في نفوس أهل المغرب، وما جاءت أيام المرتضى حتى سيطروا على أغلب مناطق المغرب وهددوا مراكش حتى قضوا على آخر خلفائها الواثق أبي دبوس سنة (661هـ/1269م)، ودخلوا مراكش ووضعوا نهاية للموحدين في المغرب الأقصى[6]، فانقضى عهد الموحدين وتقلص ظلهم بعدما حكموا مدة قرن ونصف، امضوا منها نحو أربع وتسعين سنة بالمغرب الأوسط[7].

وقد شكل انهيار الدولة الموحدية انتكاسة تاريخية وحضارية كبرى شهدها الغرب الإسلامي في النصف الثاني من القرن السابع هجري، نتيجة الانعكاسات التي خلفها سقوط

---

(1)- عبد الحميد حاجيات: أبو حمو موسى الزياني، الشركة الوطنية للنشر، ط2، الجزائر، 1982م، ص11.

(2)- ابن خلدون: العبر، المصدر السابق، ج7، ص153، يحي بن خلدون: المصدر السابق، ج1، ص200، ابن الأحمر: المصدر السابق، ص30، الحافظ التنسي(ت899هـ): نظم الدر والعقيان في بيان شرف بني زيان(طبع باسم تاريخ بني زيان ملوك تلمسان)، تحقيق محمود بوعياد، المكتبة الوطنية، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1985م، ص112.

(3)- ابن خلدون: العبر، المصدر السابق، ج7، ص106، يحي بن خلدون: المصدر السابق، ج1، ص205.

(4)- محمد الطمار: تلمسان عبر العصور، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1985م، ص84.

(5)- نبيلة رزقي: الزخرفة الجصية في عمائر المغرب الأوسط والأندلس، رسالة دكتوراه، جامعة أبو بكر بلقايد، تلمسان، 2015/2014م، ص30.

(6)- ابن أبي دينار: المصدر السابق، ص123، عز الدين عمر موسى: المرجع السابق، ص56، مبارك بن محمد الميلي، المرجع السابق، ص312.

(7)- عبد الرحمن الجيلالي: المرجع السابق، ص323.

دولة كبيرة بحجم دولة الموحدين، والتي استطاعت توحيد الغرب الإسلامي تحت لوائها، وناهيك عن الازدهار الفكري والحضاري الذي وصلت إليه[1].

وفي خضم هذه الخلافات والحروب تقلصت الأبحاث العلمية وتراجع التأليف وهاجر أغلب العلماء إلى مختلف حواضر العالم الإسلامي بحثا عن الهدوء والاستقرار، وهذا ما سنوضحه من خلال الفصول الموالية.

---

[1]– صديقي عبد الجبار: التحولات الاجتماعية والاقتصادية في المغرب الإسلامي خلال مرحلة اضمحلال الدولة الموحدية، مجلة دراسات، جامعة بشار، الجزائر، 2016م، العدد1، ص279.

المبحث الثاني: الحواضر العلمية في المغرب الأوسط خلال عهد الموحدين

ظهر في المغرب الأوسط عدد من المراكز العلمية والحواضر الثقافية، وكان لها دور في ازدهار الحياة الفكرية والثقافية خلال عهد الموحدين.

المطلب الأول: الحواضر الكبرى

برزت في المغرب الأوسط حواضر كبرى ذات أهمية وشأن ، وذاع صيتها في أنحاء العالم لما تزدهر به من علم وانتشار المؤسسات العلمية والدينية مما أدى إلى بروز ثلة من الشيوخ والعلماء فيها.

الفرع الأول: بجاية

بجاية مدينة من مدن المغرب الأوسط الساحلية تُعرف باسم صلداي منذ العهد الفينيقي، أسّسها الرومان، ويرى أبو الفدا أنّها قاعدة المغرب الأوسط وهي عامرة بأهل الأندلس خلال العصر الوسيط[1]، وتجمع المصادر أنّ أول من اختطها في العهد الإسلامي الناصر بن علناس بن حمّاد بن زيري بن مناد بن بلكين سنة (460هـ/1067م)، الذي جعلها عاصمة ثانية للدولة الحمادية فاشتهرت بالناصرية[2]، ويرى بعض المؤرخين أنّ السبب الرئيسي لتشييد بجاية هو أنّ الناصر بن علناس كانت له أطماع توسعية ويريد فتح المهدية ومهاجمتها برًا وبحرًا إضافة إلى وجود خطر قبائل بني هلال[3].

عرفت بجاية ازدهاراً منذ عهد الحماديين وما تلاها من عهود، وكانت مقصداً لرجال العلم والفكر والثقافة من كل حدب وصوب، وتغنى بها الشعراء والأدباء، وكانت لها علاقات مع أقطار المغرب الإسلامي والأندلس ومع بعض الجمهوريات الايطالية[4]، لذلك دون التاريخ أجمل المراحل التاريخية التي مرت بها بجاية في مجال الحضارة والعلوم والمعارف والفنون، حيث صارت من أكثر الحواضر الإسلامية حضارةً وعلماً وأمناً.

نالت بجاية شهرة ثقافية وعلمية مزدهرة وبرزت كغيرها من الحواضر العلمية في بلاد المغرب الأوسط، خاصة بعدما جعلها الحماديون عاصمة لهم، كما حازت اهتماماً كبيراً من

---

(1)– أبو الفدا: المصدر السابق، ص137، البكري: المصدر السابق، ج2، ص757، الوزان: المصدر السابق، ص422.

(2)– ياقوت الحموي: المصدر السابق، ص339، عادل نويهض: معجم أعلام الجزائر، مؤسسة نويهض الثقافية، بيروت، لبنان، 1980م، ص328.

(3)– رشيد بورويبة: الدولة الحمادية، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1977م، ص68.

(4)– محمد الشريف سيدي موسى: مدينة بجاية، دار كرم الله، الجزائر، 2011م، ص18.

طرف الرحالة والمؤرخين والعلماء أمثال الغبريني والطبيب ابن اندراس الأندلسي والمتصوف أبو مدين شعيب وغيرهم، نظرًا لمكانتها كعاصمة علم ومعرفة ومركز إشعاع حضاري لامع، ويعود الفضل إلى حكامها واستقرارها السياسي وكثرة مؤسساتها العلمية والثقافية[1]، حيث "كانت بجاية مركز علمي لدولة بني حماد والدول المتعاقبة عليها، فانتقل جل علماء القلعة إليها، كما قصدها طلاب العلم والعلماء من مختلف أرجاء العالم الإسلامي، وهذا ما جعلها تزخر بكم هائل من العلماء على اختلاف تخصصاتهم"[2].

ظلت بجاية مدينة عامرة وزاهرة إلى آخر زمن حكامها الحماديين "يحي بن العزيز" ففي سنة (547هـ/1152م) قوضت دولة الموحدين بقيادة أميرها عبد المؤمن دولة بني حماد نهائيا في بجاية والقلعة[3]، ورغم ذلك بقيت بجاية حتى بعد سقوط الدولة الحمادية تلعب دورًا هاماً وفعالاً جعلها مركز اهتمام الدويلات التي حكمت المغرب، وبدخولها تحت حكم الموحدين أصبحت من أهم معاقل الحركة العقلية والمعرفية التي عرفها الشمال الإفريقي[4]، وقد توارث هذا التطور كل من ورث بجاية من موحدين وحفصين فكثرت بها المؤسسات العلمية والدينية، وأصبحت مزاراً للعلماء والأدباء منهم مؤسس الدولة الموحدية ابن تومرت.

عرفت بجاية أثناء العهد الموحدي استقرارًا سياسيًا وازدهارًا حضاريًا وثقافيًا بفضل الأمراء الموحدين الذين شجعوا طلب العلم[5]، حيث أبدى عبد المؤمن وبنوه اهتماماً بالعلوم والفنون وانطلقت في عهدهم حرية التفكير والبحث[6].

جعل الخليفة الموحدي عبد المؤمن بن علي من بجاية قبلة الثقافة والحركة العلمية لما له فيها من ذكريات عندما التقى بإمامه الروحي محمد بن تومرت، ولقيت المدينة اهتماماً من

---

[1]- إسماعيل العربي: دولة بني حماد ملوك القلعة وبجاية، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1980م، ص161.

[2]- نجاة بلعباس: بجاية وتلمسان وأثرهما الثقافي والحضاري على المغرب الإسلامي من القرن الخامس الهجري إلى القرن السابع الهجري، أطروحة دكتوراه، جامعة أبي بكر بلقايد، تلمسان، الجزائر، 2017م/2018م، ص172.

[3]- عبد الواحد المراكشي: المصدر السابق، ص272.

[4]- مفتاح خلفات: المرجع السابق، ص181.

[5]- عبد المجيد النجار: المرجع السابق، ص32.

[6]- عبد الرحمن الجيلالي: المرجع السابق، ج2، ص56.

باقي الخلفاء الموحدين[1]، حيث كانوا ينفقون على العلماء والفقهاء مرتبات وأرزاق ويمنحون الطلبة الهبات والأموال[2]، إلى أن أصبحت قبلة أفئدة المسلمين خاصة من الأندلس واستهوت لباب مشاهير العلماء ومدرسي العلوم وأهل الفتوى والقضاء من الأندلس والمغرب الأقصى[3]، كما كانت بجاية في عهد الدولة الموحدية حاضرة علمية وأدبية، ولأبي العباس الغبريني مؤلف في علمائها وأدبائها[4]، إذ احتفظت برونقها ومكانتها العلمية ولعب فيها النازحون من مسلمي الأندلس دورًا كبيرًا في إنعاشها وترقيتها[5].

إنّ موقع بجاية ومكانتها وما تحويه من دعائم الحياة جعلها تستقطب العلماء والطلاب من المشرق والمغرب والأندلس فكانت مقصداً لهم، ومحطة مهمة في طريق الحجاج إلى بيت الله خاصة الأندلسيين الذين استوطنوها فيما بعد، وشيدت فيها مؤسسات علمية ودينية وقصور خاصة القصور الأميرية، مثل قصر اللؤلؤة في الشرق الذي يحتوي مسجداً (صورة7)، وقصر الكوكب في الغرب وقصر أميمون في الجنوب[6].

جاء في بطون الكتب خاصة كتاب الغبريني وحسن الوزان أنّه يوجد ببجاية جوامع ومدارس اشتهر فيها طلبة وأساتذة الفقه والعلوم، إضافة إلى الزوايا والحمامات والفنادق والمارستانات، وكلها صروح مشيدة حسنة البناء، وأسواقها جميلة منسقة أحسن تنسيق[7]، وصف العبدري (ت.ق7هـ) أحد جوامعها فقال عنه:" جامع عجيب منفرد في حسنه غريب من الجوامع الشهيرة المذكورة وهو مشرف على برها وبحرها وموضوع بين سحرها ونحرها، فهو غاية في الفرجة والأنس، ينشرح الصدر لرؤيته وترتاح النفس وأهلها يواظبون على الصلاة فيه، مواظبة رعاية، وهذا البلد بقية قواعد الإسلام ومحل تجلة العلماء والأعلام وله

---

[1]– أمينة بوتشيش: بجاية دراسة تاريخية وحضارية بين القرنين السادس والسابع هجريين، رسالة ماجستير، جامعة أبي بكر بلقايد تلمسان، الجزائر، 2008م، ص75.

[2]– حسن علي حسن: المرجع السابق، ص7.

[3]– الغبريني: المصدر السابق، ص124.

[4]– مبارك بن محمد الميلي: المرجع السابق: ص 337.

[5]– صالح بلعيد: العلاقات العلمية والحضارية بين زواوة وتلمسان، الشؤون الدينية والأوقاف، الجزائر، 2011م، ص23.

[6]– محمد بن عميرة، لطيفة بشاري: المرجع السابق، ص50.

[7]– الغبريني: المصدر السابق، ص124، حسن الوزان: المصدر السابق، ص50.

مع حسن المنظر طيب المخبر"[1]، وبهذا جمع بين جمال العمران وإستراتيجية الموقع الذي يستهوي الأهل والزوار.

لعبت حاضرة بجاية دوراً تعليمياً هاماً من خلال مساجدها التي قدر عدّدها الغبريني بحوالي ثلاثة وسبعين مسجداً[2]، وذكر أنّه لم يكن ثمة مسجد في المدينة خاليا من المدرسين، وكان لبعض العلماء مساجد خاصة مثل مسجد الفقيه" أبو زكريا الزواوي" بقصر اللؤلؤة (صورة7) درّس فيه الفقيه الصوفي أبو مدين شعيب[3].

اشتهر من جوامع بجاية الجامع الأعظم الذي يعود بناؤه إلى القرن الخامس هجري، الحادي عشر ميلادي خلال حكم المنصور الحمادي، وهو من أعظم المساجد[4]، ظل مركزاً للعلماء ومقصداً لطلاب العلم حيث كانت تدرس به مختلف العلوم العقلية والنقلية، في شكل حلقات، أشرف عليها ثلة من العلماء مثل أبي محمد عبد الحق الاشبيلي، صاحب ديوان شعر في الوعظ، حدّث سنة (576هـ)[5]، يشير بورويبة إلى أنّه كان مسجداً رائعاً في هندسته يبلغ طوله 220 ذراعاً، وعرضه 250 ذراعاً، له واجهة مزينة ب17 عقداً، ومزين بنقوش رائعة، وبه باب كبير على يمينه ويساره، وقبة عظيمة ومكتبة[6].

يُعد أبو الفارس عبد العزيز بن عمر بن مخلوف من أشهر المدرسين في الجامع الأعظم، له دروس بين الصلاتين، ودرس عليه العلم خلق كثير وانتفعوا به، من بينهم الغبريني الذي سمع منه كثيرا، وقرأ عليه "الموطأ"[7]، كما درّس به الفقيه أبو علي حسن بن علي المسيلي الذي عاصر نهاية الحماديين ونصيبا من فترة الموحدين، كذلك الفقيه عبد الحق الإشبيلي الذي تولى الخطبة وصلاة الجماعة فيه، كما درّس ابن الخراط في المسجد الأعظم ومسجد القصبة[8]، حيث توجد في القصبة حارة المقدس يتجمع فيها فقهاء المدينة

---

[1]– العبدري: المصدر السابق، ص50.

[2]– الغبريني: المصدر السابق، ص07.

[3]– المصدر نفسه، ص47.

[4]– العبدري: المصدر السابق، ص49.

[5]– الغبريني: المصدر السابق، ص12.

[6]– رشيد بورويبة: المرجع السابق، ص208.

[7]– الغبريني: المصدر السابق، ص63.

[8]– المصدر نفسه، ص(68، 73، 140).

منهم: أبو علي المسيلي، وعبد الحق الإشبيلي ومحمد بن عمر القرشي، بالإضافة إلى حومة اللؤلؤة التي تعتبر بمثابة الحي الأميري محاط بسور، شيدها الناصر والمنصور، ويضم أكبر عدد من المساجد[1] (صورة7).

أقام أهل بجاية مسجدا في ملالة (صورة2) وأقبل عليه الطلبة من كل مكان، ويشهد مؤرخ الدولة الموحدية البيذق على قيام ابن تومرت بإلقاء محاضرات فيه[2]، إضافة إلى وجود الزوايا والرباطات التي لها دور في نشر العلم ومبادئ الإسلام منها رباط ملالة، وزاوية أبو زكريا الزواوي وغيرها الكثير، وبذلك اكتسبت هذه المؤسسات الدينية والعلمية مكانة خاصة في قلوب المسلمين والتي ساهمت في نشر العلوم والثقافة الإسلامية في بجاية، وهذا بفضل حكامها الذين شجعوا على تشييد المؤسسات التعليمية والدينية بمختلف أنواعها.

ساد ببجاية نشاط فكري كبير أعطى لها مكانة راقية حتّى أطلق عليها لقب كعبة الشِعر حيث كانت مقصدا للطلاب من مختلف الحواضر[3]، وحملت مشعل نور العلم عبر التاريخ، فكانت مركزاً للنشاط العلمي والنهضة الفكرية والثقافية بفضل علمائها ومؤسساتها التي تخرج منها الآلاف من الطلاب.

لم تكن نهضة بجاية العلمية من مآثر الموحدين وحدهم، بل كانت ذات شهرة علمية كبيرة في عهد الحماديين، وكان الطلبة يتزاحمون عليها في طلب العلم من مختلف مناطق العالم،فهناك من الايطاليين من تلقوا العلم في بجاية وتعلموا كثيرا من الصنائع، من بينها «الشمع» بدليل أنّ الشمع عند الايطاليين ما يزال يحتفظ باسم (Bougie) وهو مسمى بجاية في لهجتهم[4].

تعتبر بجاية مدينة عريقة كانت لها مكانة كبيرة في مختلف مجالات الحياة خاصة المجال العلمي والثقافي، لذلك تعتبر مركز إشعاع فكري ولها دور فعال في دفع الركب الحضاري للازدهار عبر العصور خاصة في العهد الحمادي والموحدي، لأنّ حكامها وأمراءها لهم حب وميول وعناية فائقة بالعلم والعلماء وتنشيط الحركة الثقافية والفكرية،

---

[1]–الغبريني: المصدر السابق، ص161.

[2]– البيذق: أخبار المهدي، المصدر السابق، ص13.

[3]– محمد الطمار: الروابط الثقافية بين الجزائر والخارج، الشركة الوطنية للنشر، الجزائر، 1983م، ص171.

[4]– عبد الله على علام: المرجع السابق، ص287.

وإنشاء المؤسسات والمعاهد التي دأب المدرسون على تلقين العلوم والمعارف بها، حتى أصبحت تعج بالعلماء من كل حدب وصوب، وتنوعت المعارف بها وبرزت تخصصات متنوعة، وكثر التأليف في شكل مصنفات لازالت إلى يومنا هذا مثل مؤلف الغبريني.

الفرع الثاني: تلمسان

تعد تلمسان من مدن المغرب الأوسط التي ظفرت بشهرة كبيرة كمركز من أهم المراكز الحضارية والثقافية وإحدى العواصم التاريخية، التي يقصدها العلماء والأدباء من مختلف الأقطار، نظرا لاحتوائها على العديد من المؤسسات التعليمية والثقافية وازدهار مختلف الفنون والعلوم بها[1]، فهي حاضرة سياسية وثقافية وعلمية احتضنت مراكز دينية وعلمية، استوطنها الكثير من العلماء والأدباء، واحتلت مكانة الصدارة منافسة بذلك أكبر المراكز الفكرية والعلمية في المغرب الإسلامي[2].

تلمسان لها مكانة مرموقة بين مدن المغرب الأوسط منذ عهود موغلة في القدم، ضاهت في سمعتها وذيوع صيتها الحواضر الإسلامية على غرار القاهرة وبغداد وقرطبة، فاجتمع بها العلماء والمفكرون[3]، فهي مدينة الفن والحضارة عبر التاريخ بما تشتمل عليه من مباني فنية رائعة وتزخر بماضيها الفكري المجيد، إذ تضافرت جهود الطبيعة السخية الحسناء وجهود الإنسان المبدع الخلاق لتكوين مدينة متفوقة راقية ممتعة للفكر وللقلب والروح معا، وقد بلغت أرفع مكانة واستحقت لقب جوهرة المغرب وغرناطة إفريقيا[4].

---

[1]– عيسى بن الذيب: الحواضر والمراكز الثقافية في الجزائر خلال العصر الوسيط، منشورات المركز الوطني للدراسات والبحث، الجزائر، 2007م، ص143، عبد القادر بوحسون: العلاقات الثقافية بين المغرب والأندلس خلال العهد الزياني، رسالة ماجستير، جامعة أبي بكر بلقايد، تلمسان، 2008/2007م، ص98.

[2]– صالح بن قربة وآخرون: تاريخ الجزائر في العصر الوسيط من خلال المصادر، منشورات المركز الوطني للدراسات والبحث، طبعة خاصة بوزارة المجاهدين، الجزائر، 2007م، ص135.

[3]– نجاة بلعباس: المرجع السابق، ص12.

[4]– براهيم بن داود، جمال عبد الكريم: البعد الحضاري التكاملي بين حاضرة تلمسان والأندلس، مجلة التراث، جامعة زيان عاشور، الجلفة، الجزائر، 2012م، العدد2، ص267.

وتعتبر من المدن الأزلية بالمغرب الأوسط[1]، أحرزت عناية منذ أن فتحها أبو المهاجر دينار، ثم عقبة بن نافع الفهري في العقد الأول من النصف الثاني للقرن الأول الهجري[2]، ولما ظهرت فرقة الخوارج[3] أصبحت تلمسان مقرا أساسيا للخوارج الصفرية في المغرب الأوسط بقيادة أبي قرة المغيلي التلمساني اليفرني[4]، ثم استولى عليها الأدارسة حيث أقام بها إدريس بن إدريس ثلاث سنوات كاملة، وعقد بها دروس العلم ورمم مسجدها العتيق سنة (199هـ) وأصلح منبره، وصارت تلمسان عاصمة للإدارة الإدريسية لمدة ثلاث سنوات[5].

تلمسان مدينتان؛ إحداهما قديمة وهي أغادير فيها قصور، ومدينة حديثة أسسها المرابطون وهي تاقرارت[6]، ويقول البكري:" تلمسان قاعدة المغرب الأوسط، دار مملكة زناتة ومتوسط قبائل البربر ومقصد التجار، دار العلماء والمحدثين وحملة الرأي على مذهب مالك بن أنس رحمه الله"[7].

ويفهم من كلام البكري أنّ تلمسان كانت محل اهتمام الإنسان منذ القدم، فهي مقصد التجار والعلماء، جعلها المرابطون مقراً لولايتهم وشيدوا فيها القصور والمساجد مثل المسجد الجامع على جانب القصر سنة (473هـ/1080م)[8]، وفي عهد الموحدين واصلوا هذا

---

(1)– بوماريا: بناها الرومان وسميت بوماريا وتعني بلغة السكان المحليين مدينة الحدائق والبساتين أو المكان الذي تتركز فيه الأشجار والمياه، وتدعى مدينة الجدار؛ لأنها محاطة بالأسوار، مما يدل على قدمها لقلة المدن المسورة في العهد القديم بالمغرب. ينظر: بل الفريد: دائرة المعارف الإسلامية، ترجمة أحمد الشنتناوي، دار المحجة، القاهرة، 1933م، ص452.

(2)– ابن عبد الحكم(ت257هـ): فتوح إفريقيا، تحقيق عبد المنعم عامر، الهيئة العامة لقصور الثقافة، القاهرة، د ت، ج5، ص86.

(3)– الخوارج: هم الفرقة الذين خرجوا على أمير المؤمنين علي بن أبي طالب في موقعة صفين(35هـ) التي وقعت بينه وبين معاوية بن أبي سفيان، بعد قبول التحكيم بين الطرفين، فنادت هذه الفرقة بلا حَكَم إلا الله، ثم انقسمت هذه الفرقة إلى فرق منها الإباضية، الصفرية. ينظر:الشهرستاني(ت548هـ): الملل والنحل، تحقيق أمير علي مهنا، دار المعرفة، بيروت، 1993م، ج1، ص132.

(4)– عبد العزيز فيلالي: تلمسان في العهد الزياني، موفم للنشر والتوزيع، الجزائر، 2011م، ج1، ص95.

(5)– ابن أبي زرع: المصدر السابق، ص112، محمد بن رمضان شاوش: المصدر السابق، ص49.

(6)– محمد بن رمضان شاوش: المصدر السابق، ص49.

(7)– أبو عبيد الله البكري: المصدر السابق، ص164.

(8)– محمد الطمار: تلمسان، المرجع السابق، ص85.

النشاط الثقافي الإسلامي بتشجيع من الخلفاء، فلقيت تلمسان اهتمامهم، خاصة ابن تومرت وعبد المؤمن بن علي[1].

لقد أدت تلمسان دورًا هامًا في تاريخ المغرب الأوسط في عهد الدولة الموحدية، وحصلت شهرة حسب ما أثبتته النصوص التاريخية والجغرافية، حيث دخلها عبد المؤمن بن علي سنة (540هـ/1145م)، وعين ابنه أبا حفص والياً عليها، فحظيت بعناية الموحدين؛ شيدوا أسوارها وحققوا حصانتها وبنوا مؤسسات دينية وطوروا العلوم بها، وزاد التوسع العمراني وانتشرت اللغة العربية والثقافة الإسلامية، وأصبحت مقراً لولايتهم ومركزًا للإشعاع الثقافي[2]، كما نشطت الحياة العلمية بها فبرز علماء أجلاء، وأقبل عليهم طلاب العلم، واستقطبت علماء وطلبة من الأندلس.

وقع اختيار المرابطين والموحدين على تلمسان لأهميتها التاريخية ولحسن موقعها الجغرافي، فجعلوا منها عاصمة إقليم بلاد المغرب الأوسط[3]، وقد أدى امتداد الدولة الموحدية في سائر أنحاء المغرب الإسلامي إلى توثيق العلاقات بين أقطارها، وتكثيف الاتصال بين سكانها، وأصبح كثير من العلماء والطلبة يتنقلون بين هذه البلدان للتلقي عن علمائها أو للتدريس والاستقرار بها، وهكذا فإنّ تلمسان لم تزل منذ القرن الرابع الهجري تستهوي العلماء، وتتجه بخطى حثيثة نحو النمو الثقافي والحضاري[4].

اهتم الموحدون بتجديد وترميم المؤسسات الدينية والعلمية، حيث جدد عبد المؤمن مسجد تلمسان الجامع الكبير(صورة1) الذي بني في عهد المرابطين سنة (530هـ/1135م) وقام بتوسيعه وعمارته، وبنى مسجداً بتاجرة مسقط رأسه وحصنها بالأسوار، كما بنى لنفسه بها قصر المشور سنة (540هـ)، وعقد بها مجالس العلم ونشر التعليم الإجباري[5]، وعقدت

(1)– Fatima Zohra, Bouzina oufrih : Tlemcen Capital Musulman le siècle d'or du Maghreb Central, édition d'alimon, Algérie, 2011, p33.

(2)– ابن خلدون: العبر، المصدر السابق، ج7، ص91، محمد بن رمضان شاوش: المصدر السابق، ص59.

(3)– لخضر عبدلي: تلمسان حاضرة المغرب الأوسط، مجلة الفضاء، جامعة تلمسان، الجزائر، 2017م، العدد04، ص195.

(4)– محمد مكيوي: عوامل ازدهار الحياة الفكرية في القرنين 7و8هـ بالمغرب الأوسط، مجلة الأثر، جامعة قاصدي مرباح، ورقلة، الجزائر، 2010م، العدد9، ص263.

(5)– عبد الواحد المراكشي: المصدر السابق، ص171، ابن عذارى: المصدر السابق، ص314،علي علام: المرجع السابق، ص287.

في هذه المساجد حلقات العلم في مختلف العلوم خاصة الدينية منها، كما تتوافر تلمسان على الكثير من المؤسسات العلمية والدينية، لذلك شهدت ازدهاراً حضارياً في مختلف المجالات والتخصصات العلمية والثقافية، فتحولت إلى قِبلة علمية ومقصداً للطلاب والعلماء من مختلف مناطق العالم، وهذا بفضل هؤلاء الحكام وما أولوه من إتمام ورعاية خاصة في هذا المجال.

كانت تلمسان من الحصون الموحدية الهامة، كما كانت مركزاً هاماً لنشر دعوتهم بالمغرب الأوسط[1]، لذلك قاموا بتحصينها وتشييد أسوارها وحشد الناس إلى عمرانها وبناء مؤسسات دينية وعلمية منها: المساجد والقلاع، كقلعة المشور التي تتوسط المدينة ومسجد الشيخ أبي مدين شعيب[2].

ونظرًا لجمالها وطبيعتها الخلابة فقد أثارت تلمسان إعجاب من حلّ بها لاسيما العلماء والشعراء والأدباء الذين تغنوا بها في شعرهم منهم الشاعر الثغري[3]، وفي هذا الصدد يرى لسان الدين بن الخطيب (ت776هـ) أن تلمسان تملك حضارة متميزة[4]، وكانت محل اهتمام مختلف فئات المجتمع خاصة الفقهاء والشعراء والأدباء والمؤرخين والجغرافيين، نظرا لما تتمتع به من مزايا ومحاسن جعلتهم يتغنون بها.

رحل إلى تلمسان كثير من الطلاب والعلماء من كل حدب وصوب، فظهرت بها مدارس منها: مدرسة المحدث والفقيه أبي عبد الله محمد بن عبد الحق التلمساني (ت603هـ/1206م)[5]، ومن رجال العلم والصلح الذين اشتهروا بها أبي محمد عبد السلام التونسي (ت530هـ) الذي قدم من أغمات ونزل ودرس بها، فكان من تلامذته عبد المؤمن بن علي الكومي مؤسس دولة الموحدين[6]، وعبد العزيز بن الدباغ (ت602هـ) من أهل

---

(1)–علي علام: المرجع السابق، ص287.

(2)– يحي بوعزيز: المرجع السابق، ص38.

(3)– شهاب الدين أحمد المقري التلمساني(ت1041هـ): نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، المطبعة الأزهرية المصرية، مصر، 1885م، ج8، ص306.

(4)– ابن الخطيب(ت776هـ): كناسة الدكان، تحقيق كمال شبانة، مكتبة الثقافة الدينية، ط1، القاهرة، 2003م، ص85.

(5)– ابن عبد الملك المراكشي: المصدر السابق، ج8، ص322.

(6)– ابن قنفذ(ت810هـ): أنس الفقير وعز الحقير، تصحيح محمد الفاسي وأودلف فور، مطبعة أكدال، الرباط، 1965م، ص107، يحي بن خلدون: المرجع السابق، ج1، ص125.

مرسية رحل من الأندلس إلى فاس ثم إلى تلمسان، فاستقر بها وكان فقيهاً ومحدثاً[1]، وأبي عبد الله بن عبد الرحمن التجيني (ت610هـ) من أهل إشبيلية، نزل تلمسان وأخذ عنه كثير من طلبة العلم وتوفي بها[2]، والفقيه بن مخلوف المكنى بأبي فراس التلمساني (ت686هـ/1285م) بالجزائر يلقب خزانة مالك، تولى قضاء بجاية وبسكرة وقسنطينة والجزائر، واشتغل بالتدريس فأخذ عنه العلم خلق كثير منهم الغبريني[3].

أدى توافد كثير من رجال العلم على مدينة تلمسان أمثال ابن أبي قنون (ت557هـ)[4] وأبي عبد الله بن عبد الحق (ت625 هـ)[5] إلى تكوين أجيال من العلماء الأجلاء منهم محمد بن عبد الحق بن سليمان اليفرني الندرومي[6] (ت625هـ/1228م) فقيه تولى قضاء تلمسان[7]، والشيخ أبي إسحاق إبراهيم التنسي، وأبي عبد الله محمد الشريف التلمساني، وعلى يد هؤلاء يتلقى الطلبة الذين يأتون من مختلف الأقطار والبقاع دروسهم والسماع منهم[8]، حتى غدت مساجدها ومدارسها معياراً يقاس به نمو الحركة العلمية ومؤشراً على مدى ازدهار الثقافة والفنون والآداب[9].

أثرى هذا العدد الكبير من العلماء في هذا المركز الثقافي برقعته الواسعة الحضارة العربية الإسلامية في مختلف مجالاتها بالمغرب الأوسط وفي كل أقطار المغرب الإسلامي، وشارك في نهضتها وتطورها ورقيها وتوسيع مجالاتها ومفاهيمها؛ علماً، ودرايةً، واستيعاباً وإبداعاً، وكان يشكل نماذج مما قدمه المغرب الأوسط من مظاهر حضارية، وشملت

---

[1]– مجهول: الذخيرة السنية، المصدر السابق، ص40.

[2]– المقري: نفح الطيب، ج2، ص360.

[3]– الغبريني: المصدر السابق، ص91.

[4]– يحي بن خلدون: المصدر السابق، ج1، ص102، محمد الحفناوي(ت1360هـ): تعريف الخلف برجال السلف، فونتانة الشرقية، الجزائر، 1906م، ج2، ص258.

[5]– يحي بن خلدون: المصدر السابق، ج1، ص112.

[6]– ندرومة: حاضرة قريبة من تلمسان أسسها الرومان، تقع على سهل واسع بين الجبل والبحر، تتميز بمزارعها لها أهمية في الجانب الاقتصادي والفكري تمد تلمسان بعوامل الرقي، نبغ فيها علماء. ينظر: البكري: المصدر السابق، ج2، ص263، حسن الوزان: المصدر السابق، ج2، ص13، مارمول كربخال: المرجع السابق، ج2، ص295.

[7]– ابن الأبار(ت658هـ): التكملة لكتاب الصلة، نشر عزت العطار الحسيني، مكتبة الخانجي، القاهرة، 1956م، ج2، ص166.

[8]– محمد شقرون: المرجع السابق، ص164.

[9]– صالح بن قربة وآخرون: المرجع السابق، ص135.

جهودهم الحضارية ميادين كثيرة، في الآداب والفلسفة والتاريخ والرياضيات والفلك والعلوم الطبيعية والجغرافية والفنون والصناعات[1]، وبهذا ساهمت تلمسان في نشر الحضارة الإسلامية، وهي مركز إشعاع حضاري على مر العصور تنافس سائر المراكز الحضارية الكبرى، كما حافظت على رصيد الأمة الإسلامية وآثارها.

كانت تلمسان من الحواضر الثقافية والعلمية الكبرى في المغرب الأوسط، لأنّها قلعة حصينة للحكام والملوك الذين اهتموا بنشر العلم بها، فدعموا هذا النشاط العلمي بتشييد معالم ومنشآت، والعناية بطرق التعليم ومناهجه، حتى غدت منبعاً علمياً ينهل منه العلماء والطلاب من مختلف مناطق العالم الإسلامي، لذلك ازدهر علمها وعمرانها وعمِرت بالعلماء الذين دأبوا على نشر وتلقين العلوم والمعارف وتدوين المصنفات.

الفرع الثالث: قسنطينة

قسنطينة مدينة قديمة وحصينة، وصفها البكري بأنّها متحضرة، مليئة بالدور الجميلة والمؤسسات الدينية والعلمية[2]، وهي أحد الحواضر العلمية الإسلامية خاصة أثناء العهد الزيري والحمادي، حيث كانت محط العلماء والأدباء والفقهاء، وقبلة طلاب المعارف والعلوم، الوافدين من مختلف مناطق المغرب والأندلس، فيتدرج في التعليم الصغير والكبير، حيث يتم تحفيظ القرآن ودراسة العلوم وعقد المجالس العلمية والمناظرات[3].

أشارت المصادر إلى تواجد مؤسسات علمية ودينية منها المساجد والزوايا[4]، وأكدت الدراسات على قيمة المدينة خاصة خلال عهد الحفصيين؛ باعتبارها ثاني مدينة بعد الحاضرة الحفصية تونس، وحفلت بواقع ثقافي مميز وحظيت بدعم الأمراء والسلاطين في تشجيع الحركة العلمية[5].

---

[1]– محمد مكيوي: المرجع السابق، ص264.

[2]– البكري: المصدر السابق، ج2، ص244، حسن الوزان: المصدر السابق، ج2، ص55.

[3]– عبد العزيز فيلالي، ومحمد الهادي لعروق: مدينة قسنطينة، دار البعث، ط1، الجزائر، 1984م، ص50، نجاة بلعباس: المرجع السابق، ص16.

[4]– حسن الوزان: المصدر السابق، ج2، ص55، مارمول كربخال: المرجع السابق، ج3، ص11.

[5]– ناصر الدين سعيدوني: شهادات ودراسات مهداة إلى أبي القاسم سعد الله، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 2000م، ص225.

عندما استتب الأمر للموحدين، وجهوا أنظارهم إلى المغرب الأوسط وبسطوا نفوذهم على عدة مدن منها تلمسان وبجاية وقسنطينة التي أصبحت محل نزاع مع الحفصيين فيما بعد وكانت مدينة تجارية بامتياز، فعندما عاد المهدي بن تومرت من رحلته المشرقية دخل قسنطينة فنزل عند الفقيه عبد الرحمن الميلي ويحي بن القاسم وعبد العزيز بن محمد، وذلك في زمن أميرها سبع بن العزيز وقاضيها حينئذ قاسم بن عبد الرحمن[1]، فشجع الموحدون العلماء ونشر العلم بإنشاء المؤسسات العلمية والدينية فبرز بها علماء كبار.

عُرفت قسنطينة بأعلامها وفقهائها الذين- للأسف- يكتنف الغموض ترجمتهم، منهم: أبو الحسن علي بن محمد التميمي القسنطيني (ت519هـ/1125م) المتمكن في علم الكلام، صاحب النزعة الأشعرية، والمتمكن في الحديث والفقه، أخذ عن فقهاء الشافعية بدمشق[2].

كما توافد عليها علماء حملوا معهم المعارف، منهم الأندلسيون الذين درّسوا بها وتولوا الوظائف مثل القضاء، نذكر منهم: محمد بن عامر بن فرقد أبو القاسم الإشبيلي (ت627هـ/1230م) الذي رحل إلى المشرق وأخذ إجازات عن علمائها ثم دخل قسنطينة وأخذ عن قاضيها أبي الفضل قاسم بن علي بن عبدون[3]، وأبي محمد عبد الله بن قيم الحضرمي القرطبي (ت636هـ/1239م) الذي تأثر بأبي الفضل بن النّحوي الأصولي الكلامي، الغزالي المسلك، نشط بقسنطينة وبجاية، كما ذكر الغبريني أعلام آخرين ممن دخلوا قسنطينة مثل أبي مطرف أحمد بن عبد الله بن عميرة الأندلسي (ت658هـ/1250م) الذي بلغ درجة الاجتهاد وله مصنفات في الفقه، تولى القضاء بقسنطينة[4].

وقد أقبل أهل قسنطينة على العلوم وتمادوا في الاهتمام بها، حتى آل هذا الاهتمام إلى بروز معالم، ومن أبرز هذه المعالم نشأة بيوتات العلم، ومن بينها آل الفقيه أبو زيد عبد الرحمن بن حجر، العائلة البادسية، والعائلة القنفذية، وآل فكون[5]، ومن المعالم التي ظهرت كذلك بحاضرة قسنطينة الفقهية البعد الصوفي لدى فقهائها، خاصة التأثر بالصوفي أبي

---

[1]- البيذق: المصدر السابق، ص34، نجاة بلعباس: المرجع السابق، ص16.

[2]- عمار هلال: العلماء الجزائريين في البلدان العربية الإسلامية فيما بين القرنين(9م-10م)، ديوان المطبوعات الجامعية، ط2، الجزائر، 2010م، ج8، ص36.

[3]- ابن الأبار: المصدر السابق، ج2، ص130.

[4]- الغبريني: المصدر السابق، ص271، ص250.

[5]- البكري: المصدر السابق، ص50، عبد القادر بوعقادة: المرجع السابق، ص780.

مدين شعيب الذي استقر ببجاية، وذلك بسبب قرب المسافة ونشاط الرحلة بين الحاضرتين والبعد الثقافي والأخلاقي الذي تميزت به طريقة أبي مدين شعيب[1].

تعد قسنطينة منذ العصور القديمة إلى اليوم مدينة العلم والعلماء وقد عرفت بتاريخها العريق، والريادة الإقليمية ومركزاً للعلوم والتجارة ومحور صراع وتنافس بين دول المغرب الإسلامي.

الفرع الرابع: ورجلان

ورجلان[2]، هي مدينة في صحراء المغرب الأوسط تقع على الحافة الغربية للعرق الشرقي الكبير، لها ارتباط وثيق بالدولة الرستمية وتبنى أهلها المذهب الإباضي، ما جعلها وثيقة الصلة بتهرت في المجال الثقافي[3]، فهي مدينة عريقة آهلة بالسكان من بربر وأعراب، انتشر فيها المذهب الإباضي أوائل القرن الثاني للهجرة فأصبحت معقل دين وعلم وصلاح وتقوى، وفد إليها من أقاصي البلاد الإسلامية فطاحل من العلماء المحققين من ذوي النجدة والفروسية، فأنجبت عباقرة من المشايخ البارزين المجتهدين الحائزين على المعقول والمنقول[4].

ومن القرى والمناطق الصحراوية التي تقع في حيز ورجلان نجد قرية إفران يسكنها بنو يكشن، وقرية إنجان التي سكنها آخر الأئمة الرستميين، وتماواط، وقصر بكر، وإينجوسا، فهي من المراكز الحضارية الصحراوية المهمة في العصر الوسيط، تتميز بنشاطات اقتصادية وتجارية وثقافية مهمة[5]، وكانت لها علاقات مع مختلف حواضر المغرب الأوسط خاصة تيهرت وقلعة بني حماد، وتعتبر حلقة وصل بين الشمال والجنوب.

---

[1]- روباربرنشفيك: تاريخ افريقية من العهد الحفصي، ترجمة حمادي الساحلي، دار الغرب الإسلامي، ط1، لبنان، 1988م، ج2، ص334.

[2]- وَرْجَلان بفتح أوله وسكون الثانية وفتح الجيم، وآخره نون كُورَة بين إفريقية وبلاد الجريد، ضاربة في البر، كثيرة النخيل والخيرات، يسكنها بربر مجانة، لها سور من الآجر، ودور جميلة وقصور ياقوت الحموي: المصدر السابق، ج5، ص371، حسن الوزان: المصدر السابق، ص136.

[3]- مصطفى بن صالح باجو: أبو يعقوب الورجلاني، وزارة التراث والثقافة، عمان، 2007م، ص77.

[4]- حمو محمد عيسى النوري: دور الميزبيين في تاريخ الجزائر، دار البعث، قسنطينة، الجزائر، د ت، ج1، ص111.

[5]- إلياس حاج عيسى:المرجع السابق، ص115.

يوجد بها الكثير من المؤسسات الدينية والتعليمية مثل المساجد وقصور تشبه قصور واحات الصحراء الكبرى، ويقع قصرها على هضبة قليلة الارتفاع، يتكون من ثلاث حارات رئيسة موزعة حول سوق المدينة، تتخللها طرق وشوارع ضيقة، لها سبعة أبواب منها: باب الربايع، باب أحمدو، باب أبو إسحاق، باب عمر، باب عزي[1]. وتتميز الحياة الثقافية فيها بنظام العزابة الذي أرسى قواعده أبو عبد الله محمد بن بكر النفوسي، وهو نظام تربوي خاص بالتعليم، يحدد مهام القائمين على نظام التعليم كشيخ الحلقة والعرفاء المساعدين له، وتمّ وضع نظام تربوي دقيق لحلقة الدرس مثل أوقات الدراسة وطريقة العقوبات[2].

ساهم العديد من العلماء في إثراء الحياة الثقافية في ورجلان، حيث عرفت حركة علمية نشطة، إضافة إلى نشاطها الاقتصادي الذي يساهم في الحياة العلمية عن طريق بيع وشراء الكتب، وهي مركز رئيس لطرق القوافل بين شمال إفريقيا وبلاد السودان[3]، ومن بين علمائها الذين لعبوا دورا كبيرا في ازدهار الحياة الفكرية الشيخ أبي يوسف يعقوب بن يوسف بن سيلوس السدراتي؛ عاش في القرن الثالث هجري، المعروف بالطرفي الذي تلقبه المصادر الإباضية بشيخ الرأي النّاصح، تولى القضاء في ورجلان وأثمرت حلقاته العلمية تخرّج العديد من العلماء[4].

ومن بين علمائها أيضا أبي يعقوب يوسف بن إبراهيم السدراتي (ت570هـ/1174م)، الذي رحل إلى المشرق لأداء فريضة الحج والتّعرف على المجتمعات الإسلامية وعواصم المشرق العلمية، فكان إماماً في العلم، خلّف تراثاً فكرياً هائلاً، ومن أهم مؤلفاته في التفسير"كتاب عجيب" و"ترتيب المسند" وكتاب في الفقه" العدل والإنصاف في معرفة أصول الفقه والاختلاف"[5].

---

[1]– ناصر الدين سعيدوني:المرجع السابق، ص225.

[2]– عيسى بن الذيب وآخرون: الحواضر والمراكز الثقافية في الجزائر خلال العصر الوسيط، سلسلة المشاريع الوطنية، جامعة حسيبة بن بوعلي الشلف، الجزائر، 2007م، ص64.

[3]– مصطفى بن صالح باجو: المرجع السابق، ص20، بشير رمضان تلاليسي: المرجع السابق، ص346.

[4]–نويهض: معجم أعلام الجزائر، المرجع السابق، ج1، ص176، عيسى بن ذيب وآخرون: المرجع السابق، ص67.

[5]– مصطفى بن صالح باجو: المرجع السابق، ص20.

ولا ننسى أبا يعقوب بن خلفون، وأبا عمّار عبد الكافي، وأبا عمرو السوفي عثمان بن خليفة، وأبا سهل بن إبراهيم؛ كلهم من علماء القرن6هـ[1]. وذكر الدرجيني العالم أبا نوح يوسف وابنه زكرياء يحي، وقد كانا من كبار العلماء الذين أسهموا في المجال العلمي، من خلال الحلقات العلمية[2]، لذلك تعد مدينة ورجلان إحدى أهم الحواضر والمراكز الصحراوية الواقعة جنوب المغرب الأوسط خلال العصر الوسيط، والتي ساهمت في نشر الحضارة الإسلامية في جنوب المغرب الأوسط.

المطلب الثاني: الحواضر الصغرى

إضافة إلى الحواضر السابقة توجد في المغرب الوسط حواضر تتمتع بنوع من الرقي والتحضر ولا تقل أهميتها نظرا لما تضمنته من معالم العلم والدين وما برز من علماء وشيوخ ذوي شأن في مختلف أنواع العلوم.

الفرع الأول: بونة

توالت على مدينة عنابة عدة حضارات، خاصة في العهد الإسلامي من أغالبة وفاطميين وصنهاجيين وحماديين وموحدين وحفصيين، وأطلقت عليها عدة تسميات، فكانت تسمى في القديم هيبون، واحتوت ثروات اقتصادية وفلاحية وأسواقاً، وهي مدينة أزلية تشتهر بالعلم والدين، احتضنت أشهر مفكري المسيحية القديس أوغسطين (354م-430م)[3]، ثم أصبحت تسمى مدينة زاوي بعد سنة (410هـ/1020م) نسبة إلى عم أبي المعز بن باديس زاوي بن زيري بن مناد، بعد وروده عليها من الأندلس، باتت تابعة لبني زيري ثم انتقل حكمها إلى بني عمومتهم الحماديين واستمر الأمر إلى غاية عهد الموحدين[4]، لها موقع استراتيجي هام وممر تجاري وكانت تعتبر من أهم ولايات الحماديين والموحدين والحفصيين، ومركز إشعاع علمي وثقافي.

---

[1]- عبد الرحمن عبان: الشعر التعليمي في الأدب الجزائري القديم على عهد الموحدين، رسالة ماجستير، جامعة قاصدي مرباح ورقلة، الجزائر، 2007م/2008م، ص37.

[2]- الدرجيني: المصدر السابق، ج1، ص510.

[3]- عبد القادر بوعقادة: المرجع السابق، ص793.

[4]- المهدي البوعبدلي: تاريخ بونة الثقافي والسياسي عبر العصور، مجلة الأصالة، الجزائر، 1976م، العدد20، مج35/34، ص5، نجاة بلعباس: المرجع السابق، ص17.

تتوافر هذه المدينة على مؤسسات دينية وعلمية مثل المساجد[1]، وأشار البكري إلى وجود مسجد بها، ولم يذكر تاريخ بنائه[2]، وبها مسجد مشيد على شاطئ البحر في غاية الحسن[3]. وهنا نعيب على كثير من المصادر عدم الإشارة إلى أسماء مؤسسي الجوامع والمساجد وتاريخ البناء، والسمات المعمارية لمثل هذه المنشآت.

برز ببونة علماء أجلاء منهم أبي العباس أحمد بن علي بن علي بن يوسف تقي الدين البوني (622هـ/1225م) عرف بعلمه في عدة مجالات منها التصوف وعلم الفلك والرياضيات، رحل إلى المشرق واستقر بالقاهرة، له كتاب "شمس المعارف ولطائف العوارف" يتحدث فيه عن الحروف وأسرارها واسم الله الأعظم، وذكر في آخره أشياخه، وله مصنف"كتاب الوعظ الغريب" اشتهر بالبركة والتبتل[4].

حقيقة الأمر مدينة بونة من المدن الساحلية التاريخية التي لها رصيد تاريخي عميق، نظراً لموقعها الإستراتيجي لأنها عبارة عن ميناء ومدينة وملتقى الطرق البرية والبحرية مما يسهل عملية انتقال العلماء والثقافة والحضارة.

الفرع الثاني: مدينة الجزائر

مدينة الجزائر أزلية، تأسست قبل الفتح الإسلامي، ويعود تأسيسها إلى الفترة القرطاجية وكان اسمها (Icosium)[5]، ثم اختفى هذا الاسم بعد الفتوحات الإسلامية وظهرتفي المصادر العربية باسم جزائر، مثل جزائر بني مزغناي عند ابن حوقل (ت بعد 367هـ/977م)، وباسم جزائر بني مزغنى عند البكري (ت487هـ/1094م)[6].

وتوصف في العصر الوسيط أنها مدينة على ضفة البحر، عامرة وآهلة بالسكان منذ العصور القديمة، يقصدها التجار بالسفن من المناطق المجاورة، نظرًا لموقعها الجغرافي الذي

---

[1]– حسن الوزان: المصدر السابق، ج2، ص61.

[2]– البكري: المصدر السابق، ص55.

[3]– حسن الوزان: المصدر السابق، ج2، ص61.

[4]– محمد بلغراد: أعلام بونة، مجلة الأصالة، الجزائر، 1976م، العدد35/34، ص244.

[5]– Stéphane Gsell: Histoire ancienne de L'Afrique du nord, librairie Hachette, Paris, 1920, p190.

[6]– البكري: المصدر السابق، ج2، ص732.

سمح لها بإقامة روابط وعلاقات تجارية برية وبحرية، ويمكن أن يكون اسمها مرتبطا بقبيلة تسكنها تسمى مزغنة، خاصة أنّ كثيراً من المؤرخين يذكرونها بجزائر بني مزغنة.

كانت الجزائر مليئة بالسكان، محروسة من قبل الحكام والعلماء، أما أصولهم حسب ابن خلدون تعود إلى قبيلة الثعالبة الصنهاجية[1]، لها اهتمام بالعلم والعلماء حيث تحدث البيذق عن بعض علمائها الذين لقيهم المهدي بن تومرت في رحلته من بجاية إلى متيجة ولقائه بعبد الجبار بن محمد والفقيه أبي زكريا ليسير بعدها نحو مليانة[2]، فأمر المهدي بإصلاح كل مسجد مهدم وبناء البعض منها في المناطق الخالية، وبقي هذا التقليد متداولا فيما بعد، كما تم تشييد المدارس في مختلفة المدن[3].

وفي عهد الموحدين وفد إليها علماء من مختلف الأقطار بفضل المؤسسات العلمية والدينية التي أنشئت بها، وعلى رأسها المساجد التي تعتبر من أبرز المراكز الدينية والتعليمية، ومن أشهرها الجامع الكبير الذي شيد في عهد يوسف بن تاشفين سنة (490هـ/1096م).[4]

من أعلام مدينة الجزائر في القرن7هـ الفقيه أبي محمد عبد المنعم بن محمد بن يوسف الغساني الجزائري (ت670هـ/1272م) كان فقيها قاضيا بالجزائر، أخذ عن الفقيه أبي علي بن عبد النور الجزائري، تولى قضاء بجاية على طريقة ابن سحنون، كان محبوبا لدى العامة والسلطان[5]، كما دخل مدينة الجزائر علماء لاسيما من الأندلس منهم عبد الله بن حجاج بن يوسف (ت640هـ/1243م) الذي تولى قضاء الجزائر ثم بجاية، كان له خمسة أبناء مارسوا القضاء كلهم (عبد الرحمن، عبد الله، أحمد ومحمد وعمر)[6].

وهناك علماء من حاضرة الجزائر رحلوا إلى الأندلس، وتناقلوا العلم بين العدوتين، منهم أبي القاسم عبد الرحمن بن محمد بن أبي بكر بن السطاح (ت629هـ/1231م) الذي

---

[1]– ابن خلدون: العبر، المصدر السابق، ج6، ص77، حسن الوزان: المصدر السابق، ج1، ص56.

[2]– البيذق: المصدر السابق، ص43.

[3]– عبد القادر بوعقادة: المرجع السابق، ص752.

[4]– ابن الأبار: المصدر السابق، ج3، ص248.

[5]– الغبريني: المصدر السابق، ص122.

[6]– عبد القادر بوعقادة: المرجع السابق، ص754.

رحل إلى إشبيلية وأخذ مصنفات علمائها، ونقلها إلى العدوة، تولى قضاء بجاية[1]، وكذلك محمد بن قاسم بن منداس (ت643هـ/1246م)، وأحمد بن هلال العروضي (ت640هـ/1243م)، وعبد الله بن حجاج المعروف بابن السكاك (640هـ/1243م)[2].

ووفد من بجاية إلى الجزائر فقهاء من بينهم محمد بن حماد الصنهاجي (ت628هـ/1230م) تعلم بالقلعة ثم بجاية على يد أبي مدين شعيب وأبي علي المسيلي، ثم انتقل إلى الجزائر وتلمسان لطلب العلم[3]، وهناك علماء شدوا الرحال إلى المشرق منهم محمد بن عبد الله ضياء الدين المتيجي (ت659هـ/1252م) الذي كان عالماً فقيهاً محدثاً، نشأ بالإسكندرية[4].

بفضل هذا التبادل العلمي ازدهرت المعارف بحاضرة الجزائر، وجرى احتكاك شديد بين هذه الحواضر[5]، ورغم قلة تدخل الجهاز السياسي والقوى الخارجية في المجال العلمي إلاّ أنّ سكان المنطقة كان لهم دور في هذا المجال، وذلك ببروز مجموعة من النُّخب العلمية وبفضل وجود مؤسسات تقليدية.

الفرع الثالث: بسكرة

بسكرة اسمها مشتق من كلمة فيسيرا وهي كلمة رومانية تعني المحطة[6]، وصفها الرّحالة والجغرافيون كالقلقشندي بأنّها قاعدة بلاد الزاب، بها خيرات كثيرة خاصة التمر والفواكه[7]، خضعت لحكم الدول المتعاقبة على المغرب الأوسط، وبعدما تمكن الموحدون في القرن 12م من توحيد المغرب الإسلامي دخلت بسكرة تحت حكمهم، وكانت تملك مراكز حضارية وثقافية زاخرة بالعلم والعلماء ساهمت في نشر العلوم والثقافة، يقول صاحب

---

[1]– الغبريني: المصدر السابق، ص225.

[2]– ابن الأبار: المصدر السابق، ج1، ص113، السخاوي(ت902هـ): الضوء اللامع، دار الجيل، لبنان 1992م، مج5، ص154.

[3]– يحي بوعزيز: أعلام الفكر والثقافة في الجزائر المحروسة، دار الغرب الإسلامي، لبنان، 1995م، ج1، ص33.

[4]– ياقوت الحموي: المصدر السابق، مج5، ص53.

[5]– عبد القادر بوعقادة: المرجع السابق، ص755.

[6]– فاتح مزرد، الطيب بوسعد: دور العلماء في ازدهار الحياء الفكرية في المراكز الحضارية لبلاد الزاب خلال العصر الوسيط، مجلة العلوم الإنسانية، الجزائر 2022م، العدد1، ص135.

[7]– القلقشندي(ت821هـ): صبح الأعشى في صناعة الإنشا، تحقيق نبيل خالد، دار الكتب العلمية، لبنان، د ت، ج5، ص103، البكري، المصدر السابق، ص52.

الاستبصار أن بسكرة دار فقه وعلم، وذكر قرية ملشونة التي ينسب إليها العلماء، منهم العالم والفقيه أبي عبيد الله ملشوني، ويقول أنّ أهلها على المذهب المالكي[1].

وقد تخرّج في مساجدها علماء كانت لهم أدوار في الفقه والحديث والإقراء وغيرها من العلوم خارج بلاد الزاب مثل أبي القاسم يوسف بن علي بن جبارة الهذلي البكري (ت465هـ/1072م) كان عالي الكعب في علم القراءات لذلك استدعاه نظام الملك (الوزير السلجوقي) للإقراء بمدينة نيسابور، ترك مؤلفات كثيرة منها "كتاب الكامل في القراءات"[2]، كذلك الفقيه الصالح الحسن بن ست الأفاق (ت604هـ/1208م) عمّر المساجد واستوطن فاس[3]، والفقيه العالم أبي الفضل البسكري (ت568هـ/1172م) عالم صوفي وولي صالح وشاعر، له ديوان شعر مفقود[4].

هذه الحاضرة لها أثر بارز في تطوير الحياة الفكرية في المغرب الأوسط، ;تعد من أهم مراكز التبادل والتفاعل الفكري؛ نظرا لما تعج به من علماء ومؤسسات علمية، كما استقطبت علماء من مختلف مناطق العالم الإسلامي.

الفرع الرابع: مليانة

مدينة مليانة قديمة التكوين؛ أزلية يعود بناؤها إلى الفترة الرومانية سميت زوكابار، أما اسم مليانة يرجح أنّه نسبة إلى أحد فروع قبيلة صنهاجة، وقد تم تجديدها في العهد الإسلامي، فهي ذات موقع حصين وخيرات متنوعة، سكنها بنو واريفن، جدد بناءها زيري بن مناد الصنهاجي وسكنها ابنه بلكين[5]، كانت مدينة عامرة في الفترة الحمادية، وفي الفترة الموحدية كانت محل أطماع بني غانية، وبعد سقوط الموحدين أصبحت محل تنافس بين

---

[1]– مجهول: الاستبصار، ص174، الحميري: المصدر السابق، ص113.

[2]– ياقوت الحموي: المصدر السابق، مج1، ص422.

[3]– عبد القادر بوعقادة: المرجع السابق، ص799.

[4]– الورثيلاني: المرجع السابق، ص91.

[5]– البكري: المصدر السابق، ج2، ص241، الحموي: المصدر السابق، مج5، ص196، ابن خلدون: العبر، المصدر السابق، ج6، ص204.

الحفصيين والزيانيين، وقد أجمعت المصادر على كثرة مواردها وجودتها[1]، وهي مدينة قديمة البنيان والدليل على ذلك وجود آثار قديمة مثل الآثار الرومانية.

كانت تقام في مساجدها حلقات العلم وأشهر أعلامها وفقهائها الذين حرصوا على العلم أحمد بن عثمان بن عبد الجبار المتوسي الملياني (ت644هـ/1247م) الفاضل المتقنن المجتهد الإمام الفقيه، له علم بالأصليين[2]، رحل إلى المشرق وجلب إلى بجاية علم أصول الفقه وفنون العربية وأصول الدين والتصوف، وكان عالي السند، ممّا دفع الطلبة للترحال إليه من أنحاء المغرب الأوسط والسماع منه، وقد ذكر ابن خلدون أن الرياسة قد انتهت إليه في بلده على عهد يعقوب المنصور الموحدي وبنيه[3].

ويخبرنا صاحب المناقب المرزوقية أن جده إبراهيم بن يخلف بن عبد السلام بن عيشون المطماطي التنسي قام برحلة إلى الفقيه الولي أبي العباس الملياني من أجل الدراسة[4]، وظهر فيما بعد علماء منهم أبي الحسن علي بن عمران بن موسى الملياني المعروف بابن الأساطير (ت670هـ/1272م) الذي جمع بين العلوم النقلية والعقلية، سماه المشدالي العالم المطلق[5].

الفرع الخامس: وهران

وهران مدينة عريقة من مدن المغرب الأوسط، يعود بناؤها إلى عهد الفينيقيين، وفي العهد الإسلامي تعتبر من المدن المتحضرة فيها المساجد والمدارس والملاجئ والحمامات والفنادق[6]، تعج بالتجار والصُنّاع، ذات موقع متميز[7]، وأصبحت لها مكانة سياسية وعلمية واقتصادية في المغرب الإسلامي، كانت تحت لواء الرستميين ثم الفاطميين ثم المرابطين ثم

[1]– إلياس حاج عيسى: الحياة الاجتماعية في المغرب الأوسط خلال العهد الحمادي، أطروحة الدكتوراه، جامعة أبو القاسم سعد الله الجزائر2، الجزائر، 2017م/2018م، ص101.

[2]– الغبريني: المصدر السابق، ص171، القرافي(ت1009هـ): توشيح الديباج وحيلة الابتهاج، تحقيق علي عمر، مكتبة الثقافة الدينية، ط1، القاهرة، 2004م ، ص51.

[3]– ابن خلدون: العبر، المصدر السابق، ج6، ص420.

[4]– محمد بن مرزوق (ت781هـ): المناقب المرزوقية، تحقيق سلوى الزاهري، وزارة الأوقاف، مطبعة النجاح، ط1، الدار البيضاء، 2008م، ص273، عبد القادر بوعقادة: المرجع السابق، ص761.

[5]– الغبريني: المصدر السابق، ص199.

[6]– يحي بوعزيز: ماضي مدينة وهران، مجلة الثقافة، الجزائر، 1979م، العدد17، مج52، ص30.

[7]– حسن الوزان: المصدر السابق، ص30.

الموحدين، وكانت مقصداً للتجار والعلماء خاصة الأندلسيين، لأنّها مدينة مزدهرة في مختلف المجالات خلال العصر الوسيط، وهذا الازدهار خلّد أسماء العلماء فشهدت بروز عدة أعلام كان لهم اتصال مع مختلف علماء الحواضر الإسلامية، منهم الفقيه عبد الله بن محمد بن جبل الهمذاني الوهراني (ت557هـ/1162م) الشهير بالمقامات والمنامات[1]، وإبراهيم بن يوسف بن عبد الله بن باديس ابن قرقول الوهراني (569هـ/1174م) كان فقيهاً مبصراً بالحديث، أخذ العلم عن أبي بكر بن العربي[2].

هناك من تولى القضاء في عهد الموحدين منهم القاضي أبي عبد الله محمد الوهراني (602هـ/1205م) الذي تولى القضاء بمراكش ثم بإشبيلية ثم وهران وتلمسان[3]، وبرز كذلك الأخوان الوهرانيان أبو عمران بن مروان (ت608هـ/1212م) وأبو علي بن مروان (ت628هـ/ 1251م) توليا القضاء بتلمسان والأندلس[4]، فقد شارك هؤلاء العلماء في إثراء الحضارة الإسلامية في وهران وتركوا بصماتهم في عدة مجالات.

كانت سواحل وهران ملجأ للأندلسيين؛ يفرون إليها عند وقوع نكسات مع المسيحيين، مما أدى إلى نقل الحرف والعلوم إليها، نظراً لموقعها الساحلي الكبير في البحر الأبيض المتوسط، وتعتبر حلقة وصل بين المغربين الأدنى والأقصى وبلاد السودان الغربي، كذلك تعتبر مقصد الجالية الأندلسية خاصة العلماء والتجار الذين ساهموا في بناء المدينة وتطويرها، وأصبح لها مظاهر حضارية تميزها عن باقي الحواضر، واكتسبت هيبة علمية وثقافية، فبرز فيها نخبة من العلماء مما ولّد تثاقف وتأثير وتأثر بين هؤلاء العلماء.

الفرع السادس: قلعة بني حماد

يشير قولفين لوسيان إلى أنّ هذا النوع من المدن يسمى "مدينة الفرسان"[5] لأنها تتفوق فيها الفئة العسكرية، كما تسمى "قلعة أبي طويل"، تأسست قلعة بني حماد سنة (398هـ/1008م) على يد حماد بن بلكين بن زيري، وهي كبيرة ذات حصانة، مستندة إلى

---

[1]- ابن الأبار: المصدر السابق، ج2، ص304.

[2]- المصدر نفسه، ج1، ص130.

[3]- يحي بوعزيز: أعلام الفكر، المرجع السابق، ج2، ص182.

[4]- يحي بن خلدون: المصدر السابق، ج1، ص140.

[5] -Golvin Lucien : Le Maghreb Central a L'epoque des Zirides Recherches d'Archéologie et d'Histoire, arts et métiers Graphiques, Paris, 1957, p158.

جبل تاقربُستْ وأحاطها الحماديون بسور على مسافة7كلم، تخترقه ثلاثة أبواب هي باب جراوة وباب الأقواس، وباب الجنان. وبعد خراب القيروان انتقل إليها أهل إفريقية، وهي مستقر مملكة صنهاجة[1]، وتعتبر من المدن الحضارية في المغرب الأوسط نظرًا لما كانت تتمتع به من مظاهر التمدن والرّقي الحضاري[2]، استكثر فيها حمّاد المساجد لأنّها تقوم بدور تعليمي هام، ولم يكن ثمة مسجد في المدينة يخلو من المدرسين، ومن مساجدها: المسجد الأعظم الذي تقام فيه الاحتفالات الأميرية الرسمية، شكله مستطيل، له مئذنة وثمانية أبواب، بالإضافة إلى إنشاء قصور ومؤسسات دينية وتعليمية[3]، فازدهرت الحياة الثقافية وكثر عدد الفقهاء والأدباء والمتصوفة وانتشرت المراكز العلمية بها بفضل نشاط الحماديين، من خلال تقريب العلماء واستقدام الأطباء[4].

كان لزحف بني هلال على المغرب الأوسط سنة (460هـ) أثر كبير على الحياة الفكرية ويظهر ذلك من خلال لغة التخاطب لقبائل بني هلال في اللسان البربري الذي كان طاغيا على اللسان العربي[5].

حظيت قلعة بني حمّاد بإقبال جاليات عديدة من حواضر ثقافية مختلفة؛ من القيروان والأندلس وصقلية وتلمسان، وأصبحت القلعة مقصد طلبة العلم وأرباب الصنائع من مختلف المناطق والحواضر الإسلامية، فنقلوا معهم أحدث الأفكار والأساليب وأسهموا في تطوير القلعة وازدهارها، وقد سجلت الحياة العلمية نموا على يد العديد من رجالات العلم[6]، فبرز الشعراء والكُتّاب والمؤرخون والأطباء والرياضيون، وكانت لعلوم الدين المنزلة الأولى[7].

ومن بين علمائها في عهد الدولة الموحدية الطبيب الذي ورد في كتاب ابن أبي أصيبعة أبي جعفر عمر بن بذوخ القلعي (ت576هـ/1180) الذي كان خبيرًا في صناعة

---

[1]- البكري: المصدر السابق، ص134، رشيد بورويبة: مدن مندثرة، وزارة الإعلام والثقافة، الجزائر، 1981م، ص97.

[2]- مفتاح خلفات: إسهامات القلعيين في الحياة الثقافية ببجاية، مجلة الآداب واللغات، جامعة المسيلة، الجزائر، 2013م، العدد3، ص180.

[3]- عبد الحليم عويس: دولة بني حماد، دار الوفاء، ط2، القاهرة، 1991م، ص253.

[4]- رابح بونار: المغرب العربي، الشركة الوطنية، ط2، الجزائر، 1981م، ص282.

[5]- المرجع نفسه، ص248.

[6]- مفتاح خلفات: المرجع السابق، ص180.

[7]- مبارك الميلي: تاريخ الجزائر، المرجع السابق، ص335.

الأدوية[1]، كما ذكر الغبريني الكثير، منهم محمد بن علي بن حماد بن عيسى الصنهاجي (ت628هـ) من قلعة بني حماد، سكن بجاية، أخذ عن أشياخها ثم دخل الأندلس وسمع بها، ولي قضاء الجزيرة الخضراء، ثم قضاء سلا، كان كاتباً بليغاً وشاعراً مجيداً، ومؤرخاً[2]، والعالم ابن النحوي (ت513هـ/1119م) الذي يُعدُّ من أهم رواد علم الفقه بالقلعة.

رغم تعرض القلعة للزحف الهلالي زمن الدولة الحمادية وشهودها ثورات خلال عهد الدولة الموحدية، إلا أنّها استمرت في المحافظة على إرثها الثقافي، وأسهم علماؤها برصيد فكري وأدبي في ازدهار الحياة العلمية[3]، إنّ هذا الإرث الحضاري وتطور العلوم فيها جعلها مركز استقطاب للكثير من العلماء وطلاب العلم وأسهم في حركية التأليف وانتشار العلوم.

الفرع السابع: أشير

مدينة أشير من أعرق المدن التاريخية في المغرب الأوسط، أُسست في العصر الوسيط، قامت بدور حضاري في مختلف المجالات، منها المجال الثقافي والعلمي، وهي مدينة البربر بالمغرب في طرف إفريقية مقابل بجاية في البرّ، أول ما تأسست على يد زيري بن مناد الصنهاجي سنة (324هـ/935م) ولم يكن لها مثيل في التحصين، قام بتعميرها من المدن التي حولها، وتتصدر الحواضر الثقافية الزيرية التي أصبحت تابعة للدولة الحمادية[4].

اشير مدينة آهلة بالسكان، أضحت قبلة أهل المغرب الأوسط قاطبة، وشهدت حركة اجتماعية نشيطة، وما زاد من حيويتها هجرة العلماء والفقهاء إليها فأكسبها ديناميكية كبيرة على صعيد الحياة الثقافية حتى اشتهرت بفقهائها وعلمائها[5]، ومن أبرز علمائها الذين بلغت شهرتهم المغرب والمشرق الشيخ الفاضل أبي محمد عبد الله بن محمد الصنهاجي الأشيري (ت561هـ/1165م) إمام أهل الحديث والفقه، استدعاه الوزير عون الدين أبو المظفر وطلبه الملك نور الدين زنكي[6].

---

[1]- ابن أبي أصيبعة(ت668هـ/1270م): عيون الأنباء في طبقات الأطباء، نشر امرؤ القيس بن الطحان، معهد تاريخ العلوم العربية والإسلامية، فرانكفورت، 1995م، ج2، ص157.

[2]- الغبريني: المصدر السابق، ص295.

[3]- مفتاح خلفات: المرجع السابق، ص180.

[4]- ياقوت الحموي: المصدر السابق، ج1، ص202، عيسى بن ذيب وآخرون: المرجع السابق، ص104.

[5]- محمد عياش: مدينة آشير، مجلة المغاربي للمخطوطات، جامعة الجزائر، الجزائر، 2011م، العدد1، ص41.

[6]- ياقوت الحموي: المصدر السابق، ص203.

لقد بلغت الدولة الموحدية مكانة مرموقة بين الدول الإسلامية، بفضل خلفائها خاصة عبد المؤمن؛ وذلك بالجهاد دفاعا عن أراضي المسلمين بالأندلس، ممّا شغلهم عن الاهتمام والقيام بالإنجازات الحضارية في المغرب الأوسط، والتّفرُغ له سواء في المجال المعماري أو المعرفي[1]. ورغم ذلك فقد ذاع صيت حواضره في مختلف أرجاء العالم الإسلامي وأصبحت تضاهي باقي الحواضر الإسلامية، لأنّها من مراكز الإشعاع الثقافي ومقاصد الطلاب والعلماء والمدن التي ازدهرت مع مرور الزمن.

الفرع الثامن: تيهرت

تعتبر مدينة تيهرت من المدن العريقة في تاريخ المغرب الأوسط، وكان لها الحض أن تؤسس بها دولة إسلامية، وهي الدولة الرستمية التي أسسها الإمام عبد الرحمن بن رستم الفارسي الخارجي الإباضي[2] سنة (161هـ) وأصبحت عاصمة الدولة الرستمية، وكان ابن رستم من العلماء المتمكنين في علوم الدين والأدب والفلك[3]، فهي مدينة عظيمة وكبيرة من مدن المغرب الأوسط، المساهمة في تفعيل الحركة العلمية والتجارية، وتداولت عليها الأجناس ونمت بها الدول وسميت بعراق المغرب[4].

تعتبر تيهرت[5] من أقدم المراكز الثقافية ببلاد المغرب الأوسط، شيدت بها مكتبة عظيمة تسمى المعصومة[6] وضمت تعد من أكبر المكتبات الإسلامية آنذاك، كانت تضم

---

(1)– عبد الحميد حاجيات: ملاحظات حول تطور الحياة الفكرية بالجزائر في عهد الموحدين، مجلة الحوار المتوسطي، جامعة تلمسان، الجزائر، 2017م، العدد15–16، ص318.

(2)– الإباضية: فرقة إسلامية من الخوارج برزت في النصف الثاني من القرن الثاني الهجري، تنسب إلى عبد الله بن أباض، أما إمامها الحقيقي جابر بن زيد الأزدي، اتسمت بالاعتدال. ينظر: الشماخي: المصدر السابق، ص77.

(3)– عبد الله علي علام، المرجع السابق، ص 284.

(4)– ياقوت الحموي: المصدر السابق، ص8، يحي بوعزيز: الموجز في تاريخ الجزائر، ديوان المطبوعات الجامعية، ط2، الجزائر، 1999م، ج1، ص101.

(5)– تيهرت: لفظ زناتي بمعنى اللبؤة، وهي اسم لمدينتين متقابلتين هما تيهرت القديمة والجديدة، مدينة مسورة لها أربعة أبواب، باب الصفا وباب المنزل وباب الأندلس وباب المطاحن، وهي في سفح جبل يقال له «جزول» ولها قصبة مطلة على السوق تسمى«المعصومة» وتقع على نهر يسمى «منيه». ينظر: ياقوت الحموي: المصدر السابق، ص7، الإدريسي: المصدر السابق، ص110، البكري: المصدر السابق، ص66.

(6)– المعصومة: مكتبة رستمية بتيهرت لم يبق لها أثر حاليا، تذكر المصادر أنّه بمجرد دخول الفاطميين إلى تيهرت قاموا بحرقها خاصة الكتب التي لها علاقة بالمذهب الإباضي، ويبين هذا مدى العداء الشيعي للمذاهب الأخرى. ينظر الدرجيني: المصدر السابق، ج1، ص95.

بين جناحيها نحو ثلاثمائة كتاب في مختلف العلوم والفنون والآداب، لكن لم تحظ المدينة بعناية لأنّ الدول التي تتابعت عليها بعد الرستميين نظروا إليها نظرة استخفاف باعتبارها من مؤسسات الخوارج، غير أنّ عبد المؤمن وخلفاءه نشروا بتيهرت مبادئ الموحدين ونشّطوا تحفيظ القرآن الكريم، وانتشر بها المذهب المالكي بعد الموحدين كما انتشر بباقي مدن المغرب الإسلامي[1].

على الرغم من تراجع مكانة تيهرت بسقوط الدولة الرستمية على يد الفاطميين الشيعة الذين أحرقوا جلّ كتبها التي تعبر عن حضارتها وحضارة العالم الإسلامي بأسره، إلا أنها حاولت النهوض من جديد عبر العصور خاصة في مجال العلوم والثقافة والبناء والتشييد، وكان لها تأثير واضح في المغرب الأوسط وخارجه.

---

[1]– عبد الله علي علام: المرجع السابق، ص286.

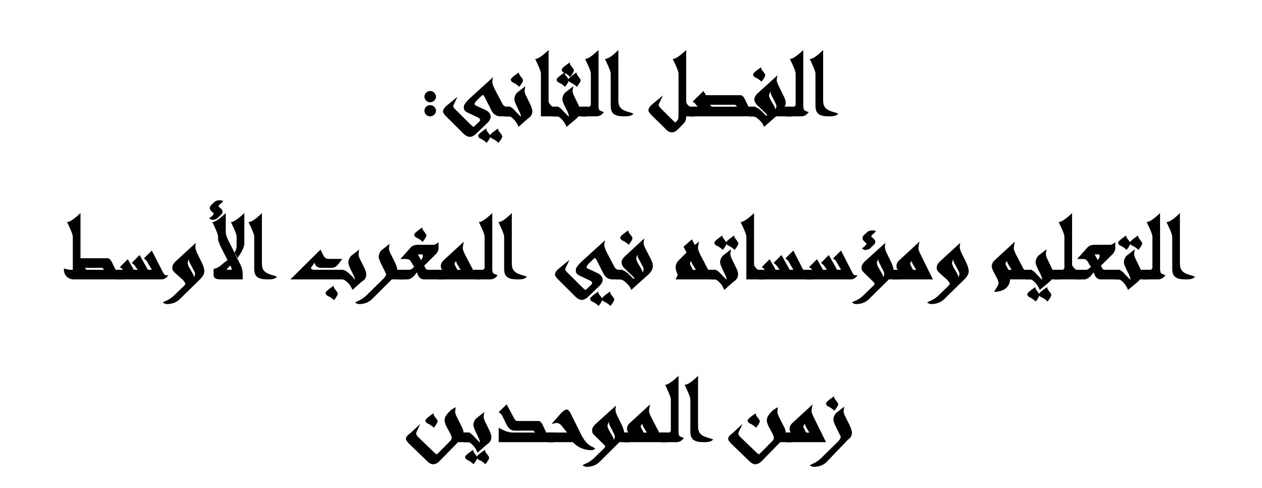
خلاصة

نستشف مما سبق أن الدولة الموحدية هي الوحيدة التي حققت الوحدة المغاربية في العصر الوسيط من المحيط الأطلسي غربا إلى الحدود المصرية شرقا، إضافة إلى بلاد الأندلس شمالاً، حيث سلكت في توسيع رقعتها الجغرافية مزيجا بين السياسة والدين والعنف، إضافة إلى ذلك كان لها قدر من الاهتمام بالمجال الديني والعلمي والثقافي ببناء مؤسسات في مختلف المجالات كما سيتم توضيح ذلك في الفصول الموالية.

خلال القرن السادس الهجري خضع المغرب الإسلامي لسلطة الموحدين، بعد بروز شخصية مميزة تمثلت في محمد بن تومرت الذي لعب دورًا كبيرًا في ذلك، وبعد وفاته سنة (524هـ/1130م) خلفه تلميذه عبد المؤمن بن علي الذي لم يكن أقل حكمة من معلمه حيث استطاعت وطيد أركان الدولة الموحدية والتي استمرت من سنة (515هـ إلى668هـ)، فأحكم قبضته وسيطرته على المغرب الأقصى، ثم وجه اهتمامه إلى المغربين الأوسط والأدنى، وحقق الوحدة السياسية للمغرب الإسلامي، واتخذ من مراكش عاصمة للخلافة.

استطاع الموحدون بسط نفوذهم في شمال إفريقيا من المحيط الأطلسي غربا إلى طرابلس المغرب شرقا (حدود مصر غربا)، إلى أقصى شرق الأندلس جبال الشارات، إلى غاية تخوم الصحراء الكبرى (إفريقيا المدارية) تحت لواء سياسي موحد، تولى حكمها أربعة عشر أميرًا، وتُعد أكبر مملكة في شمال إفريقيا على عهد الخليفة عبد المؤمن بن علي.

نظرًا للاستقرار السياسي النسبي الذي حققته الدولة الموحدية وتشجيعها للعلم والعلماء، ظهرت حواضر ثقافية وعلمية في المغرب الأوسط، والتي واصلت نشر العلوم واستقطاب علماء أفذاذ من مختلف الأقطار، لذلك نتساءل عن أهم المؤسسات العلمية والثقافية التي احتضنتها مختلف حواضر المغرب الأوسط خلال هذه الفترة؟ وهو ما سأحاول الإجابة عنه في الفصل اللاحق.



الفصل الثاني:
التعليم ومؤسساته في المغرب الأوسط زمن الموحدين

المبحث الأول: نظام التعليم في المغرب الأوسط زمن الموحدين

المبحث الثاني: مؤسسات التعليم في المغرب الأوسط زمن الموحدين

تمهيد:

بعد استكمال الفتوحات الإسلامية في المغرب الإسلامي، بدأ الإسلام يسود في مختلف مناطقه، بما في ذلك منطقة المغرب الأوسط، ويعود الفضل في ذلك إلى إنشاء مؤسسات دينية وتعليمية لنشر مبادئ الدين الإسلامي وتعاليمه، ومن بين هذه المؤسسات نجد المساجد بالدرجة الأولى، وذلك اقتداءً بالرسول ﷺ من جهة، لأنّ المسجد العمود الفقري والدعامة الأساسية لاستمرار الدين الإسلامي، وتقوية العلاقة الروحية بين الإنسان وربه من جهة أخرى، إضافة إلى ذلك قيام المسلمين بإنشاء مؤسسات دينية وتعليمية أخرى من أجل نشر التعليم ومحاربة الجهل والأعداء في آن واحد، كما أولى المسلمون منذ فجر الإسلام أهمية لتعليم أولادهم بداية من مراحلهم العمرية الأولى.

عندما توسع الموحدون في بلاد المغرب والأندلس وثبتوا وجودهم فيه، تفرغوا للاعتناء بالمجال العلمي والثقافي وتطويره، وقد أعانهم في ذلك حبهم للعلم وتشبعهم بأنواعٍ من العلوم والآداب منذ نعومة أظافرهم، فأنشئوا مؤسسات علمية ودينية كثيرة، كما استعانوا بمعاهد التعليم التي أُنشئت قبلهم، وساروا على نظام التعليم لدى الدول الإسلامية السابقة وحاولوا تطويره، لذلك تتبادر إلى أذهاننا عدة تساؤلات منها: كيف كان نظام التعليم في المغرب الأوسط؟ وما المؤسسات التي أنشئت في سبيل ذلك؟.

المبحث الأول: التعليم في المغرب الأوسط زمن الموحدين

نال التعليم قسطاً وافراً من الاهتمام من طرف الخلفاء والعلماء ومختلف طبقات المجتمعات الإسلامية، وذلك من أجل تكوين الفرد المسلم وفق مبادئ الشريعة الإسلامية وقيمها؛ بتهذيب النّفس وتغذية الروح وتعليم العقل.

إنّ اتصاف مؤسس الدولة الموحدية المهدي بن تومرت بالعلم وشغفه به ودعوته إليه واعتماده إيّاه أصلاً للإيمان وأساساً للحياة الاجتماعية كما يتجلى بعض ذلك بوضوح في تآليفه، أثمر شغف جل الأمراء الموحدون بالعلم وتشجيع الرعية عليه، وإنّها لمن مآثر المهدي أن يجمع بين العلم والسياسة، وأن يقيم الإصلاح السياسي على أسس علمية، وكانت تلك سنة الخلافة الإسلامية الراشدة[1].

---

[1]- عبد المجيد النجار: المرجع السابق، ص382.

لقد نهجت الدولة الموحدية درب المرابطين بخصوص التعليم ومؤسساته، وحافظت على ما انتخبت منها من العلوم[1] والمعارف[2]، وشجعت ما كان محظوراً منها في العهد السابق، حيث بنت الكثير من المدارس وأسست المعاهد وجلبت العلماء ودونت الكتب، وأنشأت لها المخازن حتى وصفت بدولة الفكر والعلم[(3)].

وقد تميزت بنظامها التعليمي الذي مزج بين اللغة العربية والبربرية، وهو ما بادر به صاحب الدعوة ابن تومرت عند رجوعه إلى قبيلته واشتغاله بالتعليم[(4)]، وأخذ يعلمهم العلوم الشرعية وبالأخص علم العقيدة كما هي مقررة في الكتب التي يضعها العلماء، ولذلك سارع إلى تأليف كتب لأتباعه في التوحيد خاصة، توخى فيها أسلوباً ميسراً سهل المأخذ، وقد وضع بعضها باللسان البربري الذي يتكلمه أغلب القوم، منها كتاب"المرشدة" وكتاب "التوحيد" و"محاذي الموطأ" وتلخيص كتاب مسلم ورسائل جمعت في كتاب" أعزّ ما يطلب"[(5)].

اهتم ابن تومرت باللهجة البربرية وألّف بها عدة كتب وأمر بالتعليم بها من أجل جلب ولاء مختلف الفئات والأقوام، ونَشَر أفكاره بينهم، لأنّ التأليف يعتبر الوسيلة الأنجع لتبليغ دعوته وترشيدها، كما سار على نهجه خلفاؤه.

لقد اهتم حكام الدولة الموحدية بالتعليم وكان مؤسس الدولة الداعية محمد بن تومرت غزير العلم، حيث تمكن من فرض منطقه الدعوي وأرائه الفكرية التي صنع منها عقيدته، فرسخ في نفوس أتباعه مبدأ التبعية فلا ترد أحكامه[(6)]، ولا يتجرأ أحد على مخالفته بصفته

[(1)]– العلم: لغة: من عَلم يَعلم وهي عكس الجهل وتعني إدراك الشيء بحقيقته أي اليقين، أما اصطلاحا: العلم هو المعرفة والدراية والإدراك والإلمام بالحقيقة والمعرفة بكل ما يتصل بها بقصد نشرها، فالعلم طريقة للوصول إلى المعرفة. ينظر: ابن منظور: لسان العرب المحيط، الدار المصرية، القاهرة، د ت، ص383، ينظر كذلك: سعيد إسماعيل صني: قواعد أساسية في البحث العلمي، شبكة الألوكة، ط2، المدينة المنورة، السعودية، 2001م، ص54.

[(2)]– المعارف: لغة: جمع معرفة والعرفان ضد الجهل؛ العلم بالأمر، واصطلاحا: هي عمليات عقلية من إدراك وتعلم وتفكير وحكم يصدره الفرد وهو يتفاعل مع محيطه، وهي مزيج من الخبرات والمهارات والمعلومات موجهة ومتراكمة متخصصة في موضوع معين. ينظر: مؤيد سعيد: دراسة في تطوير الفكر، دار الكتاب، الأردن، 2022م، ص184.

[(3)]– محمد المنوني: حضارة الموحدين، المرجع السابق، ص14.

[(4)]– تيرس نوح: المرجع السابق، ص61.

[(5)]– عبد المجيد النجار: المرجع السابق، ص125.

[(6)]– محمد عبد الله عنان: المرجع السابق، ص203.

عالماً متمكناً[1]. وبعد وفاته أصبح تلميذه عبد المؤمن بن علي مع مجموعة من الطلبة المختارين من قِبَله هم النواة الأولى التي تشبعت بعلومه وأفكاره[2]، فسار عبد المؤمن على خطى شيخه ابن تومرت في نشر العلم في المجتمع الموحدي، ورفع الحظر عن الكتب التي كان المرابطون يحذرون من قراءتها واستنساخها مثل كتب الغزالي، وأمر بحفظ كتب التوحيد والموطأ الذي يُسمى "أعز ما يطلب" لابن تومرت وغيرها من كتبه[3]، وبذلك فَتح المجال للنشاط الفكري من أجل التمكن في مختلف العلوم ونشر الكتب في جل ميادينه وقراءتها في أرجاء المؤسسات التعليمية. وكان علم الفقه من العلوم التي كثر فيها نشاط العلماء، وتهافت الأولياء في توجيه أبنائهم لتعلمه من أجل الوصول إلى المناصب العليا مثل القضاء والفتوى.

يذكر ابن القطان أنّ ابن تومرت وضع شروطا عديدة يجب توافرها في طالب العلم، وهي تسعة (الفراغ التام، البصيرة النيرة، السريرة الحسنة، الهمة العالية، الصبر، الاقتداء بالإمام الناصح وإتباع السبيل الوضاح، التأدب بأدب أهله، ألا يبتغي به سوى وجه الله تعالى)، كما يجب على طالب العلم أن يرغب إلى الله تعالى في الهداية إلى الحق، وأن يقنع بما علمه الله، وأن يعلم أنّ الباب مفتوح لسائر العباد[4].

بعدما خلف الموحدون دولة المرابطين في الحكم وفي مختلف المجالات أصبحت فترة من أخصب فترات الحياة الثقافية، إذ وجدوا وسطاً علمياً راقياً ممّا شجع على الاهتمام البالغ بالعلوم والفنون، وتمّ فسح المجال لحرية التفكير والبحث، وشملت العملية التعليمية ثلاثة عناصر أساسية هي: المعلم والمتعلم وفضاء التعليم، حيث كان الأباء يبعثون أبناءهم لحفظ القرآن والتعلم في المؤسسات الدينية والتعليمية. يخبرنا أبو القاسم سعد الله أنّ هؤلاء الأباء يتحملون أعباء التعليم من الصدقات والأوقاف[5] والأحباس والنفقات الخاصة التي تتكفل

---

[1]- عز الدين عمر موسى: المرجع السابق، ص15.

[2]- ابن صاحب الصلاة: المصدر السابق، ص101.

[3]- عبد الرحمن الجيلالي: تاريخ الجزائر العام،المرجع السابق، ج2، ص25، نجاة بلعباس: المرجع السابق، ص34.

[4]- ابن القطان: المصدر السابق، ص128.

[5]- تتألف الأوقاف من ثلث التركات ومن الأراضي والدور والدكاكين والأفران والأشجار. ينظر: صالح بن قربة وآخرون: تاريخ الجزائر في العصر الوسيط، المرجع السابق، ص158.

بتغذية التعليم وليس ميزانية الدولة، وكان أساس التعليم الدين، وحفظ القرآن الكريم عمدة التعليم[1].

المطلب الأول: المعلمون وشيوخ العلم وأجورهم

بعد مجيء الإسلام توزع الصحابة في الأمصار معلمين للناس ومستشارين وموجهين، فأصبح لكل صحابي مدرسة من أبنائهم التابعين، وكان للتابعين تلاميذ هم تابعو التابعين، فاتسع نطاق الثقافة الدينية الإسلامية، ونشأت نواة الحركة العلمية العقلية بعد جيلين أو ثلاثة أجيال من جيل الصحابة والتابعين[2]، وسار المسلمون على خُطاهم لنشر الإسلام وتعميم التعليم، وبرز في زمن الموحدين رجال يتولون مهمة التعليم، وتنوعوا إلى ثلاثة أصناف نتعرّف عليها وعلى طبيعة أجورهم في الفروع الموالية.

الفرع الأول: أصناف المعلمين زمن الدولة الموحدية

انقسم المعلمون زمن الدولة الموحدية إلى عدة أصناف، هم:

أولا: معلمو الكتاتيب

يقوم بوظيفة تعليم الصبيان شخص متعلم يسمى المؤدب[3] أو معلم أو الشيخ[4]، وهو العنصر الفعّال في العملية التعليمية، والذي يحظى باحترام وتقدير كبيرين من طرف الصبيان وأوليائهم وسائر أفراد المجتمع، نظراً للدور الهام الذي يؤديه في تعليم وتربية هؤلاء الصبيان، ففي المرحلة الأولى من التعليم يُعلم الصبيان حفظ القرآن الكريم وما يتبع ذلك من معرفة الكتابة والقراءة، وقد أوضح الونشريسي آداب التعليم؛ فالمعلم مطالب بالمساواة بين المتعلمين، كما يمنع عليه زجرهم وينبغي أن يكون المعلم مهيبا لا في عنف ولا عبوساً

[1]– أبو القاسم سعد الله: تاريخ الجزائر الثقافي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1998م، ج1، ص316.

[2]– محمد حسين محاسنة: أضواء على تاريخ العلوم عند المسلمين، دار الكتاب الجامعي، ط1، الإمارات العربية المتحدة، 2001م، ص130، مصطفى الشكعة: مناهج التأليف، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، 1991م، ص21.

[3]– المؤدب: اشتق هذا الاسم من الأدب والخلق لأنّ مهمة المعلم في هذه المرحلة هو تعليم الصبيان الأدب والخلق. ينظر: محمد حسين محاسنة: المرجع السابق، ص131.

[4]– الشيخ: من الألقاب التي اختص بها العلماء ويختلف مفهومه باختلاف سياق وروده، فطالب العلم يطلقه على مدرسه بأنه شيخه، دون اعتبار التخصص الذي درّسه، وبهذا يدل على رئاسة علمية يحصل عليها العلماء لشهرتهم في علم معين. ينظر: عبد الرؤوف زواري أحمد: العلاقات العلمية بين المغرب الأوسط والحجاز خلال القرنين7–9هـ، أطروحة دكتوراه، جامعة الوادي، 2020م/2021م، ص147.

مغضباً ولا مبسوطاً مرفقاً دون لين ويخلص لمنافعهم وضربه ما لا يؤلم[1]، ويضيف ابن سحنون أنّه لا يجوز له أن يضرب الصبي على رأسه أو وجهه، ولا يمنعه من طعامه وشرابه، كما يجب أن يتخلى عن كل شيء للتعليم ولا يشتغل بغير صناعته، ويجب النظر فيما يعود بالمنفعة على التلاميذ[2]، ومن يعود إلى السُّنّة يجد عدة أحاديث حول شروط العلم والمعلم والتعليم، منها قوله ﷺ:{ أيُّمَا مُؤَدِب وُلِيَ ثَلَاثَة صِبية مِن هَذِه الأُمَّة فَلَم يُعَلِمهم بِالسَّوِيَة فَقِيرهم مَعَ غَنيهمْ، وغَنَيَهم مَعَ فَقِيرهمْ، حُشِدَ يَوْمَ القَيَامَةِ مَعَ الخَائِنِين}[3].

وهذا ما يدل على وجود الكتاتيب منذ عهد رسول الله ﷺ، فالتعليم كان مهنة وصناعة لها أصولها ومناهجها وآدابها، ويقوم بها رجال أكفاء متخصصون في طرائق التعليم وتهذيب أطفال المسلمين والعناية بتنشئتهم[4]، وفي هذا الصدد يقول المغراوي:" لا تندمن على الصبيان إذا ضربوا فالضرب يبرأ ويبقى العلم"[5].

يجب على المعلم أن يتفانى في تعليم تلاميذه فيحفظون عنه كتاب الله وإعرابه وقراءته وكتابته، ولا يأخذ منهم ما فوق أجرته، ويرعاهم ويشجع المجتهد ولا يتمادى في معاقبة المخطئ، ويُقربهم لله عزّ وجلّ ويَحثّهم على طلب العلم وضرورة الالتزام بأداء الشعائر الدينية[6]، من أجل زرع بذور المبادئ الإسلامية وتقوية العلاقة الروحية والوازع الديني بين الفرد وخالقه من جهة، والعلاقات الإنسانية بينه وبين أفراد مجتمعه ومعلميه، وذلك وفق نظام تعليمي وتربوي مضبوط وممنهج، ووفق شروط الكتاب والسنة اقتداءً برسول الله ﷺ.

كما يجب على المعلم أن يكون في المستوى اللائق به، لأنّ الأطفال الذين يتعلمون منه يتأثرون بمظهره وشكله وطبائعه، وحركاته وسكناته، وإشاراته وإيماءاته، ولباسه وأكله، وحديثه ومختلف سلوكاته، لذلك يجب على مربي الأجيال أن يتصف بصفات عالية حتّى

---

(1)– الونشريسي: المعيار المعرب والجامع المغرب عن فتاوى أهل إفريقيا والأندلس والمغرب، أخرجه محمد حجي وجماعة من الفقهاء، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية للمملكة المغربية، الرباط، 1981م، ج8، ص250.

(2)– ابن سحنون: آداب المتعلمين، تحقيق محمود عبد المولى، الشركة الوطنية للنشر، الجزائر، 1981م، ص79.

(3)– بحثت عن هذا الحديث فلم أجده في كتب التخريج، وقد ذكره محمد منير مرسي: كتاب التربية الإسلامية– أصولها وتطورها في البلاد العربية–، عالم الكتب، القاهرة، مصر، 2005م، ص309.

(4)– المصدر نفسه، ص62.

(5)– المغراوي: جامع جوامع الاختصار والبيان فيما يعرض للمعلم وآباء الصبيان، تحقيق أحمد جلولي البدوي ورابح بونار، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1975م، ص42.

(6)– ابن سحنون: المصدر السابق، ص75.

يكون قدوة حسنة لهم ولمجتمعه ويحظى بالتقدير والاحترام، كما يجب أن يكون حافظاً للقرآن الكريم عارفاً بمبادئ الدين الإسلامي[1].

إنّ عمدة التعليم هو المعلم، المثل الأعلى للتلميذ من الصبا إلى المراهقة بل إلى الشباب والكهولة، فهو ناشر العلم بين النّاس بلسانه وحاله وكتابه وآرائه وسلوكه، وموجه التعليم إن خيراً فخير وإن شرًا فشر، ورغم أنّ هذه المهنة تعتبر من أشرف المهن وأقربها إلى الدين والجهاد في سبيل الله[2]، إلا أنّ معلمي الكتاتيب يتقاضون أجورا زهيدة على تعليم الصبيان ودخلهم قليل لأنّهم غالباً ما يدرسون أبناء الطبقة المتوسطة والفقيرة[3].

ثانيا: المؤدبون

يوجد مؤدبون خلال عهد الدولة الموحدية وهم مدرسون خصوصيون، يقومون بتدريس أبناء الخلفاء وأبناء الطبقات الميسورة، يتم اختيارهم من كبار العلماء والأدباء، وكانت لهم مكانة مميزة، فيحصلون على مناصب رفيعة خاصة في القضاء والحسبة[4]، فالتّعليم في العصر الوسيط تبنّى نوعاً من النظام الطبقي، حيث يدرّس أبناء الطبقة الحاكمة والغنية معلمون يتفرغون لهذه الفئة يسمون في غالب الأحيان المؤدبون.

ثالثا: معلمو المدارس والحلقات

يتمثلون في معلمي الحلقات بالمساجد من قرّاء وفقهاء وأهل الحديث يسمون(الشيوخ)، يحظون بالتقدير والإجلال، يدرِّسون أحيانًا دون أجر مادي رغبة في العلم والثواب من الله تعالى، وهناك معلمو المدارس، تُخصص لهم أجور حتّى يتفرغوا للتعليم بأكمل وجه، ويعتبرون أُجراء لدى الدولة[5].

فشيوخ العلم هم علماء وفقهاء الإسلام الذين خصوا باستنباط الأحكام وعنوا بضبط قواعد الحلال والحرام، ويهتدي بهم الحيران، علماء أبرار قصدوا بعلمهم وجه الله الكريم[6]، فهم

---

[1]– عبد الرحمن بن أحمد التجاني: الكتاتيب القرآنية بندرومة، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1983م ، ص30.

[2]– أبو القاسم سعد الله: المرجع السابق، ج1، ص322.

[3]– محمد حسين محاسنة: المرجع السابق، 150.

[4]– المرجع نفسه والصفحة نفسها.

[5]– ابن سحنون: المصدر السابق، ص79، محمد حسين محاسنة: المرجع السابق، ص151.

[6]– محمد بن أبي بكر بن أيوب الزرعي الدمشقي: إعلام الموقعين عن رب العالمين، تحقيق طه عبد الرؤوف، دار الجيل، لبنان، 1973م، ص9.

العارفون بشرع الله المتفقهون في الدين وهبهم الله الحكمة، حيث قال تعالى:﴿ شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُو الْعِلْمِ قَائِمًا بِالْقِسْطِ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ﴾[1]، وقال:﴿وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَىٰ أُولِي الْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنبِطُونَهُ مِنْهُمْ﴾[2] وفي شأن العلماء قال ﷺ:{ إنّ العُلمَاء ورَثَة الْأنبَياءَ}، وأغلب علماء المغرب الأوسط خلال عهد الدولة الموحدية كانوا شيوخ علم متفقهين في الدين تحصلوا على عدة إجازات، كما يمنحونها لطلابهم المتفوقين، فالإجازة شرط للمشيخة.

ويرى أبو القاسم سعد الله أنّ للمعلم درجتين؛ فهو مؤدب الصبيان إذا كان يباشر التعليم الابتدائي إلى أن يبلغ الطفل المراهقة، وهو معلم أو مدرس إذا كان يباشر التعليم للفتيان من تلك السن إلى العشرين ونحوها، ثم هو أستاذ أو شيخ إذا كان يدرّس لما فوق ذلك من الأعمار والمستويات[3].

وتعتبر بجاية من مدن المغرب الأوسط التي شهدت اهتمام علمائها ومدرسيها بحركة التعليم في مختلف مراحله، والعمل على تطويرها عن طريق الاعتناء بالمؤسسات الدينية والتعليمية، واقتناء المؤلفات الخاصة بالتعليم واقتباس مناهج وأساليب العملية التعليمية، ومعرفة ما للمعلم والمتعلم من حقوق وواجبات، ومن بين أهم هذه الكتب نجد كتاب آداب المعلمين لابن سحنون[4].

الفرع الثاني: أجور المعلمين زمن الموحدين

هناك عدة مصادر لأجور المعلمين في المجتمع الإسلامي؛ وذلك بالاتفاق بين المعلم ووالد المتعلم حسب عادات هذا المجتمع، وكان المعلمون حريصون على تأمين قوتهم وكسب معاشهم سواء عن طريق الأوقاف أو الأجور الشهرية التي يدفعها الأهالي أو الهدايا والعطايا التي تجود بها أيدي المحسنين[5]، ولم تتكفل الدولة آنذاك سوى بإشراف القاضي على تعليم اليتامى، ومراقبة المحتسب للمعاملة التي يوليها المعلمون للصبيان[6].

---

(1)– سورة آل عمران، الآية(18).

(2)–سورة النساء، الآية(83).

(3)– أبو القاسم سعد الله: المرجع السابق، ج1، ص316.

(4)– نجاة بلعباس: المرجع السابق، ص54.

(5)– ابن سحنون: المصدر السابق، ص32، أبو القاسم سعد الله: المرجع السابق، ج1، ص316.

(6)– عبد العزيز فيلالي: المرجع السابق، ج2، ص337.

لقد أجاز علماء المسلمين الأجرة على التعليم كي يتفرغ المعلم لتعليم الصبيان ويقتصر عمله على التّعليم، لأنّه لو كان التعليم تطوعاً فلا تؤدى العملية التعليمية على أكمل وجه،ويضيع الكثير من الصبيان ولا يتعلمون القرآن وتنتشر الجهالة بين النّاس، وجرى العرف في بعض المناطق من المغرب الأوسط أن يتحمل الصبيان نفقة المعلم بالتناوب، ويرسل الأب مع ابنه عند تمام حفظ القرآن الكريم هدية للمؤدب تتمثل في مبلغ من المال، كذلك إذا ختم الطالب عنده كان له مكافأة عرفها المغاربة منذ عهد مبكر باسم "الحذقة"[1].

وأحيانا يتكرم أباء الصبيان في عاشوراء والأعياد بشيء من العطاء، مثل تقديم الشمع في المولد النبوي الشريف، أو يجعل له على كل بيت مخضة زبدة تسمى"خميس الطالب"، كما يوجد بعض الأثرياء الذين يستأجرون المعلم لتعليم أولادهم القرآن الكريم بحذقه[2]،فأجرة المعلم لا تحتاج إلى فتوى لأنّ أي مجهود يقوم به الإنسان يُؤجر عليه كما جاء في حديث رسول الله ﷺ: { أُعْطُوا الأَجِير أَجْرَه قَبْلَ أَنْ يَجِفَّ عَرَقَهُ}[3].

وبناء على ما سلف في أصناف المعلمين في عهد الدولة الموحدية فإنّنا نستشف أنّ أجر المعلم زمن الدولة الموحدية يتغاير تبعا لطبقة المتعلم، فمعلمو أبناء الخلفاء يحظون بأجور عالية ومناصب رفيعة ومكانة مرموقة لدى الخلفاء بخلاف أجور معلمي الطبقات المتوسطة والفقيرة التي تتنوع بين ما تجود به أيادي المحسنين وسائر العطايا ذات القيمة الزهيدة في مقابل أجور كبار العلماء من مؤدبي أبناء الخلفاء، وأحيانا يتطوع المعلم بأجره محتسبا الأجر عند الله تعالى.

المطلب الثاني: المتعلمون

ممّا سبق يتبين أنّ المتعلمين زمن الدولة الموحدية انقسموا إلى صنفين؛ يمثل الأول أبناء الخلفاء والوزراء والطبقة الثرية الذين ينفردون بدروس خصوصية داخل قصورهم وبيوتهم، يتولّى تدريسهم كبار العلماء والشيوخ والأدباء الذين يتم انتخابهم بعناية فائقة، تهيئة

---

[1]- الحذقة: بالذال المعجمة والحاء المهملة هي حفظ كل القرآن نظير أجر معين يتفق عليه، من دينار إلى دينار ونصف. ينظر: الونشريسي، المصدر السابق، ج8، ص248.

[2]- الونشريسي: المصدر السابق، ج8، ص248.

[3]- أخرجه ابن ماجة (ت273هـ) في سننه، تحقيق الأرناؤوط وآخرون، دار الرسالة العالمية، ط1، دمشق، 2009م، باب إجارة الأجير على طعام بطنه، رقم2443، ج3، ص511.

لهم لقيادة الدولة وإدارة شؤونها على الأصعدة المختلفة، فيحوز أولائك المعلمين والشيوخ مكانة مرموقة في الدولة بفضل ذلك كالقضاء والحسبة وغيرها، ويعرفون بالمؤدبين.

أمّا الصنف الثاني فهم أبناء الطبقة المتوسطة والفقيرة، فهؤلاء يجلسون غالبا إلى شيوخ الحلقات والكُتّاب ومعلمي المدارس من فقهاء ومحدثين ومفسرين وغيرهم.

فالطفل الصغير في الدولة الإسلامية عموما يذهب إلى المعلم الذي يقوم بتعليمه وتأديبه وتوجيهه، حيث يجلس المعلمون في الزوايا والمساجد ومكاتب ملحقة بالمسجد ليتعلم منهم الأولاد القرآن والسُنّة والفقه والأدب واللغة، ثم نشأت الكتاتيب المستقلة عن المساجد، وتعليمهم الدروس الدينية المستمدة من القرآن، أما أبناء الخلفاء والوزراء لهم تعليم خاص يتم داخل القصور[1].

إنّ أعمار التلاميذ المترددين على الكُتّاب تتراوح بين السادسة والرابعة عشرة حيث يختم القرآن مرة أو عدة مرات ويتعلم القراءة والكتابة وقواعد الدين وآليات الحساب[2]، والطالب هو من له شروع في تعلم العلم ودرسه والتردد على أهله[3]، وعلى العموم عندما يبدأ الطفل في التمييز بين النفع والضرر ويتقن نطق الكلمات والجمل يستطيع التّعلم والذهاب إلى الكتاتيب ويبدأ في تعلم القرآن الكريم لكي تنمو لديه ملكة الحفظ والكتابة والفهم.

المطلب الثالث: مستويات ومراحل التعليم

إنّ التعليم من العوامل الأساسية التي تدفع الدول إلى التقدم والازدهار وترقية العلوم والثقافة في المجتمع، وكلما كان منظما وممنهجًا وفق قدرات المتعلم ومتناسبا مع أطوار حياته إلاّ وأثمر كوادر علمية من شأنها الإسهام في ترقية الدولة وتفعيل دورها الحضاري والريادي بين الدول المتقدمة، وهو ما ارتكز عليه التعليم في زمن الدولة الموحدية فعرف في عهدها مستويات تعليمية مختلفة هي:

---

(1)- محمد حسين محاسنة: المرجع السابق، ص131.

(2)- أبو القاسم سعد الله: المرجع السابق، ج1، ص316.

(3)- بلبشير عمر: جوانب من الحياة الاجتماعية والاقتصادية والفكرية في المغربين الأوسط والأقصى من ق6هـ إلى 9هـ، من خلال كتاب الونشريسي، أطروحة دكتوراه، جامعة وهران، 2009/2010م، ص268.

الفرع الأول: المستوى الأول(التعليم الابتدائي)

كان التعليم الابتدائي المستوى الأساسي لكل طالب، ويتمثل في الكتاتيب التي تختص بتدريس الصبيان الذين في عمر السابعة حتى سن البلوغ[1]، علاوة على المساجد والزوايا، حيث يرسل الآباء أبناءهم إلى الكتاتيب لتلقي مبادئ التعلم الذي يشمل الذكور والإناث على حد سواء، من أجل تلقينهم مبادئ الدين الإسلامي من عبادات ومعاملات وحفظ القرآن وترتيله، وفيها يستعد المتعلم للمراحل القادمة الأخرى[2]، كما يتعلم فيها الطالب القراءة والكتابة[3].

كان الصبيان يدخلون إلى الكتاب في سن مابين الخامسة والسابعة، حيث يكون المؤدب حريصًا كل الحرص على تحفيظهم القرآن والتلاوة الحسنة[4]، وقد استحسن ابن خلدون هذه الطريقة في التعليم الابتدائي وأثنى عليها، ويرى أن تعلم القرآن وحفظه هو أصل التّعليم، وهو أول ما يجب تعليمه للصبيان لأنّ به يبنى ما يحصل بعد ذلك من ملكات[5]. وقد حذا الموحدون حذو سلفهم في تلقين القرآن للتلاميذ وجعله محورا أساسيا في المرحلة الابتدائية.

كانوا يتبعون برنامجا يوميًا إذ يبدءون بحفظ القرآن منذ الصباح حتى وقت الضحى، ويتعلمون الكتابة من الضحى إلى الظهر، أمّا حصة المساء فمُخصصة لتدريس المواد المختلفة،[6] يبدأ المعلم بآية يرددها التلاميذ من بعده ولكل منهم لوح يكتب فيه ما يجب حفظه من القرآن، وعلى التلاميذ استظهار ما حفظوه أمام معلمهم كل أمسية يومي الأربعاء والخميس لكي يكتبوا شيئا جديدًا بعده. وقد اعتنى المؤدبون بتعليم القيّم الإسلامية من الحياء

---

[1]- الونشريسي: المصدر السابق، ج7، ص7.

[2]- ابن سحنون: المصدر السابق، ص80.

[3]- عبد الحميد حاجيات: المرجع السابق، ص30.

[4]- مسعود مزهودي ومبارك بوطارق: الحواضر والمراكز الثقافية في الجزائر خلال العصر الوسيط، المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية، الجزائر، 2007م، ص146.

[5]- ابن خلدون: المقدمة، دار القلم، ط4، بيروت، لبنان، 1981م، ص470.

[6]- لخضر عبدلي: الحياة الثقافية بالمغرب الأوسط، في عهد بني زيان، أطروحة دكتوراه، جامعة أبي بكر بلقايد تلمسان، الجزائر، 2004م/2005م، ص92.

والسخاء والتواضع، ووظفوا قصص الصالحين والعلماء لتحبيبهم عند الصبيان، وتحفيزهم على التأسي بهم، وتنبيههم إلى كيفيات العبادات كالوضوء والصلاة ونحوها[1].

في المرحلة الأولى من التّعليم يتعلم الصبي ثلاثة أشياء تتمثل في الحفظ والكتابة والقراءة، وعلى العموم يحرصون في هذه المرحلة على تلقين الصبيان القرآن الكريم، ولا شك أنّ تعلم القرآن يؤهل الطفل لإتقان القراءة والكتابة والتعبير والفصاحة والبلاغة كما يتعلم القيّم والأخلاق الإسلامية الرفيعة التي تجعل منه فردًا ايجابيًا وفاعلا في المحيط الاجتماعي.

لقد اقتصر التعليم في البداية على حفظ القرآن الكريم ومدارسته، ومع تزايد الهجرة الأندلسية ارتقت هذه الطريقة ومُزجت سائر الفنون المتعلقة بالقرآن والحديث وقوانين العلوم، فأصبحت طريقتهم أقرب إلى طريقة أهل الأندلس في التعليم خاصة ببجاية، فأصبحوا يلمون بكتاب الله عز وجل، ثم ينتقل الطالب إلى المرحلة الأعلى[2].

هذه المرحلة تشبه ما يسمى في أيامنا بالتعليم الابتدائي، لأنّ المتعلمين يتعلمون مبادئ القراءة والكتابة والحفظ، وإذا أتم الصبي هذه المرحلة عن طريق اجتياز امتحان حفظ القرآن الكريم وما يعرف بالختمة، انتقل إلى مرحلة أعلى، إلاّ أنّه يؤخذ على هذه المرحلة والتعليم في الكتاتيب إهمال العلوم الطبيعية والرياضية البدنية[3]، لاسيما أنّ مؤهلات التلاميذ ومواهبهم وقدراتهم تختلف من فرد إلى آخر، والحاجة إلى العلوم الكونية لا تقل أهمية عن غيرها.

الفرع الثاني: المستوى الثاني(التعليم الثانوي)

بعد انتهاء الصبي من المرحلة السابقة من تعليمه الذي ألمّ فيه بمبادئ القراءة والكتابة والحفظ خاصة حفظ القرآن الكريم، ومعرفته ببعض العلوم يتوجه لإكمال هذه المرحلة الثانية من مساره العلمي في مختلف المؤسسات التعليمية والدينية.

---

[1]– الونشريسي: المصدر السابق، ج8، ص156، ابن عباد الرندي: الرسائل الصغرى، تحقيق الأب بولس يوحنا اليسوعي، دار المشرق، بيروت، 1974م، ص71.

[2]– مفتاح خلفات: قبيلة الزواوة بالمغرب الأوسط، دار الأمل، تيزي وزو، الجزائر، 2011م، ص163، روبار برنشفيك: المرجع السابق، ج2، ص376.

[3]– عبد الرحمن بن أحمد التجاني: المرجع السابق، ص71.

ورد عند الونشريسي أن هذه المرحلة خصصت للطلبة فوق سن البلوغ والذين كانوا يدرسون في الجوامع أو المدارس، ويقضون بها فترة قد تتجاوز عشر سنين[1]، ويرى ابن سحنون أنّ المعرفة الصحيحة للقرآن تستلزم معرفة العلوم الأدبية واللغوية، حيث يدرس الطلبة في هذه المرحلة علوم النحو واللغة والأدب والفقه، وتتم داخل المساجد أو المدارس أو الزوايا وعدد الطلبة يكون أقل من المرحلة الأولى[2]، ويتم ذلك في حلقات تعرف بالميعاد(ميعاد الدرس)، ومن أبرز الذين قاموا بهذه المهمة على عهد الدولة الموحدية أبو الفضل بن النحوي (ت513هـ/1119م) في قلعة بني حماد وأبو زكريا يحي الزواوي الذي اختص بتدريس الفقه والحديث وعلم التذكير بالجامع الأعظم ببجاية وأبو مدين شعيب والحسن لمسيلي، معتمدين على الرسالة القشيرية وإحياء علوم الدين، أما في تلمسان فنجد عبد الحق الاشبيلي وإبراهيم التنسي من الذين اختصوا في تدريس الحديث[3].

ورد في كتاب الغبريني أنّ تنظيم الحلقات يختلف من شيخ لأخر؛ إذ كان محمد القلعي (ت673هـ/1275م) يُقسم الطلاب إلى قسمين؛ قسم يشمل الطلبة النجباء المتفوقين، يلقي عليهم دروساً رفيعة المستوى، وقسم يضم عامة الطلبة فيلقنهم دروساً أقل مستوى، مما يدل على أنّهم تفطنوا مبكرا إلى مراعاة القدرات العقلية للمتمدرسين[4]، وهو ما يسمى حاليا بالفروق الفردية.

رغم محاسن هذه الطريقة والمتمثلة في سرعة الأداء لدى مستوى المتفوقين أثناء التدريس وربح الوقت في أداء العملية التعلمية التعليمية، وفي المقابل الاهتمام أكثر لتوصيل الأفكار لذوي المستوى الأدنى بتأن وتفصيل أكثر إلاّ أنّ هذا التقسيم لا يخلو من مساوئ، أبرزها عدم وجود التأثير والتأثر بين المتفوقين وذوي المستوى الأدنى.

كان أبو الحسن علي الحرالي (ت638هـ/1241م) يحرص في توجيه تلاميذه على شرطين أساسيين؛ الأول التفوق العلمي للتلميذ، والثاني رغبة كل واحد منهم في الوظيفة التي

---

[1]- الونشريسي: المصدر السابق، ج7، ص7.

[2]- ابن سحنون: المصدر السابق، ص102، عبد الحميد حاجيات: المرجع السابق، ص35، أحمد فؤاد الاهواني: التربية في الإسلام، دار الغرب، ط2، الجزائر، 2006م، ص171.

[3]- الغبريني: المصدر السابق، ص136.

[4]- المصدر نفسه، ص98.

تروقه في المستقبل كالقضاء أو التدريس أو الفتوى[1]. ولم يكتف بشرط واحد لأنّ أحدهما قد لا يكفي لتحقيق النجاح والتميز، فالرغبة وحدها دون الإمكانات العلمية التي تؤهل التلميذ لتخصص ووظيفة معينة قد تؤدي إلى تعثر التلميذ وفشله، وكذلك لو وجدت الإمكانات والتفوق دون الرغبة قد يشكل عائقا أمام الاستمرار والنجاح أو الإبداع.

الفرع الثالث: المستوى الثالث(التعليم العالي)

تختلف هذه المرحلة عن المراحل السابقة فهي أكثر تخصصًا وشمولية، حيث تتسم بحرية الطالب في اختيار المواد التي سيدرسها،والأساتذة الذين سيتتلمذ عليهم في المواد التي يريدها[2]، وكانت العلوم الدينية والعقلية والأدبية تدرس بعمق وتفصيل، فيتعلم ما لم يتعلمه من قبل أو لم يسمعه أو يشاهده[3]، ويركز فيه الطالب على فرع معين من العلوم الدينية من قراءات وتفسير وحديث والعلوم العقلية والاجتماعية والأدب وغيرها بمزيد من التعمق والتفصيل[4]، وتكون الدراسة في المدارس أو المساجد المشهورة[5].

وقد ورد في مقدمة ابن خلدون أنّ الدراسة في هذه المرحلة تتميز بحرية الطالب في انتقاء المواد الدراسية حسب إمكاناته الفكرية والمادية، وله الحق في اختيار الأستاذ الذي يدرِسه[6]، كما هو عليه الحال بالنسبة للطلبة في الجامعات يختارون الفروع التي تتوافق وميولاتهم وقدراتهم ورغباتهم وأهدافهم المستقبلية.

فطريقة التعليم العالي شهدت تقدما عبر العصور، إذ أنّها كانت قديما تعتمد على طريقة الرواية المتمثلة في النقل الشفهي للنصوص عن طريق السرد من طرف الشيخ[7]، وقد قسم ابن خلدون وابن سحنون المواد التي يتعلمها المتعلمون إلى قسمين؛ المواد الإجبارية التي لا غنى للطالب عن تعلمها وإتقانها، والتي لها علاقة مباشرة بالقرآن الكريم من حفظ

---

[1]–الغبريني: المصدر السابق، ص153، الطاهر بونابي: المرجع السابق، ص233.

[2]– عبد العزيز فيلالي: المرجع السابق، ص344.

[3]– عبد الحميد بالأعرج: علاقات دول المغرب الإسلامي بدول المماليك سياسيا وثقافيا، أطروحة الدكتوراه، جامعة أبي بكر بلقايد، تلمسان، الجزائر، 2012م/2013م، ص162.

[4]– إسماعيل سامعي: معالم الحضارة العربية الإسلامية، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 2007م، ص301.

[5]– عبد الحميد حاجيات: المرجع السابق، ص35.

[6]– ابن خلدون: المقدمة، المصدر السابق، ص695.

[7]– مريم بوعامر: الهجرة الأندلسية في المغرب الأدنى ودورها في الازدهار الحضاري(7–9هـ/13–15م)، رسالة ماجستير، جامعة أبي بكر بلقايد، تلمسان، 2009/2010م، ص66.

وإتقان للمعاني والقراءة الحسنة[1]، ومواد اختيارية لا يقوم المعلم بإجبار الطالب على تعلمها مثل الحساب والشعر[2]، حيث يقوم المتعلم باختيار أحد هذه العلوم لدراستها من أجل تنويع مجالات تعلمه وتوسيع ثقافته.

لقد أضاف الغبريني طريقة إلقاء الأسئلة التي كانت سائدة خلال القرن الرابع الهجري والمتمثلة في إلقاء الشيخ بعض الأسئلة على التلاميذ ومناقشة المواضيع المطروحة في آن واحد من طرف هؤلاء التلاميذ وشيوخهم، وفي القرن السابع الهجري طرأت تطورات على طرق التّعليم العالي التي أصبحت تقوم على البحث والتحليل وإعطاء التفكير أهمية[3]، ويرى أنّ الفضل في سيادة هذه الطريقة بالمغرب الأوسط خلال القرن السابع هجري، يعود لمجيء الأندلسيين الذين استطاعوا عقب هجرتهم أن يغيروا طريقة التعليم التقليدية المعتمدة على الإلقاء، والاتجاه نحو إطلاق المجال للعقل والتفكير والتحليل والمناقشة[4].

وهذا ما تسعى إليه المدارس والجامعات في وقتنا الحالي من أجل إشراك المتعلمين في العملية التعليمية التعلمية، واستعمال مكتسباتهم القبلية للوصول إلى الأهداف المسطرة. وكان الطلاب خلال تلك الفترة لا يكتفون بما يتلقونه من العلوم في مدينتهم، بل يطوفون البلاد ويجوبون الأقطار للقاء العلماء المشهورين في المشرق والمغرب والأندلس، فتأثرت الحياة الفكرية إلى مدى بعيد بهذا الاحتكاك مع علماء الأقطار الإسلامية[5]، في إطار ما يسمى بالرحلة العلمية التي لعبت دوراً كبيراً في التّعلم ونشر العلم في مختلف الحواضر العلمية والمناطق كما سنوضحه في الفصول اللاحقة. هذه المرحلة هي المستوى العالي الذي يضم الطلبة المهيئين للمشيخة أو التدريس بعد نيل الإجازة التي تسمح لهم بذلك.

---

[1]– ابن خلدون: المقدمة، المصدر السابق، ص396.

[2]– ابن سحنون: المصدر السابق، ص42.

[3]– الغبريني: المصدر السابق، ص173، محمد عمارة: الأثر العلمي للأندلسيين بالمغرب الأوسط خلال القرن7هـ/13م، مجلة العلوم الاجتماعية والإنسانية، جامعة محمد بوضياف المسيلة، الجزائر، 2016م، العدد11، ص171.

[4]– الغبريني: المصدر السابق، ص293.

[5]– عبد الحميد حاجيات: المرجع السابق، ص36.

الفرع الرابع: الإجازة العلمية

يمنح العلماء والشيوخ إجازة لطلاب العلم بعد تفوقهم ليصبحوا بدورهم علماء وشيوخ لهم دور في نشر العلم ورقي المجتمع، وهو ما يستدعي التّطرق إلى تعريفها ثم شروطها وطرق منحها.

1-تعريف الإجازة: الإجازة [(1)] هي إذْن الشيخ في الرواية عنه إمّا بلفظه أو بخطه، بما يفيد الإخبار الإجمالي عرفا، فيسمى الطالب مستجيز والعالم أو الشيخ مجيز، والمجاز له هو الراوي عنه، والمجاز به هو الكتاب، والإجازة هي الإذن.[(2)]

وتعرف الإجازة عند المحدثين أنها الإذن في الرواية لفظًا وكتابةً، وكانت في الأصل لا تسلم إلا لمن يدرس علم الحديث ثم عُمم استعمالها فصارت تمنح في كل علم أو فن، ثم صارت تمنح في عدة علوم أو فنون وحتى في جميع العلوم التي يتقنها المجيز [(3)].

والإجازة بمثابة وثيقة أو شهادة مكتوبة أو شفاهية والتي يسلمها الأستاذ إلى طالبه أو مستجيزه، وهي إذْن شخصي من طرف الشيخ، وتفويض منه للطالب بممارسة التدريس أو الفتوى، بعد اختبار قدراته العلمية[(4)].

2-شروط الإجازة

شروط الإجازة تختلف من الطالب إلى شيخه؛ فيشترط في الشيخ المجيز شروطا علمية من أهمها أن يكون عالماً بما يجيز به، وشرطا أخلاقيا وهو أن يكون ثقة في دينه

---

(1)- لغة: الإجازة من الجوْز وهو وسط الشيء، والجواز؛ الشاة يبيض وسطها، والجوزاء نجم، سميت بذلك لأنها تعترض في جوز السماء أي في وسطها، وهي مصدر الفعل أجاز، وله عدة معان، أولها قطع الطريق أو الموضع أو المسافة، أما الثانية إنفاذ الأمر والرأي، أما الثالثة الجائزة أو العطية. ينظر: أبو منصور محمد الأزهري: تهذيب اللغة، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، الدار المصرية للتأليف، القاهرة، 1964م، ج11، ص148، ينظر كذلك الزبيدي: تاج العروس من جواهر القاموس، تحقيق الترزي وآخرون، مطبعة حكومة الكويت، الكويت، 1975م، ج15، ص75، والفيروز آبادي: القاموس المحيط، تحقيق محمد العرقوسي، مؤسسة الرسالة، ط8، لبنان، د ت، ص506.

(2)- جلال الدين السيوطي: تدريب الراوي في شرح تقريب النووي، تحقيق عرفان العشا حسونة، دار الفكر، بيروت، لبنان، 2009م، ص261، محمد بن إسماعيل الأمير الحسني الصنعاني: توضيح الأفكار لمعاني تنقيح الأفكار، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد، المكتبة السلفية، المدينة المنورة، المملكة العربية السعودية، د ت، ج2، ص310.

(3)- محمد بن رمضان شاوش: المصدر السابق، ص405، عبد الرؤوف زواري أحمد: المرجع السابق، ص133.

(4)- الونشريسي: المصدر السابق، ج11، ص15.

وروايته، أمّا بالنسبة للطالب وهو المستجيز فيشترط فيه أن يكون من أهل العلم متسماً بسمتهم وأخلاقهم[1].

وكانت الرحلة من أهم الوسائل التي يركبها طلاب العلم للحصول على الإجازات في مختلف العلوم ولقاء كبار العلماء المشهود لهم بالتفوق، بهدف الاتصال بهم والأخذ عنهم والحصول على الإجازة والرواية منهم؛ وذلك حرصا على السند العلمي العالي الذي بفضله يصل الطالب بمؤلفي كتب العلوم خاصة علم الحديث[2].

تمنح الإجازة بطريقتين؛ الإجازة بالمشافهة وهي رخصة شفاهة باللسان، والإجازة التحريرية وهي رخصة خطية يمنحها الشيوخ لمن أباحوا لهم الرواية عنهم، بعد التأكد من صلاح المجازين لتحمل الحديث وروايته عنهم، وعادة ما يكتب الشيخ الإجازة على الكتاب الذي درسه عليهم أحد التلاميذ وأباحوا له روايته[3].

الإجازة تدل على المستوى العلمي الهام الذي وصل إليه الطالب بعد أن أخذ العلم والمعرفة ما يهيئه لتدريس الكتب المجاز بها أو رواية الحديث المؤذن له في رواياته[4]، لأن الإجازة بمثابة الشهادة والإذن لأداء مهام في التعليم، ويمنحها العلماء والأساتذة الكبار لطلبة العلم، وهي شهادة تسمح للطالب الظهور بمظهر الأستاذ الحاذق، وتكون كستار حتى لا يمس في علمه ومعارفه، ويتهيأ للتدريس ويكون ملمًا بالمواضيع التي يمكن أن يطرحها الدارسون[5].

والإجازات العلمية من أشهر الطرق في نشر العلوم، ويعود تاريخ ظهورها عند المسلمين إلى القرن (2هـ/8م)، وهي الفترة التي ذاعت فيها المرويات العلمية بين الشيوخ وتلاميذهم[6]، وهذا ما كان معمولاً به زمن الدولة الموحدية.

---

[1]- عبد الرؤوف زواري أحمد: المرجع السابق، ص134.

[2]- القلصادي: رحلة القلصادي، تحقيق محمد أبو الأجفان، الشركة التونسية للتوزيع، تونس، 1978م، ص59.

[3]- عبد الله فياض: الإجازات العلمية عند المسلمين، مطبعة الإرشاد، بغداد، العراق، 1967م، ص23.

[4]- أحمد شلبي: المرجع السابق، ص 267.

[5]- ابن مريم(ت ق11هـ): البستان في ذكر الأولياء والعلماء بتلمسان، تحقيق محمد بن أبي شنب، المطبعة الثعالبية، الجزائر، 1908م، ص20.

[6]- ذياب سعد آل حمدان الغامدي: الوجازة في الإثبات والإجازة، دار قرطبة، ط1، بيروت، لبنان، 2007م، ص21.

ذكر الغبريني نماذج من علماء أجازوا لبعضهم أو طلبوا الإجازة ومنحت لهم منهم: محمد بن محمد الخشني استجاز من العالم أبي عبد الله محمد بن عبد الحق اليعفري التلمساني فأجازه في نصه بعد البسملة والتصلية[1]، وأبو بكر سعادة الإشبيلي التلمساني أخذ عن أبي الحسن وأبي العباس بن حرب التلمساني[2]، كذلك الشيخ المجيز عبيد الله بن عمر الحضرمي (ت550هـ) أجاز لطلبته المغاربة في القراءات بمراكش وتلمسان، ومحمد بن يوسف بن مفرج (ت600هـ) أجاز لطلبته من تلمسان في القراءات، عبد الحق بن عبد الرحمن الأزدي (ت582هـ) أجاز لطلبته في بجاية في الحديث وعلومه، وأبو محمد عبد المنعم بن عشير (ق6هـ) أجاز لعتيق بن علي المالقي بالجزائر في الفقه والأصول، وأبو عبد الله محمد بن أحمد النفزي(ت610هـ) أجاز للطلبة الأندلسيين ومغاربة في الفقه والأصول ببجاية، وأبو علي حسن بن عبد الله الأشيري(ت569هـ) أجاز في النحو واللغة بتلمسان[3].

وعُدت الإجازات ضرورة حتمية للطلبة والعلماء لأنّه بها يُعرف المستوى العلمي لهم، لذلك عكف علماء المغرب الأوسط وطلابه على التنقل بين الحواضر العلمية لنيل الإجازة من كبار علمائها ممّا يؤهلهم لمزاولة التدريس وبلوغ مرتبة العلماء والفقهاء والشيوخ[4]. بذلك برزت في العهد الموحدي أسماء أسر طبعت الحياة الفقهية بالمنطقة خلال مدة تقارب القرنين من الزمن، تأكدت معها ظاهرة توارث العلم داخل أطرها الأسرية مثل العقبان[5]، والإمام المحدث محمد بن مرزوق[6] الذي شرح كتاب "الشفا" للقاضي عياض، وابن الإمام القلشاني، المشدالي، الشريف التلمساني[7]، ابن صاحب الصلاة[8].

حسب ما جاء في كتاب المراكشي كانت الدولة الموحدية تتدخل في توجيه التعليم بكافة أطواره وفق ما يخدم مذهبها وعقيدتها، كما كانت تلزم المتعلمين بقراءة كتاب التوحيد

---

(1)– الغبريني: المصدر السابق، ص219.

(2)– المصدر نفسه، ص222، ابن الأبار: المصدر السابق، ج2، ص60، ابن الجزري:غاية النهاية في طبقات القراء، تحقيق ج برجستراسر، دار الكتب العلمية، بيروت، 2006م، ج2، ص251.

(3)– حاكمي لحبيب: المرجع السابق، ص102.

(4)– نجاة بلعباس: المرجع السابق، ص166.

(5)– الونشريسي: المصدر السابق، ج6، ص5.

(6)– المصدر نفسه، ج2، ص274، الرصاع: فهرسة، تحقيق محمد العنابي، المكتبة العتيقة، تونس، 1967م، ص122.

(7)– الونشريسي: المصدر السابق، ج12، ص224.

(8)– المصدر نفسه، ج2، ص547، بلبشير عمر: المرجع السابق، ص295.

للمهدي بن تومرت وتشجع تدريس العلوم الدينية[1]، وهذا ما يدل على أن الدول ترعى التعليم حسب مبادئها وتوجهه تبعا لأهدافها الدينية والسياسية والاقتصادية وغيرها.

بالنسبة لأيام الدراسة خلال هذه الفترة فقد تحدث عنها الغبريني حيث أنّ الطلاب يدرُسون في سائر أيام الأسبوع وتتوقف الدراسة يوم الجمعة والسبت، وتبتدئ يوم السبت أو الأحد، وهو نظام أجمع عليه كل المدرسين سواء كانوا صوفية أم فقهاء[2]، وبعد نهاية المراحل الدراسية يتخرج المتمدرسون بإجازات علمية يمنحها الأساتذة للطلاب[3]، حيث يتحصل الطالب على شهادة من شيخه تسمى الإجازة.

المطلب الرابع: طرق التدريس

هناك عدة طرق لتوصيل العلم للطلاب وأشهرها طريقة التلقين، وتختلف طرق التدريس باختلاف المعلم فلكلٍ منهم طريقته، ويقول ابن خلدون في هذا الصدد:" لكل إمام من الأئمة المشاهير اصطلاح في التعليم يختص به شأن الصنائع كلها"[4]، وكان أهل إفريقيا عند تعليمهم الصبيان يخلطون القرآن بالحديث ودراسة القوانين وتلقين مسائلها، إلاّ أنّهم يعتنون بالقرآن واستظهار الوِلْدان له، وكانت طريقتهم في تعليم القرآن أقرب إلى طريقة أهل الأندلس[5].

هناك نماذج من الطرق زمن الموحدين ومن هذه الأمثلة ما تميز به مجلس أبي الحسن الحرالي التجيبي (ت638هـ/1240م) بالمذاكرة والمحاورة[6]، وتكون هذه الحلقات العلمية في شكل حوار ومناظرة ويترك المجال للطالب لإثارة الأسئلة[7]، وطريقته تعتمد على الطالب الذي يصبح محور العملية التعليمية التّعلمية، بينما يبقى الأستاذ غالبا موجها ومرشدا.

---

(1)– عبد الواحد المراكشي: المصدر السابق، ص172.
(2)– الغبريني: المصدر السابق، ص117.
(3)– الطاهر بونابي: المرجع السابق، ص233.
(4)– ابن خلدون: العبر، المصدر السابق، ج1، ص151.
(5)– ابن خلدون: المقدمة، المصدر السابق، ص243.
(6)– الغبريني: المصدر السابق، ص151.
(7)– الترغي عبد الله مرابط: فهارس علماء المغرب، منشورات كلية الآداب، ط1، تيطوان، المغرب، 1999م، ص490.

أما أبو القاسم بن عجلان القيسي (ت675هـ/1276م) الذي عاصر العهد الموحدي فكان يجلس للقراء ويُحْضِر بين يديه الكتب المقروءة عليه، فإذا فتح الطالب الكتاب ويقرأه وتقع المعارضة ثم الشرح، وهناك طريقة المذاكرة والمباحثة وإلقاء الأسئلة[1]، كما هو الحال في بجاية أبرز مدن المغرب الأوسط حيث ورد عند الغبريني أنّ طرق التعليم فيها تختلف باختلاف الشيوخ، فمنهم من يعتمد الطريقة التقليدية ومنهم من يعتمد طريقة الحوار والمناقشة والتّعمق في البحث والتعليل مثل أبي عبد الله محمد بن الحسن بن علي القلعي (ت673هـ)[2].

الفرع الأول: الطريقة التلقينية

سميت في هذا العصر السماع[3] أو الإملاء تُعتمد خاصة في الكتاتيب، وهي طريقة تقليدية، حيث يجلس معلم الصبيان وسط حلقتهم في وضعية تمكنه من الإشراف عليهم،[4] ويملي لهم شيئاً من القرآن ويقوم الطلبة بتدوينه دون نقاش أو تحليل، ما يجعل الطالب وعاء يملأه الأستاذ بالمعلومات دون نقاش أو طرح الأسئلة[5].

بهذه الطريقة يتلقى الصبيان في الكتاتيب مبادئ اللغة العربية وحفظ القرآن والأحاديث النبوية بطريقة مميزة وهي طريقة التكرار، وكان المؤدي يستخدمها في عملية التدريس، ويكتب التلميذ ما يمليه عليه الشيخ في لوح من خشب ودواة، فيمحو ما حفظه ويعيد كتابته من جديد حتى يتمكن من الحفظ[6]. فهذه الطريقة تعتمد على السماع والنقل والحفظ، بذلك يقوم المعلم بإلقاء الدرس وشرحه لكي ينقله التلاميذ ويقومون بحفظه دون مناقشة، وتعد من أشهر طرق التعليم.

---

(1)– الغبريني: المصدر السابق، ص116، بونابي: المرجع السابق، ص232، فوزية كرراز: المرجع السابق، ص277.

(2)– الغبريني: المصدر السابق، ص38.

(3)– السماع: هي المشافهة بها وينقسم إلى إملاء وتحديث، سواء كان من حفظ الطالب أو القراءة من كتابه، وهو أرفع أنواع الرواية عند المحدثين ولا خلاف أنه يجوز أن يقول السامع منه حدثنا وأخبرنا وأنبأنا، وقال فلان. ينظر: القاضي عياض: الإلماع إلى معرفة أصول الرواية وتقييد الراوي، تحقيق السيد أحمد صقر، دار التراث، القاهرة، د ت، ص69.

(4)– إسماعيل سامعي: المرجع السابق، ص301.

(5)– عبد الحميد حاجيات: المرجع السابق، ص160.

(6)– كمال السيد أبو مصطفى: جوانب من الحياة الاجتماعية والاقتصادية والدينية والعلمية في المغرب، مركز الإسكندرية، مصر، 1996م، ص109.

يعتبر السماع أول طرق الأداء تاريخياً وهي طريقة الرعيل الأول من الرواة، وتمثل امتداداً لتحمل الحديث وأدائه، ويعد علماء الحديث أول من اتخذ من السماع طريقاً لنقل الحديث الشريف، كما يعد السماع الطريقة الفطرية في نقل الأخبار والعلوم بين الناس[1]، وتتجلى في سماع الطالب من شيخه سواء حدثه أو أملى عليه فيقول الطالب سمعت على الشيخ أو سمعت من الشيخ، حدثني أو حدثنا الشيخ أخبرني أو أخبرنا الشيخ[2].

وقد ذكر الغبريني مجموعة من الشيوخ والطلبة الذين سمعوا وسمع منهم مثل الشيخ أبي زكريا الزواوي (ت611هـ) الذي سمع القاضي أبا سعيد مخلوف بن جابرة (ت583هـ)[3].

الفرع الثاني: طريقة الإلقاء والشرح

تعد طريقة الإلقاء من أشهر طرق التعليم، فيها يعمد الشيخ إلى القراءة أو ينوب عنه أحد الطلبة، وبقية الطلبة الحاضرون يكتبون، وهو خلال ذلك يشرح ويصحح[4]، وتسمى هذه الطريقة عرضاً لأنّ القارئ يعرض على الشيخ ما يقرؤه[5]، حيث يقوم أحد الطلبة بقراءة نص من كتاب مشهور في المادة المدروسة، ثم يقوم الأستاذ بشرحها والطلبة يدونون ذلك[6]،وقد اعتمد الموحدون على هذه الطريقة في التعليم اقتداءً بمعلمهم الأول ابن تومرت في محاولة شرح أسس عقيدة التوحيد من خلال كتبه منها "أعز ما يطلب"، و"المرشدة" و"الإمامة"[7].

ذكر الغبريني بعض أتباع هذه الطريقة منهم؛ محمد بن الحسن بن ميمون القلعي (ت660هـ) الذي كان فقيها لغويا نحويا ببجاية، تصدر الإقراء والتدريس، كانت تقرأ عليه جميع الكتب النحوية واللغوية[8]، وفي الغالب القراءة تكون فردية، إذ يختار الطالب الكتاب الذي يود عرضه ويقرؤه منفرداً، مثل أبي عبد الله محمد الصنهاجي البجائي (ت628هـ)

---

[1]– عبد الرؤوف زواري أحمد: المرجع السابق، 94.

[2]– عثمان بن عبد الرحمان بن صلاح: مقدمة ابن صلاح، معرفة أنواع علوم الحديث، تحقيق نور الدين عتر، المكتبة العلمية، المدينة المنورة، السعودية، 1972م، ص132.

[3]– الغبريني: المصدر السابق، ص61.

[4]– القاضي عياض: الإلماع، المصدر السابق، ص70.

[5]– عبد الرؤوف زواري أحمد: المرجع السابق، ص95.

[6]– عبد الرحمن الجيلالي: المرجع السابق، ص134.

[7]– نجاة بلعباس: المرجع السابق، ص130.

[8]– ابن صلاح: المصدر السابق، ص33.

الذي كان يقصد أبا مدين شعيب (ت590هـ) لقراءة كتاب"المقصد الأسنى في شرح أسماء الله الحسنى"[1]، لذلك هذه الطريقة تصلح أكثر في تدريس العلوم الأدبية.

الفرع الثالث: طريقة المحاورة والمناظرة

المناظرة عرفها طاش كبرى زادة أنّها النظر بالبصيرة في السَنية بين الشيئين وإظهار الصواب[2]. هذه الطريقة تتجلى في إشراف الأستاذ على أبحاث الطلبة ويقدم للطالب فرصة للوصول إلى المعرفة من أجل التحليل والمحاورة[3]. فهي طريقة حوارية يلقي من خلالها الشيخ الدرس على الطلبة ويشرحه، ثم يفتح باب المحاورة والمناقشة، فيبدي الطالب رأيه وتتولد لديه أفكاراً والبرهنة عليها عن طريق الحجج والبراهين، لذلك تعد من الطرق الأنجع لتوليد الأفكار والوصول إلى الحقيقة بالبرهنة، ويرى ابن خلدون أنّها أيسر طرق حصول الملكة، وتفتق اللسان بالمحاورة والمناظرة[4].

فالمحاورة أسلوب تعليمي اتخذه المعلمون في المغرب الأوسط وتمّ إدماجها في كل طرق التعليم لدفع الطلبة للبحث والتعمق في المسائل المختلفة، وقد تتحول المحاورات لمناظرات وأشهرها مناظرة المهدي للمرابطين[5]. وكانت هذه الطريقة فاشية في المغرب الأوسط خلال عهد الدولة الموحدية ولقيت ازدهاراً. وقد اعتمدها الكثير من علماء المغرب في دروسهم لأنّها تلعب دورا في تنمية مهاراتهم وتعكس بلوغهم قمة عالية من النشاط والتقدم والارتقاء في مستواهم، كانت تدور حول الطلبة وشيوخهم بالاستعانة على أدلة وبراهين وحجج قوية لإثبات الآراء التي يناقشونها وكانت محل جدل بينهم، وهذه الطريقة شجع عليها العلماء لأنّها تغرس في نفس الطالب القوة والثقة بالنفس مع مراعاة التأدب والاحترام[6].

---

(1)- الغبريني: المصدر السابق، ص57.

(2)- أحمد طاش كبرى زادة: المصدر السابق، ص555.

(3)- عبد العزيز فيلالي: المرجع السابق، ج2، ص353.

(4)- ابن خلدون: المقدمة، المصدر السابق، ص743.

(5)- نجاة بلعباس، المرجع السابق، ص130.

(6)- جميلة راجاح: إسهامات علماء المغرب الوسيط في تنمية الدرس النحوي، أطروحة دكتوراه في الأدب العربي، جامعة مولود معمري، تيزي وزو، الجزائر، 2015م/2016م، ص261.

وهي أسلوب فعال في التعليم والبحث، ومن أشهر علماء هذه الطريقة ببجاية المدرس الفقيه أبي العباس أحمد بن عيسى الغماري، كما يذكر الغبريني بعض الوافدين إلى المغرب في هذا المجال أبي الحسن علي بن محمد الزواوي (ت637هـ/1239م) الذي ناظر فبرع[1].

كان التعليم في الدولة الموحدية بأنواعه؛ الابتدائي والثانوي والعالي منتشرًا في أنحائها، وكان إجباريًا شاملًا الذكور والإناث، في حين لم تفكر أوروبا في التعليم الإجباري إلا منذ النصف الثاني من القرن الثامن عشر الميلادي[2]. وكان الخليفة عبد المؤمن بن علي يأمرهم بتدريس وحفظ عقيدة ابن تومرت التي تسمى"المرشدة"، ويشرف بنفسه على التعليم الإجباري بالعاصمة مراكش وضواحيها، كما يكتب إلى باقي أنحاء المملكة بذلك[3]، وجعل التعليم مجانيا وأنشأ الكتاتيب والمعاهد التي تخرج فيها العلماء وحلوا في خدمة الدولة وأجهزتها محل الشيوخ الموحدين[4].

غالباً ما كان المدرسون يعاملون الطلبة بمرونة وبعضهم يعتمد أسلوب المداعبة والطرافة أثناء التدريس، وفي نفس الوقت يتشددون عليهم حتى يلتزموا بأخلاقيات الجلسة العلمية، وهو أحسن أسلوب للتدريس، كما جاء في قول الخليفة هارون الرشيد لخلف بن الأحمر معلم ابنه محمد الأمين:" ولا تمُرّن بك ساعة إلا وأنت مغتنم فائدة تفيده إياها من غير أن تحزنه، فتميت ذهنه ولا تمعن في مسامحته فيستحلي الفراغ ويألفه، وقوّمه ما استطعت بالقرب والملاينة، فإن أباهما فعليك بالشدة والغلظة"[5]، فلا ينبغي أن يكون المعلم صارماً شديد الصرامة فينفر المتعلمون من التعليم، ولا ينبغي أن يكون ليناً لا مبال فيحيد المتعلم عن الهدف المرجو من تعلمه، فالتوسط والاعتدال والقصد مطلوب في كل شيء،كما شاع عن سيدنا علي رضي الله عنه قال:"لا تكن لينا فتعصر ولا تكن قاسيا فتكسر".

---

[1]– الغبريني: المصدر السابق، ص143.

[2]– عبد الرحمن الجيلالي: المرجع السابق، ص316، محمد المنوني: العلوم والآداب والفنون، المرجع السابق، ص16،عبد المجيد النجار: المرجع السابق، ص383.

[3]– ابن بشكوال(ت578هـ/1183م): كتاب الصلة، تحقيق أبو العلا العدوي، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، 2008م، ص126، محمد المنوني: المصدر السابق، ص27.

[4]– عبد الله علي علام: المرجع السابق، ص291، محمد المنوني: المرجع السابق، ص21.

[5]– ابن خلدون المقدمة: المصدر السابق، ص336.

الفرع الرابع: طريقة الرواية

الرواية طريقة تستغرق مدة أطول نظراً لما تستلزمه من وقت لأخذ العلوم التي يتكفل الراوي ويتحمل وزر الخطأ أو التحريف في روايتها[1]، وكانت الدولة الموحدية تغدق من خزينتها على الأدباء والشعراء والمؤرخين والطلبة من أموالها، وإكرام العلماء خاصة الوافدين إليها وكانت تخصص لهم من الجوائز السنية والهبات الجزلة ما كان يذكي من حماسهم ويقوي من نشاطهم.[2]

كان الهدف الأكبر لملوك دولة الموحدين أن يصلوا بدولتهم إلى أعلى المراتب حتى يسيطروا على الحدود الجغرافية للدولة ثم التوسع، لذلك اعتنوا بكل القطاعات خاصة العلمية، حيث كان عبد المؤمن بن علي وخلفاؤه يهتمون بالعلم والعلماء وبناء مؤسسات كثيرة ومتنوعة[3]، وقد وصفه ابن أبي زرع بقوله:" كان عبد المؤمن بن علي فصيح اللسان، نبيهاً عالماً بالجدل فقيهاً في علم الأصول، حافظاً لحديث رسول الله ﷺ، متقن الرواية مشاركاً في كثير من العلوم الدينية والدنيوية، إماماً في النحو واللغة والأدب والقراءات، ذاكراً للتاريخ وأيام الناس"[4].

كما كان ابنه أبو يعقوب يوسف المنصور حافظاً لكتاب الله، عالماً بالحديث والفقه واللغة ومشاركاً في كثير من العلوم، محباً للعلماء معظماً لهم، ساهم في بناء المساجد والمدارس وأجرى المرتبات على الفقهاء والطلبة[5].

وقد قام أبو فارس الملزوزي (ت697هـ) بمدح أبي يوسف المنصور في قصيدة منها:[6] وكان ذا علم يُحب العلمـــا ***ملازماً للفقهاء والحكـــما

أول من قد صنع المدارس *** ومكرماً من ظل فيها يدرسا

---

[1]– إبراهيم القادري بوتشيش: المرجع السابق، ص157، عبد الرؤوف زواري أحمد: المرجع السابق، ص96.

[2]– ابن صاحب الصلاة: المصدر السابق، ص49، عبد الواحد المراكشي: المصدر السابق، ص204.

[3]– حمزة حمادة: المرجع السابق، ص21.

[4]– ابن أبي زرع: المصدر السابق، ص267.

[5]– المصدر نفسه، ص284، علي محمد الصلابي، المرجع السابق، ص353.

[6]– عبد العزيز الملزوزي(ت668هـ/1298م): نظم السلوك في الأنبياء والخلفاء والملوك، تحقيق عبد الوهاب المنصور، المطبعة الملكية، ط1، الرباط، 1963م، ص58.

ومحمد الناصره بن المنصور الموحدي(595هـ-610هـ/1198م-1213م) اهتم بالعلماء وأكرم وفادتهم عليه وأجزل لهم العطاء على ما يرفع إليه من كتب ومصنفات[1].

أدرك الخلفاء الموحدون قيمة العلم ودوره في ريادة الدولة فاعتنوا بجميع أنواع العلوم والمعارف الدينية والأدبية والعقلية، كما اهتموا بتأسيس مؤسسات ومراكز لنشره وقربوها لجميع فئات المجتمع من خلال المساجد والزوايا وغيرها، ونوعوا طرق تعليمه بين الرواية والتلقين وإلقاء السؤال، وجعلوه إجباريا يشمل الذكور والإناث، ومجانيا متاحا لكل الطبقات. واستصفوا كبار العلماء وشيوخهم وقربوهم، ولا غرابة في ذلك فهم من العلماء الأفذاذ الذين لا زال عطر مؤلفاتهم وأنفاس علمهم يذكي الآفاق. ورغم التطور العلمي والفكري في عهد الموحدين إلّا أنّه لا يمكن إلغاء جهود المرابطين والحماديين ومن أسهموا في الحياة العلمية للمغرب الأوسط وتطوير الحضارة الإسلامية، لذلك تعتبر الدول الإسلامية المتتالية حلقات وصل في التراكم المعرفي ودعم هذه الحضارة.

---

[1]- ابن عبد الملك المراكشي: المصدر السابق، ج5، ص321.

المبحث الثاني: مؤسسات التعليم في المغرب الأوسط زمن الموحدين

تعددت وتنوعت المؤسسات التعلمية خلال عهد الدولة الموحدية مما أدى إلى انتشار التعليم في مختلف أرجاء المغرب الإسلامي، فنبغ علماء وشيوخ العلم في الكثير من العلوم بنوعيها العقلية والنقلية، والمتمثلة في المساجد والكتاتيب والزوايا والرباطات، إضافة إلى البيمارستانات وبيوتات العلماء.

المطلب الأول: المساجد

يعد المسجد أول مؤسسة دينية أُنشئت بعد مجيء الإسلام، ويعتبر النواة الأولى للمؤسسات الدينية، ومن أهم المعاهد التعليمية الإسلامية، حيث قام الرسول ﷺ ببناء أول مسجد في المدينة المنورة "مسجد قباء" عندما هاجر إليها من مكة المكرمة[1]، وقد نزل في شأن هذا المسجد قول الله سبحانه وتعالى:﴿ لَّمَسْجِدٌ أُسِّسَ عَلَى ٱلتَّقْوَىٰ مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ أَحَقُّ أَن تَقُومَ فِيهِ﴾[2]، وكان للمسجد دور في كل مجالات الحياة، حيث قام المسلمون ببناء المساجد في كل منطقة يفتحونها لتثبيت تعاليم الدين وإقامة الصلوات.

المسجد[3]، هو اسم لمكان الصلاة، والسجود فعل من أفعال الصلاة، لذلك أطلق اسم مسجد على المكان الذي تؤدى فيه الصلوات، وهي الوظيفة التي ميزته عن باقي المؤسسات التعليمية، إضافة إلى كون المسجد أحيانا يطلق على مكان الصلاة الجامع.[4] وقد استعملت كلمة مسجد عند العرب في الجاهلية وفي الإسلام خاصة في النصوص النبطية والصفوية وتعني معبد[5].

المسجد عند المسلمين يشمل مجموعة عناصر منها القاعة التي تقام فيها الصلاة، والصحن وهو مساحة خارجية تتبع المسجد، والمحراب الذي يحدد اتجاه الصلاة، والمئذنة

---

[1]- محمد حسين محاسنة: المرجع السابق، ص135.

[2]- سورة التوبة، الآية(108).

[3]- المسجد لغة: من الفعل سجد، يقال سجد الرجل أي وضع جبهته على الأرض، والمسجد بكسر الجيم جمع مساجد، المصلى الجماعة. الزبيدي: المصدر السابق، ص30، عاصم محمد رزق: معجم المصطلحات العمارة والفنون الإسلامية، مطبعة مدبولي، ط1، مصر، 2000م، ص282.

[4]- ابن منظور :لسان العرب المحيط، الدار المصرية، القاهرة، د ت، ص383، ج3، ص204، الزركشي: إعلام الساجد بأحكام المساجد، تحقيق أبو الوفا مصطفى المراغي، مطابع الأهرام التجارية، ط5، مصر، 1999م، ص26.

[5]- طه الوالي: المساجد في الإسلام، دار العلم للملايين، لبنان، 1988م، ص136.

التي يعتليها المؤذن لرفع الآذان، والمنبر الذي يقف عليه الخطيب، والمقصورة التي استحدثت لأغراض متعددة منها حماية الخليفة أو الإمام من الاعتداء[1].

الفرع الأول: نشأة المساجد ودورها

إنّ المسجد من أقدم الأبنية التي اهتم بها المسلمون نظراً لمكانته الخاصة في حياتهم؛ الدينية والاجتماعية والسياسية، فالحياة الدينية في الإسلام كان محورها الأساسي هو المسجد، وكانت الحواضر الإسلامية تتوفر على العديد من المساجد عبر أحيائها[2].

يحتل المسجد مكانة عظمى في نفوس المسلمين فهو أحد عناصر بناء المجتمع الإسلامي ومن ضروريات الحياة الإسلامية، فهو فكرة وروح؛ فالفكرة وضعها الرسول ﷺ ببناء أول مسجد في الإسلام وهو مسجد قباء، أما الروح تتمثل في الإسلام، وهذا ما يعبر عن الأصالة الإسلامية[3].

ويعد المسجد المكان الذي يقوي العلاقة بين العبد وربه، وله وظيفة أساسية تتمثل في أداء الصلوات الخمس، كما أنّه مركز ديني اجتماعي، ومقر للفصل في القضايا وحلف اليمين[4]، وفضاء لحل الكثير من المشاكل وتسوية النزاعات.

وعلى رأس وظائف المسجد تأتي الحياة العلمية والاجتماعية، فهو قلب القرية في الريف وروح الحي في المدينة، حيث تتوزع حوله المساكن والأسواق والكتاتيب، فهو الرابطة بين أهل القرية والمدينة والحي لأنّهم يشتركون في بنائه[5]، وهو مؤسستهم العلمية التي تعمل على تنوير العقول وغرس الأخلاق الفاضلة في نفوس الأجيال الناشئة، وترقية الفكر والثقافة وترسيخ الدين الإسلامي ومبادئه العليا[6].

إضافة إلى ذلك يوجد الجامع وهو أكبر من المسجد، تؤدى فيه الصلاة الجامعة أو الجمعة، وله عدة تسميات منها: المسجد الجامع، الجامع الكبير أو الرئيسي أو الأعظم،

---

[1]– محمد حسين محاسنة: المرجع السابق، ص258.

[2]– محمد الشريف سيدي موسى: المرجع السابق، ص107.

[3]– أحمد فكري: المسجد الجامع بالقيروان، مطبعة المعارف، مصر، 1936م، ص50، حسين مؤنس: المساجد، سلسلة عالم المعرفة، الكويت، 1981م، العدد37، ص55.

[4]– كمال السيد أبو مصطفى: المرجع السابق، ص109.

[5]– أبو القاسم سعد الله: المرجع السابق، ج3، ص244.

[6]– يحي بوعزيز: المساجد العتيقة في الغرب الجزائري، دار البصائر، الجزائر، 2009م، ص5.

وهي كلها أماكن للعبادة ومنابر لنشر العلم[1]، وقد يطلق اسم الجامع على مؤسسة تعليمية مثل جامع القرويين، جامع سيدي عقبة[2].

لم يكن الهدف الوحيد من هذا المسجد هو الصلاة، بل كان مركزًا إسلاميًا عاماً، يجتمع فيه المسلمون من جميع القبائل، ليتعلموا فيه أمور دينهم[3]، فالمسجد هو مكان العبادة والشورى، وتوجيه الأمة في كل شؤونها، وعقد ألوية الجيوش، واستقبال الوفود، وإعلان الحرب[4]، لذلك شمل المسجد كافة أدوار الحياة من مكان لأداء الصلاة وجمع الزكاة والصدقات وبه يمسك ويفطر الصائم، وبه تقدم جميع النصائح والإرشادات للحج فهو بيت الله وملجأ للمسلمين جميعاً، فكان مقصد الزاهد أو المسافر أو طالب العلم لأنّه مكان الأمن والهدوء والراحة والمأوى، كما كان مقر الشورى والحكم[5].

كانت المساجد عبارة عن مراكز للحكم والإدارة والدعوة والتشاور، ومحلا للقضاء والإفتاء والعلم والإعلان وغير ذلك من أمور الدين والدولة، وكان دورها عظيم في نشر السنة وإشاعتها وتركيز الدراسات الحديثة وتأصيلها وتكوين الأجيال المتلاحقة من علماء الحديث وشيوخه[6]، لذلك أصبحت المساجد مجتمعاً عاماً للناس تقام فيه حلقات العلم منذ عهد الرسول ﷺ واستمرت لقرون إلى يومنا هذا، فانتشرت وتعددت خاصة في القرن السابع للهجرة، كما كان بنائها وأشكالها جميلة، ولكل مسجد أئمة وخطباء[7]. ويقوم بوظائف متعددة تتجاوز العبادات وأداء الصلوات؛ كالتعليم والقضاء والفتوى والتشاور في القضايا السياسية والتكافل الاجتماعي وغيرها، فهو يجمع بين وظائف عدة مؤسسات. وباختصار هو مؤسسة سياسية وعلمية واجتماعية.

كانت المساجد الناشئة حين تنتهي مهامها في حفظ القرآن الكريم وبعض متون الحديث، والتعرف على مبادئ اللغة العربية ومختلف العلوم في الكتاتيب تتجه نحو حلقات

---

(1)– بلبشير عمر: المرجع السابق، ص258، طه الولي، المرجع السابق، ص391.

(2)– عطا الله دهينة: الجزائر في التاريخ، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1984م، ج3، ص490.

(3)– علي محمد الصلابي: الدولة الفاطمية، مؤسسة إقرأ، ط1، مصر، 2006م، ص 635.

(4)– سيد قطب: في ظلال القرآن، دار الشروق، ط32، القاهرة، مصر، 2003م، ج2، ص 239.

(5)– فويال سعاد: المساجد الأثرية لمدينة الجزائر، دار المعرفة، الجزائر، 2006م، ص50.

(6)– علي عشي: المغرب الأوسط خلال عهد الموحدين، المرجع السابق، ص100.

(7)– حسن الوزان: المصدر السابق، ج2، ص50.

المساجد وما يلقي فيها الشيوخ من الدروس في موضوعات كثيرة، في مقدمتها تفسير القرآن الكريم ورواية الحديث النبوي الشريف والفقه[1].

وهكذا أمست المساجد تعج بالفقهاء والعلماء، حيث كان الطلاب الذين ينسلون من كل حدب وصوب يتحلقون حول الشيوخ في المساجد لتلقي مختلف العلوم[2]. أُتبع فيها نظام الحلقات، وهي مجالس تولد تباحث القضايا العلمية، وتلقي مختلف العلوم وتدارس المعارف؛ من فقه ولغة وتفسير وحديث، حيث يقوم بها العلماء والفقهاء بحضور طلاب العلم الذين كانوا يلازمونها، ويخصصون جل أوقاتهم لطلب العلم[3]. ثم صارت بعد ذلك مثل الجامعات؛ عندما ينتهي الطالب من هذه الدراسات المتنوعة، يحصل على إجازة تؤهله للعمل بالتعليم[4].

فالمسجد الجامع عبارة عن مؤسسة كبرى يتم التدريس فيه بمبادرة من الشيوخ المتبحرين في العلم، وقد تدفع الأجرة للشيخ، أمّا الطلبة فلا جراية لهم ولا سكن، ولقد امتازت الجوامع والمساجد عن المدارس بكونها تدرس إلى جانب ما تدرسه المدارس علوما أخرى كالعلوم الشرعية واللسانية وبعض فروع الفلسفة[5].

أما طريقة التدريس فيه فوضّحها الونشريسي بأنّها تعقد فيه مجالس على شكل حلقات يتوسطها فقيه يجلس على كرسي ويفتتح جلسته ببسملة والصلاة على رسول الله ﷺ، وإلى جانب المهمة التعبدية والعلمية والقضائية، كان المسجد الجامع محل بعض التظاهرات السياسية العامة ففي عهد الدولة الموحدية كان صاحب الصلاة يقرأ رسائل الحكام من أعلى المنبر [6].

---

[1]- شوقي ضيف: عصر الدولة والإمارات، دار المعارف، مصر، 2011م، ص78، محمد محاسنة: المرجع السابق، ص135.

[2]- قاسمي بختاوي: واقع التعليم في المغرب الأوسط من خلال نوازل الونشريسي، المجلة الجزائرية للبحوث والدراسات التاريخية المتوسطية، جامعة حسيبة بن بوعلي الشلف، الجزائر، 2015م، العدد2، ص102.

[3]- نبيلة شلغوم: الدور الحضاري لمدينة تيهرت في العصر الإسلامي الوسيط، رسالة ماجستير، جامعة الجزائر، 2014م/2015م، ص88.

[4]- شوقي أبو خليل: الحضارة العربية الإسلامية، دار الفكر المعاصر، لبنان، 2002م، ص453.

[5]- ابن خلدون: المقدمة، مصدر سابق، ص276.

[6]- الونشريسي: المصدر السابق، ص306.

المسجد ليس مكاناً للعبادة فقط بل يعد إحدى المؤسسات التعليمية ببلاد المغرب الإسلامي، ويقوم مقام المدارس والمعاهد العليا التي تدرس فيها مختلف علوم القرآن والحديث والنحو والآداب والعلوم العقلية[1]، فشكلت علوم الشريعة الإسلامية أساس مواد الدراسة في حلقات المساجد خاصة علوم القرآن الكريم مثل التفسير والقراءات وعلم الحديث والفقه والكلام وعلوم اللغة والأدب وبعض العلوم العقلية كالطب والرياضيات والمنطق والفلسفة،وبعض الحلقات تختص بموضوع واحد، وعلى صاحب الحلقة أن يكون ذا سعة علمية وقدرة على إيصال العلم، أمّا أساليب التدريس فكانت متنوعة بين الإملاء والشرح والمناقشة[2].

تحول المسجد بمرور الزمن إلى جامعة تخرجت فيه أجيال من العلماء والفقهاء والمحدثين والأدباء والشعراء[3]، فقام المسجد مقام المدارس والجامعات[4]، وكان التعليم يسمى في بداية الفتوحات الإسلامية تعليم "الحلال والحرام" لسكان الأقاليم المفتوحة، وبعد أن أسلموا أخذ شكل الوعظ والإرشاد أو التذكير قصد دفع المذنبين إلى التوبة، وهو نوع من التربية الأخلاقية والدينية[5]، كما اشتملت بعض المساجد على مكتبات فخمة أغلبها من الوقف مثل مكتبة ياقوت الحموي (ت626هـ/1228م) بمسجد الزيدي في بغداد[6].

يأتي دور المسجد التعليمي بعد الكتاتيب، ومادته الأولى كانت تحفيظ القرآن والحديث ثم تدريس النحو والفقه واللغة والأدب إلى أن أصبح كالمعاهد العليا تدرس فيه كل العلوم[7].

هذا بالنسبة للمساجد والجوامع الكبرى التي تتولى تسيير شؤونها الدولة، وإلى جانب ذلك توجد في المغرب الأوسط مساجد غير تابعة للدولة في أغلبها بناها الأثرياء، حيث يقوم بتسييرها أهالي الأحياء التي تقع فيها ويتولون الإنفاق عليها وترتيب الأئمة للصلاة فيها،

---

(1)– محمد محمدي: المساجد والزوايا ببجاية ودورها في حفظ الدين والفكر الصوفي، مجلة حوليات التراث، جامعة سعيدة، الجزائر، 2013م، العدد13، ص89.

(2)– محمد حسين محاسنة: المرجع السابق، ص136.

(3)– يحي بوعزيز: المرجع السابق، ص4.

(4)– أحمد أمين: ضحى الإسلام، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر، 1998م، ج2، ص52.

(5)– الحسين أسكان: تاريخ التعليم في المغرب خلال العصر الوسيط، مطبعة المعارف، المغرب، 2004م، ص14.

(6)– محمد حسين محاسنة: المرجع السابق، ص137.

(7)– زينب رزيوي: مؤسسات التوجيه الثقافي في مجتمع المغرب الأوسط، رسالة ماجستير، جامعة سيدي بلعباس، الجزائر، 2010م/2011م، ص37.

ويزاولون فيها تعليمهم في مرحلته الأولى[1]، وتنتشر في جميع الأحياء، وليس لشيخ الحلقة راتب معين، وإنّما كانت تقدم لهم بعض الهبات أو الجوائز من المحسنين أو من الوقف[2].

الفرع الثاني: المساجد في المغرب الأوسط زمن الموحدين

لقد ساهمت مساجد المغرب الأوسط في تطوير الحركة العلمية بتخريج علماء ذاع صيتهم،[3] وقد عرف انتشارًا واسعًا لهذه المؤسسة الدينية والعلمية في عهد الموحدين الذين أولوها اهتماماً كبيراً فنالت بجاية بذلك لؤلؤة المغرب، وعظم أمرها بين أوساط المجتمعات المغربية وأضحت بذلك عاصمة ثقافية بالمغرب الإسلامي وحتى بالأندلس، وقد ظلت هذه المساجد معاهد للثقافة؛ تؤدي وظيفتها الدينية والتعليمية[4].

في بداية نشر الدعوة الموحدية أمر المهدي بن تومرت ببناء مسجد مهدوم بمنطقة الأخماس بضواحي متيجة فكان له ذلك، وأثناء تقدمه قضى بعمارة مسجد كان معطلا بمنطقة حساس آن مرمور القريبة من مليانة فعُمِّر، وأوجب بناء مسجد بمنطقة تينملت ببني يزناسن بقرب شلف، وكان له رباط بتلمسان تداول عليه طلبة ابن تومرت وأصدقاؤه[5].

إن تاريخ المسجد في الفترة الموحدية يكتنفه الغموض؛ ففي البداية أمر الموحدون بهدم مساجد المرابطين بدعوى انحرافها عن القبلة[6]، وبعدها اهتموا بإقامة المساجد في مختلف أرجاء الدولة منها المغرب الأوسط، حيث بنى ابن تومرت عدة مساجد[7]. فعندما حلّ ببجاية قصد مسجد الريحانة سنة (511هـ) وشرع في إلقاء دروس في الفقه والتوحيد، ثُمّ

---

[1]- محمد الشريف سيدي موسى: المرجع السابق، ص76، محمد محمدي: المرجع السابق، ص90.

[2]- محمد حسين محاسنة: المرجع السابق، ص136.

[3]- قاسمي بختاوي: التعليم في المغرب الأوسط بين القرنين4و7هـ/10و13م، أطروحة دكتوراه، جامعة جيلالي اليابس سيدي بلعباس، الجزائر، 2016/2015م، ص114.

[4]- عثمان كعاك: موجز التاريخ العام للجزائر، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، 2003م، ص207.

[5]- البيذق: المصدر السابق، ص(37-38).

[6]- المصدر نفسه، ص105، حسن علي حسن: المرجع السابق: ص397.

[7]- كان ابن تومرت يلقب في صغرة أسافو أو أسفو وتعني بلغة العرب المغاربة الضياء لكثرة إيقاده القناديل بالمساجد التي كان يلازمها للصلاة والقراءة. ينظر: معمر محمد الهادي: جهاد الموحدين في بلاد الأندلس، دار هومة، الجزائر، 2012م، ص32.

توجّه إلى تنملل[1]، فبنى بها دارا له ومسجدا لتعليم مبادئ الدعوة الموحدية[2]، ويُعرف عند عامة النّاس باسم "جامع سيدي يحي"، وقد بناه بعد أن هدّم المسجد القديم وأنشأ مكانه مسجدا جامعا جديدا، ويشغل هذا الجامع تقريبا الأبعاد نفسها التي كان يشغلها الجامع الأصلي، ويحمل اسم "جامع تومرت"[3]. فالتغيير الذي أحدثه المهدي بن تومرت على المساجد يبدو أنّها تعكس أفكاره المضادة للمرابطين لاسيما أننّا نعلم أنّ أي دولة تنشأ على مبادئ مغايرة لمبادئ الدولة التي تقوم على أنقاضها فإنّها تحاول جاهدة طمس هويتها.

وسار على نهجه خليفته عبد المؤمن بن علي الذي أصدر أوامر ببناء المساجد في جميع أرجاء البلاد، ونخص بالذكر المغرب الأوسط منها حيث بنى جامعا بمنطقة تاجرة مسقط رأسه بعد سنة (553هـ/1158م)[4]، كما ألزم بإصلاح المساجد القديمة فيه، منها الجامع الكبير بتلمسان (صورة1) ومسجد درب الموحدين ومسجد حومة اللؤلؤة المعروف بمسجد المرجاني[5]، وأجروا تعديلات في عدة مساجد منها: مسجد العباد بتلمسان الذي يحتوي على مدرسة (صورة10).

كان عبد المؤمن بن علي طالباً فيها وكان شيخه أبا محمد التونسي[6]، والمسجد الكبير الذي يعد من أهم مساجد المرابطين في المغرب الأوسط أنشأه الأمير علي بن يوسف بن تاشفين سنة (530هـ/1135م)[7].

إضافة إلى ما سبق ذكره نجد المسجد الجامع بقصبة بجاية الذي شارك في نهضتها، كان موجوداً في القرن6هـ/12م (صورة5)، وقد ذكر في مورد زحف بن غانية الميورقي على

---

[1]– تنملل: مؤلفة بالبربرية من كلمتين تين بمعنى ذات، ايمل بمعنى الحواجز التي توضع في سفوح الجبال للزراعة. ينظر: ابن صاحب الصلاة: المصدر السابق، ص149.

[2]– البيذق: المصدر السابق، ص13، السلاوي: الإستقصا، المرجع السابق، ج2، ص78.

[3]– الغبريني: المصدر السابق، ص135.

[4]– عبد الواحد المراكشي: المصدر السابق، ص171، ابن عذارى المراكشي: المصدر السابق، ص314.

[5]– ابن أبي زرع: المصدر السابق، ج2، ص154، حسن علي حسن: المرجع السابق، ص399، بن قربة: المرجع السابق، ص92.

[6]– البيذق: المصدر السابق، ص31.

[7]– زبيب نجيب: الموسوعة العامة لتاريخ المغرب والأندلس، تحقيق أحمد بن سودة، دار الأمير، بيروت، 1995م، ج3، ص237.

بجاية[1]، وبُني في عهد الدولة الموحدية لأنّ عمارة القصبات لم تكن موجودة في المغرب الإسلامي قبل مجيء الموحدين فهو جهاز معماري جديد، يعبر عن شعار التوحيد الذي نادى به الموحدون ومن عناصره المسجد، ويتكون من أربع واجهات، تتألف الواجهة الجنوبية الشرقية من مدخل معقود يتوسطها، وقد عرف بعض التعديلات عبر السنين، ودرّس به علماء كبار منهم ابن خلدون[2].

كذلك شُيدت مساجد عديدة في مدن المغرب الأوسط خلال هذه الفترة خاصة بجاية وتلمسان وجزائر بني مزغنة، ومن هذه المساجد:

-مسجد الفقيه أبي زكريا يحي الزواوي (ت611هـ/1214م) في حومة اللؤلؤة ببجاية، والذي ذاع صيته ونسب إليه لأنّه جلس به ليعلم النّاس أمور دينهم، وذكر الغبريني بعض العلماء الذين لهم دور في الوعظ والإرشاد والخطبة فيه، أمثال الأندلسي أبي الحسن علي بن أحمد الحرالي (ت637هـ/1239م) سنة(611هـ/1214م)[3]، حيث كان مقرا للتعلم وإلقاء الدروس والموعظة والإرشاد ومنها المجالس العلمية للشيخ أبو مدين شعيب (ت594هـ/1197م)[4].

-مسجد أبي زكرياء المرجاني الموصلي بحومة اللؤلؤة في بجاية، كان يجمع الناس فيه لتعليمهم أمور الدين، فنسب إليه تكريماً له بعد رجوعه إلى بلاده الموصل في بلاد المشرق[5]، وأشار الغبريني إلى وجود ثلاثة مساجد هامة في حومة اللؤلؤة وهي (مسجد الزواوي، النطاعين، ومسجد المرجاني)، إضافة إلى عدة مساجد مثل عين الجزيري أو كما يسمى أحيانا عين البربر[6].

---

[1]- الهادي إدريس: الدولة الصنهاجية، ترجمة حمادي ساحلي، دار الغرب الإسلامي، لبنان، 1992م، ج2، ص109.

[2]- عبد الكريم عزوق: المرجع السابق، ص26.

[3]- الغبريني: المصدر السابق، ص151.

[4]- المصدر نفسه، ص136، ينظر كذلك: ابن قنفذ القسنطيني(ت810هـ): الوفيات، تحقيق عادل نويهض، دار الآفاق الجديدة، ط4، لبنان، 1983م، ص297.

[5]- الغبريني: المصدر السابق، ص165.

[6]- المصدر نفسه، ص91.

-مسجد سيدي عبد الحق الأزدي الاشبيلي في بجاية(ت582هـ) وهو أحد علماء بجاية الذين تصدروا للتدريس به في القرن13م. نظام تخطيط المسجد فريد من نوعه، فوهو عبارة عن قاعة مربعة الشكل بها محراب دون مئذنة استعملت للصلاة والتدريس[1].

ومن أشهر الجوامع في بجاية آنذاك الجامع الأعظم[2] بناه الأمير المنصور بن علناس الحمادي (1062م-1088م)، سماه بالمسجد المنصوري، وصلت شهرته إلى غاية الحقبة الموحدية والحفصية، وقام بالتدريس فيه الفقيه أبو الفارس عبد العزيز عمر بن مخلوف (ت686هـ/1287م) الذي سمع منه الغبريني وقرأ عليه الموطأ[3]، والذي وصفه العبدري بأحسن الأوصاف، كما درّس فيه أبو زكريا يحي الزواوي (ت611هـ/1214م) وأبو الحسن محمد التميمي القلعي الذي تتلمذ على يديه ابن حمّاد الصنهاجي وأبو عبد الله محمد بن علي بن حماد الصنهاجي (ت628هـ/1230م) وأبو عبد الله محمد بن منصور القلعي (كان حياً سنة660هـ/1265م)[4]، ومن المساجد التي بنيت في المغرب الأوسط خلال الفترة الحمادية مسجد القصبة(صورة5) الذي درّس فيه ابن الخراط خلال عهد الدولة الموحدية[5].

-جامع ملالة (صورة2) الذي إلتقى فيه ابن تومرت بعبد المؤمن بن علي، والذي لم يبق منه سوى محرابه الذي يكتسي أهمية في الدراسات الأثرية الإسلامية بالجزائر، وفي تنمية المحاريب في المساجد الجزائرية والذي تبدو عليه تأثيرات الفن الموحدي التي ميزت القرن 6هـ/12م[6].

-الجامع الكبير بقسنطينة أنشئ سنة(530هـ/1136م) والذي كان له دور في عهد الموحدين ولا يزال قائمًا إلى اليوم، ويعد من أكبر جوامع المغرب الإسلامي، شُيد في العصر الحمادي من طرف محمد بوعلي البغدادي[7].

---

[1]-الغبريني: المصدر السابق، ص75، عبد الكريم عزوق: المعالم الأثرية الإسلامية ببجاية ونواحيها، أطروحة دكتوراه، جامعة الجزائر، الجزائر، 2007م/2008م، ص23.

[2]- الغبريني: المصدر السابق، ص25، العبدري: المصدر السابق، ص49.

[3]- الغبريني: المصدر السابق، ص91.

[4]- عبد القادر بوعقادة: المرجع السابق، ص306.

[5]- الغبريني: مصدر السابق، ص140.

[6]- عبد الكريم عزوق: المرجع السابق، ص24.

[7]- حسن الوزان: المصدر السابق، ج2، ص56.

قام الموحدون بتأسيس مساجد كثيرة في مختلف مناطق المغرب الإسلامي والأندلس وتفننوا في عمرانها عن طريق الاستعانة بأشهر المهندسين خاصة من الأندلس، وأغلب المساجد الموحدية تتركز في بجاية لأنّه المكان الأول الذي بُثت منه أفكار الموحدين، كما كان منزلا لابن تومرت الذي مهد لزرع بذور نشأة الدولة الموحدية ورسم الخطة لمواجهة المرابطين في المغرب، ولا يقوم على التدريس في الجوامع الكبرى إلاّ من كانت له المهارة في العلم والدين، وتمنح إجازات للطلبة المتفوقين[1]، والتدريس بهذه الجوامع يكون بالحصول على الإذن من السلطان[2]، لأنّ هذه المساجد الكبرى الجامعة شبه كليات ومعاهد تُدَّرس فيها أنواع العلوم بتعمق، وتُقام فيها الحلقات والمناظرات العلمية[3].

أما طريقة التعليم في هذه المساجد فقد وضحها الغبريني على أنها تتم بجلوس الأستاذ على كرسيه حتى يراه الجميع ويجلس حوله المتعلمون في شكل حلقة، ويتم فيها حفظ القرآن كاملا وكتابته كمرحلة ابتدائية أولى، ثم تأتي المرحلة الثانية هي التعليم الثانوي (الاحترافي) يدرس المتعلم مبادئ الدين إضافة إلى إجبارية دراسة عقائد المهدي، وهذه المرحلة خصصت لها المساجد الكبرى الجامعة كالمسجد الأعظم بتلمسان، وجامع بجاية الذي جلس فيه محمد بن عبد الله المعافري (ق6هـ/12م) للأستاذية[4]، وذكر المؤرخ يحيى بن خلدون الفقيه ابن دهاق المعروف بابن المرأة (ت611هـ/1215م) الذي كان يدرس كتاب الطهارة"المدونة" بالجامع الخاص بتلمسان[5].

هذه النماذج من المساجد الموجودة في المغرب الأوسط تكشف لنا الصلة الوثيقة بين سكانه والعلم والدين ورغبتهم في التعلم، وذلك عن طريق حضور حلقات العلم وإجبار أبنائهم على التعلم والدراسة والتفقه في الدين، إلى أن نبغ فيه معلمون ومدرسون وفقهاء.

أما بالنسبة لإدارة هذه المؤسسة التعليمية كانت السلطة العليا والمتمثلة في الأمير والحاجب والقاضي هم المشرفون على تسييرها، حيث كانت الدولة تدفع رواتب المدرسين من

---

[1]– علي عشي: المغرب الأوسط خلال عهد الموحدين، المرجع السابق، ص103.

[2]– الحسين أسكان: المرجع السابق، ص77.

[3]– عثمان الكعاك: المرجع السابق، ص246، محمد منير موسى: المرجع السابق، ص200.

[4]– الغبريني: المصدر السابق، ص140.

[5]– يحي بن خلدون: المصدر السابق، ج1، ص128.

العلماء وغيرهم بالمساجد الجامعة من مداخيل الأحباس[1]. ومهما كان مصدر نشوء المسجد سواء الحكام أم الأثرياء فإنّ التقليد كان يقضي بأن يلحق المسجد ما يمكن أن يضمن استمرارية خدمته ومهمته، لذا يتم اللجوء إلى وضع أوقاف في خدمة المسجد، مثل وقف الأراضي والآبار والبساتين وبعض الحوانيت، وفق شروط مدونة في وثيقة منها أن يلتزم المدرس في المسجد بمبادئ معينة[2].

لقد ظلت هذه المساجد تعج بالطلبة والعلماء ينهلون من مختلف العلوم خاصة العلوم الدينية واللغوية، عن طريق حلقات العلم ومجالسه، وعن طريق الوعظ والإرشاد وإقامة المناظرات العلمية، ولها أدوار كثيرة ومتنوعة منذ تأسيسها في العالم الإسلامي، خاصة ترويج مبادئ الدين الإسلامي وعلومه، ويتم تسييره وفق أصول ومذهب الدولة التي ينتمي إليها.

المطلب الثاني: الكتاتيب

تعد الكتاتيب من المؤسسات المهمة في التعليم لدى المسلمين، فهي نوع من أنواع المعاهد التعليمية الإسلامية وأقدمها خصوصاً عند الموحدين، لذلك وجب التطرق إلى تعريفها قبل الحديث عن أهميتها خلال هذه الفترة.

الفرع الأول: تعريف الكُتاب

الكُتاب[3] هو مكان تعليم الصِبية، يتمثل في حجرات صغيرة مجاورة للمسجد مفروشة بحصير يجلس عليه الصبية متربعين حول المعلم الذي يجلس على كرسي مرتفع عليه بساط[4]، ويمكن أن تكون في بعض الأحيان حجرة أو حجرتان بجوار المسجد أو بعيداً عنه، أو غرفة في منزل، حيث تقام خصيصا للتعليم في سبيل الله، كما قد يشيده المعلم أو يكتريه

---

[1]– روبار برانشفيك: المرجع السابق، ج2، ص378.

[2]– عبد القادر بوعقادة: المرجع السابق، ص305.

[3]– الكُتاب لغة: جمعه كتاتيب ومكاتب، والمُكتِب هو المعلم، والمكتَب هو موضع التعليم والكُتاب تعني الصبيان، كما تعني موضع تعليم الكِتاب، وهو مشتق من التكتيب وتعليم الكتابة. ابن منظور: المصدر السابق، ج5، ص3817، الفيروز آبادي: المصدر السابق، ص128، حسان عزوزي: التأليف في القراءات بالمغرب والأندلس، مجلة الحضارة الإسلامية، مركز البحث في العلوم الإسلامية والحضارة، جامعة وهران، الجزائر، 1993م، العدد1، ص241.

[4]– محمد بن سحنون: المصدر السابق، ص44، محمد أسعد طلس: التربية والتعليم في الإسلام، دار العلم للملايين، بيروت، 1957م، ص77.

من مالكه للتّعليم، وأحيانًا تستأجر بيوت للتعليم ويدفع أولياء التلاميذ تكاليف الكراء[1]. ولم تكن الكتاتيب بنايات فخمة ومزخرفة، بل كانت بناء بسيطا، تفرش بحصير، وتستعمل فيها أدوات بدائية وغير مكلفة للتعلم وحفظ القرآن الكريم.

الفرع الثاني: نشأة الكتاتيب ودورها

عُرفت الكُتّاب قبل مجيء الإسلام، فلما ظهر الإسلام استخدمها المسلمون كمؤسسة تعليمية، وأول ما كان ذلك في عهد الرسول ﷺ حيث أصبح المكان الرئيس للتعليم لأنّ الإسلام يتطلب تعليم تعاليم الإسلام وبث قيمه[2]، فالكتاتيب من أقدم المؤسسات التعليمية وجوداً في العالم الإسلامي، أنشئت لتعليم الأطفال مبادئ القراءة والكتابة وتحفيظ القرآن الكريم[3]، لذلك حظيت باهتمام المسلمين منذ القدم، فعلي بن أبي طالب التحق بالكتّاب في مكة المكرمة وعمره أربع عشرة سنة، وقد أضحى للكتّاب أهمية كبيرة بمرور الوقت[4].

لقد زاد عدد الكتاتيب مع توسع العمران وصارت قاعات واسعة يُعلم فيها مجموعة من الأساتذة الأطفال الصغار القراءة والكتابة على الألواح خاصة القرآن الكريم من أجل حفظه، إضافة إلى ذلك يتعلمون فيها مبادئ علوم الدين واللغة للانتقال إلى المساجد الكبرى لتلقي مختلف العلوم[5]، وكانت تلحق بالمساجد لتربية الأطفال وتعليمهم، وظهر المؤدبون الذين يشرفون على تعليم وتأديب الأبناء[6].

والكتاب مؤسسة علمية أنشئت بغرض التعليم كمرحلة ابتدائية أولى، وعادة ما تكون مستقلة عن المسجد، تخصص لها بنايات أو غرف على شكل دكاكين أو مصطبات ومدرجات ذات هندسة خاصة، فيها معلمون لتدريس الأطفال[7].

تميزت الكتاتيب منذ ظهورها ببساطة أثاثها حيث كان يفرش بالحصير المصنوع من الحلفاء أو الدوم التي يجلس عليها الصبيان مشكلين حلقة حول المعلم، أما وسائل التعليم

---

[1]- عبد الرحمن بن أحمد التجاني: المرجع السابق، ص17، مريم بوعامر: المرجع السابق، ص69.

[2]- محمد محاسنة: المرجع السابق، ص133، الكتاني: التراتيب الإدارية، دار الكتاب، لبنان، د ت، ج2، ص293.

[3]- ابن منظور: المصدر السابق، ص13.

[4]- محمد حسين محاسنة: المرجع السابق، ص130.

[5]- المغراوي: المصدر السابق، ص18.

[6]- شوقي أبو خليل: المرجع السابق، ص452.

[7]- عبد العزيز فيلالي: المرجع السابق، ص145.

فممثلة في ألواح مسطحة وأقلام مصنوعة من القصب وقطع حجر الصلصال، ومصاحف وبعض الكتب[1]، لأنّ التعليم الذي يتم في الكتاب تعليم أولي، بحيث ينتقل التلاميذ منه إلى إتمام ومزاولة التعليم في الزوايا والمساجد الكبرى، ولم يكن هناك حد فاصل في المستويات التعليمية[2]، وكان التعليم في الكتاب يجمع بين الذكور والإناث[3]، كما كانت مهمة تعليم الصبيان في الكتّاب لمعلم يتعاقد مع أوليائهم على فترة الدراسة، وكذا دفع الأجر[4].

في بداية انتشار الإسلام كانت الكتاتيب مكانا في زاوية من زوايا المسجد أو أمام المحراب، نظراً للصلة الدينية والتعليمية الوثيقة التي تجمع بين المسجد والكتاب، ثم انفصلت عنه[5]، وعندما توسعت الفتوحات الإسلامية وسارت الجيوش الإسلامية خارج الجزيرة العربية، أمر عمر ببناء بيوت المكاتب ونصب الرجال لتعليم الصبيان وتأديبهم وحدد لهم يومي الخميس والجمعة لتكون عطلة[6]، فبرزت الكتاتيب بصورة واضحة وتعددت في كافة المدن والعواصم والقرى، وأصبح تحمس الناس الشديد للقرآن الكريم سبباً لانتشارها[7].

تزامن ظهور المسجد مع ظهور الكتاتيب بالمغرب الأوسط في النصف الثاني من القرن الأول الهجري بعد انتشار الإسلام فيه، وتشترك المؤسستان في وظيفة التعليم، إلى أن أصبح المسجد المرحلة الثانية من التعليم بعد المرحلة الأولى التي يقضيها الصبيان في الكُتاب[8]، ثم بدأ الكُتاب يأخذ وظيفته كمؤسسة تعليمية للصبيان، فظهرت في المغرب الإسلامي عشرات الآلاف من المسايد وهي كتاتيب قرآنية للتحفيظ[9].

---

[1]- ابن أبي دينار: المصدر السابق، ص157، يحي بن خلدون: المصدر السابق، ج1، ص114.

[2]- محمد نسيب: زوايا العلم والقرآن بالجزائر، دار الفكر، الجزائر، د ت، ص21، التجاني: المرجع السابق، ص17.

[3]- محمد سحنون: المصدر السابق، ص102.

[4]- محمد بوشقيف: تطور العلوم ببلاد المغرب الأوسط خلال القرنين الثامن والتاسع الهجريين، أطروحة دكتوراه، جامعة أبي بكر بلقايد، تلمسان، الجزائر، 2010م/1011م، ص42.

[5]- بشير التليسي: الاتجاهات الثقافية في بلاد الغرب الإسلامي، دار المدار، بيروت، 2003م، ص366.

[6]- محمد حسين محاسنة: المرجع السابق، ص133.

[7]- محمد بن سحنون، المصدر السابق، ص62.

[8]- الونشريسي: المصدر السابق، ج7، ص36.

[9]- تسمى "المسيد" بكسر السين وفتح الميم، وهي اختصار لكلمة مسجد. ينظر: عبد العزيز بن عبد الله: معلمة القرآن والحديث بالمغرب الأقصى، دار الثقافة والنشر بجامعة محمد بن سعود الإسلامية، السعودية، 1985م، ص13، الزركشي: المصدر السابق، ص27.

كما أن ظهور الكتاتيب وفصلها عن المسجد يعود إلى عدم استيعاب المسجد لكثرة المتعلمين أو بسبب عدم تحرز الأطفال من النجاسة[1]، أو بسبب التشويش على المصلين والعبث بحوائط المسجد وبنائه[2]، لأنّ للمساجد حرمة يجب الحفاظ عليها من عبث الصبيان[3]. وقد أفتى الإمام مالك بعدم جواز تعليم الأطفال في المسجد لأنّهم لا يتحفظون من النجاسة، ولم ينصب المسجد للتعليم، كما لم يجعل الله تعالى المساجد لتكتسب فيها الأرزاق، ولا يجوز للمعلم إقراء الصبيان لا في المسجد ولا في صحنه، سواء أكان عامراً أو خراباً، لأنّ خرابه لا يسقط حرمته، لذلك فدور الكتاب ضروري ليبقى الجامع للراشدين من طلبة العلم[4]، أما عند البدو فكانت تقام خيمة مدرسية تقوم مقام الكتاتيب[5].

وتمثل الكتاتيب المرحلة الأولى من تعليم الصبيان، ووظيفتها محددة بتعليم القرآن قراءةً وحفظًا وكذلك الشكل والهجاء والخط، إضافة إلى أحكام الوضوء والصلاة[6]، لأنّ الغرض الأساسي من الكُتاب هو تعليم الصبيان القرآن الكريم وما يتصل به من علوم اللغة والأدب، فيتعلم القراءة والكتابة[7]، ولم يكن هناك سن معينة يبدأ عندها الصغار الدخول إلى الكتاتيب، والأمر متروكا لتقدير آبائهم، وغالبا ما كان يرسل الأولاد فيما بين(5–7) سنوات، ويستمر إلى سن العاشرة وقد يستمر إلى الرابعة عشر ويقدم امتحاناً في حفظ القرآن(الختمة) والكتابة ويمنح إجازة الكتاب، ويتقاضى المعلمون أجوراً شهرية أو سنوية لقاء أعمالهم[8]، كما هو معمول به زمن الموحدين.

كان مذهب أهل المغرب في تعليم الصبيان هو الاقتصار على تعليم القرآن فقط، وأخذهم أثناء المدارسة بالرسم ومسائله واختلاف حملة القرآن فيه ولا يخلطون ذلك بشيء من

---

(1)– الونشريسي: المصدر السابق، ج7، ص83.

(2)– يوسف بن عبد الهادي: ثمار المقاصد في ذكر المساجد، المعهد الفرنسي، بيروت، 1943م، ج3، ص171.

(3)– البرزلي(ت844هـ): جامع مسائل لما نزل من القضايا بالمفتين والحكام، تحقيق أحمد الحبيب الهيلة، دار الغرب الإسلامي، ط1، بيروت،2002م،ج1، ص359 ، محمد حسين محاسنة: المرجع السابق، ص133.

(4)– ابن سحنون: المصدر السابق، ص87، بلبشير عمر: المرجع السابق، ص253، محاسنة: المرجع السابق، ص133.

(5)– بروفانسال: الإسلام في المغرب والأندلس، ترجمة السيد سالم، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية، 1990م، ص89.

(6)– الونشريسي: المصدر السابق، ج7، ص36.

(7)– محمد حسين محاسنة: المرجع السابق، ص133.

(8)– الونشريسي: المصدر السابق، ص158، محاسنة: المرجع السابق، ص134، فؤاد الأهواني: المرجع السابق، ص60.

حديث أو فقه أو شعر[1]، وعليه كانت الكتاتيب المدرسة الابتدائية الأولى ولها أدوار متنوعة خاصة ما يتعلمه الصِّبية من مبادئ التعليم المتعلقة بحفظ القرآن الكريم وتعلم النطق والقراءة والكتابة وأنواع الخط في عهد الدولة الموحدية.

الفرع الثالث: الكتاتيب في المغرب الأوسط زمن الموحدين

كان الموحدون كغيرهم من المسلمين يهتمون بالمؤسسات التعليمية خاصة الكتاتيب، وحسب ما أورده ابن القطان أن ابن تومرت أصدر أمراً بتعذيب من لم يحفظ حزبه من الحضور بالسياط، ومن أظهر عناداً ورفض الامتثال قتل[2]، وقبل ذلك عندما فرّ من بجاية إلى ملالة أخذ يدرس العلم في حلقات تحت فرع شجرة على صخرة بقارعة الطريق على شكل كُتّاب حيث التقى بعبد المؤمن[3]، الذي واصل نشر مبادئ الموحدين في الكتّاب وفرض إجبارية التعليم ومجانيته[4]، فكانت البداية الحقيقية لانتشار الكُتاب بالمغرب الإسلامي[5]، لما كانت عليه الدولة من بداوة في بداية عهدها، وبما كان يرمي إلى تحقيقه من أهداف سياسية[6].

ويذكر الغبريني أن بجاية عُرفت بكثرة الكتاتيب التي كان لها دور في تنشيط الحركة العلمية في العهد الموحدي، ويتبين ذلك من حديثه عن شيخه أبي الحسن علي بن محمد الزواوي في الكتاب واستقباله فيها[7]، وعمت الكتاتيب جميع المدن والقرى والأرياف كما اعتبرت توابع وملحقات بالمساجد وتوجد أيضا في دور الأعيان والأغنياء وفي قصور الولاة والخلفاء[8]، يتعلم فيها الصغار من الصبيان والبنات[1]، ولمعلم الكتاتيب أجر خاص يعرف

---

[1]– ابن خلدون: المقدمة، المصدر السابق، ص623.

[2]– ابن القطان: المصدر السابق، ص82.

[3]– ابن أبي زرع: المصدر السابق، ص173، ابن خلدون: العبر، ج6، ص302، ابن القطان: المصدر السابق، ص259.

[4]– محمد المنوني: المرجع السابق، ص14، ليفي بروفانسال: مجموع رسائل موحدية، مطبوعات معهد العلوم العليا المغربية، الرباط، 1941م، ج10، ص137.

[5]– مفتاح خلفات: قبيلة الزواوة، المرجع السابق، ص162.

[6]– المرجع نفسه، ص262.

[7]– الغبريني: المصدر السابق، ص134.

[8]– ابن سحنون: المصدر السابق، ص33، نجاة بلعباس: المرجع السابق، ص114.

بالحذقة والتي تختلف حسب ما بلغ الصبي من القرآن، فمثلا من بلغ "إنا فتحنا" ثمانية دراهم حسب شهادة الحاجب جمال الدين أبي عمران (ت646هـ/1248م)[2]، حيث خصص مبلغ معين ومعلوم لكل جزء يحفظ من القرآن الكريم.

كان ابتداء التعليم والالتحاق بالكُتاب محدد بسن سبع سنوات حسب ما جاء في كتاب الونشريسي حيث يقول:" ينبغي على المعلم أن يمثل السُنّة في الإقراء ومن جملة ذلك أنّ السلف الماضيين رضي الله عنهم أجمعين إنّما كانوا يقرئون أولادهم في سبع سنين، لأنّه زمن يؤمر فيه الولي أن يكلف الصبي بالصلاة والآداب الشرعية فيه"[3] ويقول ابن عربي:" للقوم في التعليم سيرة بديعة، وهو أنّ الصغير منهم إذا عقل بعثوه إلى المكتب"[4].

ويرجح أنّ سن ابتداء الدراسة في الكتّاب لم تكن محددة وإنّما كانت تشمل مرحلة بين الخامسة والسابعة تبعاً لاختلاف نضج الصبيان وتقدمهم في الفهم والتمييز[5]، لأنّ الطفل يبدأ التمييز في هذه المرحلة وهذا اقتداءً بسنة رسول الله ﷺ حينما قال:{ مُرُوا أولادَكم بالصّلاة وهم أبناءُ سبْع سنين، واضرِبوهم عليْها وهم أبناءُ عشر سنين، وفرِّقوا بينهم في المضاجع}[6]، إلاّ أنّه يمكن أن تكون هناك حالات نادرة لالتحاق بعض الأطفال بالكتّاب قبل سن السابعة.

وظلت الكُتّاب زمن الموحدين المؤسسة الأولى التي يتلقى فيها الصبي تعليمه، وهو أشبه ما تكون عليه مرحلة التعليم الابتدائي عندنا اليوم، يتم فيه استظهار القرآن الكريم، والوقوف على أصول الدين، وتعلم مبادئ اللغة والشعر وإجادة الخط، ويصعب تحديد سنواته

---

(1)– القاضي عياض: ترتيب المدارك وتقريب المسالك لمعرفة أعلام مذهب مالك، ضبط وتصحيح محمد سالم هاشم، دار الكتب العلمية، ط1، بيروت، لبنان، 1998م، ج1، ص501، عثمان الكعاك: المرجع السابق، ص72.

(2)– أحمد المغراوي: المصدر السابق، ص18.

(3)– ابن الحاج: فيض العباب وإفاضة قداح الآداب، تحقيق محمد بن شقرون، دار الغرب الإسلامي، ط1، بيروت، لبنان، 1990م، ج2، ص315، عبد الرحمن بن أحمد التجاني: المرجع السابق، ص20.

(4)– ابن العربي: أحكام القرآن، تحقيق علي البجاوي، دار الجيل، ط1، بيروت، لبنان، 1988م، ج2، ص291.

(5)– أحمد فؤاد الأهواني: المرجع السابق، ص60.

(6)– أخرجه أبو داود(ت275هـ) في سننه، تحقيق شعيب الأرناؤوط وآخرون، دار الرسالة العالمية، ط1، دمشق، سوريا، 2009م، باب متى يؤمر الغلام بالصلاة، رقم2443، ج1، ص367.

لأنّها تختلف باختلاف استعدادات الأطفال وفروقهم الفردية[1]، وعلاوة على تحفيظ القرآن الكريم كان الصبيان يتعلمون الكتابة والقراءة والإعراب والتفسير الموجز للقرآن، إضافة إلى كيفية ترتيله وتجويده مستعملين في ذلك لوحا مصقولا ودواة للحبر وقلما من قصب. ويبدأ الصبيان يوم الدراسة بحفظ القرآن من الصباح إلى الضحى، ثم يتعلمون الكتابة من الضحى إلى الظهر، ويخصص المساء لبقية المواد كالنحو والحساب والشعر والتاريخ[2]. لذلك تعتبر الكتاتيب المؤسسة الابتدائية في العملية التربوية والتعليمية بمبادرة جماعة حريصين على أن يتلق أبناؤهم المعارف الأولية الضرورية، وتعتني هذه المؤسسة بالناحيتين العلمية والأخلاقية وتهمل الجانب الترفيهي[3].

أمّا عن طريقة التعليم في الكُتاب، فقد أشار إليها ابن خلدون في مقدمته قائلا:" فأمّا أهل المغرب فمذهبهم في الولدان الاقتصار على تعليم القرآن فقط، وأخذهم أثناء المدرسة بالرسم ومسائله، واختلاف حملة القرآن فيه، لا يخلطون ذلك بسواه في شيء من مجالس تعليمهم لا من حيث الحديث ولا الفقه ولا من حيث الشعر ولا من كلام العرب إلى أن يحذق فيه(أي القرآن) أو يتقطع دونه، فيكون انقطاعه في الغالب انقطاعاً عن العلم بالجملة، وهذا مذهب أهل المغرب ومن تبعهم من قرى البربر "[4].

وقد تميزت طريقة التعليم في كُتاب المغرب الأوسط بالإلقاء والحفظ، خاصة حفظ القرآن الكريم، فنقد ابن خلدون هذه الطريقة لأنّها تقوم على الحفظ دون فهم، حيث قال:" ويا غفلة أهل بلادنا في أن يأخذ الصبي بكتاب الله في أول عمره يقرأ ما لا يفهم وينصب في أمر غيره وأهم عليه منه"[5].

هناك مبالغة في إطلاق هذا الحكم من طرف ابن خلدون لأنّ القرآن الكريم مكتوب باللغة العربية لغة القوم وليست لغة أجنبية، بالإضافة إلى أنّ المعلمين يقومون بشرح بعض الكلمات الصعبة أثناء الحفظ، لذلك لا يوجد ضرر في تحفيظ القرآن الكريم للصبية دون دروس في التفسير. كذلك أثبتت الدراسات أنّ حفظ القرآن في الصغر يترسخ في عقول

---

[1]– بشير رمضان التليسي: المرجع السابق، ص364.

[2]– لخضر عبدلي: المرجع السابق، ص92.

[3]– بلبشير عمر: المرجع السابق، ص252، محمد حسين محاسنة: المرجع السابق، ص135.

[4]– ابن خلدون: المقدمة، المصدر السابق، ص740.

[5]– المصدر نفسه، ص742.

الصبية ويزيد من قوة ذاكرة الحفظ، ولأنّ كلام الله يقوي الروح والجسد ويساعد على ضبط عادات وسلوك الفرد منذ الصغر قبل أن تؤثر فيه مؤثرات لا يحمد عقباها.

رغم ظهور المدرسة في المغرب الإسلامي إلا أنّها لم تلغ مهمة الكتاتيب، لأنّ الكتّاب له دوراً لا تستطيع المدرسة تبنيه، فهو يمثل المرحلة الابتدائية في الدراسة، في حين تمثل المدرسة مرحلة الدراسة العليا، كما فصل أهل المغرب الإسلامي بين الكتّاب والجامع، فلا يعقد معلم الصبيان حلقاته في الجامع، وهذا هو النظام الملتزم به[1].

رغم بساطة الكتاتيب من حيث البناء والتجهيز إلا أنّها أدت دوراً كبيراً في التعليم بالمغرب الأوسط، وعرفت مستوى رفيعا في التنظيم والاهتمام، وتسند مهمة التدريس بها لقراء كبار مقابل أجرة وقع جدال في جوازها، إلا أنّه تم إجازتها من الفقهاء لكي يتفرغ المعلم للتدريس ويحصل على لقمة عيشه، ويشترط فيه عدة شروط منها حفظ القرآن ومعرفة أحكامه، والتمتع بالأخلاق الحسنة، والتفرغ للتعليم[2]، وكانت الكتاتيب تزين أيام المناسبات الدينية مثل المولد النبوي، حيث تضاء بالشموع ويجتمع الأطفال مع شيوخهم لترتيل كتاب الله العزيز وترديد الصلوات النبوية[3].

ولا يدرس التلاميذ يومي الخميس والجمعة إضافة إلى الأعياد الدينية[4]، وتشكل الكتاتيب مؤسسة تربوية أولى قامت بدورها في التربية والتعليم، حيث تنتهي هذه المرحلة بالختم وتعني إتمام التلميذ حفظ القرآن الكريم كاملا، وعندها يختار بين مواصلة طلب العلم في المساجد والمدارس أو التوجه إلى الحياة العملية[5].

أنّ الكتاتيب في زمن الموحدين لا تخضع للسلطة من حيث الإشراف والتنظيم والتسيير، وهي تحت رعاية عامة النّاس الذين يديرونها ويتولون تسييرها والعمل بها حسب أعرافهم وعاداتهم، وهذا لا ينفي ما تغدق به الدولة الموحدية من عطايا للطلبة والعلماء من أجل خدمة الدين والعلم.

---

(1)– بلبشير عمر: المرجع السابق، ص252.

(2)– الونشريسي: المصدر السابق، ج11، ص17، عبد الرحمن بن أحمد التجاني: المرجع السابق، ص32.

(3)– حسن عزوزي: المرجع السابق، ص246.

(4)– ابن سحنون الراشدي: الثغر الجماني في إبتسام الثغر الوهراني، تحقيق المهدي البوعبدلي، مطبعة البحث، الجزائر، 1973م، ص80.

(5)– مريم معلاش: المرجع السابق، ص27.

المطلب الثالث: الرباطات

إنّ الرباطات من أهم المؤسسات الإسلامية التي كانت لها وظائف عديدة إلى جانب الوظيفة التعليمية، لذلك نتساءل عن تواجد الرباطات في عهد الدولة الموحدية، ومواقعها ومدى إسهامها في العملية التعليمية وغيرها.

الفرع الأول: تعريف الرباطات

الرباط[1] هو مكان ديني حربي اختص به المسلمون وقد تكون للتعلم ونشر تعاليم الدين الإسلامي، وبيتا للسكن، ومستودعا للسلاح والمؤن وبرجًا للإشارة[2]، فاسم الرباط كان يطلق أول الأمر على المكان أو الثغر الذي يرابط فيه جنود المسلمين للجهاد في سبيل الله، ويلازمونه مترصدين العدو، ثم صار يطلق على المكان الذي يرابط فيه الصوفية للعبادة والانقطاع إلى الله تعالى، كما صار مأوى للعاجزين والأرامل واليتامى، وهكذا أصبحت الربط تؤدي خدمات اجتماعية ودينية وثقافية كالوعظ والإقراء والتحديث والسماع والإفتاء[3].

وهو الموضع الذي يُتعبد فيه، وأنه احتباسًا للنفس في الجهاد والحراسة[4]، لقوله تعالى:﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱصْبِرُواْ وَصَابِرُواْ وَرَابِطُواْ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ لَعَلَّكُم تُفْلِحُونَ﴾[5].

الفرع الثاني: نشأة الرباطات ودورها

في البداية أنشئت الرباطات من أجل مراقبة تحركات العدو[1] ورصدها على طول الساحل، وكما يعد مكانا للتعليم والعبادة لأنّ أغلب المرابطين علماء وطلبة علم أوعُباد ومتصوفة، وأطلقت على الرباط عدة تسميات منها المحرس، القصر وغيرها[2].

---

[1]– الرباط لغة: من ربط الشيء يربْطه ويُربِطه ُ ربطا أوثقه وشده، رابط الأمر مرابطة واظب عليه، والمرابط يخشى من هجوم العدو، والذي يعسكر فيه الجيش لقوله تعالى:﴿ وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ ٱلْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِۦ عَدُوَّ ٱللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ﴾سورة الأنفال الآية(61)، ورابط أقام ولازم المكان، والربط الملازمة في سبيل الله. محمد فريد وجدي: دائرة معارف القرن العشرون، دار الفكر، لبنان، د ت، مج، ص177، المهدي بوعبدلي: الرباط والفداء في وهران والقبائل الكبرى، مجلة الأصالة، الجزائر، 1973م، العدد13، ص25.

[2]– بشير رمضان التليسي: المرجع السابق، ص413.

[3]– ناجي معروف: أصالة الحضارة العربية الإسلامية، مطبعة التضامن، بغداد، 1969م، ص360، روجيه إدريس: الدولة الصنهاجية، ترجمة حمادي الساحلي، دار الغرب، 1992م، ج2، ص306، التيجاني: المصدر السابق، ص15.

[4]– ابن مرزوق الحفيد(ت842): المسند الصحيح، تحقيق ماريا خيسوس، تقديم محمود بوعياد، الشركة الوطنية، الجزائر،1981م، ص397.

[5]– سورة آل عمران، الآية (200).

لقد انتشرت الرباطات مع انتشار الإسلام خاصة في الثغور وعلى الشريط الساحلي من أجل الدفاع عن الدولة الإسلامية، حيث كانت في المشرق عبارة عن ثكنات عسكرية[3]، خاصة في عهد الدولة العباسية، ثم أصبح الرباط معروفاً في المغرب الإسلامي منذ القرن الأول للهجرة، ويقال أنّ أول من أسس رباط في المغرب الإسلامي هو هرثمة بن أعين[4].

وإذا كانت هذه وظائف الرباطات في بداية الإسلام، فهل حافظت الدولة الموحدية على الرباطات ووظائفها أم مستها تغييرات؟

الفرع الثالث: الرباطات في المغرب الأوسط زمن الموحدين

يعد الرباط من المعاهد العلمية الهامة بالمغرب، وزادت أهميته في عهد المرابطين ثم في عهد الموحدين من الوجهتين الحربية والعلمية[5]، حيث كان محمد بن تومرت الموحدي من أهل نسك ورباط، قارئاً محباً للعلم حتى سمي اسفو التي تعني الضياء، حيث كان يسرج القناديل بالمسجد[6].

لقد ارتقت وظيفة الرباط في عهد الموحدين فاقترن بدعوتهم لتلقين أتباعهم عقيدة التوحيد التي جاء بها المهدي، ثم ازدادت أهميته حيث أصبح قبلة لتحصيل العلم والثقافة، فقد جاءت الرباطات متقدمة عن سواها من المؤسسات التعليمية الأخرى التي سبقتها من ناحية الشكل والمضمون، حيث هيئت تماماً لتحقيق الغرض التعليمي الذي أنشئت من أجله[7].

ففي عهد الدولة الموحدية أُعتبر الرباط مكانا للعبادة ومعهدا تدرّس به شتّى أنواع العلوم لاسيما العلوم الدينية[8]، كما ساهمت الأربطة الداخلية إلى حد كبير في توفير الأمن

---

[1]– الرباط أهدافه دينية حربية يهتم بالعلاقات الروحية بين العبد وربه.

[2]– بشير رمضان التليسي: المرجع السابق، ص413.

[3]– عبد الله علي علام: المرجع السابق، ص292.

[4]– محمد أمين بلغيث: المرجع السابق، ص99.

[5]– عبد الله علي علام: المرجع السابق، ص292.

[6]– ابن خلدون: العبر، المصدر السابق، ج6، ص495.

[7]– حسن إبراهيم حسن: تاريخ الإسلام السياسي والديني والثقافي، والاجتماعي، مكتبة النهضة المصرية، ط4، القاهرة، مصر، 1996م، ج4، ص438، نجاة بلعباس: المرجع السابق، ص115.

[8]– عبد الله علي علام: المرجع السابق، ص293.

والاستقرار في مناطق مختلفة، حيث أمنت الطرق ووفرت الطمأنينة للمسافرين والتُّجار[1]، وتعدى دورها إلى العبادة والتعليم ونشر الإسلام، وأنشئت بها عدة مرافق مثل رباط مدينة سلا[2] الذي أقامه عبد المؤمن بن علي مؤسس الدولة الموحدية[3].

بما أنّ الأربطة من المؤسسات الشعبية فإنّ اعتمادها على ما يقدمه المحسنون من الهبات والصدقات سواء لتطويرها أو صيانتها أو إطعام المقيمين بها[4] أو غير ذلك من احتياجاتها. وقد تطورت أهميتها خاصة في عهد المرابطين ثم الموحدين بعدهم، حيث كانت محلا لحلقات الدرس والمناظرة بين العلماء وطلاب العلم شأنها في ذلك شأن المساجد[5].

وهذا نتيجة إحكام الموحدين سيطرتهم على البحر المتوسط، وتأمين سواحل المغرب الأوسط بداية النصف الأول من القرن السادس للهجرة، فتلاشت وظيفة الحراسة وترقب العدو التي كان يقوم بها الرباط، لذلك اتجه أهل المغرب الأوسط إلى التّعبد والذكر وتعلم مختلف العلوم وفنون المعرفة منها علم التصوف؛ فانتشرت الأربطة خاصة في بجاية وتلمسان، ويوجد رباط عريق وهو رباط شرشال ، وانتشر معها التصوف الذي يعد نتاج الأربطة.[6]

ويمثل رباط ملالة ببجاية أول مجلس علمي للمهدي بن تومرت، اتخذه لبث أفكاره وعلمه فعمِر مجلسه بالطلبة والصالحين، فأصبح هذا المجلس بداية لتأسيس دعوة التوحيد في بلاد المغرب الإسلامي مع حامي الدعوة وموطد أركان الدولة عبد المؤمن بن علي[7]، ومن أشهر الأربطة التي أدت دورها كمؤسسة تعليمية وتربوية الرباط الذي أقامه ابن تومرت في هرغة[8]، للأمر بالمعروف والنّهي عن المنكر والانضباط والطاعة، حتى كانوا يستحون منه[9]، ألّف لهم كتاب التوحيد باللسان البربري في سبعة أجزاء،أمرهم بقراءة حزب من

---

[1]- كمال السيد أبو مصطفى: المرجع السابق ص111.

[2]- سلا: مدينة أزلية قديمة تقع على ساحل المحيط الأطلسي، كانت في الأصل قرية بربرية صغيرة، يرجع بناؤها إلى حوالي 1500 ق.م. ينظر: حمدي عبد المنعم: مدينة سلا، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية، 1993م، ص03.

[3]- صالح بن قربة: المرجع السابق، ص97.

[4]- بشير رمضان التليسي: المرجع السابق، ص420.

[5]- المرجع نفسه والصفحة نفسها.

[6]- الطاهر بونابي: المرجع السابق، ص62.

[7]- ابن القطان: المصدر السابق، ص77، البيذق: المصدر السابق: ص32.

[8]- الحسين أسكان: المرجع السابق، ص155.

[9]- ابن القطان: المصدر السابق، ص81.

القرآن وحزب من التوحيد بعد صلاة الفجر وصلاة العشاء[1]، ومن لا يحفظ التوحيد لا تجوز إمامته ولا تؤكل ذبيحته[2]، ومن الرباطات الموجودة في المغرب الأوسط زمن الموحدين:

-رابطة ابن يبكي بداخل باب أمسيون في أعالي بجاية لأبي محمد عبد الكريم بن عبد الملك بن عبد الله بن طيب الأزدي من قلعة بني حماد، عاش خلال القرن (7هـ/13م)، قبره في هذه الرابطة، كان من أهل العلم ومرجعا للفتوى،معروفا عند خلفاء بني عبد المؤمن، له وجاهة وعلو ورفعة، كانت أوقافها مخصصة للتعليم[3].

-رابطة علي بن أبي نصر بن عبد الله البجائي (ت652هـ)[4] بخارج باب أمسيون، تعلم بمسقط رأسه ببجاية ثم الأندلس والمشرق ثم استقر ببجاية، له كرامات، رابطته اليوم مندثرة، كما تحولت معظم أبراج بجاية إلى أربطة وهو ما أكده الرحالة ابن الحاج النميري أثناء زيارته للمدينة بين سنتي (757هـ-758هـ)[5]، إضافة إلى رباطات في تلمسان مثلرابطة العباد بقرية العبّاد بتلمسان[6].

لقد اعتنى الموحدون بالرباطات لأنّها تخدم الجانب الديني والروحي للدولة، وكانت من المراكز والنواة الأولى التي ساعدت على إفشاء الدعوة الموحدية بداية من المهدي بن تومرت خاصة في بجاية، فأصبحت الأربطة عامرة بالعلماء وطلاب العلم تؤدي دورها كمؤسسة ثقافية لا غنى عنها، كما كان أهل الرباطات يقومون بواجبهم في حماية المسلمين، ولا يبخلون على من يقصدهم بهدف المشورة أو طلب العلم ويحثون الصغار والكبار على طلبه[7]، وخصصت هذه الأربطة على المستوى العلمي والثقافي حصصاً لقراءة القرآن وتفسيره ودراسة الحديث وقراءة كتب الفقه وشعر المواعظ الذي يسمى"الرقائق"، وأناشيد دينية

---

(1)- ابن أبي زرع: المصدر السابق، ص177.

(2)- السلاوي: المرجع السابق، ج2، ص83.

(3)- الغبريني: المصدر السابق، ص214.

(4)- هو علي بن نصر فتح بن عبد الله يكنى أبو الحسن(606هـ-652هـ/1213م-1259م) وهو من أهل العلم والصلاح كانت له دراية بعلم الحديث، رحل إلى الأندلس ثم المشرق، ثم استقر ببجاية وانقطع في آخر عمره عن الناس. ينظر: الغبريني: المصدر السابق، ص137.

(5)- ابن الحاج النميري: المرجع السابق، ص95.

(6)- محمد العربي حرز الله: تلمسان مهد حضارة وواحة الثقافة، دار السبيل، ط1، الجزائر، 2011م، ص287.

(7)- بشير رمضان التليسي: المرجع السابق، ص421.

تسمى "العادة"، وساهمت في نسخ الكتب والتجليد باعتبارها مأوى للصالحين والعلماء والمتصوفة فكان لكل رابطة مكتبة جدارية[1].

فمهام الرباطات متعددة أكثر من مهام الكُتاب فالكُتاب عبارة عن مدرسة لتعليم التلاميذ الصغار، أما الرباطات فتجمع بين الوظيفة التعليمية والعسكرية؛ أُنشئت للجهاد في سبيل الله ونشر تعاليم الدين الإسلامي خاصة مع الفئة العمرية الكبيرة. وهي المؤسسة الأولى التي انطلقت منها دعوة الموحدين عن طريق مؤسسها ابن تومرت من بجاية لتتوسع الرباطات إلى تلمسان وغيرها، ويتعدد شيوخها، وقد اندثر أغلبها.

المطلب الرابع: الزوايا

للزوايا إسهامات في نشر التعليم ودور في بروز علماء كبار خاصة في مجال العلوم الدينية، فما مدى حضور الزوايا في التراب الموحدي؟ وفيما يكمن دورها ؟

الفرع الأول: تعريف الزوايا

الزاوية[2] هي ركن من أركان المسجد اتخذت للعبادة، ومع مرور الوقت اتخذت شكلاً جديداً على هيئة دور تقام للدراسات العلمية والدينية، واتخذتها الصوفية مكاناً لحلقات الذكر[3]، تسمى في المشرق خانقاه أو خوانق[4]، وهي محل لتثقيف العقول دينياً وأدبياً، وتكون مسماة باسم أحد المرابطين على اصطلاح المغاربة[5].

---

[1]– حسن إبراهيم: المرجع السابق، ص439، وينظر: أبو مصطفى كمال: جوانب من الحياة الاجتماعية والاقتصادية والدينية والعلمية في المغرب الإسلامي من خلال نوازل المعيار المعرب، مركز الإسكندرية، مصر، 1996م، ص111، وينظر: سحر عبد العزيز: مدينة الرباط في التاريخ السياسي، مؤسسة شباب الجامعة، القاهرة، 1996م، ص108.

[2]–الزاوية لغة: من زوى الشيء أي جمعه وقبضه، كأن يُقال: انزوت الجلدة في النار أي اجتمعت وانقبضت، فالزاوية ركن البناء، والجمع زوايا وانزوى أي صار فيها. ابن منظور: المصدر السابق، ج14، ص364، ينظر كذلك: الرازي: مختار الصحاح، دار الفكر، ط1، بيروت، لبنان، 2001م، ص124.

[3]– عبد الحكيم عبد الغني قاسم: المذاهب الصوفية ومدارسها، مكتبة مدبولي، ط2، القاهرة، 1999م، ص132، حسن إبراهيم حسن: المرجع السابق، ص401.

[4]– خانقاه: كلمة فارسية معناها بيت أو الموضع الذي يأكل فيه الملك.ينظر: ابن بطوطة(ت779هـ): تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار، مكتبة التقدم، القاهرة، مصر، ج1، ص20.

[5]– بطرس البستاني: أدباء العرب، دائرة المعارف، بيروت، لبنان، 1816م، ج1، ص161.

الفرع الثاني: نشأة الزوايا ودورها

في بادئ المر كانت الزوايا أبنية صغيرة تشبه المسجد عُرفت بدار الكرامة[1]، ثُمّ أصبح بناء أو طائفة من الأبنية ذات طابع ديني وثقافي واجتماعي،قد تحتوي على غرفة للصلاة وغرفة لتلاوة القرآن وتحفيظه، وغرفة لضيوف الزاوية والحجاج والطلبة[2]، وأحياناً يكون عبارة عن مجمع متكون من مسجد ومدرسة أو معهد للتعليم القرآني والديني، ومأوى مجاني للطلبة[3].

فالزوايا بنايات ذات طابع ديني وثقافي، قد تُقام فيها مختلف الشعائر الدينية من عبادات كالصلاة وإلقاء الدروس على الطلبة وتعليم مختلف العلوم الدينية[4]. طرأت تغيرات في شكل الزوايا عبر فترات التاريخ الإسلامي، وعرفت تطورات معمارية كبيرة؛ من بيت صغير إلى مجمع يتكون من عدة غرف ذات أشكال هندسية تميزها عن غيرها حسب المهام التي صممت من أجلها.

صمم هذا المعهد الديني بشكل يستجيب لوظائفه من تعليم وعبادة وإيواء وإطعام، واحتوى عمومًا قاعة للصلاة بها محراب وضريح[5] لأحد المرابطين تعلوه قبة، وكتّاب للتدريس وتحفيظ القرآن الكريم، وغرفة للطلبة والضيوف من حجاج ومسافرين[6]، حيطانها قصيرة منخفضة القباب وقليلة النوافذ، لكن لا مئذنة لها ولا منبر[7].

[1]– المهدي البوعبدلي: الرباط، المرجع السابق، ص239.

[2]– يحي بوعزيز: المساجد، المرجع السابق، ص15، محمد نسيب: المرجع السابق، ص21، عزوق: المرجع السابق، ص74.

[3]– عبد القادر عثماني: الزوايا والتعليم القرآني، مجلة الدراسات الإسلامية، الجزائر، 2002م، العدد2، ص80.

[4]– عبد العزيز فيلالي: المرجع السابق، ج1، ص148.

[5]– الضريح: لغة من الفعل ضرح بمعنى حفره أو شقه وهو مبنى على قبر ميت، أما اصطلاحا هو المكان الذي يدفن فيه إنسان ذو مكانة اجتماعية مرموقة مثل الولي والسلطان. ينظر: ابن منظور المصدر السابق مج11، ص526، ينظر كذلك: عبد الجواد توفيق: تاريخ العمارة والفنون الإسلامية، المطبعة الحديثة، القاهرة، 1972م، ص74.

[6]– قاسمي بختاوي: المرجع السابق، ص69.

[7]– أبو القاسم سعد الله، المرجع السابق، ص269.

وتتفق الزاوية مع المدرسة في نظامها وإدارتها فهي دور علم وإقامة، وتُلزم الطلبة بالانضباط والطاعة والتّقيد بنظام الدراسة والمأكل والملبس، وتختلف عنها في مسألة التّحرر، حيث لا تخضع للحكام في تعيين الأساتذة ومنح العلاوات للمدرِّسين والطلبة[1].

يُنشئ الزوايا السلاطين وكبار رجال الدولة ورجال الطرق الصوفية وأهل الخير من أموالهم الخاصة أو عن طريق الوقف، ويديرها الناظر الذي يهتم بتلقين أتباع الزاوية أسرار الطريقة ويقرأ معهم الأوراد الخاصة بها، لأنّها تُعد مدرسة دينية ودارا للضيافة[2].

لقد بدأت الزوايا أبنية صغيرة تقتصر على بعض الوظائف ثُمّ تطورت معماريا وزادت وظائفها أكثر وارتفعت نفقاتها فكثرت عليها الأحباس من المحسنين والجهات الخيرية لتقوم بوظيفتها على أحسن وجه، وتمويلها لا يكون من طرف رجال الدولة في غالب الأحيان. وظهورها كان بعد ظهور المساجد والرباطات والكتاتيب، كما أنّ هناك بعض الرباطات تحولت إلى زوايا بمرور الوقت كما سنوضحه فيما بعد.

للزوايا أدوار كثيرة ومتنوعة؛ علمية وثقافية واجتماعية أوضحها فيما يلي:

✓**الدرو التعليمي:** يتمثل في استقبال طلاب العلم وتوفير كل ما يحتاجونه من خدمات، ونشر التعليم على جميع مستوياته، فقد ساهمت الزوايا في تخريج العديد من العلماء والفقهاء والمتصوفة[3]، وأدت أدواراً بارزة في المغرب الأوسط وبجاية خصوصاً، أهمها الدور التربوي والتعليمي المتمثل في استقبال طلاب العلم والمعرفة ونشر التعليم بفضل شيوخها المتمكنين في شتّى العلوم، وتحفيظ القرآن الكريم وتعليم اللغة العربية، ولم يقتصر الدور التعليمي للزوايا على فئات عمرية معينة، بل شمل مختلف الفئات خاصة تكوين وتعليم الأطفال صغار السن ليصبحوا مستقبلا أئمة ومعلمين.

✓**الدور الديني:** تمثل في تحفيظ القرآن الكريم ونشر تعاليم الدين الإسلامي وغرس الوازع الديني في نفوس النّاس والوعظ والإرشاد، وترسيخ الفكر الصوفي لدى المريدين[4]، خاصة الاهتمام بالعلوم الدينية مثل التفسير والحديث.

---

[1]– زينب رزيوي: المرجع السابق، ص88.

[2]–ابن قنفذ: المصدر السابق، ص117. محمد نسيب: المرجع السابق، ص27.

[3]– أبو القاسم سعد الله: المرجع السابق، ج1، ص267، خالد بلعربي: الدولة الزيانية في عهد يغمراسن (دراسة تاريخية وحضارية) (632هـ–681هـ) (1235م–1282م)، دار الريان للطباعة والنشر، ط3، الجزائر، 2005م، ص227.

[4]– آمينة بوتشيش: المرجع السابق، ص66، محمد محمدي: المرجع السابق، ص98.

✓**الدور الاجتماعي والثقافي:** مما سبق ذكره يبرز الدور الاجتماعي للزوايا في إيواء طلبة العلم والفقراء والعجزة والغرباء وعابري السبيل، وحل الخلافات والنزاعات القائمة بين أفراد المجتمع[1]، فهي مأوى للكثير من الأشخاص الذين لا ملجأ لهم في تلك المنطقة، كما نلمس دوراً ثقافيا للزوايا من خلال توفير مكتبات ثرية بالمدونات والتآليف المتنوعة، فتعد بذلك محلا لتثقيف العقول دينيا وأدبيا، ونشر مختلف العلوم بين فئات وشرائح المجتمع.

لقد جمعت الزاوية بين الوظيفة التعليمية التربوية والوظيفة الدينية، فضلاً عن دورها البارز في تعزيز رابطة الأخوة بين أفراد المجتمع وتحقيق التكافل الاجتماعي طبقا لما جاء به الدين الحنيف[2]، حيث يتم فيها تحفيظ القرآن الكريم وترتيله وعقد جلسات الذكر آناء الليل وأطراف النهار، وتلقين الطلبة مختلف العلوم، والقيام ببعض أعمال البرّ والإحسان وتربية المتعلمين تربية علمية وروحية ودينية[3]، إلى أن أصبحت الزوايا تنافس المساجد والجوامع الكبرى والمدارس؛ إذ تخرج فيها علماء وفقهاء، وبانتشارها في الأرياف انتشرت العلوم الدينية وتأصّلت المبادئ الإسلامية في الريف، وعن طريقها لقيت الطرق الصوفية رواجاً في مختلف أنحاء المغرب الإسلامي[4]، حيث عملت على نشر وترسيخ الفكر الصوفي، ولعبت دوراً هاماً وفعالاً في التوعية الدينية والفكرية وتحفيظ القرآن الكريم ونشره، وأصبحت مقصداً للعلماء للتدريس وتأليف الكتب والرسائل القيمة في مختلف العلوم والمعارف، فهي منبع ومنهل فكري[5].

لقد ساهمت الزوايا في نشر تعاليم الدين الإسلامي وحفظ كتاب الله والسنة النبوية من الضياع وظهور علماء كبار أمثال أبي زكريا الزواوي وأبي مدين شعيب. ورغم ذلك فإنّها لم تسلم من البدع والخرافات التي كانت مدخلا لانتشار الجهل بين طبقات المجتمع إلى أن أصبح الولي الصالح بمثابة واسطة بين العبد وربه، خاصة عند زيارة قبورهم والتبرك بهم إلى أن أوشكوا على العودة للعصور الوسطى التي عاشتها أوروبا مع قساوسة وباباوات الكنائس.

---

(1)– أبو القاسم سعد الله: المرجع السابق، ج1، ص267.

(2)– مفتاح خلفات: قبيلة زواوة في المغرب الأوسط، المرجع السابق، ص178.

(3)– عبد الرحمن بن أحمد التيجاني: المصدر السابق، ص16.

(4)– محمد محمدي: المرجع السابق، ص98، المهدي البوعبدلي: المرجع السابق، ص21.

(5)– صلاح جلول: تأثير قلعة بني حماد على بجاية في المجال العلمي والاجتماعي، رسالة ماجستير في التاريخ والحضارة الإسلامية، جامعة وهران، 2014م/2015م، ص61.

الفرع الثالث: الزوايا في المغرب الأوسط زمن الموحدين

فضلا عمّا عُرفت به الزوايا من أنّها أمكنة للزهد والعبادة والذكر، فإنّها تُعد من المؤسسات التعليمية التي قامت في أرجاء العالم الإسلامي، ويعود ظهورها بالمغرب الأوسط إلى الفترة نفسها التي انتشرت فيها المساجد والكتاتيب[1]، وأول من فكر في بنائها هم أهل التصوف من أجل الانزواء والابتعاد عن زخرف الدنيا وضجيج الحياة [2]، ولما ظهرت في المغرب الإسلامي في عهد الموحدين القرن (6هـ/12م) سميت"دار الكرامة" مثل التي بناها السلطان الموحدي يعقوب المنصور في مراكش[3]، وفي القرن (7هـ/13م) سميت "الرابطة" إلى أن أصبح الرباط يحمل اسم الزاوية التي حلت محله خلال عهد الموحدين[4].

حسب ما ورد في المؤلفات التاريخية مثل مؤلف ابن قنفذ فإنّ الزاوية في المغرب الأوسط هي الرابطة في بداية نشأتها وتطورها، تركت وظائفها ونشاطها للزاوية خلال النصف الثاني من القرن السابع الهجري، مثل رابطة عبد السلام التونسي في تلمسان ورابطة ابن الزيات في بجاية وابن يبكي.

وبهذا أخذ مصطلح الرابطة يختفي في النصف الثاني من القرن السابع الهجري وحل محله مصطلح الزاوية، لأنّها في الأصل متولدة عن الرباط الذي يعتبر بمثابة الأم. وفي نهاية هذا القرن تطورت الزاوية وأصبحت مكانا يقصده النّاس لزيارة الشيخ الصوفي والتبرك به، وفي حالة موته يدفن فيها وتنتقل إلى أقربائه كما حدث لزاوية يعقوب بن عمران البويوسفي (ت717هـ/1317م) بقسنطينة، وهو والد جد ابن قنفذ لأمه[5].

بعد ذلك تطورت الزوايا شيئا فشيئا إلى أن أصبحت تتضمن فناءً واسعًا، تحيط به مرافق مثل مسكن الشيخ ومسجد ومكان للضيافة وحجرات لسكن الطلاب ومحل إيواء اللاجئين ومحطة رجال القوافل وبئر للسقاية ومخزن للمتاع، ولكل زاوية شيخ يقيم الصلاة

---

[1]- قاسمي بختاوي: المرجع السابق، ص103.

[2]- صلاح مؤيد العقبي: الزوايا والطرق الصوفية بالجزائر، دار البراق، بيروت، 2002م، ص301 .

[3]- المهدي البوعبدلي: المرجع السابق، ص26.

[4]- عبيد بوداود: ظاهرة التصوف في المغرب الأوسط مابين القرنين(7-9هـ/13-15م)، دار الغرب، الجزائر، 2003م، ص239، ينظر كذلك: محمد عادل عبد العزيز: التربية الإسلامية في المغرب، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 1987م، ص40.

[5]- ابن قنفذ، المرجع السابق، ص43، الطاهر بونابي، المرجع السابق، ص224، بلعباس نجاة: المرجع السابق، ص48.

ويعلّم الأولاد ويباشر عقود الزواج، والصلاة الجنازة[1]، كما تتضمن الزوايا أحيانا ضريحًا خاصًا بأحد المرابطين أو الشيخ الذي أنشأها، فتصميم الزاوية جمع بين المنزل والمسجد[2].

وقد ازدادت الزوايا انفصالاً عن الرباطات منذ عهد الموحدين، وكان الطالب يسكن فيها وعلى نفقتها من مأكل ومشرب وتعليم، وبعد إكمال دراسته يصبح مدرّسًا بها أو بغيرها من الزوايا[3]، ثم تطورت إلى أن أصبحت تؤدي مهاما كثيرة ومتنوعة من تعليم وأداء الصلوات ومأوى للاجئين والفقراء والمساكين كما هو الحال في وقتنا الراهن، يتولى تسييرها شيخ، غالبا ما يكون من الأولياء الصالحين أو عالما. ومنه يمكن تقسيم الزوايا إلى نوعين:

✓**زوايا المزار:** التي تأوي قبر ولي من الأولياء الصالحين يقصدها الناس للزيارة والتبرك[4].

✓**زوايا التعليم:** أسّسها أصحاب الطرق الصوفية للتعليم والإيواء[5]، وارتبط ظهورها بظاهرة التّصوف، فأصبحت قطباً يقصدها المتصوفة، فعملت على نشر الفكر الصوفي وترسيخه[6].

أما تمويلها حسب ما ورد لدى الونشريسي فيكون بحبس الأراضي التي حولها، ومن الهبات والعطايا التي تصلها من أهل الخير كأصحاب الأراضي الزراعية والبساتين والعقارات[7]، والأوقاف التي يحبسها أصحابها، لتستعمل في تغطية نفقاتها المختلفة، كدفع أجور المؤذنين والمنظفين والخدم والمريدين والقيمين والطلبة[8].

---

[1]– شوقي أبو خليل: المرجع السابق، ص567، أحمد الحفناوي: الزاوية، الموسوعة الإسلامية العامة، وزارة الأوقاف، القاهرة، 2003م، ص724.

[2]– محمد عادل عبد العزيز: المرجع السابق، ص40.

[3]– المرجع السابق، ج2، ص350.

[4]– الغبريني: المصدر السابق، ص79، وينظر: محمد محمدي: المرجع السابق، ص95، بوبة مجاني: المدارس الحفصية، مجلة العلوم الإنسانية، جامعة منتوري قسنطينة، الجزائر، 1999م، العدد12، ص163، محمد عبد العزيز: المرجع السابق، ص40.

[5]– يحي بوعزيز: أوضاع المؤسسات الدينية بالجزائر خلال القرنين 19و20م، مجلة الثقافة، الجزائر، 1983م، العدد63، ص19، عبد العزيز فيلالي، المرجع السابق، ج2، ص350.

[6]– محمد محمدي: المرجع السابق، ص96.

[7]– الونشريسي: المصدر السابق، ج7، ص133.

[8]– المصدر نفسه، ج6، ص171.

لقد انتشرت الزوايا في المغرب الأوسط خاصة بعد مجيء متصوفة الأندلس الذين فضلوا الاستقرار به، مثل الولي الصالح أبي مدين شعيب في بجاية[1]، وقد ذكر الغبريني البعض منها:

-زاوية أبي زكريا يحي الزواوي (ت611هـ/1215م)، أول زاوية في المغرب الأوسط وهي بناء صغير ملحق بالمسجد في بجاية يدرّس فيها العلوم الدينية خاصة[2].

-زاوية أبي الفضل قاسم بن محمد القرشي القرطبي (ت662هـ/1263م)الفقيه الزاهد في بجاية كانت زاويته مأوى للطلبة والمريدين[3].

-زوايا الشيخ أبي محمد صالح الماجري (ت631هـ/1234م) التي انتشرت في مناطق كثيرة من بلاد المغرب ومصر، بلغت ستاً وأربعين زاوية، منها الزاوية الحسناوية التي أسسها أبو الربيع سليمان بن حبوش الحسناوي في القرن 7هـ/13م ببجاية[4].

-زاوية سيدي موسى أويحي في سيدي عيش،تأسست مابين القرن (6هـ و7هـ)[5].

-زاوية سيدي مولاي سليمان بن علي (ت670هـ/1271م) في توات تأسست سنة (581هـ/1185م)[6].

-زاوية أبو حجلة عبد الواحد بتلمسان ق7هـ[7].

هذه الزوايا لا تخضع في نظامها للحكام مثلما كان عليه حال المدارس في تعيين الأساتذة ومنح العلاوات للمدرّسين والطلبة[8]، وغالبا ما تكون مواردها من الأوقاف التي تُسَدد منها رواتبهم وجراياتهم، ويتولى تسييرها شيخ الزاوية.

---

(1)- آمنة بوتشيش: المرجع السابق، ص76.

(2)- الغبريني: المصدر السابق، ص(135،139).

(3)- المصدر نفسه، ص162.

(4)- يوسف الكتاني: مدرسة الإمام البخاري في المغرب، دار لسان العرب، بيروت، د ت، ج2، ص482، الطاهر بونابي: المرجع السابق، ص131.

(5)- آمينة بوتشيش: المرجع السابق، ص67، مريم معلاش: المرجع السابق، ص30.

(6)- علي عشي: المغرب الأوسط خلال عهد الموحدين، المرجع السابق، ص112.

(7)- محمد الأمين بلغيث: الربط بالغرب الإسلامي ودورها في عصر المرابطين والموحدين، رسالة ماجستير، جامعة الجزائر، 1987م، ص282.

(8)- كمال بوشامة: الجزائر أرض عقيدة وثقافة، ترجمة محمد المعراجي، دار هومة، الجزائر، 2007م، ص136.

المطلب الخامس: المكتبات

إضافة إلى المؤسسات العلمية والدينية السابقة شهد المغرب الإسلامي إقامة مكتبات ملحقة أو مستقلة بذاتها، وهي وسيلة فعّالة لنشر العلم والمعرفة كما سنوضحه من خلال العناصر التالية.

الفرع الأول: تعريف المكتبة

المكتبة[1] اسم يُطلق على المكان الذي يحتفظ فيه بالمخطوطات، وخزانة الكتب أو المكتبة يعود تأسيسها إلى عهود سحيقة[2]، وهي عبارة عن دور شُيّدت خصيصا لتحتوي المصنفات الفريدة وأمهات الكتب في شتّى أصناف العلوم، تُساعد على تطور المجتمع ودفعه للرقي العلمي، وتعتبر العنصر الفعال في استقطاب الطلبة والعلماء[3]، فهي مؤسسة ثقافية تربوية لجمع وحفظ مصادر المعرفة[4]. كما أنّ المكتبات كثيراً ما نجدها مرتبطة بمختلف المؤسسات العلمية والدينية، ففي بعض الأحيان تكون ملحقة بها، لأنّها تحتوي على مصادر مختلف العلوم بأنواعها العقلية والنقلية وغيرها من العلوم والفنون، خاصة بعد ازدهار حركة النسخ والتجليد، فهي تشكل معلما من معالم الدولة في مجال العلوم، وتعكس المستوى الثقافي لها، وإنّ مثل هذه الحركة العلمية لا يمكن أن تنمو بمعزل عن مصادر المعرفة وأمهات الكتب، لذلك ظهرت مكتبات عامة وخاصة، فالمكتبة أداة تربوية حيّة لخدمة النشء، ومركز المعرفة في مختلف المجالات العلمية.

الفرع الثاني: نشأة المكتبات وأنواعها

عرفت الحضارة الإسلامية أنواعاً من المكتبات انتشرت في أنحاء العالم الإسلامي، ووُجدت في قصور الخلفاء وفي المدارس والكتاتيب والجوامع، وهذا ما يؤكد على تأصل حب العلم لدى أبناء هذه الحضارة[5].

---

(1)– المكتبة: لغة مكان تُحفظ فيه الكتب، وسُميت خزانة الكتب؛ ومعناها تخزين الكتب وحفظ المؤلفات. أحمد أمين: المرجع السابق، ص63.

(2)– بشير رمضان التليسي: المرجع السابق، ص407.

(3)– نجاة بلعباس: المرجع السابق، ص119.

(4)– مصطفى عليان: المكتبات في الحضارة العربية الإسلامية، دار الصفاء، ط1، عمان، 1999م، ص113 .

(5)– راغب السرحاني: ماذا قدم المسلمون للعالم –إسهامات المسلمين في الحضارة الإنسانية– مؤسسة إقرأ، ط2، القاهرة، مصر، 2009م، ص223.

أولا: نشأة المكتبات

إنّ المكتبات موجودة منذ القدم نظرًا لأهمية ما يدونه الإنسان من معارف وحقائق، وأقدم من أنشأ المكتبات هم البابليون[1] منذ حوالي 1700 سنة ق.م[2]، كما توجد في الإسكندرية مكتبة مشهورة، إضافة إلى مكتبات السريان واليونان بالفرات، وأنشأ كسرى مدرسة تحتوي مكتبة في جنديسابور[3]، ولا نغفل عن وجود مكتبة تاموقادي العمومية في مدينة تيمقاد بها ثمانية رفوف للكتب، أربعة على اليمين وأربعة على اليسار، وهي ثاني مكتبة رومانية في العالم آنذاك[4].

إن اهتمام العرب والمسلمين بالعلم يدعو إلى الاهتمام بالمكتبات، فكانت خزائن الكتب في القرون الهجرية الأولى على ما دونه المسلمون من كتب دينية منها المصاحف، الأشعار، الأخبار[5]، وأقبل النّاس على اقتناء الكتب خاصة في عهد الدولة العباسية؛ وذلك لازدهار صناعة الورق، فكان عدد من الوراقين باعة كتب وأدباء أيضا مثل ابن النديم وياقوت الحموي[6]، كما كانت الكتب وسيلة للتصالح، فالخليفة العباسي هارون الرشيد طالب الروم بتسليم المخطوطات اليونانية للمسلمين، وفعل ذلك المأمون مع إمبراطور بيزنطة[7].

كما أنشأ المسلمون مكتبات كثيرة من أجل حفظ الكتب والاستفادة منها، لأنها تعتبر من كنوز الثقافة، فوُجدت في المغرب الأوسط مكتبات ذاع صيتها منها مكتبة المعصومة بتيهرت في عهد الرستميين[8]، كما كان بجامع المنار بالقلعة في بجاية مكتبة مليئة بالكتب

---

[1]– عثر علماء القرن الماضي على مكتبة في خزائن بابل وآشور وهي عبارة عن قوميدات من الطين المجفف عليها كتابة بالحرف الاسفيني(المسماري)، يليهم المصريون القدماء، ثم اليونان ثم مكتبة البطالسة بالإسكندرية ثم الرومان الذين نقلوا مكتبتهم من مقدونية إلى رومية167ق.م، ولما ظهر الإسلام أصبح المسلمون حريصين على الكتب وصيانتهم. ينظر: زيدان جرجي: تاريخ التمدن الإسلامي، مراجعة وتحقيق حسين مؤنس، دار الهلال، مصر، د ت، ج3، ص227.

[2]– محمد حسين محاسنة: المرجع السابق، ص158.

[3]– المرجع نفسه، ص156.

[4]– محمد العيد مطمر: رحلة إلى تيمقاد، دار الهدى، عين مليلة، الجزائر، 2011م، ص53.

[5]– بشير رمضان التليسي: المرجع السابق، ص407.

[6]– شوقي أبو خليل: المرجع السابق، ص446.

[7]– محمد حسين محاسنة: المرجع السابق، ص155.

[8]– المعصومة: هي مكتبة أنشأها الإمام عبد الوهاب بن عبد الرحمن بن رستم، عندما بعث إلى إخوانه بالبصرة بألف دينار ليشتروا له كتبا وينسخوا مجلدات، فنسخوا له أربعين حملا وبعثوا بها إليه، قام الفاطميون بحرقها

المحمولة من أقطار المغرب منذ عهد الحماديين[1]، ومكتبات خاصة مثل مكتبة ابن الحجام (ت346هـ) بالمغرب الأدنى[2]، فكل الدول منذ العصور القديمة تهتم بإنشاء المكتبات والحفاظ عليها، لأنّها تحوي كنوز الثقافة والعلم، كما أدركوا أهمية هذه الأخيرة في نشأة العلماء وتطور الدولة، وتعتبر الدعامة الأساسية في بناء العلم والحضارة، وتغذية عقول طلبة العلم وإنارة درب العلماء.

ثانيا: أنواع المكتبات

تتمثل أنواع المكتبات فيما يلي:

1-مكتبات عامة: هي التي يقيمها الخلفاء والعلماء وأغنياء الناس، وتشيد لها أبنية خاصة، وأحياناً تُلحق بالمساجد والمدارس، تشمل أروقة ورفوفا وغرفا للنسخ وأخرى للمطالعة وغرف حلقات الدرس، بها فهارس وموظفين (خازن، مناول، ناسخ، مترجم، مفهرس)، مثل بيت الحكمة ببغداد[3].

كانت تسمى في العهد الإسلامي المكتبة البرانية، أوردها المقريزي في كتابه "المعتقد" أنها كانت كالمكتبات العامة في عصرنا الحاضر، وبخاصة في تلك الأيام التي يجتمع فيها الناس لسماع مجالس الحكمة التأويلية[4]، وهي التي كانت ملحقة بالمساجد والمدارس كما هو الحال في بغداد آنذاك يوجد فيها ست وثلاثون مكتبة عامة[5]، ولأنّ المساجد كانت مكاناً لحلقات العلم، حرص المسلمون على تزويدها بالكتب التي تلزم العلماء والتلاميذ، كما زودت

سنة(296هـ/909م). ينظر: الدرجيني: المصدر السابق، ج2، ص411، وصالح فركوس: تاريخ الثقافة الجزائرية، دار ايدكوم، الجزائر، 2013م، ج1، ص67.

[1]- عيسى بن الذيب: المرجع السابق، ص140.

[2]- الدباغ والتنوخي: معالم الإيمان في معرفة أهل القيروان، تحقيق محمد ماضور، الشركة التونسية لفنون الرسم، تونس، 1978م، ج3، ص58، ابن فرحون: الديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب، تحقيق أحمد المحمدي أبو نور، دار التراث والنشر، القاهرة، مصر، 1976م، ج1، ص423.

[3]- محمد حسين محاسنة: المرجع السابق، ص155.

[4]- بشير رمضان التليسي: المرجع السابق، ص409.

[5]- شوقي أبو خليل: المرجع السابق، ص446.

المدارس بالكتب التي تلزم الطلاب[1]، وهي مثل المكتبات الحالية التابعة للدولة حيث تخدم فئة كبيرة من المجتمع.

2-مكتبات خاصة: هي مكتبات شخصية في البيوت، أنشأها الخلفاء والأمراء في قصورهم والعلماء في بيوتهم لأنّهم يهتمون بالكتب، ويعملون على اقتنائها وجمعها ونسخها وترجمتها، وقد تنافس علماء المغرب في التأليف وجمع الكتب وتدوينها، فأدى ذلك إلى تكوين مكتبات خاصة ثرية وعامرة بعدد كبير ومتنوع من الكتب[2]، فيها كتب قيمة نادرة، لا قدرة للأشخاص العاديين على اقتنائها[3]، كما لا يقتصر نفعها على أنفسهم، بل يسمحون للآخرين بالاستفادة منها، وكانت منتشرة في العالم الإسلامي فلا تجد خليفة أو عالماً أو أديباً إلا وله مكتبة خاصة[4]، فالمكتبات الخاصة هي ملك لشخص معين غالبا ما يكون عالم من العلماء.

الفرع الثالث: المكتبات في المغرب الأوسط زمن الموحدين

كان في المغرب الأوسط عدد كبير من المكتبات والتي انتشرت في ربوعه وصارت تؤدي دورًا في مجال العلم إلى جانب المؤسسات التعليمية والدينية الأخرى، فسار الموحدون على درب من تولوا حكم المغرب الأوسط من قبلهم، فاهتم خلفاؤهم بإنشاء المكتبات في قصورهم وفي الأماكن العامة من مساجد ورباطات ومدارس[5]، لتكوين الخليفة وتنمية قدراته الثقافية، وتدعيم التحصيل العلمي بما تحويه من كتب قيمة في مختلف العلوم،وتمكين الطلاب والدارسين من الاطلاع والقراءة والنسخ والاستفادة العلمية، وهي دليل على مدى الاهتمام بالعلم والتعليم، كما اعتنى الخلفاء بجمع أكبر عدد من الكتب وأندر المؤلفات[6].

لقد أنشأ الموحدون خزائن لكنوز من المصنفات والكتب مثل خزانة قصر الخلافة بمراكش، والتي أنشأها عبد المؤمن بن علي وأبناؤه بعد سنة (541هـ)[7]، كما كان الخليفة الموحدي أبو يعقوب يوسف بن عبد المؤمن يهتم بجمع الكتب في مختلف العلوم خاصة

---

[1]- محمد حسين محاسنة: المرجع السابق، ص166.

[2]- المرجع نفسه، ص110.

[3]- شوقي أبو خليل: المرجع السابق، ص446.

[4]- محمد حسين محاسنة: المرجع السابق، ص161.

[5]- قاسمي بختاوي: المرجع السابق، ص175.

[6]- بشير رمضان التليسي: المرجع السابق، ص407.

[7]- حاكمي لحبيب: المرجع السابق، ص82.

كتب الفلسفة ويضمها إلى المكتبة الملَكية أو الخزانة العلمية[1]، وفي هذا الصدد يقول المراكشي:" اجتمع له منها أقرب ما اجتمع للمستنصر بالله الأموي"[2]، كما اقترن اسم يعقوب المنصور بكثير من المدارس المنشأة في إفريقية والأندلس ملحقاً بكل واحدة منها خزانة للكتب تضم مجموعة كبيرة من المؤلفات والمصنفات موضوعة تحت تصرف طلبة العلم[3].

وفي المغرب الأوسط أنشأ الموحدون خزائن للكتب منها خزانة تلمسان التي ظهرت في الفترة الموحدية خلال القرن السادس الهجري، وخزانة والي بجاية التي ظهرت كذلك في القرن نفسه[4]، حيث كان لبجاية نصيب في تأسيس المكتبات خاصة بعدما تحولت إلى عاصمة للحماديين، وقد استمرت هذه المكتبات في العطاء خلال عهد الموحدين الذين عُرفوا بحبهم للعلم والتشجيع على نشره، والذين واضبوا على تشييد المكتبات وجلب الكتب والمخطوطات من مختلف بقاع الأرض. وهذا ما لاحظه معاصر الدولة الموحدية المؤرخ المراكشي، ممّا جعله يتعجب من كثرة الكتب في خزانة عبد المؤمن بن علي[5].

إنّ أغلب خلفاء الموحدين محبين للعلم والعلماء وجلب أنفس الكتب والمصنفات في مختلف العلوم، ولا غرابة في اهتمام الخلفاء الموحدين بالمكتبات من أجل العلم لأنّ مؤسس الدولة كان بحراً متفجراً من العلم. وقد اهتموا باقتناء الكتب حتى صاروا مضرب الأمثال في تملكها، وبلغ بهم الاعتناء بها إلى حد أنهم كانوا ينتزعون ملكية المكاتب ممن يخشى ضياعه لديه لأجل صيانتها في مكتباتهم ويعوضون أصحابها[6].

واشتهر من المكتبات الخاصة مكتبة القاضي عيسى بن أبي حجاج بن يوسف بن ملجوم الذي كان جامعًا للدواوين العتيقة والذخائر النفيسة[7]، وكان في مدينة تلمسان سوق

---

[1]- حسن علي حسن: المرجع السابق: ص510.

[2]- عبد الواحد المراكشي: المصدر السابق، ص175.

[3]- محمد المنوني: حضارة الموحدين، المرجع السابق، ص17.

[4]- حاكمي لحبيب: المرجع السابق، ص83.

[5]- عبد الواحد المراكشي: المعجب، المصدر السابق، ص140.

[6]- محمد المنوني: العلوم والآداب والفنون، المرجع السابق، ص275.

[7]- عبد الله كنون: النبوغ المغربي في الأدب العربي، ط1، دار الكتاب اللبناني، بيروت، لبنان، 1961م، ج1، ص124.

لبيع الكتب والذي اشترى منه أمير المسلمين يغمراسن مصحف الخليفة عثمان بن عفان وحفظه لديه[1].

ومن المكتبات الخاصة ما ذكره ابن فرحون مثل مكتبة عبد الحق الاشبيلي البجائي (ت581هـ)[2] ومكتبة محمد بن عبد الحق اليفرني التلمساني الكومي التي وصفها ابن قنفذ بالجامعة للكتب الجليلة حيث احتوت خزانته على ما لم يجتمع لأحد من أبناء جنسه كثرة ونفاسة[3]، ومكتبة عبد الله بن محمد الصنهاجي الأشيري[4]، ومكتبة آل فكون التي توارث أبناؤها العلم ما يزيد عن السبعة قرون[5]، فالمكتبات التي توجد بأيدي العامة لا تعد ولا تحصى، حيث لا تخلو ترجمة من ذكر ما لصاحبها من كتب ومصنفات ونسخ تحصّل عليها خلال مسيرته العلمية.

العلماء المسلمين سعوا إلى إنشاء مكتبات من أجل الحفاظ على التراث والثقافة والعلم والإطلاع على مصادر العلوم المتواجدة في مختلف أنحاء العالم، ولقد نظم الموحدون خزائن الكتب ووفروا جواً من الحرية أرحب من الجو الذي وفره المرابطون، فحدوا من شوكة الفقهاء المالكيين، إضافة لما للمنافسة بين المشرق والمغرب والعدوتين الأندلسية والمغربية من أثر في إثراء الحياة الفكرية والأدبية، وكان لها الفضل في تدوين كثير من المؤلفات وتشعبت فنون المعرفة وكثر العلماء في كل فن[6].

أما مصادر كتب المكتبات تكون عن طريق الشراء أو النسخ أو الوقف[7]، فهناك أشخاص يوقفون كتبا ومكتبات مثل المكتبة الشارية بسبتة أسسها أبو حسن علي الغافقي

---

[1]- عبد الجليل الحافظ التنسي(ت899هـ): نظم الدر والعقيان في بيان شرف بني زيان(القسم الأدبي)، تحقيق محي الدين طالب، منشورات دحلب، الجزائر، د ت، ص45، حسن علي حسن: المرجع السابق: ص511.

[2]- ابن فرحون: المصدر السابق، ج2، ص59.

[3]- ابن قنفذ القسنطيني: المصدر السابق، ص310.

[4]- ابن عماد شهاب الدين(ت1089هـ): شذرات الذهب في أخبار من ذهب، تحقيق عبد القادر الأرناؤوط ومحمود الأرناؤوط، دار ابن كثير، دمشق، سوريا، د ت، ج6، ص330.

[5]- الغبريني: المصدر السابق، ص334.

[6]- عز الدين عمر موسى: المرجع السابق، ص54.

[7]- الوقف: في اللغة الحبس في سبيل الله، أما اصطلاحا عبارة عن تحبيس الأصل وتسبيل المنفعة، فالوقف ضرب من ضروب الإنفاق في سبيل الله، وهو نوعان الوقف الذري خاص بالأهل، والوقف الخيري الذي يخص البر والإحسان. ينظر: جاسم بن محمد بن مهلهل: الجداول الجامعة في العلوم النافعة، مؤسسة الريان، بيروت، 2010م، ص136.

السبتي[1]، وكذلك عن طريق الهبات والهدايا مساهمة في نشر العلم والمعرفة، وإرادتهم الفوز بالصدقة الجارية.

ساهمت المكتبات في دفع تيار الثقافة في البلاد وتزويد الحياة الفكرية بما تحتاجه من مدد في مختلف فروع المعرفة[2]، فكثرت المكتبات وتنوعت في المغرب الإسلامي على اختلافها لدرجة أنه نكاد لا نجد مسجداً أو جامعاً أو مدرسةً أو زاويةً دون أن تكون مزودة بالمكتبات وخزائنها المدرسية والطلاب على حد سواء، عرفت بها حواضر تلمسان وبجاية ومازونة[3]، كما اشتهرت بعض حواضر المغرب بأسواق الكتب التي تزخر بالكثير من المعارف والفنون، وهذا ما نستشفه من خلال فتاوى الونشريسي حول سمسرة الكتب في بلاد المغرب الإسلامي[4].

تعتبر المكتبات الإسلامية من أهم المؤسسات الثقافية التي يفخر بها الإسلام، والتي كان لها دور في نشر المعرفة والثقافة بين المسلمين، وقد تعدى تأثيرها بين المسلمين أنفسهم وانتقلت إلى ديار الغرب[5]، فهي نتاج طبيعي للحضارة الإسلامية وانعكاس لها،كما ساهمت في توسيع نطاق الحضارة والحفاظ عليها ونقلها إلى الأجيال المسلمة، وعندما اتسع أفق المسلمين العقلي وازدهرت حضارتهم وتنوعت اهتماماتهم الفكرية وزاد عدد المكتبات وتنوعت أغراضها حتى شملت جميع الأنواع التي تؤسس المكتبات من أجلها[6].

المطلب السادس: المدارس

تعد المدارس من أهم المؤسسات التعليمية التي يعتبر ظهورها متأخراً في المغرب الإسلامي كما سيأتي بيانه، ونستهل هذا المطلب بتعريف المدارس.

---

[1]– أحمد بن القاضي المكناسي: المصدر السابق، ج 2، ص486.

[2]– حسن علي حسن: المرجع السابق، ص511.

[3]– بلبشير عمر: المرجع السابق، ص281.

[4]– الونشريسي: المصدر السابق، ج6، ص157.

[5]– محمد ماهر حمادة: المكتبات في الإسلام، مؤسسة الرسالة، ط2، بيروت، لبنان، 1978م، ص5.

[6]– ربحي مصطفى عليان: المرجع السابق، ص113.

الفرع الأول: تعريف المدارس

المدارس[1] هي تلك الأماكن أو الدور أو المباني المنظمة التي يقصدها طلاب العلم، ويتولى التدريس فيها معلمون وأساتذة وعلماء، يكونون متفرغين لذلك لقاء أرزاق تُدرّ عليهم[2]. وهي عبارة عن بناية مستقلة عن المنشآت كالمسجد والقصر وغيرها[3]، وقد يلحق بها جناح خاص لإيواء الطلبة الغرباء والفقراء وعابري السبيل منهم[4]، كما توجد بها خزانة تتضمن كتبا محبسة لفائدة الطلبة والأساتذة، وكانت المدرسة تعتمد في تمويلها على الأحباس بالدرجة الأولى[5]. والمدرسة مؤسسة رسمية، أنشئت بإيعاز من الحاكم وفق تخطيط محكم يستجيب لوظائف تربوية واجتماعية مثل التدريس وإيواء الطلبة، وتحتوي على غرف للإيواء وقاعة للصلاة والدرس في آن واحد، مع وجود صحن مكشوف يستعمل كوسيط حركي أحيانا لإعطاء الدروس[6].

الفرع الثاني: نشأة المدرسة وأدوارها

لقد أقيمت المدارس إلى جانب المساجد والكتاتيب وهي نوع من أنواع المؤسسات التعليمية في العالم الإسلامي وكانت تقوم بمهمتها المتمثلة في احتضان طلبة العلم وتثقيفهم على مرّ العصور[7]، فهي مؤسسة تعليمية ذات مستوى عال، يدرس فيها طلاب العلم مواد دراسية معينة ذات مستوى معين على يد أساتذة مختصين[8]، وهي مؤسسة تضم طلاب العلم تحت إشراف مدرسين أكفاء لرفع الضغط عن المساجد والزوايا، كما يعود سبب ظهورها إلى كثرة العلوم المتداولة في المسجد وتشعب مهامه من اجتماعية وسياسية فأنشئت لتقوم

---

[1]- إن الدلالة اللغوية للمدرسة اشتقت من درَس الشيء، ويَدرس دروساً قيل درست قرأت، ودارسَت ذاكرت، ودرسْت السورة حفظتها، والمدارس تعني الموضع الذي يُدرس فيه، المدرسة مشتقة من الفعل دَرَسَ بمعنى قرأ. ابن منظور: المصدر السابق، ج6، ص79، صالح بن قربة وآخرون: تاريخ الجزائر في العصر الوسيط، المرجع السابق، ص138.

[2]- إسماعيل سامعي: المرجع السابق، ص311.

[3]- عبد العزيز فيلالي: المرجع السابق، ص141.

[4]- المرجع نفسه والصفحة نفسها.

[5]- محمد بوشقيف: المرجع السابق، ص55.

[6]- بن قربة وآخرون: المئذنة المغربية والأندلسية في العصور الوسطى، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1986م، ص142.

[7]- عبد الله علي علام: المرجع السابق، ص291.

[8]- محمد حسين محاسنة: المرجع السابق، ص145.

بالمهام التعليمية[1]. كما أن اتساع رقعة الدولة الإسلامية واحتكاكها بحضارات أخرى دعا إلى الحاجة لاقتباس علوم ومعارف هذه الحضارات عن طريق إنشاء مدارس خاصة بعدما أصبحت المؤسسات السابقة لا تستوعب الدور الكامل في تعليم العلوم النقلية والعقلية على حد سواء وفق تنظيم ممنهج[2].

وقد ظهرت المدرسة كمؤسسة نظامية ذات نظام تعليمي وإداري ومالي، وهي منشآت ثقافية مستحدثة في العالم الإسلامي، وأول مدرسة بنيت فيه يعود تاريخها إلى أوائل القرن الثالث هجري/التاسع ميلادي هي المدرسة الحفصية التي أنشأها الإمام أبو حفص(ت217هـ/832م) في مدينة بخارى، ثم انتشرت خاصة في العهد السماني[3]، وهناك من يرى أن أول مدرسة هي المدرسة البيهقية بنيسابور أوائل القرن5هـ/11م، وبعدها قام الوزير السلجوقي قوام الدين الطوسي ببناء المدرسة النظامية ببغداد سنة (457هـ/1065م)[4].

الفرع الثالث: المدارس زمن الموحدين

بدأت المدارس تنتشر بكثرة منذ القرن الخامس الهجري لازدحام المساجد بالحلقات، وإقبال الناس على العلم[5]، فبعد تراكم خبرات التعليم واختلاف الأنماط وكثرة الضغط على المساجد والكتاتيب والزوايا، ظهرت المدارس في المغرب الإسلامي خلال عهد المرابطين ثم الموحدين وتبلورت أكثر وأصبحت ممنهجة في العهود اللاحقة. ويرى بعض الباحثين أن أول مدرسة ظهرت في المغرب الإسلامي زمن المرابطين مدرسة الصابرين بفاس[6]، أمّا في عهد الموحدين فأسس عبد المؤمن بن علي مدارس بمراكش واستدعى ابن رشد الثاني ليستعين به على تنظيمها، وفي مقدمة هذه المدارس نجد المدرسة العامة لتخريج الموظفين ورجال السياسة وقادة الجيش، والمدرسة الملكية لتعليم الأمراء الموحدين، ومدرسة الأوداية للضباط،

---

[1]– ابن خلكان: المصدر السابق، ص112.

[2]– بلعباس نجاة: المرجع السابق، ص50.

[3]– محمد حسين محاسنة: المرجع السابق، ص135.

[4]– تقي الدين الجراعي: تحفة الراكع والساجد في أحكام المساجد، تحقيق طه الولي، المكتب الإسلامي، لبنان، 1981م، ص196.

[5]– حسن علي حسن: المرجع السابق، ص456.

[6]– صالح بن قربة وآخرون: تاريخ الجزائر، المرجع السابق، ص138، نجاة بلعباس: المرجع السابق، ص118.

ثم عمد إلى تعميمها في المغرب كافة، فحذا خلفاؤه حذوه فاختطوا المدارس وعملوا على تعميرها وتطويرها[1].

رغم ذلك ظل المسجد والكُتّاب ومنزل المدرّس في المغرب الإسلامي موئلا للحياة التعليمية في مختلف مراحلها ومستوياتها حتى حوالي منتصف القرن السادس وبداية القرن السابع هجري، ثم أوجد الموحدون نظاما دقيقا للطلبة يقتضي تخصيص مبانٍ خاصة للتدريبات الرياضية والتوجيهات العلمية، وظهور المدرسة أصبح يقتضيه المنهج الدعوي الموحدي، وقد بنى يعقوب المنصور (ت595هـ/1198م) مدرسة في مدينة سلا ثم بدأت في الانتشار.[2]

لقد اهتم الموحدون بإنشاء المدارس في أجزاء متفرقة من البلاد[3]، حيث قام الخليفة عبد المؤمن بن علي ببناء مدرسة ملحقة بقصره لتخريج الحفاظ ومدرسة الأوداية لتخريج ضباط البحرية[4]، ويخبرنا ابن أبي زرع أنّ يعقوب المنصور الموحدي (580هـ-595هـ/1184م-1199م) بنى المساجد والمدارس في بلاد إفريقية والأندلس والمغرب، وأجرى المرتبات على الفقهاء والطلبة على قدر مراتبهم وطبقاتهم،[5] أمّا النّاصر فبنى عشرين مدرسة[6]، وكان الخليفة يأمر أبناءه بملازمة أشياخ البلاد من فقهاء وطلبة وكتّاب وشعراء، وقراءة القرآن وعقائد الإمام المهدي وحفظها، وحفظ التوحيد البربري والعربي وصحيح مسلم[7].

هناك من الباحثين من يؤكد تأسيس المدرسة في العهد الموحدي على زمن المرتضى (646هـ-665هـ) حسب ما جاء في نص تحبيس يشير إلى وقف على المدرسة التي بناها في مراكش خلال القرن (6هـ/12م) الذي أورده محمد بن عيسى القرطبي

---

(1)- محمد المنوني: المرجع السابق، ص17، شوقي أبو خليل: المرجع السابق، ص28، حسن إبراهيم حسن: المرجع السابق، ص441، يوسف أشباخ: المرجع السابق، ص51، محمد عادل عبد العزيز: المرجع السابق، ص41.

(2)- بلبشير عمر: المرجع السابق، ص263، محمد المنوني: العلوم والآداب والفنون، المرجع السابق، ص21.

(3)- حسن علي حسن: المرجع السابق، ص401.

(4)- المرجع نفسه، ص401.

(5)- ابن أبي زرع: المصدر السابق، ص286، محمد المنوني: حضارة الموحدين، المرجع السابق، ص17.

(6)- حسن علي حسن: المرجع السابق، ص401.

(7)- عصمت دندش: الأندلس في نهاية المرابطين ومستهل الموحدين، دار الغرب ، ط1، لبنان، 1988م، ص49.

(ت620هـ/1221م)، ومن المفترض أنّه أسس كذلك مدرسة القصبة ومنه انتشرت المدارس بالحواضر الكبرى للدولة الموحدية مثل حواضر المغرب الأوسط[1].

لقد بنيت المدارس في تلمسان وبجاية وكانت هذه المدارس تأوي الطلبة الذين يتلقون معارف مختلفة في العلوم النقلية كالقراءات والتفسير وأصول الدين، وعلوم أدبية، إلى جانب العلوم العقلية من منطق وحساب وطب، ومعظم العلماء المتخصصين من الأندلس مثل ابن عصفور، والمعافري، وفدوا لتأدية رسالتهم التعليمية[2].

ومن أهم المدارس في المغرب الأوسط خلال عصر الموحدين؛ مدرسة جامع قصبة المدينة التي أنشأها الموحدون في بجاية[3]، كما ظهرت في تلمسان المدارس لأول مرة في مسيرتها التاريخية كمؤسسات فعّلت الحركة العلمية، تلك التي كانت تؤطرها الحلقات الدراسية بجامع تلمسان الأعظم والمساجد المحيطة به، وتخرج فيها عدد كبير من العلماء الأعلام والفقهاء والأدباء، حتى غدت مساجدها ومدارسها معياراً يقاس به نمو الحركة العلمية ومؤشرا للازدهار[4].

لقد ظهرت المدارس ذات الطابع الديني في نهاية عهد الموحدين وكانت لها علاقة بالمساجد، ثم تطورت وأصبحت واضحة المعالم خلال عهد الزيانيين مثل مدرسة ابني الإمام والمدرسة التاشفينية، وكان التعليم العالي يقوم به أساتذة مستقلون يلقون محاضراتهم في المساجد، كانوا يهتمون بالعلم حيث وجدت العبارة التالية على مدخل المدارس في الأندلس "يقوم العلم على عمد أربعة: حكمة العلماء، وعدل العظماء، وصلوات الأتقياء، وشجاعة الشجعان"[5].

نجد استمرارية لمشروع ابن تومرت عند خليفته عبد المؤمن بن علي وأبنائه، ويتجسد ذلك في اهتمامهم بنشر التعليم،حيث شيدوا لأجل ذلك جملة من المدارس بالمغرب الأقصى،

---

[1]– صلاح أحمد البهنسي: عمارة المغرب والأندلس في العصر الإسلامي، جامعة عين شمس، مصر، د ت، ص112، محمد بوشقيف: المرجع السابق، ص58.

[2]– عبد الرحمان عبان: المرجع السابق، ص33، فركوس: المرجع السابق، ج1، ص202، نجاة بلعباس: المرجع السابق، ص118.

[3]– محمد الشريف سيدي موسى: المصدر السابق، ص114.

[4]– صالح بن قربة وآخرون: تاريخ الجزائر في العصر الوسيط، المرجع السابق، ص136.

[5]– شوقي أبو خليل: المرجع السابق، ص457.

ولم يرد شيء بخصوص المدارس النظامية الواضحة المعالم بالمغرب الأوسط والأدنى–على حد علمنا– سوى عبارة لابن أبي زرع الفاسي (ت726هـ/1326م) وهو يذكر إنجازات الخليفة أبي يوسف قائلا:" بنى المساجد والمدارس في بلاد إفريقية والمغرب والأندلس"[1]. وفي مصادر أخرى أنّ عبد المؤمن بن علي أسس معهدا لطبقة الحفاظ، متكونة من صبيان أبناء إشبيلية وفاس وتلمسان والمصامدة، ووقف عليهم حفظ كتاب "الموطأ" وكتاب "أعز ما يطلب"[2].

إن إدارة التعليم وتمويله في العصر الوسيط ينطلق من أنّ التعليم والتربية في الإسلام مسؤولية دينية(فردية وجماعية)، فكل من له القدرة على الدعم فعليه القيام بذلك وإلا اعتبر مقصراً في حق من حقوق الله عليه، كما تتدخل الدولة في التعليم بوصفها ممثلا للجماعة الإسلامية عن طريق تقديم العون والمساعدة والتقويم[3]، فقامت الأوقاف بدور بارز في تغذية دور العلم ماديا حتّى انتشرت بشكل واسع، وذلك عن طريق وثائق خاصة به تسمى الحوالات الوقفية (وثيقة الوقف أو كتاب الوقف)، كانت تشبه اللائحة أو النّظام الداخلي للمدرسة، تتضمن شروط المدرسة من تنظيمات إدارية ومالية، وإنّ شرط الواقف هو المعتمد في تحديد سلم الرواتب وطريقة تسليمها[4].

إن وظيفة المدرسة اقترنت بالتعليم والإيواء وهذا ما يميزها عن الجامع والكُتّاب، فهي توفر المساكن للطلبة كما توفر لهم الجرايات، لذلك تخضع لنظام خاص يحدد طريقة تسييرها وأهدافها[5]، ويسكن المدرسة من بلغ عشرين سنة فما فوق وأخذ في قراءة العلم ودرسه بقدر وسعة، ويحضر قراءة الحزب صباحا ومساءً، ويحضر مجلس مقرئيها، ويكون مواظبا[6].

يسير المدرسة أشخاص مثل الإمام والمؤذن والمدرس والأستاذ والقيّم والبوّاب، أمّا المدارس الكبرى فيوجد فيها إضافة إلى ذلك بوابون ومدرسون، ويكون لها مسجد خاص

---

[1]– ابن أبي زرع: المصدر السابق، ص217، فوزية كرراز: المرجع السابق، ص259.

[2]– المرجع نفسه، ص261.

[3]– عبود عبد الغني: التربية الإسلامية، دار الفكر العربي، القاهرة، مصر، 1977م، ص115.

[4]– بلبشير عمر: المرجع السابق، ص288، محمد حسين محاسنة: المرجع السابق، ص152.

[5]– بلبشير عمر: المرجع السابق، ص269.

[6]– الونشريسي: المصدر السابق، ج7، ص7.

بها[1]، ونظراً لانتشار الثقافة الصوفية في المغرب الإسلامي أصبح علم التصوف يدرّس مثل بقية العلوم في المدارس[2]. أمّا مواعيد الدراسة فغالبا كانت في دُور العلم فترتين؛ الفترة الصباحية والفترة المسائية، ويمكن أن ترتبط أحيانا بمواعيد الصلاة فتكون قبل الصلاة أو بعدها[3]، كما تُمنح إجازات وعطل للطلبة[4].

لقد كان أساتذة المدارس في المغرب الأوسط شيوخا متضلعين مبرّزين في مواد مختلفة، لم يقتصر تعليمهم على المدارس بل كانوا ينتقلون إلى المساجد لتعميم ونشر التعليم[5]، ويتميزون بأخلاق عالية وعلوم غزيرة خاصة في مجال تخصصهم، ومتمكنين ومتقنين لعلومهم مع دقة التدريس والنزاهة العلمية واحترام قواعد التعليم ومتطلبات المنهج وصحة الرواية وعلو الإسناد[6].

إن المدارس أكبر وأشمل من باقي المؤسسات العلمية فهي خاضعة لنظام خاص، وغالبا ما تكون تابعة للدولة ولها مجالات وتخصصات علمية متنوعة، وتخرّج فيها عدد كبير من العلماء والأدباء الذين نافسوا علماء العالم الإسلامي في تبليغ رسالة العلم للأجيال.

المطلب السابع: البيمارستانات وبيوتات العلماء

إضافة إلى المؤسسات العلمية السابقة توجد مؤسسات ودور شبه تعليمية تهتم بنشر العلم وتطويره، منها البيمارستنات التي لها دور في تطوير علوم الطب والصيدلة.

الفرع الأول: البيمارستانات

البيمارستانات[7]، مخصصة لإقامة المرضى للعلاج، وتدريب الطلاب على مهنة الطب[1]، وتعالج فيها الأمراض والعلل، ثمّ حصر استعمالها فأصبحت مارستان[2]، وكان

---

[1]- بلبشير عمر: المرجع السابق، ص275.

[2]- المرجع نفسه، ص277.

[3]- الونشريسي: المصدر السابق، ج7، ص7، ينظر كذلك سعد الدين محمد منير: دراسات في تاريخ التربية عند المسلمين، دار بيروت المحروسة، بيروت، لبنان، 1992م، ص65.

[4]- بلبشير عمر: المرجع السابق، ص279.

[5]- عبد العزيز فيلالي: المرجع السابق، ج2، ص351.

[6]- المرجع نفسه والصفحة نفسها.

[7]- البيماريستان: كلمة فارسية مكونة من كلمتين هما (بيمار) بمعنى مريض أو مصاب، و(ستان) بمعنى دار، أي أنّها دار المرضى. أحمد فؤاد باشا: المؤسسة العلمية والتعليمية في عصر الحضارة الإسلامية، مركز الدراسات، مصر، 2007م، ص5.

الأطباء والحكماء يعملون بالمستشفى من أجل مداواة المرضى، ومعالجتهم والتخفيف من آلامهم، ويتضمن المستشفى عدة غرف متخصصة للحمى والمجانين والمجذومين[3].

وأبقراط اليوناني أول من خصص موضعا للمرضى في بستان لمداواتهم سمي(اخسندوكن) ويعني مجمع المرضى، أمّا في الإسلام على عهد الرسول ﷺ ضرب عبد الله بن الزبير فسطاطا لعلاج الصحابة سمي المارستان العربي، والأرجح أنّ المارستان بمعناه الصحيح أنشئ في خلافة الوليد بن عبد الملك (88هـ/708م) لمعالجة ذوي الأمراض المزمنة[4]، ثم عدد كبير من المستشفيات والمدارس الطبية التي تقوم بعمل إنساني وهو معالجة المرضى جسمياً وعقلياً، متخذةً محلاً لتدريس الطب النظري والعملي، وأطباؤها يقومون بتأليف الكتب التي تؤلف رصيداً ضخماً في الحضارة العربية[5].

كان وجود البيمارستانات بالمغرب عموماً في الحواضر الكبرى والمدن، في حين لم نجد لها ذكرا في الأرياف والبوادي، حيث تقل الخدمات الصحية داخل هذا المجال[6]، وقد لعبت البيمارستانات دورا صحيا بالاهتمام بالمرضى وتقديم العلاج لهم، فقد ذكر حسن الوزان وجود عدد من البيمارستانات في مدينة بجاية وتلمسان خلال العصر الوسيط[7]، وحرص الخلفاء والسلاطين المسلمين على تشييد وبناء المستشفيات من أجل علاج المرضى من مختلف الطبقات، لنيل الثواب، ومن أجل خدمة الإنسانية وتطوير المجتمع.[8]

كان الأوروبيون منهم الأمراء في العصور الوسطى يفدون على بلاد المسلمين ليعالجوا فيها، وكانت بلاد العرب المسلمين مصدر إشعاع فكري وعلمي وحضاري إلى أوروبا، وخير مثال أنّ جربرت الفرنسي دَرَس في مدارس إشبيلية وقرطبة وتزود بالحضارة العربية الإسلامية ثمّ نصب بابا في روما باسم سلفستر الثاني، وأدخل معارف المسلمين من

---

[1]– محمد حسين محاسنة: المرجع السابق، ص167.

[2]– أحمد عيسى بك: تاريخ البيمارستانات، دار الرائد العربي، ط1، بيروت، لبنان،1981م، ص2.

[3]– عبد العزيز فلالي: المرجع السابق، ص247.

[4]– محمد حسين محاسنة: المرجع السابق، ص165.

[5]– ناجي معروف: المرجع السابق، ص451.

[6]– ابن بطوطة: تحفة النظار، المصدر السابق، ج1، ص158.

[7]– حسن الوزان: المصدر السابق، ج2، ص50.

[8]– عثمان محمد عبد الستار: المدينة الإسلامية، مكتبة المتنبي، الكويت، 1978م، ص224.

الشرق والغرب إلى أوروبا[1]، لأنّه إلى جانب ما كانت توفره البيماريستانات من علاج المرضى ومداواتهم، فهي مؤسسات وكليات ومعاهد للطب والصيدلة تلقن فيها الدروس[2].

البيماريستانات كان لها أدوار على الصعيد العلاجي والتعليمي بل تعدى ذلك إلى استغلالها أيام المجاعات لإطعام المساكين والفقراء، وقد اهتمت دولة الموحدين بإنشاء بيماريستانات، حيث يخبرنا ابن أبي زرع أنّ المنصور الموحدي بنى مستشفى كبيرا بمراكش وجهزه بكل أنواع العلاج وحشد له ثلة من الأطباء للسهر على راحة المرضى[3]، ويشرف على هذا المستشفى الطبيب أبو إسحاق إبراهيم الداني البجائي[4]. وذكر الإدريسي أنّه يوجد بيمارستان في بجاية، وأولى البجائيون اهتمامهم بمجال الصحة فعملوا على تجهيز بيماريستاناتهم بأنواع العلاج المتوفرة آنذاك، وجلبوا إليه الأطباء من أجل رعاية المرضى والمحافظة على راحتهم[5]، كما وُجد بتلمسان بيماريستانات تقوم بتقديم الرعاية الصحية للمرضى. وورد في موسوعة تاريخ العلوم العربية أنّ جميع المستشفيات في أرض الإسلام ممولة بواسطة عائدات المؤسسات الخيرية المعروفة بالأوقاف، بفضل الأغنياء والحكام الذين يتبرعون بملكيات لهم[6].

الفرع الثاني: بيوتات العلماء

لقد دعت الحاجة إلى اتخاذ المنازل دوُراً للعلم، وقد اتخذ رسول الله ﷺ قبل نشأة المساجد من دار الأرقم بن أبي الأرقم مركزاً يلتقي فيه أصحابه ومن تبعه ليعلمهم مبادئ الدين الجديد بعيداً عن سمع وبصر مشركي قريش، كما اتخذ منزله مكاناً ليعلم المسلمين ويزكيهم[7]. وعلى هذا النهج أصبحت بيوت العلماء أماكن للتعليم تماشياً مع الصراعات العقدية والسياسية، وأسهمت منازلهم في إثراء الثقافة ونشر العلوم خاصة الدينية منها في

(1)– شوقي أبو خليل: المرجع السابق، ص450.

(2)– المرجع نفسه، ص519، نصيرة بوخشة: المؤسسات التعليمية ودورها في ازدهار الحركة العلمية في العهد الموحدي، رسالة ماجستير، جامعة مولاي الطاهر، سعيدة، الجزائر، 2015م/2016م، ص52.

(3)– ابن أبي زرع: المصدر السابق، ص157، المراكشي: المصدر السابق، ص287.

(4)– محمد الطمار: المرجع السابق، ص171.

(5)– الإدريسي: المغرب وأرض السودان ومصر والأندلس، مأخوذة من كتاب نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، مطبعة بريل، ليدن، هولندا، 1863م، ص90.

(6)– سميث إيميلي ساقاج: موسوعة تاريخ العلوم العربية، مركز الدراسات العربية، ط3، لبنان، 2006م، ج3، ص191.

(7)– بشير رمضان التليسي: المرجع السابق، ص422.

المجتمع المغاربي واستمرت في شكل حلقات، فظهرت بيوتات العلم في المغرب الأوسط خلال القرن السابع هجري، ومن بينها آل الفقيه أبي زيد عبد الرحمن بن حجر، العائلة البادسية القنفذية، آل فكون، ثم تطورت بصفة كبيرة في عهد الدولة الزيانية.

خلاصة

إنّ المغرب الإسلامي عرف ثراءً كبيرًا في المؤسسات العلمية، كما عرفت هذه المؤسسات تنوعا في الوظائف والخدمات، تيسيرا للعملية التعليمية ونشر العلم بين مختلف الطبقات، واستقداما للشيوخ والعلماء، وعناية الخلفاء ورجال الدولة بالعلم والتحفيز عليه. وقد كان لهم وللمحسنين وأهل الخير فضل في الإنفاق على تلك المؤسسات من أموالهم الخاصة. ولا تخضع في غالبها للتسيير من قبل الدولة.

كما نستصفي من هذا الفصل أنّ كثرة وتعدد المراكز العلمية والثقافية في المغرب الإسلامي بصفة عامة والمغرب الأوسط بصفة خاصة، كانت سبباً في ظهور حواضر علمية مزدهرة مثل تلمسان وبجاية والقلعة، وأصبح للحياة الدينية دور في نشاط الحركة العلمية وتضافرت عدة عوامل على تنشيطها، فتطورت مختلف العلوم العقلية والنقلية كما سنتطرق إليها في الفصل الموالي، وكان التعليم فيها حجر الزاوية في دفع الحركة الفكرية وتوسيع دائرتها، فلعبت هذه المؤسسات دورًا كبيرًا في نشر مختلف العلوم خاصة الدينية منها، وحافظت على المذهب المالكي في التعليم، بفضل جهود الفقهاء والشيوخ ومختلف الموارد المالية التي كانت تمول هذه المؤسسات خاصة الأوقاف وتحميها من الزوال.

الفصل الثالث:

العلوم النقلية في المغرب الأوسط زمن الموحدين

المبحث الأول: علــــوم القــــرآن

المبحث الثاني: عـــلم الحـــديث

المبحث الثالث: عـــلم الفقـــه

المبحث الرابع: علـــم التـــصوف

المبحث الخامس: علـــم الكلام المناظرة

المبحث السادس: العلـــوم الأدبيـــة

المبحث السابع: علـــم التاريـــخ

تمهيد:

بعد إنشاء المسلمين للكثير من المؤسسات العلمية، تطورت العلوم في مختلف أنحاء الدول الإسلامية بما في ذلك الدولة الموحدية، التي عملت على نشر العلوم وتطويرها عن طريق بناء المؤسسات العلمية والدينية وتشجيع العلماء على التدريس بها، وتحفيز الطلاب على طلب العلم؛ وذلك بفضل خلفائها الشغوفين بالعلم، خاصة في مجال العلوم الدينية من أجل ترسيخ قيم ومبادئ الدين الإسلامي. وقد قسمت العلوم إلى عدة أقسام وأنواع حسب مصدر كل علم، ومن العلوم التي كان لها حصة الأسد لدى علماء الدولة الموحدية العلوم النقلية، لذلك نتساءل عن كيفية تصنيف هذه العلوم؟ وفيما تتمثل أنواعها؟ ومن هم الشيوخ والعلماء الذين برزوا خلال هذه الفترة؟

أولاً: تعريف التصنيف

إنّ تعريف التصنيف في الاصطلاح يقتضي أولاً بيان استعماله المعجمي لأنّ المعاني الاصطلاحية تُبنى على المعاني اللغوية.

التصنيف لغة: هو التمييز، وصنّف الشيء؛ ميز بعضه من بعض، وتصنيف الشيء جعله أصناف[1]، وجاء في"تكملة المعاجم العربية" أن كلمة صنف: رتب الكتاب حسب مواده وموضوعاته، ويقال الكتب المصنفة، وهي الكتب التي رتبت بهذه الطريقة[2].

واصطلاحاً: فلا يخرج التّصنيف عن كونه يفيد ترتيب الأشياء أو العلوم في أقسام أو مجموعات بالنّظر إلى العناصر المشتركة بينها، ولذلك يُعد من أبرز الوسائل المنهجية المعتمدة في تنظيم الأشياء التي تربط بينها صفات وخصائص مشتركة، تُشكل ما يمكن تسميته بالطائفة أو الصنف أو المجموعة[3]، والتّصنيف هو وضع الأشياء في مجموعات مرتبة على أساس خاص يجعل معرفتها وتمييز أفرادها سهلا.

---

[1]- ابن منظور: لسان العرب، المصدر السابق، ص2511.

[2]- دوزي: تكملة المعاجم العربية، ترجمة محمد سليم النعيمي، مراجعة جمال الخياط، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، العراق، 1982م، ج6، ص 476.

[3]- ارنست ماير: هذا هو علم البيولوجيا دراسة في ماهية الحياة والأحياء، ترجمة عفيفي محمود عفيفي، سلسلة عالم المعرفة، الكويت، 2002م، عدد 277، ص142.

ثانيا: تصنيف العلوم عند بعض العلماء

اختلف تصنيف العلوم لدى الفلاسفة والعلماء من أجل تمييزها في مجموعات متباينة، وذلك باستعمال معايير معينة، ومن بين الفلاسفة أفلاطون الذيصنّف العلوم تصنيفا ثنائيا (علم المحسوسات) و(علم المعقولات) بناءً على معيار الإدراك، ثمّ جاء الفيلسوف أرسطو بتقسيم ثلاثي للعلوم مختلفا عن تقسيم أفلاطون، حيث قسمها إلى علوم نظرية(العلم الرياضي والطبيعي والإلهي)، علوم شعرية(البلاغة والشعر والجدل)، علوم عملية (الأخلاق والاقتصاد والسياسة).

- وصنّف ابن أبي الربيع(ت272هـ) العلوم إلى ثلاثة أقسام منها القسم الأعلى(هو علم الإلهيات صاحبه ينظر في الأمور التي وجودها في العقل)، العلم الأوسط(هو علم الرياضيات صاحبها ينظر في الأمور التي وجودها في الذهن)، العلم الأسفل(هو علم الطبيعيات ينظر في الأمور التي في وجودها الحسن)[1].

-الفارابي(ت 339 هـ) من خلال كتابه "إحصاء العلوم"قسمها إلى خمسة أقسام أساسية كل قسم فيه فروع(علم اللسان، علم المنطق، علم التعاليم، العلم الطبيعي والعلم الإلهي، العلم المدني وعلم الفقه وعلم الكلام)[2].

جاء تقسيم الفرابي مغايرا لتقسيم من سبقه وأكثر توسعاً، فإذا كان تصنيف العلوم عند أرسطو ثلاثيا فإنّه عند الفرابي خماسيا، كما أدخل علوما لم تكن عند اليونان كالعلوم الإسلامية وعلوم اللسان.

- وكذلك مؤلفو "رسائل إخوان الصفا وخلان الوفا" (منتصف القرن4هـ) الذين خصصوا فصلاً من رسائلهم السابعة للبحث في أجناس العلوم فصنفوها إلى ثلاثة أصناف محورية هي:(العلوم الرياضية أو علم الآداب، العلوم الشرعية الوضعية، العلوم الفلسفية الحقيقية)[3].

---

[1]- شهاب الدين أحمد بن أبي الربيع: سلوك المالك في تدبير الممالك، تحقيق عارف أحمد عبد الغني، دار كنان، دمشق، سوريا، 1996م، ص67.

[2]- الفارابي: إحصاء العلوم، مركز الإنماء القومي، لبنان، 1991م، ص125.

[3]- إخوان الصفا: الرسائل، قدمها بطرس البستاني، دار بيروت للنشر، بيروت، لبنان، 1983م، ج1، ص266.

-أما الخوارزمي(ت386هـ) في مقدمة كتابه "مفاتيح العلوم"، فقسمها إلى علوم الشريعة وما يقترن بها من العلوم العربية والثانية علوم العجم[1]. وهو تصنيف شرعي ثنائي، ميز بين العلوم الأصيلة والدخيلة والمترجمة إلى العربية، منطلقه في التصنيف هو مصدر العلوم.

-وقد قسم ابن سينا(ت428هـ) في"أقسام العلوم العقلية" العلوم إلى قسمين: علوم نظرية (الرياضيات والطبيعيات والإلهيات)، وعلوم عملية (الأخلاق وتدبير المنزل وتدبير المدينة)، فابن سينا تأثر بتقسيم أرسطو واستفاد منه كما أضاف إلى تقسيمه العلوم الشرعية باعتباره من أقطاب الفلسفة الإسلامية.

-في حين يعد ابن النديم(ت438هـ) في كتابه "الفهرست"أول كتاب بلغة العرب يُفهرس ويُجرد أصناف العلوم وأخبار مصنفيها في عشر مقالات، كل مقالة اختصت بعلم أساسي من العلوم[2].

- وقد تجاوز ابن حزم(ت456هـ) التصنيف الثنائي في رسالته "مراتب العلوم" وقسم العلوم إلى سبعة وهي: علوم الشريعة،علم الأخبار(التاريخ)، علم اللغة، علم النجوم، علم العدد، علم الطب وعلم الفلسفة[3].

- ولأبي حامد الغزالي(ت505هـ) تقسيمان؛ الأول في كتابه "إحياء علوم الدين" حيث قسم العلوم إلى علوم شرعية (الأصول والفروع وهي محمودة كلها)، وعلوم غير شرعية(علوم محمودة وعلوم مذمومة)[4]. والتقسيم الثاني في كتابه المستصفى حيث قسم العلوم إلى ثلاثة(علم عقلي محض لا يحث الشرع عليه ولا يندب إليه: كالحساب والهندسة والنجوم، ونقلي محض مثل الأحاديث والتفاسير، أما الثالث هو أشرف العلوم؛ ما ازدوج فيه العقل والسمع واصطحب فيه الرأي والشرع وعلم الفقه وأصوله)[5].

فأبو حامد الغزالي اعتمد مرة معيار الشرع في تقسيم العلوم قسمين؛ شرعي وغير شرعي، ومرة ثانية اتكأ على معيار مصدر العلم وهو إمّا النقل أو العقل فقسمها إلى ثلاثة؛

---

(1)- الخوارزمي: مفاتيح العلوم، مكتبة الكليات الأزهرية، القاهرة، مصر، 1981م، ص16.

(2)- ابن النديم: الفهرست، دار المعرفة، بيروت، لبنان، 1978م، ص4.

(3)- ابن حزم: رسائل ابن حزم، تحقيق إحسان عباس، المؤسسة العربية للدراسات، لبنان، 1983م، ج1، ص43.

(4)- أبو حامد الغزالي: إحياء علوم الدين، دار ابن حزم، ط1، بيروت، لبنان، 2005م، ص24.

(5)- أبو حامد الغزالي: المستصفى من علم الأصول، تحقيق أحمد زكي حماد، دار الميمان للنشر، السعودية، د ت، ص4.

ما كانا نقليا خالصا وما كان عقليا خالصا وما كان مزيجا بينهما، وإن كان على التصنيف بعض التعقيب لأنّ التفسير مثلا أنواع؛ منه النقلي والعقلي .

-أما المهدي بن تومرت(ت524ه) الزعيم الروحي للدولة الموحدية فقد صنف العلم إلى ثلاثة أقسام: العلم بالدين، العلم بالدنيا، العلم بما يتوصل به إليهما، وهذا التقسيم قائم على تصور عقدي[1]. فابن تومرت ركز في تقسيمه على موضوع العلم وهو إمّا الدين أو الدنيا ثمّ الوسيلة إليهما.

-أما تقسيم الغبريني(ت714ه) في كتابه"عنوان الدراية" فبنى تقسيمه على معيار مصدر العلم الذي اتكأ عليه أبو حامد الغزالي، فقسمها إلى علم الدراية ويحتوي (علم الفقه، علم الأصلين أصول الدين وأصول الفقه، علم التصوف، وعلم المنطق)، وعلم الرواية ويتضمن(علوم التفسير، علوم الحديث، علوم الفقه، علوم العربية، علوم التصوف، والتذكير)[2]، ونلاحظ وجود نوع من التداخل بين العلوم في هذا التصنيف.

- وجاء بعدهم ابن خلدون(ت808ه) فنحى في انتخاب معيار المصدر منحى أبي حامد الغزالي والغبريني فقال بالتقسيم الثنائي للعلوم؛ وذلك من خلال مقدمته الشهيرة بـ"مقدمة ابن خلدون"، حيث صنّفها إلى علوم عقلية وعلوم نقلية مع إقصائه لعلم التاريخ حيث قال:" العلوم التي يخوض فيها البشر ويتداولونها في الأمصار، تحصيلا وتعليما هي على صنفين: صنف طبيعي للإنسان يهتدي إليه بفكره وصنف نقلي يأخذه عمن وضعه، والأول هي العلوم الحكمية الفلسفية، وهي التي يمكن أن يقف عليها الإنسان بطبيعة فكره، ويهتدي بمداركه البشرية إلى موضوعاتها ومسائلها، والثاني هي العلوم النقلية الوضعية وهي كلها مستندة إلى الخبر عن الواضع الشرعي، ولا مجال فيها للعقل إلا في إلحاق الفروع من مسائلها بالأصول"[3].

فابن خلدون ارتكز في تقسيمه على مصادر العلوم، فهي إمّا الوحي وهو مصدر إلهي وإمّا العقل وهو مصدر بشري إجتهادي، وقدّم العلوم العقلية على النقلية وحصرها، في حين

---

(1)- عبد المجيد النجار: المرجع السابق، ص166.

(2)- الغبريني: المصدر السابق، ص355.

(3)- ابن خلدون: المقدمة، المصدر السابق، ص358.

فتح المجال لتفريعات العلوم الشرعية التي تتنامى بتطور الآليات والأدوات لخلود المعجزة القرآنية.

-وتبنّى طاش كبرى زاده (ت968هـ) تقسيم ابن حزم في تصنيف العلوم في موسوعته"مفتاح السعادة ومصباح السيادة في موضوعات العلوم" التي تعد أكبر موسوعة إسلامية في تصنيف العلوم إلى سبعة سمى كل واحد منها« دوحة»[1].

بالنظر إلى هذه التصنيفات يتبين لنا اتفاق الخوارزمي وابن حزم وابن خلدون وطاش كبرى زادة في جعل العلوم الشرعية صنفا مستقلا، بينما يختلفون في معيار التصنيف، غير أنّ أغلب المؤرخين والعلماء اتبعوا التقسيم الثنائي للعلوم وهي العلوم النّقلية والعلوم العقلية.

إنّ العلوم النقلية هي العلوم التي يكتفي فيها المسلم باستيعاب الدين والإلمام بما خلفه الأجداد والواضعون لهذه العلوم للحفاظ عليها والدفاع عنها في كل مناسبة وفي كل الظروف[2]، ففي حديث الرسول ﷺ إشارة إلى بعض العلوم النقلية التي أتقنها كبار الصحابة رضي الله عنهم حيث قال:{ أَرْحَمُ أُمَّتِي بِأُمَّتِي أَبُو بَكْرٍ، وَأَشَدُّهُمْ فِي دِينِ اللَّهِ عُمَرُ، وَأَصْدَقُهُمْ حَيَاءً عُثْمَانُ، وَأَقْضَاهُمْ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ، وَأَقْرَؤُهُمْ لِكِتَابِ اللَّهِ أُبَيُّ بْنُ كَعْبٍ، وَأَعْلَمُهُمْ بِالْحَلَالِ وَالْحَرَامِ مُعَاذُ بْنُ جَبَلٍ، وَأَفْرَضُهُمْ زَيْدُ بْنُ ثَابِتٍ، أَلَا وَإِنَّ لِكُلِّ أُمَّةٍ أَمِينًا وَأَمِينُ هَذِهِ الْأُمَّةِ أَبُو عُبَيْدَةَ بْنُ الْجَرَّاحِ}[3].

والعلوم النقلية من العلوم التي اهتم بها الموحدون خاصة العلوم الدينية، ويعود ازدهارها إلى اهتمام الحكام بها، والدليل على ذلك ما ذكره ابن صاحب الصلاة في كتابه"المن بالإمامة"أنّ الموحدين كانوا لا يحجرون على الناس في تفكيرهم، حتى ازدهرت الفلسفة وارتفعت رؤوس المفكرين[4]، لذلك سنتطرق في هذا الفصل إلى أنواع العلوم النقلية وفقا للمباحث التالية:

---

[1]- طاش كبرى زادة: مفتاح السعادة ومصباح السيادة في موضوعات العلوم، دار الكتب، مصر، د ت، ج1، ص43.

[2]- محمد بن أحمد بن شقرون: مظاهر الثقافة المغربية، مطبعة الرسالة، الرباط، المغرب، 1982م، ص191.

[3]- أخرجه ابن ماجة(ت273هـ) في سننه، تحقيق الأرناؤوط وآخرون، دار الرسالة العالمية، ط1، دمشق، سوريا، 2009م، باب فضائل زيد بن ثابت، رقم154، ج1، ص107.

[4]- ابن صاحب الصلاة: المصدر السابق، ص49.

المبحث الأول: علوم القرآن

علوم القرآن[1] هي مجموعة مباحث ومسائل تهتم بالقرآن الكريم وفهم معانيه وشرح ألفاظه وإعرابها ومعرفة أسباب نزوله، وحفظه وترتيبه في المصاحف وتفسيره وبيان مجمله ومبهمه[2]، تدوينه ونسخه وكاتبه ورسمه، وقراءاته، وتفسيره[3]، ويعرفه القسطلاني:" ينبوع العلوم ومنشؤها، ومعدن المعارف ومبدؤها، وأصل كل علم ورأسه"[4].

يعتبر القرآن الكريم المصدر الأول للإسلام وتشريع القوانين عند المسلمين من أجل تنظيم العبادات والمعاملات فهو الذي ينظم حياة وشؤون المسلمين في جميع مجالات الحياة، وقد نزل منجما حسب الحوادث، خلال عشرين سنة من حياة الرسول ﷺ، حيث قال:{ كِتَاب الله تبَارك وتَعَالى، فِيه نَبأ منْ قَبلكُم وخَبر مَا بَعْدكُم وحكَم مَا بيْنكم، هو الفَصْل ليْسَ بالهزْل، مَن تركَه من جَبار قَسّمه الله ومَن ابتغَى الهُدى في غَيره أضَله الله}[5].

ظهرت علوم القرآن بنزوله على الرسول ﷺ، فأصبح اهتمام الناس ينصب على تلاوته وتجويده، وكذلك بدؤوا يحرصون على تلقينه من خلال حفظه وقراءته، لذلك قال الرسول ﷺ:{ خَيْركم مَن تَعلم القرآن وعَلمَه}[6]، ويشمل تعليم القرآن الصبيان والإناث[7].

كان القرآن الكريم في المغرب الأوسط يدرس في كل مكان تقريباً، في المساجد والمدارس الفقهية ذاتها، وفي الخوانق والرباطات والزوايا، وحتى في البيوت ولم يكن أحد من العلماء أو الطلاب يجهل القرآن الكريم، مهما كانت المدرسة التي تخرج منها.

---

[1]- القرآن لغة من المصدر قرأ يقرأ بمعنى جمع يجمع، وقرأ الشيء أي جمعه، ويقال قرِأ ويقرأ بمعنى تلا ما حفظه، أما اصطلاحا :"هو كلام الله المعجز المنزل وحيا على النبيﷺ المكتوب في المصاحف، المنقول عنه بالتواتر المتعبد بتلاوته"، من أسماء القرآن: الفرقان، البرهان، الحق، النبأ العظيم، البلاغ، الروح، الشفاء، الذكر. ينظر: ابن منظور: المصدر السابق، ج13، ص336، والسيد محمد باقر: علوم القرآن، مجمع الفكر الإسلامي، ط3، لبنان، د ت، ص17.

[2]- محمد حسين محاسنة: المرجع السابق، ص54.

[3]- عبد الرؤوف زواري: المرجع السابق، ص165.

[4]- أبو العباس أحمد القسطلاني(ت923هـ): لطائف الإشارات وفنون القراءات، تحقيق مركز الدراسات القرآنية، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، السعودية، 2012م، ج1، ص03.

[5]- أخرجه الترمذي(ت279هـ) في سننه، تحقيق أحمد محمد شاكر وآخرون، نشر مطبعة مصطفى البابي الحلبي، ط2، مصر، 1975م، باب ما جاء في فضل القرآن، رقم2906، ج5، ص172.

[6]- ابن حجر العسقلاني: فتح الباري شرح صحيح البخاري، دار طيبة، السعودية، 2005م، ج11، ص269.

[7]- علي القابسي: الرسالة المفصلة لأحوال المعلمين، تحقيق أحمد خالد، الشركة التونسية، تونس، 1986م، ص97.

اهتم الموحدون بالقرآن الكريم وعلومه وبادروا إلى تحفيظه وتعليمه في المساجد ومختلف المؤسسات التعليمية، وكان الاهتمام بالمصحف[1] بالغا خاصة الذي وقع إليهم من نسخ عثمان رضي الله عنه من خزائن بني أمية يحملونه بين أيديهم أنّى توجهوا على ناقة حمراء عليها الحلي النّفيس وخلفها بغل محمل بمصحف محلّى بالذهب مكتوب بخط ابن تومرت[2]، ومن بين علوم القرآن التي كانت محل اهتمام خلال العهد الموحدي:

المطلب الأول: علم القراءات

يُعد علم القراءات[3] ضمن العلوم النقلية العريقة، والتي ظهرت مع وجود القرآن الكريم ونالت عناية كبيرة من طرف العلماء كما سيأتي توضيحه في الفروع الموالية.

الفرع الأول: علم القراءات قبل الموحدين

كان علم القراءات في مقدمة العلوم الدينية التي اعتنى بها المسلمون لأنّه أول محاولة لتفسير القرآن الكريم[4]، بل تعد القراءات مصدرا من مصادر التفسير، ويفسر بعضها بعضا، وهي لصيقة بنزول القرآن الكريم. وعرّفه ابن الجزري أنه:"علم بكيفية أداء كلمات القرآن واختلافها بعزو الناقلة"[5]، وهو علم يبحث عن صورة نظم كلام الله تعالى من حيث الاختلاف المتواتر ومبادئه، وكيفية النطق بألفاظ القرآن الكريم والاختلاف في قراءته لحمايته من التحريف والتغيير[6]، وكيفية أداء الوجوه اللغوية والصوتية التي أباح الله بها قراءة القرآن بقصد تيسيره على عباده[7].

---

[1]– المصحف العثماني: هو أحد المصاحف التي بعث بها عثمان إلى الأمصار، كان بمسجد قرطبة بالأندلس ونقله عبد المؤمن بن علي إلى مراكش سنة(552هـ)، حيث بقي عند الموحدين موضوع تجلة واحترام إلى أن صار أواخر أيامهم لخزائن بني عبد الواد ملوك تلمسان، ثم استخلصه منهم أبو الحسن المريني، وكان آخر العهد به أن تلف في البحر سنة750هـ في حادثة شهيرة بتونس. ينظر: المقري التلمساني: المصدر السابق، ج1، ص283.

[2]– عبد الواحد بن علي المراكشي: المصدر السابق، ص186، ابن صاحب الصلاة: المصدر السابق، ص350.

[3]- القراءات لغة: مفردها قراءة وهي مصدر للفعل قرأ يقرأ أيتلا القرآن وتتبع كلماته نظراً ونطقاً بها، وقرأ الشيء أي جمعه. ينظر: أحمد مختار: المعجم الوسيط، مكتبة الشروق الدولية، مصر، 1789م، ص722.

[4]– عبد الله علي علام: المرجع السابق، ص294.

[5]– ابن الجزري: منجد المقرئين ومرشد الطالبين، تحقيق ناصر محمدي ، دار الآفاق، ط1، مصر، 2010م، ص39.

[6]– حاجي خليفة: كشف الضنون عن أسامي الكتب والفنون، دار إحياء التراث العربي، لبنان، د ت، ج2، ص133.

[7]– خير الدين سيب: القراءات القرآنية، دار الخلدونية، الجزائر، 2005م، ص17.

يهدف علم القراءات إلى ترويض اللسان على النطق الصحيح للقرآن، وصونه عن الخطأ، وحفظه عن سريان التحريف إليه أو التبديل أو التغيير في صورة الرسم أو كتابة الخط أو نطق[1]، أما المقرئ هو من له إحاطة بعلم قراءات القرآن وتجويده، ويكون عالما بالقراءات عارفا بقواعدها نظريا وتطبيقيا، ويكون له علم بتفسير القرآن ومعانيه وإعرابه[2].

لقد نشأ علم القراءات منذ اللحظات الأولى لتلقي رسول الله ﷺ لكلام ربه بواسطة جبريل الأمين عليه السلام، فكان عليه الصلاة والسلام يقرؤه مرتّلاً مجوَّدًا على أصحابه، مصدقًا لقول الله سبحانه:﴿ وَرَتِّلِ الْقُرْآنَ تَرْتِيلًا﴾[3]، كما أتقن الصحابة رضوان الله عليهم تلاوته من واقع عربيتهم الفصيحة السليمة من كل شائبة، ومن واقع تلقيهم للقرآن غضاً طرياً من فم رسول اللهﷺ، ومن ثم قاموا هم بتعليمه لمن وراءهم على النحو الذي سمعوه وتلقوه، وكان رسول الله ﷺ يراعي لهجات القبائل العربية في النّطق واللفظ، وذلك من فضل الله على الأمة ومن توسعته لها، حيث أنزل الله سبحانه القرآن الكريم على سبعة أحرف[4]، حيث قال ﷺ:{ أنزَل القُرآن عَلى سبْعة أحرُف}[5]، لذلك توجد سبع قراءات متواترة للقرآن الكريم[6].

الفرع الثاني: علم القراءات زمن الموحدين

لقد مرّ علم القراءات بثلاث مراحل في المغرب الإسلامي؛ تتمثل المرحلة الأولى في قراءات التابعين الذين جاؤا مع الفتح بما تعلموه من الصحابة الذين أخذوها من

---

[1]- عبد الله نجيب سالم: التعريف ببعض علوم الإسلام، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، الكويت، 1999م، ص12.

[2]- عبد الرؤوف زواري أحمد: المرجع السابق، ص144.

[3]- سورة المزمل، الآية(4).

[4]- عبد الله نجيب سالم: المرجع السابق، ص12.

[5]- أخرجه أبو داود(ت275ه) في سننه، تحقيق الأرناؤوط وآخرون، دار الرسالة العالمية، ط1، دمشق، سوريا، 2009م، باب أنزل القرآن على سبعة أحرف، رقم355، ج2، ص600.

[6]- من هؤلاء القراء:ابن عامر (ت118ه/736م)، عاصم الجحدري(ت127ه/744م)، ابن كثير المكي(ت120ه/737م)، أبو عمر بن العلاء (ت154ه/770م)، حمزة بن حبيب الكوفي(ت156ه/772م)، نافع بن عبد الرحمن المدني(ت169ه/785م)، علي بن حمزة الكسائي(ت187ه/802م)، المالكية(نسبة إلى الإمام مالك)، اتبعوا نافع في قراءتهم لأنّ الإمام مالكا كان محبا لقراءة نافع على طريقة أهل المدينة موصولة بتلميذه ورش(ت812/197م)سماه مالك بورش لبياض في وجهه أو نسبة إلى شيء يصنع من اللبن، والأحناف(نسبة إلى الإمام أبي حنيفة) اتبعوا حمزة الكوفي. ينظر: ابن الجزري: المصدر السابق، ج1، ص446، ينظر كذلك ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، وزارة الثقافة، مصر، 2016م، ج2، ص196.

الرسول ﷺ، أمّا المرحلة الثانية: فتعتمد على رسم المصحف العثماني الذي جاءت به البعثات الدينية من المشرق خاصة بعثة الخليفة عمر بن عبد العزيز إلى إفريقية، والمرحلة الثالثة: بعد ظهور القراءات السبع تم الاعتماد على قراءة نافع برواية ورش؛ وذلك لمكانته الرفيعة عند نافع ولقرب مصر من بلاد المغرب. وهذا لا يعني عدم تواجد القراءات الأخرى[1].

أما علم القراءات في المغرب الإسلامي خلال العهد الموحدي الذي يعد أشد الأقطار الإسلامية اهتماما بهذا العلم فحظي بعناية فائقة من قبل الخلفاء بالدرجة الأولى، ومن مظاهر ذلك؛ النظام الذي وضعه المهدي بن تومرت، والقاضي بقراءة حزب كامل مرتل كل يوم جمعة عقب صلاة الصبح وصلاة المغرب بهدف التلاوة الصحيحة للقرآن الكريم، وكان خليفته عبد المؤمن بن علي إماما في النّحو واللغة والأدب والقراءات، كما كان الأمير يوسف بن عبد المؤمن[2]، الذي تولى الحكم سنة (538هـ/1163م)، قد درس القراءة ونال حظًا وافرًا منه، كما كان من أحسن النّاس نطقاً بالقرآن الكريم[3]، وكان أبو يعقوب يوسف من أكثر النّاس علما بألفاظ القرآن، ويحفظ أحد الصحيحين[4]، أما الخليفة إدريس المأمون أبو العلا فكان فصيح اللِّسان، فقيهاً وحافظاً للحديث عارفاً بالقرآن، حسن الصوت والتلاوة، مقدما في اللغة العربية[5].

هكذا يتجلى مدى اهتمام خلفاء الدولة الموحدية بالقرآن الكريم؛ حفظاً وقراءةً وتلاوةً؛ وذلك على قراءة نافع برواية ورش. وتحتل بجاية المرتبة الأولى في العناية بعلوم القرآن، حيث كانت متقدمة عن غيرها من مدن المغرب الأوسط في علم القراءات لأنّها امتداد لقلعة بني حماد التي نزح علماؤها بعد خرابها إلى بجاية، إضافةً إلى نزوح علماء الأندلس إليها، فكان لهم فضل في نقل التطورات التي شهدتها الأندلس إليها خاصة في علم القراءات على

---

[1]– بشير رمضان التليسي: المرجع السابق، ص437.

[2]– ابن أبي زرع: المصدر السابق، ص203، محمد علي الصلابي: المرجع السابق، ص324.

[3]– عبد الواحد المراكشي: المصدر السابق، ص155، ابن الخطيب: المصدر السابق، ص80.

[4]– عبد الواحد المراكشي: المصدر السابق، ص328، عبد الحميد النجار: المرجع السابق، ص478.

[5]– السلاوي: المرجع السابق، ج1، ص163، عبد المجيد النجار: المرجع السابق، ص385.

عهد العامريين[1]، ويتبين مدى حرص الموحدين على هذا العلم والتمكن فيه، وأن تعلمه وتعليمه كان ضمن أولويات منظومتهم الدراسية[2].

ظهر الكثير من العلماء القراء في المغرب الأوسط، أبرزهم في النصف الأول من القرن السادس الهجري أبو عبد الله الونشريسي فقيه وعالم نحوي من المغرب الأوسط، كان يقرأ القرآن قراءة حسنة والموطأ وكتب الفقه والأصول، وفي سنة (519هـ) التقى بالمهدي بن تومرت[3]، كما ذكر ابن الأبار من علماء هذا القرن أحمد بن محمد بن سعيد بن حرب المسيلي (ت539هـ) الذي صنّف "التقريب في القراءات"[4]، واشتهر أبو بكر محمد بن محمد بن عبد الله بن معاذ اللخمي القلعي (ت553هـ/1158م) أصله من إشبيلية، وفد إلى قلعة بني حماد وبقي مدة من الزمن ثم رحل نحو فاس واستقر بها، ووصل درجة العلماء في الإقراء، ترك مؤلفات في هذا العلم منها "الإيماء إلى مذاهب السبعة القراء" وله أرجوزة سماها "لؤلؤة القرآء"، ويمثل هذا العالم أنموذج التخصص في الإقراء الذي أثّر بالمغرب الأوسط[5].

وقد ذاع صيت عبد الحق بن عبد الرحمن بن عبد الله بن حسين بن الخراط الإشبيلي (ت581هـ/1185م)، الفقيه الجليل المحدّث الحافظ، العابد الزاهد، قدِم من الأندلس إلى بجاية واستقر بها، قرأ بالقلعة، فهو الحافظ العلامة الحُجة، روى الحديث عن شريح بن محمد وأبي الحكم بن برجان، سكن بجاية وقت الفتنة، ونشر بها علمه وصنّف التصانيف، وبعد صيته ولي الخطابة وصلاة الجماعة في الجامع الأعظم ببجاية، جلس للوثيقة والشهادة، وولي قضاء بجاية، كان فقيهاً حافظاً وعالماً بالحديث، صنف كتباً في الأحكام؛ نسختين كبرى وصغرى، له كتب "المعتل من الحديث"، وله في الجمع بين الصحيحين مصنف وكتاب في الرقائق، وكتاب "العاقبة في علم التذكير"وهو كتاب في الوعظ والزهد والتّصوف والإرشاد، و"التهجد" وله "اختصار الرشاطي" و"غريب القرآن والحديث" كما له ديوان شعر،

---

[1]– الطاهر بونابي: المرجع السابق، ص238.

[2]– عبد القادر بوعقادة: المرجع السابق، ص398.

[3]– ابن الأثير: الكامل في التاريخ، المصدر السابق، ج9، ص 199، الذهبي: سير أعلام النبلاء، تحقيق شعيب الأرناؤوط ومحمد نعيم العرقسوسي، مؤسسة الرسالة، ط 9، بيروت، لبنان، 1992م، ج 19، ص 543.

[4]– ابن الأبار: المصدر السابق، ج1، ص463.

[5]– محمد بن مخلوف(ت1260هـ): شجرة النور الزكية، تحقيق علي عمر، مكتبة الثقافة، مصر، 2007م، ج1، ص211.

وكان عاكفاً على الاشتغال بالتعليم، فتخرّج على يده كثير من العلماء، وقد آخى الشيخ أبا مدين في بجاية فأقرّ له بالسبق في طريق الحق، توفي ببجاية[1].

كما ذكر الغبريني العالم أبا العباس أحمد بن محمد بن عبد الله المعافري القلعي (ت581هـ/1185م) الأستاذ النّحوي اللغوي، قرأ على أبيه بالقلعة الحمادية بجامعها الأعظم، ثم رحل إلى بجاية، فلقي بها شيوخا أفاضل منهم أبو زكريا الزواوي، كان عالماً بالقراءات وقام باختصار كتاب التيسير لأبي عمرو الداني، وكان لا يتساهل في الإجازة بإجازاته، وكان حسن التلاوة صادق القراءة، يرغب الناس بالقيام خلفه لصدق قراءته، وقد خطب بالجامع الأعظم وجامع القصبة وجلس للقراءة والرواية واستفاد منه خلق كثير إلى وفاته سنة (581هـ) ببجاية[2].

ومن العلماء القراء أبو جعفر أحمد بن عتيق بن الحسن بن زياد بن جرح البلنسي الذهبي (ت601هـ/1204م) توفي بتلمسان وترك مؤلفاته بها[3]، وأبو ذر مصعب بن محمد بن مسعود الخشني (ت604هـ/1207م) يعرف بأبي ركب، سمع عن أبي مروان عبيد الله بن هشام الحضرمي بتلمسان، وأبي محمد عبد الحق الإشبيلي ببجاية، أقرأ بها وذاع صيته[4]، ضف إلى ذلك أبو عبد الله محمد بن عبد الرحمن التجيبي (ت610هـ/1214م) أصله من اشبيلية نزيل تلمسان، أخذ القراءات عن أبي أحمد بن معطي وأبي الحجاج الثغري، ثم رحل إلى المشرق وأخذ عن علمائها[5]، ومنهم كذلك محمد بن أحمد بن الحجام (ت614هـ/1217م) التلمساني، درس القراءات السبع على يد أبي العباس الأعرج، ثم انتقل إلى فاس وأخذ عن علمائها[6].

---

[1]- الغبريني: المصدر السابق، ص133، الذهبي: تذكرة الحافظ، المصدر السابق، ج4، ص350، ابن فرحون: المصدر السابق، ج2، ص59، ابن مخلوف: المصدر السابق، ص155، ابن الأبار: المصدر السابق، ج3، ص120، ابن قنفذ: انس المصدر السابق، ص34، خالد الصمدي: ص206، عبد المجيد النجار: المرجع السابق، ص490، عادل نويهض: معجم المفسرين، مؤسسة نويهض الثقافية، بيروت، لبنان، 1983م، ص257.

[2]- الغبريني: المصدر السابق، ص316.

[3]- ابن الأبار: التكملة، ج1، ص117.

[4]- المصدر نفسه، ج2، ص385.

[5]- المصدر نفسه، ج2، ص303.

[6]- عبد الحميد حاجيات: المرجع السابق، ج3، 346.

وتذكر العديد من المصادر الفقيه أبا عبد الله محمد بن عبد الحق بن سليمان اليعفري التلمساني (ت625هـ/1228م)، حسن السيرة، حافظ مثقف ومحقق، راوي وفقيه. دخل الأندلس وروى عن أبيه وتفقه به وبأبي بكر بن عصفور وابن أبي قنون وابن الخراز، وأخذ القراءات عن أبي علي، وصاحبَ أبا مدين شعيب، وابن محيو الهواري، حدّث ودرّس، وألّف تواليف منها كتابان في علوم القرآن هما:" فرقان الفرقان وميزان القرآن" و"الإقناع في كيفية الإسماع"، ولي قضاء بلده مرتين،واشتهر بالعدل وحب الأمراء له[1].

إضافة إلى المقرئ أبي محمد عبد الله بن عبد الواحد بن إبراهيم بن الناصر المجاصي البكاء (ت641/1234م)، محدث من كبار المقرئين والزهاد، فقيه أصولي، خطيب بجامع القصر الجديد بتلمسان، من شيوخ المقري الجَد، عالم الصلحاء وصالح العلماء[2]، وأبي بكر محمد بن يوسف بن مفرج بن سعادة الإشبيلي (ت652هـ/1255م) مجوّد للقرآن محدّث، ناقد، عالي الرواية، نزل بجاية[3]، ومن بين قراء المغرب الأوسط:

-أبو الحسن بن أبي نصر فتح بن عبد الله البجائي المرادي (ت652هـ/1254م) وليد بجاية فقيه مالكي من جلة المقرئين بالمغرب، رحل إلى الأندلس ثمّ المشرق وأخذ عن شيوخ مكة ودمشق والإسكندرية، له ثماني عشرة حجة، أقام بجاية وتوفي بها، من تلاميذه شيخ تلمسان علي بن عبد الكريم[4].

-أبو عثمان سعيد بن علي بن محمد بن عبد الرحمن بن زاهر الأنصاري البلنسي (ت654هـ/1256م) الفقيه المقرئ من بلنسية تفقه بالأندلس، ثم استوطن بجاية وأقرأ بها وأسمع، له علم بالقراءات ومحكم الرواية، زاهد توفي ببجاية ودفن خارج باب أمسيون[5].

---

[1]- ابن الأبار: المصدر السابق، ج2، ص166، يحي بن خلدون: المصدر السابق، ج1، ص151، عادل نويهض: معجم أعلام الجزائر، المرجع السابق، ص77.

[2]- المقري: نفح الطيب، ج5، المصدر السابق، ص230، التنبكتي(ت955هـ): نيل الابتهاج بتطريز الدباج، تقديم عبد الحميد عبد الله، منشورات كلية الدعوة الإسلامية، ط2، طرابلس، 1989م، ص141، ابن مريم: المصدر السابق، ص121، يحي بن خلدون: المصدر السابق، ج1، ص143، نويهض: معجم أعلام الجزائر، المرجع السابق، ص286.

[3]- يحي بن خلدون: المصدر السابق، ج1، ص129.

[4]- الغبريني: المصدر السابق، ص137.

[5]- المصدر نفسه، ص290.

-أبو الحسن علي بن عبد الله بن أبي بكر الطيب بن قلال زين الدين الجزائري (حيّا بعد668هـ/1270م) من كبار المقرئين، عالم وفقيه مالكي، قرأ بمصر على الصفراوي، وأقرأ بالقاهرة، له كتاب في القراءات بعنوان "جلاء الأبصار في القراءات"[1].

-أبو العباس أحمد بن محمد بن حسن بن محمد بن خضر الشاطبي (ت674هـ) الفقيه المقرئ، استقر في بجاية، ولقي مشايخها، منهم ابن محرز، وابن سيد الناس، له معرفة في علم القراءات ألف كتاب في نوع الخط في المصاحف العثمانية"مرسوم الخط"،وله بيان "تمكين ورش" في تفخيم اللام وترقيقها، استفاد منه خلق كثير منهم الغبريني الذي روى عنه بعض كتب الحديث[2].

-أبو الحسن علي بن محمد بن عبد الله الكتامي الضرير الخضار (ت676هـ/1277م)، إمام مقرئ من تلمسان مخضرم، عاش الفترة الموحدية والزيانية، انتقل إلى سبتة وأقرأ بها، أخذ القراءات عن أبي الحسن علي بن إبراهيم بن عبد الكريم بن حسان وأبي نصر فتح بن يحي، أخذ إجازات من المشرق[3].

-ولا نغفل عن ذكر الفقيه المالكي عبد السلام الزواوي، أبو محمد زين الدين بن عمر بن سيد الناس (ت681هـ/1282م)، ولد ببجاية، درس على علماء بجاية وتفقه على المذهب المالكي، شيخ الإقراء؛ نبغ في علم القراءات والفقه، فصار ببجاية فقيها ومقرئا، ثم رحل إلى المشرق، تنقل بين الإسكندرية والقاهرة ودمشق، وتولى مشيخة الإقراء بدمشق بالتربة الصالحية، كما تولى قضاء المالكية تسع سنوات وتصدر التدريس والإفتاء، توفي بالشام ومن آثاره "عدد الآي" في القرآن الكريم، وكتاب في القراءات بعنوان"التنبيهات على معرفة ما يخفى من الوقوفات"[4]، وذكر عبد المالك المراكشي المقرئ أبا الحسن طاهر بن علي بن

---

[1]- عادل نويهض: معجم أعلام الجزائر، المرجع السابق، ص266.

[2]- الغبريني: المصدر السابق، ص108.

[3]- ابن الزبير(ت708هـ): صلة الصلة، نشر محمد بن شريف، أكاديمية المملكة المغربية، الرباط، المغرب، 1984م، ص558، عادل نويهض: معجم أعلام الجزائر، المرجع السابق، ص73.

[4]- يحي بوعزيز: أعلام الفكر، المرجع السابق، ج1، ص288، عادل نويهض: معجم أعلام، المرجع السابق، ص162.

محمد بن عبد الرحمن السلمي (ت ق7هـ/13م)، اهتم بالقراءات وتلا بحرف نافع على أبي بكر محمد بن وضاح وروى عنه[1].

كانت حواضر المغرب الأوسط تتوافر على جلة من العلماء الذين تمكنوا من علم القراءات، وتأثيرهم قد عمّ بلاد المشرق والمغرب، وكان الأثر الأندلسي عليهم باديا، وذلك من خلال الرحلات غدوا ورواحا بين حواضر المغرب الأوسط والأندلس، ولا نكاد نجد عالما في القراءات إلا وأتقن القراءات السبع، والتي كانت تدرس في جميع المستويات[2].

كما يعود إلمام المغاربة بعلوم القرآن إلى الرحلات التي يقومون بها إلى الحواضر الإسلامية الكبرى؛ مكة والمدينة والكوفة والبصرة والشام ومصر[3]، وأغلب علماء المغرب الأوسط كانت لهم رحلات علمية إلى الحواضر الإسلامية الكبرى؛ مكة والمدينة والشام والعراق ومصر والأندلس، وكان لهذه الرحلات أثر في تكوين العلماء وإسهاماتهم في نشر العلم، والاحتكاك بكبار العلماء والاستفادة منهم من أجل العبادة وطلب العلم ونشره.

المطلب الثاني: علم التفسير

يعد التفسير[4] الخطوة الثانية بعد القراءات له أهمية في بيان معاني القرآن الكريم، لذلك لقي عناية العلماء.

الفرع الأول: تعريف علم التفسير

عرفه الإمام الزركشي بقوله:"علم يفهم به كتاب الله المنزل على نبيه محمد ﷺ، وبيان معانيه واستخراج أحكامه وحكمه"[5]، وجاء عند السيوطي أنّه:" علم يعرف به سبب نزول الآيات وشؤونها وأقاصيصها والأسباب النازلة فيها وترتيبها، ومحكمها ومتشابهها وناسخها ومنسوخها، وخاصها وعامها، ومطلقها ومقيدها، ومجملها ومفسرها، وحلالها

---

(1)- ابن عبد المالك المراكشي(703هـ): الذيل والتكملة لكتابي الموصول والصلة، تحقيق إحسان عباس، ومحمد بن شريفة، دار الثقافة، بيروت، لبنان، 1973م، ج6، ص205.

(2)- عبد القادر بوعقادة: المرجع السابق، ص399.

(3)- بشير رمضان التليسي: المرجع السابق، ص436.

(4)- التفسير لغة:على وزن التفعيل والتثقيل للمبالغة وهو مشتق من الفعل فسر أي وضح وكشف، يعني كشف المراد من اللفظ. ينظر: الفيروز آبادي: المصدر السابق، ص456، مجموعة مؤلفين: المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية، مكتبة الشروق الدولية، ط4، مصر، 2004م، ص688.

(5)- الزركشي: البرهان في علوم القرآن، تحقيق أبو الفضل إبراهيم، دار الغرب الإسلامي، ط3، لبنان، 1983م، ج2، ص148.

وحرامها، ووعدها ووعيدها، وأمرها ونهيها"[1]. وعرفه الزرقاني بقوله:"علم يبحث فيه عن القرآن الكريم من حيث دلالته على مراد الله تعالى بقدر الطاقة البشرية"[2]. وعرفه الذهبي بأنّه: "العلم الذي يفهم به كتاب الله[3].

وبالمقارنة بين التعاريف السابقة نجد أنّها تتفق في كون التفسير علما موضوعه القرآن الكريم، والغرض منه فهم كتاب الله والوصول إلى مراده، وقد قيد الزرقاني الوصول إلى مراد الله بالطاقة البشرية، مما يدل على اختلاف مستويات فهم القرآن الكريم لدى المفسرين تبعا لإمكاناتهم الفطرية والمكتسبة، أمّا تعريف السيوطي فأشبه بإحصاء لعلوم القرآن منه إلى التعريف، وهو نوعان تفسير بالمأثور وتفسير بالرأي[4].

الفرع الثاني: علم التفسير زمن الموحدين

حظي علم التفسير بعناية فائقة من طرف الموحدين وتطورت الدراسات الخاصة به على عهدهم تطورًا كبيرًا قياسًا إلى ما كانوا عليه في عهد أسلافهم المرابطين، بسبب كثرة الشخصيات العلمية التي اشتغلت بهذا العلم من المغرب والأندلس[5]. واهتم الخلفاء بتفسير القرآن الكريم خاصة أمراء الدولة منهم الأمير يوسف بن عبد المؤمن الذي كان من أحسن الناس ألفاظا بالقرآن الكريم، وأسرعهم خوضا في غامض مسائل النحو[6].

---

[1]– السيوطي: الإتقان في علوم القرآن، مطبعة مصطفى بابي الحلبي، القاهرة، د ت، ج2، ص74، الزركشي: المرجع السابق، ج2، ص148.

[2]– الزرقاني: مناهل العرفان في علوم القرآن، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، 1990م، ج2، ص06.

[3]– محمد حسين الذهبي: علم التفسير، دار المعارف، القاهرة، مصر، د ت، ص6.

[4]–تفسير نقلي (بالمأثور): وهو ما أُثر عن الرسول ﷺ وكبار الصحابة، وما نقل عن التابعين، يستند إلى الآثار المنقولة عن السلف مثل تفسير كل من: الطبري وابن عطية والسيوطي وابن كثير، أي التفسير بالرواية أو النقل، ويعني التفسير بالقرآن أو بالسنة أو بالموقوف على الصحابة رضوان الله عليهم، التفسير بالرأي: أي بالعقل والاجتهاد، وهو ما يرجع إلى اللّسان من معرفة اللغة والإعراب في تأدية المعنى بحسب المقاصد والأساليب، واعتمد المعتزلة والباطنية على هذا النوع من التفسير، ومن أهم تفاسير هذا النوع "تفسير الكشاف" للزمخشري، "مفاتيح الغيب"للرازي، "أنوار التنزيل" للبيضاوي، "روح المعاني" للألوسي. ينظر: ابن خلدون: المقدمة، تحقيق عبد السلام الشدادي، مطبعة خزانة ابن خلدون، الدار البيضاء، المغرب، 2005م، ج2، ص 175، وبونابي: المرجع السابق، ص63، عبد الله نجيب سالم: المرجع السابق، ص19.

[5]– الطاهر بونابي: المرجع السابق، ص47.

[6]– عبد الواحد المراكشي: المصدر السابق، ص175.

لقد سلك الموحدون في دراسة علم التفسير مسلكا يختلف عن المنهج الذي سار عليه المرابطون المالكيون الذين كانوا يؤولون المتشابه من الآيات والحديث[1]، حيث قاموا بتفسير القرآن وفهم معانيه وشرحه من الناحية اللفظية واللغوية ومن ناحية المعاني والأفكار معتمدين في ذلك على الحديث النبوي قولا وعملا متجنبين طرق العقل والتأويل[2]، ودعوا إلى تأويل القرآن حسب روح الأشعرية في معانيها العامة وخالفوا بذلك ما عند المرابطين من تصورات[3]. بذلك نشطت حركة التأليف في التفسير في عهدهم، وقد أشار ابن خلدون إلى عدة مؤلفات في هذا المجال، ومن أهم مؤلفات التفسير المتداولة في ذلك العهد والتي أخذ عنها علماء تلمسان، تفسير ابن عطية الأندلسي (546هـ/1154م) من المتأخرين، حيث لخص جل التفاسير وجمعها في كتاب"المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز"، وتفسير الزمخشري (ت538هـ/1144م) المسمى "الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل"[4].

نادى الموحدون بالاجتهاد[5] والرجوع إلى الكتاب والسنة، فزاد اهتمام الناس بالقرآن وعلومه، والحديث وروايته فظهر مفسرون عظام[6]، في المغرب الإسلامي بصفة عامة وفي المغرب الأوسط بصفة خاصة، وهنا نقدم أبرز علماء التفسير في المغرب الأوسط:

–لمع في وهران الفقيه الذي ذكره عادل نويهض أبو محمد عبد الله بن محمد بن جبل الهمذاني (ت557هـ/1162م)، وهو خطيب فقيه، أصوله أندلسية ونشأته وهرانية، له دراية في علوم شتّى، نال خدمة السلطان، توفي بمراكش ودفن بروضة الشيوخ[7].

---

(1)– الطاهر بونابي: المرجع السابق، ص47.

(2)– عبد اللطيف عصمت دندش: المرجع السابق، ص396.

(3)– الطاهر بونابي: المرجع السابق، ص47.

(4)– ابن خلدون، العبر، ج1، ص555.

(5)– الاجتهاد: هو بلوغ غاية الأمر، وهو استنفاذ الطاقة في طلب حكم النازلة حيث يوجد ذلك الحكم، من مصادر الشريعة بالشرح والقياس، وهي ميزة التشريع الإسلامي. ينظر: ابن منظور: المصدر السابق، ج3، ص133.

(6)– عز الدين عمر موسى: المرجع السابق، ص54.

(7)– عادل نويهض: معجم أعلام الجزائر، المرجع السابق، ص336.

-المفسر الكبير أبو يعقوب يوسف بن إبراهيم بن مياد السدراتي الورجلاني (ت570هـ/1174م)، سكن قرطبة لطلب العلم وأخذ من أشهر علماء الأندلس، عرف عنه أنّه مفسر ومؤرخ وفقيه إباضي، له تأليف في تفسير القرآن يقع في سبعين جزء[1].

-وكان لعلماء مدينة أشير ذكر منهم أبو عمران موسى بن حجاج بن أبي بكر الأشيري (ت589هـ/1193م) من مدينة أشير، سكن دلس، رحل إلى الأندلس وسمع من ابن مسرة بقرطبة وبالمرية من المفسر عبد الحق بن عطية، ثم عاد إلى مدينة الجزائر وأمّ بها في صلاة الفريضة وحدّث وأخذ عنه الكثيرون وسمعوا منه، توفي بها[2]، كما ذكر عبد الرحمن الجيلالي علماء آخرين منهم أبو عبد الله محمد بن يخلف بن يوسف بن حسون (ت606هـ/1210م) من أهل مدينة الجزائر درس بالأندلس[3]، والمفسر الشيخ عبد الجليل بن موسى الأنصاري (ت608هـ/1218م) قام بتفسير الكتاب والسنة ووقع تفسيره للقرآن الكريم في نحو ستين مجلداً؛ فسر في كل مجلد حزبًا واحدًا، مما دفع بهذا العَلَم نحو الانتشار والازدهار[4].

- ومن أهم عظماء بجاية الذين ذكرهم الغبريني أبو زكرياء يحي بن علي الزواوي (ت611هـ/1214م) الفقيه الزاهد، الذي كان له ميعاد في بجاية بجامعها الأعظم يفسر فيه القرآن لعامة الناس فانتفع به خلق كثير، أخذ "إعجاز القرآن" للخطابي عن أبي ظاهر السلفي في المشرق[5]، ولا ننسى النجوم اللامعة من فقهاء تلمسان يحي بن محمد بن موسى أبي زكريا التجيبي التلمساني (ت652هـ/1254م) مفسر من فقهاء المالكية، حج وجاور وسمع بمكة المكرمة وسمع من أبي الحسن بن البناء، سكن الإسكندرية، صنف التفسير والرقائق، ومن آثاره كتاب"تفسير القرآن الكريم"[6].

---

[1]- عبد الرحمن الجيلالي: المرجع السابق، ج2، ص21، محمد طمار: الروابط الثقافية بين الجزائر والخارج، المرجع السابق، ص166، عادل نويهض: معجم المفسرين، المرجع السابق، ص808.

[2]- عادل نويهض: معجم أعلام الجزائر، المرجع السابق، ص17.

[3]- عبد الرحمن الجيلالي: المرجع السابق، ص75، محمد طمار: المرجع السابق، ص168.

[4]- الطاهر بونابي: المرجع السابق، ص47.

[5]- الغبريني: المصدر السابق، ص127، ابن الزيات(ت627هـ): التشوف إلى رجال التصوف، تحقيق أحمد التوفيق، مطبعة النجاح، المغرب، 1997م، ص428، الطاهر بونابي: المرجع السابق، ص238.

[6]- الداودي(ت945هـ): طبقات المفسرين، دار الكتب العلمية، بيروت، 1983م، ج1، ص187، عادل نويهض: معجم أعلام الجزائر، المرجع السابق، ص83، عادل نويهض: معجم المفسرين، المرجع السابق، ص735.

-كما أورد لنا الغبريني أهم المفسرين أمثال أبي الحسن علي بن أحمد الحرالي التجيبي (ت638هـ/1241م) مفسر وفلسفي التصوف، أصله من مرسية، ولد بمراكش ورحل إلى المشرق وحج ولقي العلماء ثم استوطن ببجاية، ثم رحل إلى مصر ثم الشام ومات بها، وهو صاحب كتاب "مفتاح الباب المقفل على فهم القرآن المنزل" في تفسير القرآن الكريم، وقد أبدع في علم التفسير فكان يورد الآية وينسقها نسقاً بديعاً، ويتكلم فيها بما لم يسبق إليه، وله تفسير على كتاب الله تعالى سلك فيه سبيل التحرير وتكلم عليه لفظةً لفظةً وحرفاً حرفاً[1].

-والشيخ أبو العباس أحمد بن محمد القرشي الغرناطي (ت692هـ/1292م)، فقيه حافظ، كان يحفظ تاريخ الطبري وتفسير الثعالبي، وكان منشغلا بالتفسير والتدريس حيث درّس في الجامع الأعظم ببجاية، له اعتناء بالرواية وله تآليف وتصانيف، له كتاب ذكر فيه المصنفين من أهل العصر بالمشرق والمغرب، وكتاب"تفسير القرآن الكريم"، انتقل إلى المغرب ولقي العلماء ثم رجع إلى إفريقية ودرّس بها إلى أن مات هناك[2]. إضافة إلى ذلك نذكر أبا الوليد يزيد بن أبي الحسن بن عبد الرحمن عاش في القرن(7هـ)، وأبا عبد الله محمد بن علي بن مروان بن جبل (ت601هـ/1205م)، محمد بن عبد الرحيم الخزرجي (ت.بعد654هـ/1256م)، هؤلاء الذين درسوا في الأندلس[3]، وأبا العباس أحمد بن محمد بن عبد الله القلعي عاش خلال القرن(6هـ/13م)، اختصر كتاب التفسير لأبي عمر الداني[4].

نلاحظ أن علم التفسير احتل مكانة متقدمة بين العلوم الدينية لدى الموحدين، واشتهر علماء كثر في تفسير القرآن الكريم وبيان معانيه، والاعتناء به روايةً وتأليفاً، منهم من كان يعقد حلقات ومجالس دورية لتفسير القرآن الكريم لعامة النّاس، وبعض هؤلاء المفسرين كان جزائرياً مولدًا وبعضهم مقرًّا ووفاة، وهو ما دفع بعلم التفسير إلى الانتشار والتطور.

(1)- الغبريني: المصدر السابق، ص144، عادل نويهض: معجم المفسرين، المرجع السابق، ص352.

(2)- الغبريني: المصدر السابق، ص347، عادل نويهض: معجم المفسرين، المرجع السابق، ص66.

(3)- محمد طمار: المرجع السابق، ص166.

(4)- يحي بوعزيز: أعلام الجزائر، المرجع السابق، ج1، ص35.

المبحث الثاني: علم الحديث

يعد الحديث والسنة عموما المصدر الثاني للتشريع الإسلام بعد القرآن الكريم، وهو ما يشير إليه قوله تعالى:﴿ لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ﴾[1]، وقوله:﴿ وَما آتاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَما نَهاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا﴾[2]، والسنة بيان للقرآن الكريم ولا غنى عنها في فهم أحكامه، لذلك اتجهت جهود العلماء إلى العناية به[3]، فما مدى عناية الموحدين به.

المطلب الأول: علم الحديث قبل الموحدين

الحديث[4] هو كل ما ورد عن الرسول ﷺ من قول أو عمل أو تقرير لشيء أو صفاته الخَلقية والخُلقية أو عمل قام به الصحابة فاستحسنه[5]، وقد دعا الله سبحانه إلى الأخذ بما جاء عن الرسول ﷺ فقال:﴿ مَّن يُطِعِ ٱلرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ ٱللَّهَ﴾[6].

وعلم الحديث هو علم تعرف به أقوال رسول الله ﷺ وأفعاله وصفاته ويعد من أصول التشريع الإسلامي ومرتبته تلي مرتبة القرآن الكريم في الاستدلال[7]، وقال ﷺ:{ الْعِلْمُ ثَلَاثَةٌ، فَمَا وَرَاءَ ذَلِكَ فَهُوَ فَضْلٌ: آيَةٌ مُحْكَمَةٌ أَوْ سُنَّةٌ قَائِمَةٌ أَوْ فَرِيضَةٌ عَادِلَةٌ}[8].

وهو العلم الذي لم يقف عند نقل ورواية الحديث بل اتسع مجاله ليشمل روايته وضبطه متناً وسنداً، ويشمل على ما نقل عن النبي ﷺ قولاً وفعلاً أو تقريراً أو صفة، ويجب معرفة الناسخ من المنسوخ، ومعرفة أنواع الرواية وأحكامها، وشروط الرواة والتأكد من براءتهم من الجرح والغفلة[9]، وتميز هذا العلم بانفراده عن باقي العلوم بدراسة الراوي، وتعرف هذه الدراسة في علوم الحديث بعلم الجرح والتعديل، ونظرًا لكون السنة النبوية المصدر الثاني

---

[1]- سورة الأحزاب، الآية(21).
[2]- سورة الحشر، الآية(7).
[3]- صادق قاسم: العلاقات الثقافية بين الأندلس والمشرق، أطروحة دكتوراه، وهران، الجزائر، 2017م/2018م، ص310.
[4]- الحديث هو كل ما يتحدث به من كلام أو خبر. ينظر: المعجم الوسيط، المصدر السابق، ص159.
[5]- الحسين بن محمد شواط: مدرسة الحديث في القيروان، الدار العالمية ، ط1، السعودية، 1990م، ص95.
[6]- سورة النساء، الآية(80).
[7]- ابن خلدون: المقدمة، المصدر السابق، ص22.
[8]- أخرجه ابن ماجة(ت273هـ) في سننه، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء الكتب العربية، ط1، دمشق، سوريا، 2009م، باب إجتناب الرأي والقياس، رقم54، ج1، ص51.
[9]- أيمن شاهين سلام: المدارس الإسلامية في مصر، أطروحة دكتوراه، جامعة طنطا، مصر، 1999م ص 181.

للتشريع الإسلامي فقد اعتنى بها علماء المسلمين عناية فائقة منذ العهد النبوي إلى عصرنا هذا؛ رواية وتدويناً وبيانًا وشرحًا، بل هناك من تفرغ لذلك وتخصص فيها.

وإن تدوين[1] الحديث يعود إلى القرن الثاني للهجرة؛ في عهد الخليفة الخامس عمر بن عبد العزيز بالدولة الأموية، فألفت مصنفات ومسانيد منها: جامع سفيان الثوري (ت161هـ/778م)، موطأ الإمام مالك (ت179هـ/795م) الذي انتشر في المغرب الإسلامي[2]. وانكب العلماء على جمع الأحاديث وتدوينها بأسانيدها وتم تصنيف الحديث الصحيح، وأول من صنف في ذلك الإمام البخاري (ت256هـ/869م) والإمام مسلم (ت261هـ/874م)[3].

نشأت علوم الحديث مع نشأة الرواية ونقل الحديث في الإسلام، إلا أنه لم يكن بالإمكان الأخذ بكافة الأحاديث المروية عن الرسول ﷺ قبل التأكد من صحتها وصحة نسبتها إليه، لذلك ظهرت عدة علوم مرتبطة بعلم الحديث منها: علم الجرح والتعديل علم الناسخ والمنسوخ، علم غريب الحديث[4].

ولا يخفى على الباحثين أن الحديث كان مرتبطًا أشد الارتباط بالعلوم العربية الأخرى كالتفسير والفقه والنحو واللغة والقراءات، ومع ذلك فقد اختص علماء في علم الحديث، وأفنوا أعمارهم في دراسته، حتى استقل علم الحديث بنفسه استقلالا ظاهرا عن الفقه وغيره من العلوم الأخرى[5]، وفي هذا الصدد يذكر ابن قنفذ أنّ معرفة الحديث وكتبه من مهمات أهل

---

[1]– لقد نهى الرسول ﷺ عن تدوين الحديث في عهده حيث قال:{ لا تكتبوا عني ومن كتب عني غير القرآن فليمحه وحدثوا عني فلا حرج، ومن كذب علي متعمدا فليتبوأ مقعده من النار}، لأنه خشي اختلاط القرآن بالحديث، ينظر: محمد حسن محاسنة: المرجع السابق، ص70، صادق قاسم: المرجع السابق، ص310.

[2]– يذكر الرواة أن أول من أدخل موطأ الإمام مالك هو علي بن زياد(ت183هـ) عن طريق القيروان دخل إلى طرابلس والمغرب الأوسط أما المغرب الأقصى وصل عن طريق القاضي عامر بن محمد القيسي. ينظر القاضي عياض: ترتيب المدارك، المرجع السابق، ج4، ص149، عبد الله المالكي: رياض النفوس، مكتبة النهضة المصرية، مصر، 2016م، ج1، ص234، محمد عليلي: الإشعاع الفكري في المغرب الإسلامي، أطروحة الدكتوراه، جامعة أبي بكر بلقايد تلمسان، الجزائر، 2016/2015م، ص322.

[3]– الخطيب محمد عجاج: الوجيز في علوم الحديث ونصوصه، المطبعة الجديدة، دمشق، سوريا، 1982م، ص162.

[4]– محمد حسن محاسنة: المرجع السابق، ص76.

[5]– أبو العباس القلقشني: صبح الأعشى في كتابة الإنشا، دار الكتب المصرية، مصر، 1922م، ج5، ص 464.

الفضل، وحفظ السنن الواردة في المعتقدات والأقوال والأفعال، عظيم الدرجة عند الله سبحانه وتعالى في العقبى والمآل[1].

إنّ اهتمام المغاربة بعلم الحديث لا يقل عن اهتمام المشارقة به، حيث نجد كتب الطبقات وكتب التاريخ تشير إلى أعداد كثيرة من المغاربة الذين تفوقوا في هذا العلم ووضعوا فيه المؤلفات، لأنّ أغلبهم كانوا على مذهب أهل الحديث واهتمامهم بموطأ الإمام مالك وهو كتاب حديث وفقه، ولا يقرّون الاجتهاد[2]، حتّى قال عنهم المقدسي عندما زار بلاد المغرب أنّ المغاربة لا يعرفون إلا كتاب الله وموطأ[3] مالك[4]، وقال البكري:" تلمسان قاعدة المغرب الأوسط، دار العلماء والمحدثين وحملة الرأي على مذهب مالك بن أنس رحمه الله"[5].

ومن مظاهر تعاطي علم الحديث ببلاد المغرب الأوسط تحضر المدونات والمصنفات الحديثية، إذ سلك فقهاء الحديث طريقة التدوين والتعقيب على المدونات الحديثية، تداولاً وشرحاً ونقداً، وانتشرت هذه المدونات عبر حواضر المغرب الأوسط، فتداولها الطلبة والشيوخ خاصة موطأ مالك[6]، ويرى مؤلف "قصة الأدب في الأندلس" أنّ الأفارقة كانوا يفضلون كتاب مسلم على البخاري، وشرحه المازري الصقلي[7].

المطلب الثاني: علم الحديث زمن الموحدين

كان اهتمام الموحدين بدراسة علم الحديث نابع من مذهبهم الديني، حيث فرضت الدولة عليهم الدراسات الإجبارية للحديث، وقد جُعل لمن يحفظ حديث الرسول ﷺ الجوائز السنية[8]، وكانوا مستندين إلى مذهب ابن تومرت، لكن المغاربة تمسكوا بمذهب الإمام مالك

(1)- ابن قنفذ القسنطيني: المصدر السابق، ص 2.

(2)- بشير رمضان التليسي: المرجع السابق، ص450.

(3)- يحتوي الموطأ عشرة ألاف حديث وكان الإمام مالك ينقح موطأه فيزيد وينقص ويقدم ويؤخر حتى استقر على نحو700 حديث. ينظر: محمد الشاذلي النيفر: موطأ الإمام مالك، دار الغرب الإسلامي، لبنان، 2004م، ص63.

(4)-المقدسي(ت336هـ): أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، مكتبة مدبولي، القاهرة، مصر، 2008م، ص238.

(5)- أبو عبيد الله البكري: المصدر السابق، ص164.

(6)- عبد القادر بوعقادة: المرجع السابق، ص398.

(7)- الحسن السائح: المرجع السابق، ص219.

(8)- المراكشي: المصدر السابق، ص278.

بن أنس صاحب الموطأ[1]، وكان عبد المؤمن بن علي من المتبحرين في الحديث والقراءات، وابنه يوسف مجتهدا في طلب الحديث[2].

اتجهت أنظار علماء المغرب الأوسط في العهد الموحدي إلى علم الحديث منذ عهد المهدي بن تومرت الذي أمر بتدريسه[3]، وشهد هذا العلم ازدهارًا كبيرًا باعتباره مصدرًا رئيسًا في تشريعات النّاس ومنفذهم لفهم أحكام القرآن وتفسيره، هذا فضلا عن عناية الموحدين به وتشجيعهم للناس على دراسته ومكافأة طلبته، وفتحهم باب الاجتهاد على مصراعيه[4]. ولم يقفوا عند ذلك بل قاموا باستدعاء كبار المحدثين من الأندلس وضمهم إلى المجالس، والتحفيز على الإقبال عليها خاصة في أيام المنصور الذي عين ابن القطان لقراءة الحديث بين يديه[5].

ويخبرنا ابن الأبار أنّ دراسة الحديث في الدولة الموحدية تتم عن طريق الكتب الخمسة: صحيح البخاري، صحيح مسلم، سنن أبي داوود، سنن الترمذي، سنن النسائي، مسند البزار الكبير، إضافة إلى موطأ مالك وموطأ ابن تومرت وكتابه "أعز ما يطلب"[6]، حيث أمر عبد المؤمن بن علي سنة (555هـ/1160م)، بحرق كتب الفروع، وردّ النّاس إلى قراءة الحديث، وكتب ذلك إلى طلبة المغرب والأندلس[7]. وقد كان مهتما بالعلم والعلماء من خلال إشرافه على جمع آثار المهدوية وفقهها ليكون في كتاب واحد سماه«أعز ما يطلب»[8]، وأمر الناس بحفظ كتاب "المرشدة" الذي يتضمن عقيدة المهدي وفهمها وكان له دور في انتشارها وذيوعها وتم إقراؤها في المساجد، وقد كانت مقروءة بتلمسان متداولة بها،

---

(1)– سمي الموطأ لأنّ الإمام مالك عرضه على بضعة عشر تابعيا، كلهم واطئوه على صحته. ينظر: محمد بن محمد بن مخلوف: المرجع السابق، ص59.

(2)– عبد الله على علام: المرجع السابق، ص 300.

(3)– محمد المنوني: المرجع السابق، ص35.

(4)– عبد الواحد المراكشي: المصدر السابق، ص279، الطاهر بونابي: المرجع السابق، ص240.

(5)– يوسف الكتاني: المرجع السابق، ج1، ص367.

(6)– ابن الأبار: المصدر السابق، ص206، محمد المنوني: المرجع السابق، ص21.

(7)– ابن أبي زرع: المصدر السابق، ص189، مبارك بن محمد الميلي: المرجع السابق، ص337.

(8)– ابن تومرت: أعز ما يطلب، تقديم وتصحيح عمار طالبي، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1985م، ص3.

وشرحها العديد من علماء تلمسان مثل ابن النقاش في شرحه المسمى "الدرة المفردة في شرح العقيدة المرشدة" وكانت معروفة حتى في المشرق حيث دُرست في الشام[1].

ولم يكن أبو يوسف يعقوب المنصور أقل من أبيه علما واحتراما للعلماء، وكان غاية في العلم والتفنن[2]، عالما بالحديث والفقه واللغة، محبا للعلماء معظما لهم مشاركا في كثير من الفنون[3]، كما جعل المرتبات للأطباء والمهندسين والكتاب والشعراء وغيرهم[4]، وكان أكثر اهتمامه في القرآن والحديث، حيث أمر جماعة من العلماء بجمع أحاديث من المصنفات العشرة (صحيح مسلم، صحيح البخاري، سنن الترميذي، سنن أبي داود، سنن النسائي، مسند البزار، مصنف ابن أبي شيبة، سنن الدارقطني، سنن البيهقي) في الحديث تتعلق بمسائل الفقه، وجعل يعلمها للناس بنفسه ويأخذهم بحفظها[5]، كما قال ذات مرة:" ليس لي إلا المصحف أو كتاب سنن أبي داود أو السيف"[6]، والخليفة يعقوب الموحدي كان يحفظ متون الأحاديث وينقلها ونظم قراءة الحديث، واهتم بطلبة الحديث أعظم عناية،فأجرى عليهم المرتبات على قدر مراتبهم وطبقاتهم حتّى نالوا على يده من الرعاية والنفوذ ما لم ينالوه من قبل[7]. ومن حفاظ الحديث يوسف والمأمون والأمير إبراهيم بن يوسف بن عبد المؤمن أبناء المغرب الأوسط وقادة الدولة الموحدية[8]، وحقيقة الأمر أن حركة الحديث في هذا العصر عرفت نشاطا مكثفا، وازدهرت سوقه واستدعي إلى بلاط الحكم علماؤه ونبذ من سلك طريق الرأي[9].

---

[1]– عبد المجيد النجار: المرجع السابق، ص450، علي عشي: دور علماء المغرب الأوسط في مجال العلوم الدينية خلال العهد الموحدي، مجلة الدراسات الإسلامية، جامعة عباس لغرور خنشلة، الجزائر، 2013م، العدد2، ص490.

[2]– أحمد بابا التنبكتي: المصدر السابق، ص 227.

[3]– ابن أبي زرع: المصدر السابق، ص216، ابن الأثير: الكامل، المصدر السابق، ج10، ص127، الأغا بن عودة: طلوع سعد السعود في أخبار وهران والجزائر، تحقيق يحي بوعزيز، دار الغرب الإسلامي، لبنان، د.ت، ج1، ص150.

[4]– محمد المنوني: المرجع السابق، ص130، مبارك الميلي: تاريخ الجزائر، المرجع السابق، ج3، ص334.

[5]– عبد الواحد المراكشي: المصدر السابق، ص355، عبد المجيد النجار: المرجع السابق، ص480، محمد المنوني: المرجع السابق، ص21، خالد الصمدي: المرجع السابق، ج1، ص84.

[6]– عبد الرحمن الجيلالي: المرجع السابق، ص313، محمد المنوني: المرجع السابق، ص36.

[7]– عبد الواحد المراكشي، المصدر السابق، ص199.

[8]– عبد المجيد النجار: المرجع السابق، ص385، علي عشي: دور علماء المغرب الأوسط في مجال العلوم الدينية خلال العهد الموحدي، المرجع السابق، ص490.

[9]– خالد الصمدي: المرجع السابق، ج1، ص85.

إن علم الحديث حظي بإقبال كبير من علماء هذه البلاد زمن الموحدين، نظرًا للاهتمام بالقرآن والحديث في استنباط الأحكام الشرعية الذي دعا إليه ابن تومرت وخلفاؤه[1]، وعصر الموحدين كان عصر حديث توسعت فيه مجالسه وقرب علماؤه وشجع طلبته واتسعت مراكزه في المغرب الإسلامي مثل إفريقية وتلمسان وفاس، وأغلب العلماء المدعوين إلى البلاط الموحدي ومجالس العلم ذوي اتجاه للحديث والأثر والاجتهاد مثل أبي عبد الله محمد بن إبراهيم بن خلف بن الفخار (ت590هـ) وابن القطان[2]، كما برز محدثون منهم:

-ذكر الذهبي كبار المحدثين أبو جعفر أحمد بن أحمد علي بن غزلون (ت524هـ) اشتغل بالقضاء ونبغ في علم الحديث كانت له رحلة إلى مصر، وتجول في حواضر بلاد المغرب والأندلس، وفضل الاستقرار بتلمسان للتدريس وتوفي بها[3]، وأبو محمد عبد الله بن محمد بن عبد الله الصنهاجي الأشيري (ت561هـ/1165م) فقيه ومحدث، إمام أهل عصره في الفقه والحديث له كتاب "تهذيب الاشتقاق لأبي العباس المبرد"[4]، والمحدث أبو محمد عبد المنعم بن عشير الجزائري (ت.بعد561هـ/1166م) فقيه جزائري ومحدث، روى عنه ابن قنترال[5].

ومن المؤلفين في الحديث من ذكرهم الغبريني؛ أبو يعقوب يوسف بن إبراهيم السدراتي (ت570هـ/1174م) له كتاب في الحديث "ترتيب في صحيح حديث رسول الله"[6]، وذكر ابن الأبار أبا الحسن جابر بن أحمد بن إبراهيم القرشي الحسني التلمساني (كان حياً سنة 578هـ/1182م) أديب لغوي، محبا للحديث وتحصيله، له إجازات من أهل الحديث[7]، والمحدث أبي عبد الله محمد بن الصمغان القلعي الذي أخذ عن عبد الحق الاشبيلي (ت581هـ/1185م) وكان له علم بالحديث ويعد من أشهر المحدثين في بجاية[8].

---

[1]– عبد الحميد حاجيات: ملاحظات حول تطور الحياة الفكرية، المرجع السابق، ص319.

[2]– خالد الصمدي: المرجع السابق، ج1، ص85.

[3]– الذهبي: تاريخ الإسلام، ج11، ص202، المقري: المصدر السابق، ج3، ص393.

[4]– رابح بونار: المرجع السابق، ص272، عادل نويهض: معجم أعلام الجزائر، المرجع السابق، ص16، بوعزيز: أعلام الجزائر، المرجع السابق، ج1، ص32، عمار هلال: علماء الجزائر، المرجع السابق، ص163.

[5]– عادل نويهض: معجم أعلام الجزائر، المرجع السابق، ص99.

[6]– الحسين أسكان: المرجع السابق، ص115.

[7]– ابن الأبار: المصدر السابق، ج2، ص7، عادل نويهض: معجم أعلام الجزائر، المرجع السابق، ص68.

[8]– الغبريني: المصدر السابق، ص184.

-كما لاح ضوء المحدث الذي ذكره الغبريني؛ أحمد بن عبد الصمد بن أبي عبيدة محمد بن أحمد الأنصاري الخزرجي الساعدي القرطبي الفاسي (ت582هـ/ 1186م) حافظ محدث أديب فقيه مالكي، وليد قرطبة ونزيل بجاية ثم فاس التي تصدر بها لإسماع الحديث إلى أن كف بصره وتوفي بها، كان مهتما بالحديث وحفظه له تأليف "آفاق الشموس وإعلاق النفوس" و"حسن المرتفق" و"نفس الصباح في غريب القرآن" الذي يسمى تفسير الخزرجي جمع فيه بين علمي الغريب والناسخ والمنسوخ ويعين على فهم القرآن[1].

-ولم ينس الغبريني ذكر الفقيه المالكي عبد الحق أبي محمد بن عبد الرحمن بن عبد الله الاشبيلي(ت582هـ/1187م)، عالم بالحديث؛ علله ورجاله، له"الأحكام الكبرى في الحديث"و"الأحكام الصغرى في الحديث"، وكتاب أكبر منهما سماه"الحاوي" و"كفاية الكفاية في علم الرواية"، و"المرشد"، نشر خطبه في الجامع الأعظم[2].

كما ذكر ابن أبي زرع الإمام عبد العزيز بن يوسف بن إبراهيم اللخمي الدباغ (ت602هـ/1205م) من مرسية، سكن فاس ثم تلمسان وأقرأ بها، وهو من الأئمة المحدثين[3] ولم يغفل التنبكتي عن الإشارة إلى القاضي عبد العزيز القيسي بن مخلوف العيسي ولد سنة (602هـ/1206م)، فقيه محدث تولى القضاء في عدة حواضر بالمغرب الأوسط[4]، وأبي الحسن علي بن موسى بن محمد بن شلوط الشبارتي البلنسي (ت610هـ/1213م)، سكن تلمسان، محدث روى عنه ابن الأبار بعض صحيح البخاري[5].

-وترجم المقري وابن القاضي للمحدث أبي عبد الله محمد بن عبد الرحمن بن سليمان التجيبي (ت610هـ/1214م)، أصله من إشبيلية، محدث وواعظ، روى عن ابن بشكوال وأبي طاهر السلفي وغيرهما، قدم إلى بلاد المغرب، فحدّث بفاس سنة (514هـ) ثم سبتة ونزل تلمسان التي استقر بها وتوفي بها، ألّف معجم شيوخه، ومعجم شيوخ أبي طاهر السلفي، وله

---

[1]- ابن الأبار: المصدر السابق، ج1، ص105، عادل نويهض: معجم المفسرين، المرجع السابق، ص759، التنبكتي: كفاية المحتاج، تحقيق محمد مطيع، وزارة الأوقاف، المغرب، 2000م، ص30.

[2]- الغبريني: المصدر السابق، ص73.

[3]- مجهول: الذخيرة السنية، المصدر السابق، ص14.

[4]- التنبكتي: كفاية، المصدر السابق، ص197.

[5]- ابن الأبار: المصدر السابق، ج2، ص676.

أيضا كتاب"المواعظ والرقائق"[1]، وضع برنامجه الأكبر وبرنامجه الأصغر، نظراً لبراعته حوّل تلمسان إلى قبلة يقصدها الرواة والمحدثون، ووردت ترجمة لدى ابن الأبار للمحدث الله محمد بن عبد الحق بن سليمان أبي عبد اليعفري البطوي (ت625هـ/1228م) تولى القضاء بتلمسان واشتغل بالتأليف وألف كتاب"غريب الموطأ" و"المختار في الجمع بين المنتقى والاستذكار"من أجل المؤلفات وكتاب "الإقناع في كيفية السماع" و"التسلي عن الرزية والتحلي برضا باري البرية" و"فرقان الفرقان وميزان القرآن" كما سيأتي التعريف به في الفصل الأخير[2]. وقد وردت في السير والتراجم الكثير من أسماء المحدثين منهم؛ عمر بن عبد الله القفصي التبسي سديد الدين (ت620هـ/1222م) محدث من كبار العلماء من تبسة رحل إلى المشرق ولقي كبار الشيوخ[3].

- المحدث أبا عبد الله محمد بن إسماعيل المتيجي (ت625هـ/1227م) كان عارفا بالحديث ورجاله، رحل إلى الأندلس نزل مرسية وخطب بها، مليح الخط والضبط يقول الشعر، وكتب علم كثير وأخذ عنه النّاس[4]، وأضاف الغبريني المؤرخ محمد بن علي بن حماد الصنهاجي القلعي (ت628هـ/1230م) له كتب في الحديث منها "الإعلام بفوائد الأحكام" و"شرح الأربعين حديث" وكان مؤرخًا وشاعرًا وأديباً وفقيهاً متمكناً في الحديث واللغة[5]. كما ترجم ابن الأبار والتنبكتي للعالم أبي زيد عبد الرحمن بن يخلفتن بن أحمد اليجفشي الفزازي القرطبي(ت627هـ/1229م) نزيل تلمسان، تعلم بها على يد أبي عبد الله التجيبي، عالم بالحديث، وروى عن أبي الوليد يزيد بن عبد الرحمن والسهلي وابن الفخار[6].

-وأبو الخطاب عمر بن الحسن بن علي بن دحية الكلبي (ت633هـ/1235م) الشيخ الفقيه والنحوي اللغوي، نزيل بجاية من كبار المحدثين، متقن الحديث النبوي له مصنف في رجال

---

(1)- المقري: المصدر السابق، ج2، ص360، ينظر كذلك عبد الحي الكتاني: فهرس الفهارس، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، 2009م، ج1، ص191، أحمد بن القاضي: المصدر السابق، ص171.

(2)- ابن الأبار: المصدر السابق، ج2، ص ص(588-632)، عادل نويهض: معجم أعلام الجزائر، المرجع السابق، ص77، رشيد بورويبة وآخرون: المرجع السابق، ص343، العباس بن إبراهيم السملالي: الإعلام بمن حل مراكش وأغمات من الأعلام، مراجعة عبد الوهاب بن منصور، المطبعة الملكية، الرباط، المغرب، 1993م، ج4، ص185.

(3)- عادل نويهض: معجم أعلام الجزائر، المرجع السابق، ص363.

(4)- المرجع نفسه، ص285.

(5)- الغبريني: المصدر السابق، ص218، خالد الصمدي: المرجع السابق، ج1، ص219.

(6)- ابن الأبار: المصدر السابق، ج2، ص585، التنبكتي: المصدر السابق، ص239.

الحديث، وكتاب "أنوار المشرقين في تنقيح الصحيحين المشرقين" وكتاب"التنوير في مولد البشير النذير" حول حياة الرسول ﷺ، وكتاب "الابتهاج في أحاديث المعراج" يتضمن قصة الإسراء والمعراج ودراسة أحاديثها[1].

-أبو الربيع سليمان بن موسى بن سالم الحميري الكلاعي (ت634هـ/1237م) من أهل بلنسية، محدث وفقيه وأديب، كان بالأندلس أخذ عن ابن زرقون، ثم رحل إلى المغرب[2]، ومن علماء مليانة نجد سليمان بن يوسف الملياني رضي الدين (حيا سنة637هـ/1239م) محدث فقيه مالكي مشارك في عدة علوم، رحل إلى المشرق ودخل بغداد ولقي جماعة من العلماء وأخذ عنهم مثل ابن القبطي والصغاني[3]. وأبو علي عمر بن محمد بن عمر بن خميس الحجري الرعيني التلمساني (ت.بعد650هـ/1252م) محدث وفقيه مشارك في كثير من العلوم، روى عن عبد الله بن سليمان بن حوط الله[4]، كما أشار الغبريني إلى المحدث أبي بكر محمد بن أحمد بن عبد الرحمن بن محرز (ت655هـ/1257م) استوطن بجاية، فقيه حافظ محدث متقن[5].

-أبو بكر محمد بن أحمد بن يحي الشهير بابن سيد الناس اليعميري الإشبيلي (ت659هـ/1261م) قرأ بإشبيلية ولقي كبار المشايخ منهم أبو محمد الزهري وأبو حفص السلمي، فقيه لغوي محدث كان يستظهر عشرة آلاف حديث بأسانيدها ويذكر بأضعافها، وإمام في القراءات ولي الصلاة والخطبة بالجامع الأعظم ببجاية وروى وأسمع به فكثر الآخذون والسامعون منه، وافته المنية بتونس[6].

-محمد بن إبراهيم الغساني (ت663هـ/1265م) لغوي حافظ للحديث، أخذ ببلده تلمسان عن أبي عبد الله التجيبي، وبسبتة عن أحمد العزفي، ودرس بالأندلس على أبي بكر بن طلحة، وبالمغرب الأقصى استوطن بآسفي كان عدلاً في رواية الحديث، ضابط اللغة، عالمًا

---

[1]- الغبريني: المصدر السابق، ص269، ابن خلكان: المصدر السابق، ج3، ص449.

[2]- الغبريني: المصدر السابق، ص282.

[3]- عادل نويهض: معجم أعلام الجزائر، المرجع السابق، ص316.

[4]- المرجع نفسه، ص135.

[5]- الغبريني: المصدر السابق، ص283.

[6]- المصدر نفسه، ص291.

بالأنساب، فقيهاً، له حظاً وافراً في الشعر[1]. وقد أورد عادل نويهض العديد من محدثي القرن7هـ. منهم أبو إسحاق إبراهيم بن يحي بن محمد بن موسى التجيبي التلمساني (ت663هـ/1265م) فقيه مالكي له مشاركة في كثير من العلوم، صنف "شرح الخلاف" ودرّس وأفتى[2]، وأبو إسحاق إبراهيم بن حماد القلعي (ق6هـ/12م) فقيه مالكي من قلعة بني حماد، له رواية عن أبي علي الصدفي[3].

– ومن محدثي القرن السابع هجري الذين ترجم لهم الغبريني نجد أبا محمد عبد الله بن محمد بن عمر بن عبادة القلعي (669هـ/1271م) فقيه مالكي محدث من قلعة بني حماد يدرس بالجامع الأعظم، كان حافظاً للخلاف العالي (خلاف بين المذاهب) والمذهب المالكي، حافظًا للتأريخ مشاورًا شاهدًا بالديوان[4].

–وكذلك ترجم للمحدث أبي فارس عبد العزيز بن علي بن عمر بن مخلوف بن كحيلا التلمساني (ت685هـ/1287م) الفقيه المالكي والمحدث القاضي الحافظ والذاكر لمتون الحديث المتقنة، الفصيح اللسان، له عكوف على التدريس، انتفع به خلق كثير، يعرف بخزانة مالك، من تلاميذه الغبريني، ولي قضاء بجاية وبسكرة وقسنطينة والجزائر[5].

حظيت علوم الحديث بعناية بالغة من قبل الموحدين وخاصة قادتهم وذلك من أجل دعم مذهبهم، وقد سَخّروا لذلك عدة آليات ووسائل، كحفظ المتون، وتشجيع طلبة الحديث، ومكافأتهم بالجوائز، والمرتبات وتوظيف المساجد لأجل ذلك، واستقدام العلماء ذوي الاتجاه الحديثي الأثري، لاسيما في عهد عبد المؤمن والخلفاء من أبنائه وأحفاده، كأبي يعقوب المنصور، فعرفت الحركة العلمية في عهدهم كثافة واتساعاً، لذلك برز عدد كبير من علماء الحديث في المغرب الأوسط وذاع صيتهم ونشطوا حلقات العلم والتدريس والتحصيل العلمي، ومنه ننتقل للحديث عن أوضاع علم الفقه خلال هذه الفترة.

---

[1]– يحي بن خلدون: المصدر السابق، ج1، ص138، عادل نويهض: معجم أعلام الجزائر، المرجع السابق، ص251.

[2]– عادل نويهض: معجم أعلام الجزائر، المرجع السابق، ص64.

[3]– المرجع نفسه، ص266.

[4]– الغبريني: المصدر السابق، ص66، عادل نويهض: معجم أعلام الجزائر، المرجع السابق، ص267.

[5]– الغبريني: المصدر السابق، ص63، عادل نويهض: معجم أعلام الجزائر، المرجع السابق، ص289، خديجة بورملة: صورة المغرب الأوسط في كتابات الرحالة والجغرافيين العرب والمسلمين، رسالة ماجستير، جامعة معسكر، الجزائر، 2011م/2012م، ص126.

المبحث الثالث: علم الفقه

يعد علم الفقه من أبرز العلوم الشرعية التي تستدعي الحاجة إلى تعلمه وتعليمه لتعلقه بالقضايا التعبدية والعملية.

المطلب الأول:علم الفقه قبل الموحدين

الفقه[1] يعني معرفة الأحكام الشرعية التي طريقها الاجتهاد،[2] وعرفه ابن خلدون أنّه معرفة شرع الله تعالى في أفعال المكلفين بالوجوب والحضر والندب والكراهة والإباحة، وهي منتقاة من الكتاب والسنة، وما نصبه الشارع لمعرفتها من الأدلة، فإذا استخرجت الأحكام من تلك الأدلة قيل لها فقه، أهم أصوله، القرآن والسنة والإجماع والقياس[3].

وعلم الفقه هو علم أحكام التكاليف الشرعية العملية، مثل العبادات والمعاملات والعادات، وفائدته امتثال أوامر الله تعالى ونواهيه، وما يتصل بالأمور الدنيوية من قضائية وسياسية وحربية[4]، وتستخرج أحكامه من القرآن والسنة والإجماع والقياس[5]، ويعني البحث

---

(1)– الفقه لغة: هو العلم بالشيء والفهم له، وفقَّه فقهاً: عَلِمَ عِلما، والفقه في الأصل الفهم، حسب قوله تعالى:﴿تُسَبِّحُ لَهُ السَّمَاوَاتُ السَّبْعُ وَالْأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَٰكِنْ لَا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا﴾سورة الإسراء، الآية(44)، إلا أنّ هناك خلافا بين الفقهاء في معنى الفقه؛ فلدى الأصوليين منهم الباجي، الآمدي، الأسنوي، يقولون بأن الفقه هو الفهم، أما الجويني واللغوي محمد الفراء فيرون أنّ الفقه معناه العلم.وذكر أبو حامد الغزالي في كتابه المستصفى أنّ الفقه من أشرف العلوم لأنه يجمع بين العقل والسمع. ينظر: الغزالي: المستصفى، المصدر السابق، ص4.

(2)– القرافي(ت684هـ): شرح تنقيح الفصول في اختصار المحصول في الأصول، مكتب البحوث والدراسات، دار الفكر، بيروت، 2004م، ص21.

(3)– ابن خلدون: المقدمة، المصدر السابق، ص493.

(4)– حسام الدين عباس الحزوري: الحركة الفكرية ومراكزها في دمشق، الهيئة العامة للكتاب، سورية، 2011م، ص 110.

(5)– الإجماع: هو اتفاق جميع المجتهدين من المسلمين في عصر من العصور بعد وفاة الرسول ﷺ على حكم شرعي، أما القياس: هو إلحاق أمر غير منصوص على حكمه بأمر آخر منصوص على حكمه لعلة جامعة بينهما، كما توجد مصادر تبعية اختلف فيها الفقهاء تتمثل في الاستحسان، والمصالح المرسلة، والاستصحاب، والعرف، وشرع من قبلنا، ومذهب الصحابي وسد الذرائع. ينظر: محمد حسن محاسنة: المرجع السابق، ص86.

في الفرائض(المواريث)[1] الدينية والأحوال الشخصية وحل المسائل التي تواجه الإنسان في حياته اليومية[2]، حتى تستقيم سلوكاتهم ومعاملاتهم الدينية والاجتماعية والاقتصادية[3].

قال ﷺ:{ تَعلمُوا الفَرائضَ وعلمُوه النّاس، فإنّه نِصْف العِلم، وهَو أوّل عِلم يُنسَى، وهَو أوْل عِلم يُنزعُ مِن أمّتي}[4] فهو فهم متعمق لقواعد الدين الإسلامي ومقاصده العامة[5].

لقد نشأ الفقه الإسلامي في عهد النبي ﷺ حينما كان يتلقى الآيات عن ربه سبحانه بما فيها من أوامر له وللمسلمين، تتعلق بعباداتهم ومعاملاتهم وسائر شئون حياتهم وما يحتاجون إليه من أحكام شرعية عملية واعتقادية، وكان رسول الله ﷺ يُبين هذه الأحكام للنّاس، ويشرح تفاصليها، ويطبقها أمام النّاس، كما كان يتابع فعل الصحابة لها[6].

جاء في مقدمة ابن خلدون أنّ الفقه كان مختصاً بالحاملين للقرآن العارفين بناسخه ومنسوخه ومتشابهه ومحكمه وسائر دلالته بما تلقوه من النبي ﷺ أو سمعوه منه ويسمون بالقراء، وعندما انتشر الإسلام وذهبت الأميّة من العرب بممارسة الكتاب، وتمكن الاستنباط، وكمل الفقه، وأصبح صناعة وعلما، فبُدلوا باسم الفقهاء والعلماء[7].

وقد أدى اختلاف أئمة الفقه في فهم بعض النصوص الفقهية واستنباط الأحكام منها إلى تعدد المذاهب. وأشهرها أربعة: المذهب المالكي نسبة إلى الإمام مالك بن أنس (ت179هـ) يمثل مدرسة أهل الحديث[8] انتشر مذهبه في المغرب الإسلامي ومعظم إفريقيا،

---

[1]– علم الفرائض: جمع فريضة، والفرض نصيب مقدر شرعا للوارث، وهو علم بقواعد وجزئيات كيفية صرف التركة إلى الورثة، ويرى ابن خلدون إن الفرائض فن شريف لجمعه بين المعقول والمنقول، والوصول إلى الحقوق في الوراثات بوجوه صحيحة يقينية. ينظر: ابن خلدون: المقدمة، المصدر السابق، ص434، وينظر كذلك: حسن صديق خان: أبجد العلوم، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، د ت، ص396.

[2]– عبد العزيز فيلالي: المرجع السابق، ج2، ص445.

[3]– عبد القادر زبادية: نشأة المدارس الفقهية في الإسلام، مجلة الأصالة، الجزائر، 1971م، العدد1، ص43.

[4]– ابن ماجة(ت273هـ): في سننه، كتاب الفرائض، دار الجيل، ط1، بيروت، لبنان، 1998م، باب الحث على تعلم الفرائض، رقم2719، ج4، ص283.

[5]– مصطفى أحمد الزرقة: الفقه الإسلامي ومدارسه، دار القلم، دمشق، سوريا، 1995م، ص9.

[6]– عبد الله نجيب سالم: المرجع السابق، ص44.

[7]– ابن خلدون: المقدمة، المصدر السابق، ج2، ص185.

[8]– مدرسة الحديث(الحجاز): وقف أصحابها عند النصوص وتوقفوا عن الإفتاء إذا لم يجدوا نصا آخذين بظاهر قوله تعالى:﴿ ولا تقف ما ليس لك به علم﴾ سورة الإسراء: الآية26، ويعتمدون الحديث فسموا بأهل الحديث، ونادرا ما يميلون

المذهب الحنفي نسبة إلى أبي حنيفة النعمان (ت150هـ) يمثل مدرسة أهل الرأي[1] انتشر في أغلب الدول الإسلامية مثل مصر وتركيا، المذهب الشافعي محمد بن إدريس (ت210هـ) جمع بين مدرستي النقل والعقل انتشر بالعراق واليمن وبلاد الشام، الحنبلي نسبة إلى أحمد بن حنبل (ت241هـ) انتشر في الخليج العربي، السعودية والقدس[2].

لقد تطورت علوم الفقه الإسلامي وازدهرت في العصر العباسي، وتوسعت بتوسع رقعتها الجغرافية بما فيها المغرب الإسلامي خاصة أواخر القرن الثاني للهجرة، حيث ازدهر الفقه في هذه المنطقة بصفة عامة والمغرب الأوسط بصفة خاصة، لاسيما المذهب المالكي[3].

المطلب الثاني: علم الفقه زمن الموحدين

خلال العهد الموحدي، ازدهر الفقه على المذهبين الظاهري[4]، والمالكي، فالمذهب الأول تبنته السلطة الحاكمة في بداية عهدها خاصة لدى يعقوب المنصور، أما الثاني فهو الراسخ في الأوساط الشعبية[5]، إضافة إلى وجود مذاهب أخرى مثل المذهب الإباضي الذي كان متجذرًا في الجهة الجنوبية للمغرب الأوسط[6].

إلى الرأي والقياس، متأثرين بعبد الله بن عمر في تعلقهم بالآثار إذا استفتوا في مسألة يعتمدون كتاب الله، ثم سنة رسول الله، ثم آثار الصحابة رضي الله عنهم. ينظر: محمد حسن محاسنة: المرجع السابق، ص84.

(1)– مدرسة الرأي(مدرسة العراق): يرى أصحابها أن أحكام الله سبحانه وتعالى معللة بعلل وشرعت لغايات، فتتبعت علل الأحكام ومالوا إلى استعمال الرأي إذا لم يجدوا نصا في القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة، مستندين إلى فعل كبار الصحابة، متأثرين بمعلمهم الأول عبد الله بن مسعود من حزب عمر. ينظر: محمد محاسنة: المرجع السابق، ص84.

(2)– عبد الله نجيب سالم: المرجع السابق، ص46.

(3)– عمر الجيدي: مباحث في المذهب المالكي بالمغرب، مطبعة المعارف، الرباط، المغرب، 1993م، ص15.

(4)– ينسب المذهب الظاهري إلى داود بن علي بن سليمان الأصبهاني الذي وجد بالعراق في القرن 3هـ/9م، قائم على بناء الفتوى على ظواهر النصوص من صريح القرآن وصحيح السنة، وكان دخول المذهب الظاهري إلى المغرب على اثر الرحلة المعهودة من قبل أهل المغرب إلى المشرق ويمثل هذا التيار في المغرب الإسلامي ابن تومرت. ينظر: ابن الفرضي: تاريخ علماء الأندلس، دار المعارف، القاهرة،مصر، 2008م، ص219.

(5)– قاسمي بختاوي: المرجع السابق، ص111، محمد المنوني: المرجع السابق، ص36.

(6)– علي عشي: المغرب الأوسط خلال عهد الموحدين، المرجع السابق، ص215.

إن الأصول المعتبرة في الفقه عند الموحدين هي؛ القرآن والسنة والإجماع، أما القياس فلا يأخذون إلا بالقياس الشرعي[1]، لذلك ازدهرت على عهدهم دراسة أصول الدين في المغرب إلى درجة أن بعض الأندلسيين كانوا يرحلون إلى المغرب لدراسة هذين العلمين[2]، ويعد عبد المؤمن بن علي أول من وضع خطة المهدي في الاعتناء بالأصول حفظاً وشرحاً موضع التنفيذ، وكان شغوفا بالقرآن والحديث وتضلع في علومهما، وكان يلقي دروسا فيهما في مجالسه العلمية، وسياسته التربوية قائمة على أساس القرآن والسنة، حيث يجلب الصبيان من الأندلس وتلمسان إلى حضيرته ليعلمهم القرآن والحديث، كما كان أبو يعقوب يوسف على نهج أبيه، وواصل أبو يوسف يعقوب المنصور السياسة التي كان عليها أبوه وجده[3].

وقد اتجه التعليم الموحدي إلى عدم التقيد بآراء المذهب المالكي على طريقة ابن حزم الذي ركز على المذهب الظاهري، باعتماد حرية الاجتهاد في مسائل الفقه شرط الاستناد إلى حجج القرآن والسنة[4]، ونبذ التقليد لكتب الفروع واستخراج الأحكام من الأصول في الحركة الاجتهادية، وهو مبدأ التقت فيه دعوة الموحدين مع المذهب الظاهري الحزمي[5]، لكن ظل معظم الفقهاء أوفياء للمذهب المالكي وبعضهم ظهر في ميدان فقه الموحدين[6].

من الكتب الفقهية التي تدرس؛ أحاديث ابن تومرت في الطهارة وعقيدته، وأحاديث الصلاة التي أمر يعقوب بجمعها، الأحكام الصغرى لعبد الحق، النوادر لابن أبي زيد، تهذيب البرادعي، رسالة ابن أبي زيد، كتابي "المستصفى"و"الإحياء" للغزالي، "الإرشاد" لإمام الحرمين[7].

عُرِف الخلفاء الموحدون بمجالسة الفقهاء خاصة يوسف بن عبد المؤمن والمنصور الذين كانا في ولايتهما وفوداً من القضاة والفقهاء والشعراء[8]، على الرغم مما ذكرته

---

[1]- ابن تومرت: المصدر السابق، ص173.

[2]- محمد عادل عبد العزيز: المرجع السابق، ص94.

[3]- عبد المجيد النجار: المصدر السابق، ص479.

[4]- الحسن السائح: المرجع السابق، ص206.

[5]- عبد المجيد النجار: المرجع السابق، ص492.

[6]- عبد الكريم حساين: الحركة العلمية بالمغرب الإسلامي في عصر الموحدين، المجلة الجزائرية للبحوث والدراسات التاريخية المتوسطية، جامعة سيدي بلعباس، الجزائر، 2016م، العدد3، ص69.

[7]- محمد المنوني: المرجع السابق، ص23.

[8]- عبد الواحد المراكشي: المصدر السابق، ص279.

المصادر التاريخية منها مؤلف المراكشي وابن خلدون وغيرهم أن يعقوب المنصور أمر بحرق كتب مذهب الإمام مالك بعد أن يجرد منها كلام الله ورسوله.

برز في المغرب الأوسط فقهاء كثيرون كما ورد عند الغبريني قال:" أدركت ببجاية ما ينيف على تسعين مفتيا"[1]، وهذا إن دل على شيء إنّما يدل على إقبال أهل المغرب الأوسط على العلم عموماً واهتمامهم بالفقه خصوصاً، وكون بجاية أشهر الحضائر العلمية، ومن أبرز علماء الأصول في المغرب الأوسط أبو يعقوب يوسف السدراتي (ت570هـ/1175م)، وأبو عمار عبد الكافي الوارجلاني (ت570هـ/1174م)، وابن الخراط (ت581هـ/1186م)[2].

من علماء تلمسان من ذكرهم يحي بن خلدون الفقيه أبو الحسن علي بن أبي القاسم عبد الرحمن بن أبي قنون (ت557هـ/1162م) الذي كان متبحراً في الفقه محققًا لأصوله، رحل إلى الأندلس وأخذ عن أبي علي الصدفي وغيره، وجال أقطار المغرب، وله تواليف كثيرة أنبلها "المقتضب الأشفى في اختصار المستصفى" وهو شرح ودراسة لكتاب "المستصفى" للغزالي، وقد بلغ مرتبة قضاء الجماعة بعد أبي يوسف بن حجاج[3].

-والعالم الذي ترجم له القرافي الفقيه الزاهد أبو الفضل يوسف بن النحوي (ت513هـ/1120م) الذي أقرأ بتهرت والقلعة والمغرب الأقصى، ثم عاد بعد زيارته أرض الحجاز إلى القلعة، كان مهتماً بأصول الدين والفقه ويميل إلى النظر والاجتهاد، ويقوم على علم الكلام[4].

-والفقيه الذي ترجم له ابن الأبار؛ أحمد بن عبد الله بن طمليس بن معاوية الأزدي البلنسي (ت548هـ/1154م) الذي تميز بالفقه والأصول والفرائض، دخل الجزائر ودفن بها[5].

-وممن ذكرهم عادل نويهض نجد أبا يوسف حجاج بن يوسف الهواري (ت572هـ/1176م) فقيه من القضاة ومن أهل العلم والأدب، كان فصيحاً بليغاً، من بجاية ولي قضاء مراكش دخل الأندلس وروى عن علمائها، توفي مكفوف بسبب الطاعون[1].

---

[1]- الغبريني: المصدر السابق، ص36.

[2]- علاوة عمارة: دراسات في التاريخ الوسيط للجزائر، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 2008م، ص109.

[3]- يحي بن خلدون: المصدر السابق، ج1، ص135.

[4]- القرافي: المصدر السابق، ص287.

[5]- ابن الأبار: المصدر السابق، ج1، ص54.

-وترجم للعالم أبي الحسن علي بن أبي القاسم عبد الرحمن بن أبي قنون التلمساني (ت577هـ/1162م)، وهو فقيه مالكي، قاض مشارك في كثير من العلوم، من أهل تلمسان نشأ وتعلم بها ثم دخل الأندلس وروى عن الصدفي والخولاني، ثم ولي القضاء بمراكش وتلمسان، له تواليف كثيرة منها "المقتضب الأشفى في اختصار المستصفى"[(2)].

-ومن فقهاء مسيلة الذين لهم ذكر لدى الغبريني نجد أبا علي حسن بن علي بن محمد المسيلي (ت580هـ/1185م) عالم وفقيه مالكي من مسيلة، نشأ في بجاية وولي قضاءها ثم تخلى عنه بعدما استولى بنو غانية عليها، حتى توفي بها، صاحب أبا مدين شعيب الإشبيلي، معجب بكتب الغزالي، كان تذكرة في علوم الدين، له مصنف "التفكير فيما تشتمل عليه السور والآيات من المبادئ والغايات" وهو يتضمن شرح السور والآيات والغاية منها[(3)].

-ومن الفقهاء الكتاميين الذين ذكرهم يحي بن خلدون؛ أبو تميم ميمون بن جبارة بن خلفون الكتامي الفرداوي (584هـ/1189م) قاض وفقيه، رحل إلى المشرق ثم مراكش، كان قاضياً بإشبيلية وبجاية ثمّ تولى قضاء مرسية، روى عن عبد الله بن عبد الحق التلمساني، أخذ عنه أبو جعفر الذهبي، توفي بتلمسان[(4)].

-ومن فقهاء القرن السابع هجري أبو زكرياء يحي بن علي بن حسن بن حبوس الهمذاني(حيا 615هـ/1218م)، فقيه مالكي ومفتي ببجاية في النصف الأول من القرن السابع هجري، له علم بالوثائق، لقي عدة شيوخ منهم: أبو مدين شعيب وعبد الحق الإشبيلي استجاز الفقيه محمد بن عبد الحق التلمساني[(5)].

-ورد لدى يحي بن خلدون ذكر للفقيه أبي علي مروان بن محمد بن علي بن مروان بن جبل الهمذاني (ت620هـ)، أخذ عن أبيه وغيره ببلده وبمراكش وغيرهما، وكان فقيها حافظاً

---

(1)- عادل نويهض: معجم أعلام الجزائر، المرجع السابق، ص336.

(2)- المرجع نفسه، ص72.

(3)- الغبريني: المصدر السابق، ص132، عادل نويهض: معجم المفسرين، المرجع السابق، ص769.

(4)- يحي بن خلدون: المصدر السابق: ج1، ص168، الغبريني: المصدر السابق، ص207، عادل نويهض: معجم أعلام الجزائر، المرجع السابق، ص253.

(5)- الغبريني: المصدر السابق، ص256، عادل نويهض: معجم أعلام الجزائر، المرجع السابق، ص336.

للمسائل، بصيراً بالفتوى في النوازل، وليّ قضاء تلمسان وسبتة وغرناطة ومرسية، وبها توفيّ[1].

-ومن علماء تلمسان ممن ذكرهم ابن الأبار؛ محمد بن عبد الحق بن سليمان اليفرني الندرومي التلمساني (ت625هـ/1228م) كان مشاركاً في الفقه وعلم الكلام، جامعاً بين رواية الحديث من خلال كتاب "الاقتضاب" والعلوم العقلية من خلال كتاب" إرشاد المسترشد"[2].

-ومن علماء مدينة الجزائر الذين ذكرهم الغبرني؛ أبو القاسم عبد الرحمن بن محمد بن أبي بكر بن السطاح (629هـ/1231م) فقيه نحوي لغوي أصله من الجزائر، رحل إلى إشبيلية لأخذ الإجازة العلمية، لقي علماء منهم ابن زرقون وأجازه، ثم عاد إلى بجاية واستقربها فزاول قضاء الأنكحة والتدريس، تصدر للإقراء بمرسية، ويعد أول من أدخل كتاب" الأنوار في الجمع بين المنتقى والاستذكار" إلى العدوة، وكان بارع الخط[3].

-وترجم كذلك للفقيه الجزائري أبي محمد عبد الله بن حجاج بن يوسف (ت640هـ/1243م) الفقيه القاضي، دخل الأندلس وأخذ عن أبي بكر بن العربي، أصله من أشير وسكن بجاية، كان قاضياً بالجزائر ثم وفد إلى بجاية وتولى القضاء بها، ولم يأخذ جراية وطالت مدته بمنصبه، له رواية عن أبي موسى الجزولي وغيره، له خمسة أبناء ذكور أغلبهم فقهاء وقضاة[4].

-وأبو مطرف أحمد بن عبد الله بن محمد بن حسين بن عميرة المخزومي (ت658هـ/1260م) الفقيه العالم الجليل، الذي وصفه الغبريني أنه أعلم العلماء وتاج الأدباء، نشأ ببلنسية وولي القضاء بأريولة وشاطبة بالأندلس، ثم سلا ومكناسة وقسنطينة وقابس، سكن بجاية مدة من الزمن أقرأ ودرّس بها، كان بارعاً في الفقه وأصول الفقه، والأدب، وله عدة مؤلفات منها تعليقات على كتاب "المعالم في أصول الفقه" للرازي الذي

---

[1]- يحي بن خلدون، المصدر السابق، ج1، ص105.

[2]- ابن الأبار: المصدر السابق، ج2، ص166، يحي بن خلدون: المصدر السابق، ج1، ص151.

[3]- الغبريني: المصدر السابق، ص263، عبد القادر بوعقادة: المرجع السابق، ص486، عادل نويهض: معجم أعلام الجزائر، المرجع السابق، ص177.

[4]- الغبريني: المصدر السابق، ص245، عادل نويهض: معجم أعلام الجزائر، المرجع السابق، ص178.

حاول فيه التمييز بين التصور والتصديق وتوفي بتونس، ومن الوافدين إلى بجاية كذلك عبيد الله بن محمد بن عبيد الله النفزي (ت642هـ/1245م) أحد أقطاب علم الأصول[1].

-وذكر لنا كذلك الفقيه أبا الحسن علي بن عمران بن موسى الملياني المعروف بابن أساطير (ت670هـ/1272م) زاهد عالم بالفقه وأصول الدين والتصوف وعلوم الحكمة وعلم الوثائق، لقي المشيخة ببجاية كالشيخ أبي الحسن الحرالي، يقرأ على أصحابه كتاب"الإشارات والتنبيهات لابن سينا"، توفي ببجاية[2].

-وأبو الحسن علي بن عبد الكريم التلمساني (ق7هـ/13م)، مقرئ، من أهل تلمسان، ذكره ابن الجزري كأستاذ مصدر، أخذ القراءات عن فتح المرادي، قرأ عليه أبو الحسن بن الخضار[3]. وأشار الغبريني إلى أبي عبد الله محمد بن محمد بن الحسين الخشني من أهل بجاية في النصف الأول من القرن السابع هجري، كان فقيهاً مقدمًا مشاورًا، إمامًا في صناعة التّوثيق وله خط بارع، أجازه الفقيه محمد بن عبد الحق اليعفري[4].

-وأبو إسحاق بن العرّافة عاش خلال (ق7هـ/13م)، فقيه خطيب عارف، كان له منصب وحظ ووجاهة وتخصيص، ولقي من أفاضل أهل العلم ببلده، وهو إمام وخطيب الجامع الأعظم ببجاية وكان له مجلس للتدريس به الرواية والدراية، معتكفاً منزوياً عن الناس[5].

-ومن علماء أواخر القرن السابع الذين ذكرهم الغبريني عبد العزيز بن عمر بن مخلوف، أبو محمد القيسي (686هـ/1287م) يسمى بخزانة المذهب المالكي، أسند إليه قضاء الأنكحة ببجاية، ثم قضاء بسكرة، قسنطينة والجزائر[6].

نستشف من خلال ما سبق مدى عناية أهل المغرب الأوسط بالفقه، وكثرة علماءه ونبوغ الكثير من أهله، وسنتعرف إلى جانب ذلك على مدى اهتمامهم بعلم التصوف.

---

[1]- الغبريني: المصدر السابق، ص298، عبد القادر بوعقادة: المرجع السابق، ص446.

[2]- الغبريني: المصدر السابق، ص227.

[3]- عادل نويهض: معجم أعلام الجزائر، المرجع السابق، ص72.

[4]- الغبريني: المصدر السابق، ص254، عادل نويهض: معجم أعلام الجزائر، المرجع السابق، ص133.

[5]- الغبريني: المصدر السابق، ص256.

[6]- المصدر نفسه، ص63.

المبحث الرابع: علم التصوف

هناك عدة أراء حول أصل كلمة تصوف، فقد رده البعض إلى لبس الصوف، ورده البعض إلى الاسم اليوناني(صوفيا) وتعني الحكمة، أما البعض الآخر ينسبه إلى شخص معروف بالتصوف.

يرى أبو القاسم القشيري (376هـ/465هـ) أنّ التّصوف[1] لم يشهد له من حيث العربية قياس أو اشتقاق، والأظهر فيه أنّه لقب، وهو طريقة سلوكية قوامها التقشف والتّحلي بالفضائل لتزكية النفس وسمو الروح[2]. فهو يؤكد أن هذه الطائفة أشهر من أن تحتاج إلى قياس[3]. وجعله لقبا، وبما أنّ الكلمة ليس لها أصل عربي فليست مشتقة من كلمة أخرى: وهذا يطرح احتمالا ألا تكون الكلمة عربية أصلا[4].

---

[1]– الراجح أنّ التّصوف في أصله اللغوي مشتق من كلمة"صوف"، الصوف للضأن وما أشبهه، وللغنم كالشَّعْر للمعز والوبر للإبل، والجمع أصواف والصوف كل من أولى شيئا من عمل البيت وصاف عنّا شرّه يصوف: عدل، ويقال أخذت بصوف رقبته أي بجلد رقبته، والصُفة: الضلة–البهو الواسع العالي السقف– مكان مظلل في مسجد المدينة كان يأوي إليه فقراء المهاجرين ويرعاهم الرسول ﷺ وهم أصحاب الصُفَّة. ينظر: ابن منظور: المصدر السابق، ج28، ص2557، وينظر كذلك: الجوهري(ت393هـ): الصحاح، تحقيق أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين، ط2، لبنان، 1979م، ج4، ص1377، وشوقي ضيف وآخرون: المعجم الوسيط، مشترك مجمع اللغة العربية، ط4، مصر، 2001م، ص517.

[2]– ذكر القشيري أنّ الرجل صوفي، والجماعة صوفية، ومن يتوصل إلى ذلك يُعرف بالمتصوف، وأنكر أخذ التّصوف من الصوف محتجا بعدم اختصاص أهله بلبس الصوف، كما استبعد اشتقاقه من الصفاء لبعدها في اللغة، بينما لم يعقب على نسبتهم إلى صُفة مسجد رسول الله. وانتهى إلى أنّ اشتهار هذه الطائفة بالصوفية يجعلها في غنى عن تعيينها بالقياس أو الاشتقاق. ينظر: بن هوزان القشيري(ت465هـ): الرسالة القشيرية، وضع حواشيه خليل المنصور، دار الكتب العلمية، لبنان، د ت، ص311، وينظر محمد أبو بكر: التعرف لمذهب أهل التصوف، دار الكتب العلمية، لبنان، د ت، ص21.

[3]– حمزة حمادة: جمالية الرمز الصوفي في ديوان أبي مدين شعيب، رسالة ماجستير، جامعة قاصدي مرباح، ورقلة، 2007م/2008م، ص15.

[4]– وأطلقت على الصوفية عدة تسميات منها: المتصوفة، الزهاد، الجوعية، الغرباء السائحون، المرابطون كانت لهم أماكن تشبه الأديرة، عُرفت بأسماء مختلفة منها: المصاطب، التكايا، الخوانق، الصوامع، الرباطات، الزوايا. ينظر: كريمة نقاز: بنية الخطاب الشعري الصوفي خلال القرنين السادس والثامن الهجريين، أطروحة دكتوراه، جامعة أحمد بن بلة، وهران، 2018م/2019م، ص62.

أمّا أبو التصوف الإسلامي الجنيد (ت297هـ/881م) فيعرفه قائلا:" التصوف هو أن تكون مع الله بلا علاقة"[1]. ويرى سيد الجلينيد أنّ الزهاد يغلب عليهم لباس الصوف[2]، وذكر الكلاباذي (ت334هـ) أن الحسن البصري أدرك سبعين بدريا كان لباسهم الصوف[3].

والتّصوف في منظار الهجويري مبني على ثماني خصال: السخاء، والرضا، والصبر، والإشارة، والغربة، ولبس الصوف، والسياحة، والفقر[4].

وهو عند السيوطي علم شريف رفيع القدر سني الأمر[5]، وفي هذا الصدد قال ﷺ:{ مَنْ زَهِدَ فِي الدُنيا أدْخَل الله الحِكمة قَلْبه، فأَنْطَق بِها لسَانه وعَرّفه دَاء الدّنيا ودَوَاءها وأَخْرَجَه مِنْها سَالِمًا إِلَى دَارِ السّلام}[6]. وجاء عند ابن خلدون أنّه:" العكوف على العبادة والانقطاع إلى الله تعالى، والإعراض عن زخرف الدنيا".[7]

رغم اختلاف التعريفات في اللفظ إلاّ أنّها تتفق في أنّ التصوف عبارة عن الزهد في زينة الحياة الدنيا والاستغناء عن ملذاتها، والإقبال على الآخرة بالعبادة لتزكية النفس وتهذيب السلوك وسمو الروح، بحيث تصبح منهج حياة.

المطلب الأول: التّصوف قبل الموحدين

إنّ التصوف كفكرة نشأت مع الإنسان، حيث كان يتطلع إلى معرفة الغيب وإلى اكتشاف عالم ما وراء الطبيعة، كما كان الرسول ﷺ يلجأ إلى العزلة والتعبد، وكذلك عرف الصحابة والسلف بالانصراف عن زينة الدنيا والإقبال على العبادة، أمّا التّصوف

---

[1]- أبو القاسم الجنيد(ت297هـ/881م): رسائل الجنيد، تحقيق علي حسن عبد القادر، دار الكتب المصرية، القاهرة، مصر، 2003م، ص57.

[2]- محمد سيد الجلينيد: من قضايا التصوف في ضوء الكتاب والسنة، مكتبة الزهراء، القاهرة، مصر، 1990م، ص36، ينظر كذلك السهروردي: عوارف المعارف، صححه محمد عبد العزيز الخالدي، دار صادر، لبنان، 1999م، ص41.

[3]- الكلاباذي(ت334هـ): التعرف لمذهب أهل التصوف، دار الكتب العلمية، لبنان، 2001م، ص14، ينظر كذلك ابن تيمية(ت728هـ): الصوفية والفقراء، حققه محمد عبد الله السمان، سلسلة الثقافة الإسلامية، مصر، 1960م، ص25.

[4]- الهجويري: كشف المحجوب، ترجمة وتعليق إسعاد عبد الهادي قنديل، دار النهضة، مصر، 1980م، ص253.

[5]- جلال الدين السيوطي: تأكيد الحقيقة العلية وتشييد الطريقة الشادلية، تحقيق وتعليق محمد حسني مصطفى، دار القلم العربي، ط1، سوريا، د ت، ص08.

[6]- أخرجه ابن ماجة(ت273هـ) في سننه، تحقيق الأرناؤوط وآخرون، دار الرسالة العالمية، ط1، دمشق، سوريا، 2009م، كتاب الزهد، باب الزهد في الدنيا، رقم4102، ج2، ص1373.

[7]- ابن خلدون: المقدمة، المصدر السابق، ص33.

كظاهرة عامة فظهرت بصورة ملموسة في أواخر القرن2هـ واستمرت في النمو والانتشار خلال القرن3هـ.

ومن الظروف التي تسببت في نشأة التصوف اتساع رقعة الدولة الإسلامية، ودخول العادات الغربية إلى الإسلام، والتخلي عن أمور الدين، والإقبال على الملذات والترف، ممّا أنتج تفاوتا كبيرا بين طبقات الأمة، خاصة بعدما أصبحت الخلافة وراثية، وقد أدى ذلك إلى انبعاث دعوة إلى محبة الله وتذكير بالآخرة، فبرزت طائفة زاهدة متفقهة كرد فعل لما سبق[1].

إن ظاهرة التصوف الإسلامي بدأت في المشرق ثم انتقلت إلى المغرب عبر الحواضر الإسلامية خاصة القيروان، وذلك عن طريق الرحلات المشرقية[2]، حيث كانت الملامح البارزة في المغرب لهذا التصوف الزهد ومجاهدة النفس والإكثار من العبادة والأذكار، ولم يكن تصوفا فلسفيا كما حدث بالمشرق[3] بل كان تصوفا عمليا.

وردت ظاهرة الزهد والتصوف العملي إلى المغرب الأوسط خلال عهد الدولة الرستمية[4] واشتداد الصراع المذهبي بين الخوارج والشيعة[5]، أمّا بعد انتشار المذهب المالكي فيرى روجي إدريس أنّ ظهور التّصوف في المغرب بدأ في القيروان منذ القرن3هـ، ثم ظهر الحضور الصوفي المالكي بالمغرب الأوسط وتطور بدخول مصنفات التّصوف المشرقي خلال القرن (5هـ/11م) بواسطة صوفية مغاربة وأندلسيين، منها كتاب"الرعاية" للحارث المحاسبي(ت254هـ/895م)، و"الرسالة القشيرية" للقشيري (ت465هـ/1072م)، و"إحياء

---

[1]- أحمد الرفاعي: البرهان المؤيد للتصوف الإسلامي الجامع بين الشريعة والحقيقة، قدم له محمد عمر ريحاوي، مطبعة حلب، سوريا، 2001م، ص9، منال عبد المنعم جاد الله: المرجع السابق ، ص120.

[2]- نقاز كريمة: المرجع السابق، ص73.

[3]- حسن علي حسن: المرجع السابق، ص476.

[4]- البداية الجنينية للتصوف عند الإباضية تعود إلى ظاهرة الزهد في عهد الفاتحين ومن مظاهر ذلك اتخاذ قبر عقبة بن نافع(ت64هـ/683م) مزارا لهم، ونسجوا حوله أحاديث نسبوها إلى الرسول ﷺ منها:{لا يزال عصابة من أمتي بالمغرب يقاتلون على الحق لا تضرهم من خالفهم، حتى يروا يوما قتاما فيقولون غشيتهم، فيبحثون خليهم ينظرون فيرجعون إليهم فيقولون الجبال سيرت فيخرون سجدا فتقبض أرواحهم}، وكرامات وظفوها لجلال المكان وأطلقوا على أبواب مدنهم أسماء للتابعين. ينظر: الطاهر بونابي: الحركة الصوفية في المغرب الأوسط خلال القرنين(8-9هـ/14-15م)، أطروحة دكتوراه، جامعة الجزائر، 2009/2008م، ص22، البكري: المصدر السابق، ج2، ص257.

[5]- الشيعة: هي أقدم المذاهب السياسية الإسلامية وسموا بذلك نسبة لتشيعهم لعلي كرم الله وجهه، ظهرت في بلاد المغرب على يد أبي عبد الله الشيعي، لهم فرق والفرقة التي وصلت إلى المغرب هي الفرقة الإسماعيلية. ينظر: محمد أبو زهرة: تاريخ المذاهب الإسلامية، دار الفكر العربي، مصر، د ت، ص30.

علوم الدين" للغزالي (ت505هـ/1111م)، وانتصب العلماء لتدريسها بعد أن تلقوها من مؤلفيها أو سمعوها عن المشايخ، خاصة الصوفية الطارئين على بجاية وتلمسان[1].

فالتّصوف زهد في الدنيا لكسب رضا الله، والزهد بُعد عن الدنيا لكسب ثواب الآخرة[2]، وهو تدريب النّفس على العبودية وردها لأحكام الرَّبوبية[3]. وله علاقة بمختلف العلوم منها الأخلاق والفلسفة وعلم الاجتماع وعلم النفس، وهو علم الرياضة النفسية والمواجيد القلبية والأحكام الباطنية، وأطلق على المتصوّفين أطباء النفوس ومرشدي الأخلاق[4].

ويجعل أحمد بن محمد بن عجيبة التّصوف على رأس العلوم وجوهر الشريعة، فيقول:" علم التصوف سيد العلوم ورئيسها ولباب الشريعة وأساسها، وكيف لا وهو تفسير لمقام الإحسان"[5]. ويُصنف ابن خلدون التّصوف ضمن العلوم الشرعية الحادثة في الإسلام، وهو الأصل عند الصحابة والسلف والإقبال على زخرف الدنيا وملذاتها عارض بعد عصرهم، لذلك لما فشا العارض اختص المقبلون على العبادة باسم الصوفية، ثم صار علمًا بعدما دونت فيه مؤلفات كرسالة القشيري وكتاب "إحياء علوم الدين" للغزالي[6]. ولشدة تعلق النّاس بأهل التّصوف رسخت في نفوسهم قدرة المتصوفين على شفاء المرضى، ومن ثم كانوا يقصدونهم للتداوي[7].

المطلب الثاني: التصوف زمن الموحدين

من خلال الكتب التي أرخت للتّصوف بالمغرب الأوسط، نجد أنّها تنطلق في تحقيبه ابتداء من القرن (06هـ/12م) وتحديداً في المرحلة الأخيرة للدولة الحمادية (500هـ-547هـ). ثم توالت مصنفات وتآليف منها كتاب "الرقائق" ليحي بن محمد بن موسى التجيبي

---

[1]- الطاهر بونابي: المرجع السابق، ص63.

[2]- عبد المنعم خفاجي: الأدب في التراث الصوفي، مكتبة غريب، القاهرة،مصر، د ت، ص11.

[3]- نور الهدى الكتاني: الأدب الصوفي في المغرب والأندلس في عهد الموحدين، دار الكتب، لبنان، 2008م، ص8.

[4]- منال عبد المنعم جاد الله: التصوف في مصر والمغرب، منشأة المعارف، الإسكندرية، مصر، 1997م، ص116.

[5]- ابن عجيبة: التشوف إلى حقائق التصوف، نشر محمد التلمساني، مطبعة الاعتدال، ط1، سوريا، 1937م، ص4.

[6]- ابن خلدون: المقدمة، المصدر السابق، ص517.

[7]- حسن علي حسن: المرجع السابق، ص477.

التلمساني (ت652هـ/1254م)[1] الذي يتناول فيه الزهد في الدنيا والترغيب في الآخرة، كما نجد الغبريني (ت704هـ/1306م) أرخ للحركة الصوفية في المغرب الأوسط في ق(7هـ/13م) واستهل كتابه بالترجمة لمجموعة من الصوفية عاشوا في القرن (6هـ/12م) منهم: أبو مدين شعيب (ت594هـ/1197م)، أبو الحسن علي المسيلي القرن (6هـ/12م)[2]، ثم زادت الظاهرة تطورا مع هجرة رواد التصوف السُنّي والفلسفي من الأندلسيين خلال القرنين (6-7هـ/12-13م) خاصة في بجاية وتلمسان، وظلت البنية الفكرية والتنظيمية للحركة الصوفية بالمغرب الأوسط من القرن الثاني للهجرة في تغير وتطور مستمر في منطلقاتها الفكرية والفلسفية وأبعادها الاجتماعية والثقافية والسياسية[3].

لذلك مرّ التصوف في المغرب الإسلامي خلال العصر الوسيط بثلاث مراحل هي:

المرحلة الأولى: هي المرحلة الزهدية التي ضمت أسماء ذات بعد صوفي مثل الجنيد والقشيري والغزالي، وقد سميت بمرحلة الاقتداء وتنتهي إلى عهد المرابطين، ثم تأتي المرحلة الثانية التي سميت بالمرحلة التأسيسية وهي مرحلة الاستواء التي ارتبطت بفترة الموحدين؛ وذلك ببروز شخصيات مثل: أبي مدين شعيب وأبي يعزى وابن حرزهم، ثم تأتي المرحلة الثالثة هي مرحلة المؤسسة والعطاء والانتماء والطوائف والزوايا[4].

وخلال الفترة الموحدية لم يكن تأثير المهدي بن تومرت (ت524هـ/1130م) في نشأة التصوف بالمغرب الأوسط برصيده الزهدي أو بمظهره المتقشف الورع، الذي ظهر به في قسنطينة وبجاية ورباط ملالة وتلمسان سنة (512هـ/1118م) لدى عودته من المشرق، وإنما بآرائه العقدية الواردة في كتبه كالمرشدة و"الجهاد" والتوحيد والعقيدة والمذهب الأشعري ورسائل مثل"رسالة في الصلاة" كتاب الطهارة، كتاب الغلول، كتاب تحريم الخمر. هذه الكتب والرسائل أضفى عليها عملاً تربوياً وعممها في أنحاء المغرب أثمرت تيارا صوفيا؛ يركز على المجاهدات كالصيام، وصار له جمهور في بجاية وتلمسان، يتزعمه كبار الصوفية كأبي مدين شعيب[5]. الذي يعد سببًا في سرعة انتشار التصوف في المغرب الأوسط.

---

[1]- الداودي: المصدر السابق، ج2، ص376.

[2]- الطاهر بونابي: المصدر السابق، ص1.

[3]- المرجع نفسه، ص18.

[4]- إبراهيم القادري بوتشيش وآخرون: التصوف السني في تاريخ المغرب، منشورات افرسن، المغرب، 2016م، ص18.

[5]- الطاهر بونابي: المرجع السابق، ص88، عبد المجيد النجار: المرجع السابق، ص153.

وقد حدث في عهد الدولة الموحدية تقارب الفكر الصوفي مع المنظور الإسلامي السُنّي[1]، لأنّ دعوة ابن تومرت ترمي إلى التجديد الديني، وما ميز هذه الفترة التفتح الفكري وتشجيع حرية التفكير والبحث، لذلك لاقت الحركة الصوفية رواجا وأتباعا بالمغرب[2]، وقد اشتهر في هذا العصر كثير من شعراء الزهد والتصوف لإقبال النّاس على التمسك بالدين وعزوفهم عن الدنيا، وشعر التصوف والزهد نابع من ممارسة التّصوف السُني المقيد بالقرآن والسُنّة، ويمثل هذا الاتجاه أبو مدين شعيب وأبو زكريا الزواوي، والتصوف الفلسفي الذي يمثله ابن عربي[3].

عاصر هذه الفترة علماء الصوفية منهم الوافدون إلى المغرب الأوسط؛ من المغرب والأندلس والمشرق، كانت تلمسان تعج بالتيار الصوفي الغزالي، ويذكر ابن الزيات وابن مريم منهم: عبد السلام التونسي (ت512هـ/1114م) وتلميذه أبو عبد الله محمد محيو الهواري (ت6هـ/12م)، ويوسف بن علي بن جعفر التلمساني، وأبا زكريا يحي عصفور، أبا العباس بن المري[4]، إضافة إلى المتصوفين الذين ترجم لهم عادل نويهض كأبي الحسن علي ابن أبي القاسم عبد الرحمان بن أبي قنون التلمساني (ت557هـ/1162م)، الفقيه الأصولي، صاحب كتاب "المقتضب الأشفى في اختصار المستصفى"[5]، واشتهر الصوفي أبو القاسم عبد الرحمن بن يوسف بن عبد الرحمن البجائي (ت577هـ) بمؤلفه في التصوف والزهد "قطب العارفين ومقامات الأبرار"، كذلك ابن الطفيل، أبو الفضل عبد المؤمن بن عمر (ت602هـ)[6].

كما انتشر التصوف في مختلف مناطق العالم الإسلامي، إذ برز في المغرب الأوسط ثلة من المتصوفين المشهورين الذين يقتدى بهم خاصة في عهد الموحدين منهم:

---

[1]- محمد الطاهر علاوي: العالم الرباني سيدي ابو مدين شعيب، دار الأمة، الجزائر، 2004م، ص13.

[2]- اوليري دي لاس: الفكر العربي ومركزه في التاريخ، ترجمة إسماعيل بيطار، دار الكتب، لبنان، 1982م، ص211.

[3]- المصدر نفسه، ص45.

[4]- ابن الزيات: المصدر السابق، ص88، وابن مريم: المصدر السابق، ص122.

[5]- يحي بن خلدون: المصدر السابق، ج1، ص135، عبد الحميد حاجيات: تطور الفكر الإسلامي بالمغرب الأوس على عهد الموحدين ، المرجع السابق، ص61.

[6]- عادل نويهض: معجم أعلام الجزائر، المرجع السابق، ص36.

والزاهد العالم الذي تُرجمت حياته وذكرت في الكثير من المصنفات أبو مدين شعيب بن الحسين الأنصاري الإشبيلي (ت594هـ/1198م)، شيخ المشايخ سيد العارفين الولي الصالح المشهور ولد في قرية تدعى قطنيانة، قرب إشبيلية، أخذ بفاس عن بعض العلماء والصلحاء، كابن حرزهم وأبي يعزى وغيرهما، ثم رحل إلى إفريقية، وحل ببجاية سنة (559هـ/1163م) ومكث بها خمسة عشر عاما، درّس الحديث والتصوف وتخرج عليه كثير من الطلبة والمريدين، حمل إليها كتاب"إحياء علوم الدين"، كان فقيهًا زاهدًا معتكفًا على مطالعته، وفضّله على كتب التذكير، ولجأ إلى تبسيط أفكاره في أطروحة بسيطة جذبت إليه الطلبة والمريدين، جمع بين الشريعة والحقيقة، حافظا للحديث خاصة جامع الترمذي، كان هاديا وداعيا للحق، قُصِدت زيارته من جميع الأقطار، تخرج به ألف شيخ من الأولياء، استدعاه الخليفة ولما وصل تلمسان وافته المنية فدفن بالعباد وبقي قبره مزارًا وحوضًا موردًا[1]. كما درّس ببجاية الرسالة القشيرية ورعاية المحاسبي، بذلك ساهم في إدخال ثلاثة مصنفات صوفية سنية، فكثر أتباعه في المغرب الأوسط[2]. وتفتخر تلمسان باحتضان جثمانه، حيث يقول المقري:" ويكفيها فخراً دفن ولي الله سيدي أبي مدين شعيب بن الحسين الأندلسي شيخ المشايخ وسيد العارفين وقدوة السالكين"[3]، حيث ظل ضريحه (صور4) مقصداً للزهاد والعلماء. وعندما مرّ العبدري بتلمسان قال متعجبا من أمره:" ومن أعظمها وأشهرها قبرًا لصالح القدوة فرد زمانه أبي مدين رحمه الله ورزقنا بركته"[4]، وبفضله الجامع بين الحقيقة والشريعة، تخرّج على يديه ألف شيخ من أولياء ببجاية وتلمسان[5]. وقد عاصر

---

[1]- الغبريني: المصدر السابق، ص56، ابن الزيات: المصدر السابق، ص159، المقري: المصدر السابق، ج7، ص137، ابن الأبار: المصدر السابق، ج2، رقم2015، ص715، ابن قنفذ: المصدر السابق، ص11، ابن الطواح: سبك المقال لفك العقال، تحقيق محمد مسعود جبران، منشورات جمعية الدعوة الإسلامية العالمية، ط2، طرابلس،2008م، ص73، التنبكتي: المصدر السابق، ص193، يحي بن خلدون: المصدر السابق، ج1، ص151، ابن القاضي: المصدر السابق، ص530.

[2]- الطاهر بونابي: المرجع السابق، ص72.

[3]- المقري: المصدر السابق، ج7، ص142.

[4]- العبدري: المصدر السابق، ص28.

[5]- يقول أبو مدين عن مسلكه:" كرامات الأولياء نتاج معجزات سيدنا محمد ﷺ، وطريقتنا هذه أخذناها عن سيدي أبي يعزى بسنده إلى أبي القاسم الجنيد عن سيدي السقطي عن حبيب العجمي عن الحسن البصري عن أمير المؤمنين علي بن

أبو مدين شعيب ثلاثة خلفاء؛ عبد المؤمن بن علي وابنه يوسف والمنصور بن يوسف، حيث كان عهدهم العهد الذهبي للمغرب كله رغم الاضطرابات السياسية في العالم الإسلامي مثل الحروب الصليبية، إضافة إلى الاضطرابات الداخلية ذات المنشأ الديني، وتتمثل في معارضة بعض الملوك المتعاقبين على هذه الدولة لبعض المذاهب الدينية، وموالاة بعضهم الآخر لمذاهب أخرى أو رفض بعضهم للحركة الصوفية التي انتشرت في زمنهم[1].

-ومن صوفية تلمسان أبو الحسن علي بن خلف الكومي التلمساني (ت599هـ/1202م)، أخذ عن علماء مكة وسمع بها عن القرطبي وبغداد واستقر بالإسكندرية مدرسًا للأصليين والحديث، حيث انتفع به الناس، كانت طريقته صوفية تقوم على الزهد والخلوة[2]، وذكر الصفدي المتصوف يحي بن يحي الزواوي (ت611هـ/1215م) فقيه صالح وولي[3]، وأضاف الغبريني الزاهد أبا زكرياء المرجاني الموصلي ق7هـ، كان شيخا وفقيها صالحًا زاهدًا، له مسجد مشهور يعرف بمسجد المرجاني بحومة اللؤلؤة ببجاية[4].

- كما ورد عند الغبريني المتصوف أبو الحسن عبيد الله بن محمد بن عبيد الله بن فتوح النفزي (ت642هـ/1245م) من أهل شاطبة، عرف بالورع والزهد والعزلة، عالم الأصول والفقه والمنطق واللغة والأدب، له شعر بارع، له تقييد على كتاب المفصل وله اختصار "حلية الأولياء" وهو كتاب في التراجم وموسوعة في تاريخ النساك والزهاد والمتصوفة وبعض أحاديثهم، دفن ببجاية[5].

-كما ترجم للمتصوف أبي الحسن علي بن أحمد بن محمد بن أحمد بن عبد الله بن قاسم الأنصاري ابن السراج (ت657هـ/1259م) الشيخ الفقيه الصالح من أهل إشبيلية، ابن أخت الفقيه أبي بكر بن محمد الأموي المقرئ، أخذ عن ابن بشكوال وابن بونة العبدري وأبي عبد

أبي طالب عن النبي ﷺ عن جبريل عليه السلام عن رب العزة جل جلاله. ينظر: سعيد ابن صعد: النجم الثاقب، مكتبة الملك عبد العزيز، المغرب، د ت، ص320.

[1]- علي محمد الصلابي: إعلام أهل العلم والدين بأحوال دولة الموحدين، دار التوزيع والنشر الإسلامية، مصر، ط1، 2003م، ص93.

[2]- المرجع نفسه، ص115.

[3]- الصفدي: المصدر السابق، ص69.

[4]- الغبريني: المصدر السابق، ص180.

[5]- المصدر نفسه، ص176.

الله بن زرقون استوطن بجاية، له رواية عالية وأخذ عنه ببجاية الفقيه الرندي وأبو عبد الله القضاعي الشهير بابن الأبار، وابن سيد الناس، مات ببجاية ودفن بحومة بئر مسفرة[1].

-وترجم يحي بن خلدون للمتصوف الزاهد أبي عبد الله الشوذي الإشبيلي الحلوي (ت645هـ) إمام العارفين وتاج الأولياء المحققين، من أكابر العلماء اشتغل بالقضاء بمدينة إشبيلية في أواخر عهد الموحدين، فرّ إلى تلمسان في زي المجانين، ونسبت إليه الطريقة الشوذية؛ وهي طريقة صوفية ذات اتجاه الوحدة المطلقة (الله مجموع ماظهر وما بطن والوجود أوهام) وطابعها فلسفي، من أبرز تلاميذه؛ ابن الدهاق الأوسي وابن الخطاب وابن المطرف (ت582هـ)[2].

-ولم يغفل يحي بن خلدون عن ذكر الصوفي السبعيني أبي محمد عبد الحق بن إبراهيم بن محمد بن سبعين المرسي (ت669هـ/1270م) من أهل مرسية سكن بجاية، تسمى طريقته الصوفية السبعينية(طريقة صوفية ذات اتجاه الوحدة المطلقة)، من أتباعه الششتري (ت668هـ/1269م)، له عدة كتب، استعمل الألغاز والإشارات والرموز، له علم أسرار الحروف، ومشاركة في المعقول والمنقول، له شعر في التحقيق، حجه كان كل عام وأصحاب مكة يهتدون بأفعاله، انتفع به خلق كثير، ألّف كتاب "بد العارف"، يحتوي على جميع الصنائع العلمية والعملية، صّنف كتاب"البدو" و"اللهو" و"الإحاطة"[3].

-ومن متصوفة القرن السابع هجري الذين ترجم لهم الغبريني؛ أبو علي عمر بن عبد المحسن الوجهاني الصواف(ت690هـ/1291م) الشيخ الفقيه الزاهد المتبتل، قرأ ببجاية على أكابر مشايخها ثم ارتحل إلى المشرق وحج البيت الحرام ولقي الأفاضل، وأظهر أمره بالديار المصرية ورغب الناس والملوك أن يزوروه[4].

---

(1)- الغبريني: المصدر السابق، ص204.

(2)- يحي بن خلدون: المصدر السابق، ج1، ص167، الطاهر بونابي: المرجع السابق، ص146.

(3)- يحي بن خلدون: المصدر السابق، ج1، ص151، الغبريني: المصدر السابق، ص237، الطاهر بونابي: المرجع السابق، ص146.

(4)- الغبريني: المصدر السابق، ص201.

–وترجم كذلك لعلماء القلعة أمثال أبي محمد عبد الكريم بن عبد الملك بن عبد الله بن طيب الأزدي (ق7هـ) المعروف بابن يبكي من أهل قلعة حماد، كان من أهل العلم معروفا عند خلفاء بني عبد المؤمن، صاحب رابطة ابن يبكي بباب أمسيون في بجاية وبها قبره[1].

– والبجائي أبي النّجم هلال بن يونس بن علي الغبريني الذي عاش في القرن7هـ كان فقيهًا جليلاً، من أصحاب الفقيه أبو زكريا الزواوي الذي قال فيه:"من أراد أن ينظر إلى رجل من أهل الجنّة فلينظر إلى هلال بن يونس"[2].

–وأبي يوسف يعقوب بن يوسف المنجلاتي الزواوي (ت690هـ/1291م)، كان عالماً في الفقه وأصوله ملمًا بعلم العقائد، قرأ ببجاية ورحل إلى إفريقية ولقي مشايخها منهم أبو عبد الله بن شعيب وابن عجلان، ثم رجع إلى بجاية، له مجلس يدرس فيه، وتقرأ عليه الكتب المذهبية، زاره بعض الملوك، كان اتجاهه الخلوة والانقطاع للعبادة، والقيام بحلقات العلم في جبل أمسيون (قورايا) خارج بجاية[3].

–وأبي الحسن عبيد الله بن عبد المجيد بن عمر بن يحي الأزدي (ت691هـ/1292م) الفقيه العابد الزاهد من الأندلس، نزل بجاية واستقر فيها كان فقيها صوفيا صاحب كرامات، ثائر على الشعوذة والمشعوذين، ممن قربه سلاطين بجاية، توفي بها ودفن في مقبرة الباب الجديد وكان البجائيون يزورون قبره تبركا[4].

كما اشتهر في التصوف بالمغرب الأوسط خلال (ق6هـ/12م) من النساء الزاهدات آمنة بنت يغروسن التي ذكر ابن الزيات أنّها تقيم النهار كاملاً في جامع تلمسان[5].

–كما لا تخلو معظم المعاجم من ذكر المتصوف أبي عبد الله محمد بن علي الحاتمي الطائي محي الدين بن عربي (ت638هـ/1240م) الفقيه المفسر، يعرف كذلك بابن سراقة، ظاهري المذهب باطني النّظر أصله من مرسية وسكن إشبيلية، يلقب "الشيخ الأكبر"، فيلسوف وإمام المتكلمين، رحل إلى المشرق وزار مصر والشام والعراق والحجاز، ودخل بجاية مرتين، مرة في طريقه إلى تونس سنة (590هـ/1193م)، وزار في طريق عودته

---

[1]– الغبريني: المصدر السابق، ص213.

[2]– عادل نويهض: معجم أعلام الجزائر، المرجع السابق، ص248.

[3]– الغبريني: المصدر السابق، ص265.

[4]– المصدر نفسه، ص107.

[5]– ابن الزيات: المصدر السابق، ص90.

تلمسان، ومرة ثانية سنة (597هـ/1200م) في طريقه إلى المشرق مكث بها مدة أجرى خلالها لقاءات ومناقشات جمعته خاصة في تلمسان بأبي عبد الله الطرطوشي سنة (590هـ/1193م)، وفي بجاية بالصوفي أبي عبد الله العربي وأبي زكريا يحي الزواوي (ت611هـ/1215م) سنة (597هـ/1200م) وعبد الحق الإشبيلي (ت582هـ)، وله نحو ثلاثة مئة كتاب، منها كتب التفسير "الجمع والتفصيل في أسرار معاني التنزيل" و"المثلثات الواردة في القرآن" و"المسبعات الواردة في القرآن" كتاب "مواقع النجوم"، مات بدمشق[1]. أمّا أبو الحسن علي بن محمد الزواوي (ق7هـ) فله ذكر في كتاب الغبريني بأنّه العابد الزاهد الولي الصالح، له كرامات ظاهرة متواترة[2].

لقد كان حظ تلمسان في احتضان مؤلفات الصوفية الأندلسيين قليلا مقارنة ببجاية خلال هذه الفترة، إلاّ أنّ هناك من الصوفية من استقر بها مثل عبد الله بن عبد الرحمن التجيبي (610هـ/1214م)، منذ عام 574هـ/1188م إلى غاية وفاته، وفي ترجمة له عند ابن الأبار ورد ذكر لمؤلفاته الصوفية منها "الأربعين في الفقر وفضله" وكتاب "الحب لله" الذي درّسه للطلبة مستعملا الدعوة وترغيب النّفوس في ترك الدنيا والإقبال على التّصوف، مستعملا أسلوب الوعظ والتذكير على طريقة شيخه الزاهد عبد الحق الإشبيلي (ت581هـ/1185م)[3].

لقد هاجم فقهاء الأندلس علماء الصوفية، منهم الفقيه المالكي الذي ورد عند المقري وهو أبو الحسن محمد بن أحمد بن جبير البلنسي (ت614هـ/1218هـ) في قوله:[4]

قد ظهرت في عصـــرنا فرقـــة *** ظـــهورها شـــؤم على العصر

قـــد نبـــذت ديـــن الهـــــدى*** وادعـــت الحكمة والفلـــسفة

وذكر التنبكتي أبا محمد القشتالي الذي قال:" لو وجدت تآليف القشيري لجمعتها وألقيتها في البحر وكذلك كتب الغزالي"[5]، وهو نزيل بجاية، فقيه القرن7هـ قال في كتاب الإحياء

---

[1]- الغبريني: المصدر السابق، ص156، الطاهر بونابي: المرجع السابق، ص76، عادل نويهض: معجم المفسرين، المرجع السابق ص581، الداودي: طبقات المفسرين، المصدر السابق، ج1، ص231.

[2]- الغبريني: المصدر السابق، ص127.

[3]- ابن الأبار: المصدر السابق، ج2، ص579، الطاهر بونابي: المرجع السابق، ص79.

[4]- المقري: المصدر السابق، ج2، ص384.

[5]- التنبكتي: المصدر السابق، ص177.

للغزالي:" متى ماتت العلوم حتى تُحيا، علوم الدين مازالت حيّة ولا تزال"[1]، هذا ما أجبر علماء التّصوف السني والفلسفي على مغادرة الأندلس منهم:

-إبراهيم بن يوسف بن محمد بن دهاق الأوسي المالقي المعروف بابن المرأة (ت611هـ/1215م) نزل تلمسان واستقر بها عامين، ألّف كتاب"شرح أسماء الله الحسنى"، دخل مدينة فاس، روى عن أبي الحسن بن حنين وابن حرزهم، حدث بالموطأ عنهما، وهو فقيه حافظ للرأي مشارك في الأدب، اشتهر بعلم الكلام، شرح الإرشاد لأبي المعالي، مات بمرسية[2].

-أبو علي أحمد الحرالي (ت638هـ/1239م) الأندلسي الأصل مراكشي المولد، رحل إلى المشرق ولقي ثلة من العلماء، تبنى أفكار مدرسة التصوف الإشراقي، ونشأت عنه فرقة الحرالين، دخل بجاية ومكث بها وجلس في جامعها الأعظم مدرساً ومربياً، فتأثر به البجائيون، من طلبته أبو الحسن بن علي بن عمران الملياني بن أساطير (ت670هـ/1271م)، وأبو زكرياء يحي بن زكريا بن محجوبة القرشي السطيفي (ت677هـ/1278م) فقيه وصوفي ناظم أصله من سطيف نشأ وتعلم ببجاية ومات بها، له "شرح أسماء الله الحسنى"[3]، وأبو الفضل قاسم بن محمد القرشي القرطبي (ت662هـ/1263م) الفقيه الزاهد ولد ونشأ بقرطبة، له كرامات كثيرة، أسس زاوية ببجاية ونشر التصوف الإستشراقي بها، وألّف عدة مصنفات في التصوف والزهد منها:" شمس مطالع القلوب وبدر طوالع الغيوب"، "صلاح العمل لانتظار الأجل" والتي كانت محل عناية من طلبة بجاية[4]، وابن أبي العيش محمد بن أبي زيد عبد الرحيم الإشبيلي (ت654هـ/1215م) روى عن أبي بكر محمد بن سعادة وأبي عبد الله التجيبي فسر الكتاب العزيز، وشرح أسماء الله الحسنى، صنف عقائد أصول الدين والفقه[5]، وعبد السلام بن مشيش (ت625هـ/1227م)[6] لم نجد له ترجمة وافية ضمن كتب السير والتراجم المتاحة.

---

[1]- الغبريني: المصدر السابق، ص293.

[2]- ابن القاضي: المصدر السابق، ج1، ص90، يحي بن خلدون: المصدر السابق، ج1، ص128، الطاهر بونابي: المرجع السابق، ص80.

[3]- عادل نويهض: معجم أعلام الجزائر، المرجع السابق، ص177.

[4]- الغبريني: المصدر السابق، ص174، الطاهر بونابي: المرجع السابق، ص144.

[5]- يحي بن خلدون: المصدر السابق، ج1، ص139.

[6]- عبد القادر بوعقادة: الحركة الفقهية، ص495.

المبحث الخامس: علم الكلام والمناظرات

يعتبر علم الكلام والمناظرة من العلوم الشرعية والنقلية لأنه يعتمد على توظيف الحجج والبراهين المنقولة من مصادرها للإقناع والمحاجة عن العقيدة ودفع الشبهات، وقد انتقلت إلى المغرب الأوسط بعد الفتوحات الإسلامية، فما مدى حضورها زمن دولة الموحدين؟

المطلب الأول: علم الكلام

علم الكلام أخذ اسمه من كلام الإنسان، عُمدته الكلام والحديث، لأنّ المتكلمين يتجادلون بالمنطق، ويتمحور حول كلام الله سبحانه وتعالى[1]، ويعتبره ابن خلدون علما يتضمن الحجاج عن العقائد الإيمانية بالأدلة العقلية والرد على المبتدعة المنحرفين عن الاعتقادات من مذاهب السلف وأهل السنة وسرها التوحيد[2].

فهو علم يقتدر معه على إثبات العقائد الدينية بإيراد الحجج ودفع الشبهات، ويساعد على نصرة الآراء الدينية الواردة في القرآن الكريم والسُنّة الشريفة بالعقل، ومن خلاله يتم إثبات العقائد الإيمانية إثباتا صحيحا، وموضوعه الذات الإلهية وصفات الله وأفعاله وعلاقته بالكون والإنسان، ويطلق عليه علم التوحيد لأنّ أهم مسائله التوحيد الإلهي، كما يسمى علم أصول الدين، وعلم الاستدلال، لكن رفض بعض العلماء علم الكلام منهم الشافعي والحنبلي[3].

نشأ هذا العلم في البصرة مهد المذاهب الإعتقادية منذ نهاية القرن الأول الهجري[4]، وتطور في العصر العباسي، ومن أثر ذلك أن أخذت كل مدرسة تدافع عن عقيدتها ودحض أدلة وردت في عقائد مخالفيها[5]، وقد ارتبط علم الكلام بمسألة خلق القرآن[6]، وانتقلت هذه التيارات الفكرية إلى المغرب على غرار المذاهب والِفرَق منها المعتزلة[1].

---

(1)– محمد حسين محاسنة: المرجع السابق، ص96.

(2)– ابن خلدون: المقدمة، المصدر السابق، ج3، ص 27.

(3)– محمد حسين محاسنة: المرجع السابق، ص96، نجاة بلعباس: المرجع السابق، ص73.

(4)–نجاة بلعباس: المرجع السابق، ص73.

(5)– شوقي أبو خليل: المرجع السابق، ص475.

(6)– مسألة خلق القرآن ظهرت في دمشق في أواخر العصر الأموي على يد الجعد بن درهم مؤدب مروان بن محمد، فطرده بنو أمية إلى الكوفة، وتعني عدم جواز وصف الله بما يوصف به البشر وأن القرآن مخلوق حادث وليس قديما، وعادت هذه

كان المغرب الإسلامي قبل دعوة ابن تومرت على مذهب السلف الصالح ويمقت علم الكلام، خاصة في عهد المرابطين. وبعد مجيء الموحدين إلى بلاد المغرب شجعوا علم الأصول والكلام فنبغ فيه عدد كبير من العلماء إلى درجت أنّه أصبحت تشد الرحلة إليه[2]، لذلك أخذ علم الكلام حظه الكامل من الانتشار، حيث كان ابن تومرت يُلزم أصحابه بدراسته إلزامًا كما فعل خليفته عبد المؤمن[3]، فوضع الموحدون عقيدة كلامية توحيدية يسير عليها النّاس خاصة عن طريق مؤلفات ابن تومرت منها "العقيدة"، و" أعز مايطلب" [4]، ومن علماء الكلام بالمغرب الأوسط خلال العهد الموحدي:

-صالح بن أبي خلف بن عامر الأنصاري الأوسي(ت586هـ) من مالقة، أخذ عن علمائها ثم انتقل إلى تلمسان ثم تونس والمهدية، كان متمكنا من علم الكلام[5].

-أبو عبد الله محمد بن إبراهيم البجائي المهدي(ت612هـ) أصله من إشبيلية، أصولي،نشأ ببجاية تلقى علم الكلام بالمشرق، ودرسه بالمغرب، وتولى قضاء بجاية ومرسية ومراكش، توفي ببجاية، له تقييد على كتاب المستصفى للغزالي[6]. والعالم أبو علي حسن بن علي المسيلي الذي جمع بين علمي الظاهر والباطن وخلّف مصنفات منها"التذكرة" و"النبراس"[7].

المطلب الثاني: المناظرة

علم المناظرات[8] يسميه ابن خلدون الخلافيات، وهو الفقه المستنبط من الأدلة الشرعية، كثر فيه الخلاف بين المجتهدين باختلاف مداركهم وأنظارهم، وهو علم جليل

المسألة للظهور في خلافة المأمون العباسي الذي تأثر بالمعتزلة وعاقب الإمام أحمد بن حنبل لأنه خالفهم الرأي. ينظر: محمد حسين محاسنة: المرجع السابق، ص106.

(1)- محمد عليلي: المرجع السابق، ص399.

(2)- حسن علي حسن: المرجع السابق، ص476، عبد الله على علام: المرجع السابق، ص306، علي عشي: المغرب الأوسط خلال عهد الموحدين، المرجع السابق، ص230.

(3)- عبد اللطيف عصمت دندش: المرجع السابق، ص402، نجاة بلعباس: المرجع السابق، ص73.

(4)- صالح بن قربة: المرجع السابق، ص102، نجاة بلعباس: المرجع السابق، ص73.

(5)- عبد الله علام: المرجع السابق، ص652.

(6)- المرجع نفسه، ص306.

(7)- الغبريني: المصدر السابق، ص33.

(8)- المناظرة لغة: من النظر بالبصيرة في النسبة بين الشيئين إظهارًا للصواب. ينظر: طاش كبرى زادة: مفتاح السعادة، مج2، ص555، محمد المنوني: المرجع السابق، ص86.

الفائدة يعتمد على الجدل (معرفة آداب المناظرة التي تجري بين أهل المذاهب الفقهية)[1]، كما يسمى علم الاستدلال والنّظر العقلي، ويسمى أيضا علم التوحيد والصفات، أمّا أبو حنيفة يسميه الفقه الأكبر[2]. وهو العلم الذي يعتمد على الجدل للبحث في مسائل العقيدة الإسلامية بغرض الدفاع عنها بالحجة والإقناع، أي الغوص في مسائل فلسفية بحتة، ومن هنا بدأت الفلسفة الإسلامية[3].

تُعد المناظرات العلمية أحد الأنشطة الفكرية في البلاد الإسلامية، وهي شكل من أشكال التفوق والتطور العلمي، وجدت نتيجة كثرة الاختلافات بين الناس في شتّى المسائل، وهي تسعى إلى إبراز الحق والوصول إليه بالحجة والإقناع، وهي مظهر من مظاهر النشاط الفكري بالمغرب الأوسط[4]. وتعقد المناظرات في قصور الخلفاء وفي المعاهد الدينية كالمساجد[5].

لم يكن الجدل والمناظرة رائجين بالمغرب قبل دعوة المهدي، لأنّهما يتولدان من تباين المذاهب، وهو ما لم يكن إلاّ في الأندلس وكان ابن حزم الظاهري محوره الأساسي. ولمّا عاد ابن تومرت من المشرق كان حاذقا في أساليب الجدل والمناظرة التي بدأت في الانتشار بالمغرب[6]، ففتح الباب لذلك، وصار الموحدون يعقدون مجادلات ومحاورات لترجيح المذهب الظاهري على المذهب المالكي، ومنها المحاورة التي جرت بين يوسف بن عبد المؤمن والحافظ أبي بكر بن الجد[7]. ومن علماء المغرب الأوسط الذين ورد ذكرهم في أمهات الكتب:

-أبو الحسن علي بن أبي نصر فتح الله البجائي (ت652هـ/1254م) انتقل من بجاية إلى الأندلس، تردد على حواضر المشرق ثماني عشرة مرة، وسمع في مكة عن أبي محمد يونس الهاشمي، وحج ثماني عشرة مرة، وسمع في بيت المقدس عن أبي جبير، وبدمشق عن محمد

---

[1]– ابن خلدون: المقدمة، المصدر السابق، ج3، ص(23-25).

[2]– محمد عليلي: المرجع السابق، ص398.

[3]– إبراهيم حركات: المغرب عبر التاريخ، دار الرشاد الحديثة، الدار البيضاء، المغرب، 2000م، ج2، ص361.

[4]– قاسمي بختاوي: المرجع السابق، ص105.

[5]– شوقي أبو خليل: المرجع السابق، ص476.

[6]– عبد المجيد النجار: المرجع السابق، ص473.

[7]– محمد المنوني: المرجع السابق، ص83.

عبد الصمد المارستاني، وبالإسكندرية عن الحسن بن عبد السلام. أنقذ ابن عربي من موت محقق على يد أهل مصر، حيث شرح لهم مقاصد نظريته فأطلقوا سراحه.

-وأبو العباس أحمد بن عيسى بن عبد الرحمن الغماري (ت682هـ/1283م) الذي رحل إلى المشرق، وقرأ هناك ولقي الشيخ عز الدين بن عبد السلام، له علم بالفقه والأصول والأدب، ودروسه منقحة، منها ما حضره الغبريني، ولي منصب القضاء في بجاية مرتين، له رابطة بخارج باب أمسيون، وله كرامات عديدة، وقبره بمقربة من قبر أبي زكريا الزواوي[1].

-وأحمد بن عبد الله بن خميس بن معاوية بن نصر الأزدي البلنسي (ت548هـ/1153م)[2]، وحسن بن أبي زكون التلمساني (ت553هـ/1158م)[3].

-واشتهر من وارجلان في علم المناظرات خلال القرن(6هـ/12م) أبو يعقوب يوسف بن إبراهيم السدراتي الورجلاني (ت570هـ/1174م) أحد أشهر فقهاء الإباضية، نشأبها ثمّ رحل إلى الأندلس، وأخذ عن أشهر علمائها، له تآليف عديدة منها: "تيسير القرآن" في سبعين جزءاً، كتاب "العدل والإنصاف" في أصول الفقه، "الدليل والبرهان" وكتاب "ترتيب مسند الربيع بن حبيب" في الحديث وكتب في الرياضيات والتاريخ[4].

- وأبو عمار عبد الكافي الورجلاني (ت570هـ/1174م)، أبو علي حسن بن علي بن محمد المسيلي (ت580هـ/1184م)[5] يسمى أبو حامد الصغير له مصنف "التذكير في أصول الدين"[6]، كما ستأتي ترجمتهما في الفصل الأخير، وصالح بن خلف الأنصاري الأوسي المالقي (ت586هـ/1190م) نزيل تلمسان، كان فقيهاً له باع في علم الكلام[7]، غير أن المصادر العربية في حدود علمنا وبحثنا لم تذكر سيرة وترجمة لهذه الشخصية أو أي إنتاج فكري لها.

---

[1]- الغبريني: المصدر السابق، ص138، التنبكتي: المصدر السابق، ص79.

[2]- عبد المالك المراكشي: المصدر السابق، ص143.

[3]- ابن الأبار: المصدر السابق، ص82.

[4]- خير الدين الزركلي: المرجع السابق، ج9، ص281، عادل نويهض: معجم أعلام الجزائر، المرجع السابق، ص341، عمر رضي كحالة: معجم المؤلفين، مطبعة الترقي، دمشق، سوريا، 1957م، ج13، ص67.

[5]- ابن قنفذ: المصدر السابق، ص34.

[6]- الغبريني: المصدر السابق، ص68.

[7]- ابن الأبار: المصدر السابق، ص648.

-أبو محمد عبد الحق الإشبيلي البجائي (ت581هـ/1185م)، فقيه صوفي تزعم طريق الوعظ والإرشاد في بجاية، أقام بها إحدى وثلاثين سنة وتخيرها وطنا له، كان خطيبا وإماماً ومدرساً بجامعها الأعظم، زاهداً متقشفاً، يوصف برأس المحدثين. له تآليف جليلة تداولها النّاس منها: "الأحكام الكبرى" و"الأحكام الصغرى" وكتاب في موضوعات الزهد"العاقبة في علم التذكير"[1]، حارب أهل البدع والخرافات[2]، وله كتاب "العاقبة في ذكر الموت" يتضمن كل ما يتعلق بالميت والآخرة، و"الصلاة والتهجد" و"الزهد"، تأثر به مروان بن عمار البجائي (ت610هـ/1213هـ)، ومحمد بن عبد الرحمن التجيبي (ت610هـ/1214م)[3]، إضافة إلى الفقيه علي بن محمد بن خيار البلنسي (ت605هـ/1208م) وابن المرأة (ت611هـ/1215م)[4].

كما نبغ في أحواز تلمسان عدد من الأعلام المرموقين، من أبرزهم فيمن حاز قصب السبق في العلم والمعرفة، الفقيه العالم المتفنن[5] المعمر أبو عبد الله محمد بن عبد الحق بن سليمان اليفرني النّدرومي التلمساني (ت625هـ/1228م)[6].

إضافة إلى الوافدين على المغرب الأوسط منهم: عبد الرحمن بن يخلفتن بن أحمد اليجفشي الفزازي(ت626هـ/1228م) وابن دحية (633هـ/1235م) وأحمد بن عبد الرحمن بن محمد بن سعيد بن حريث بن مضاء بن مهند بن عمير اللخمي (ت592هـ/1192م) القرطبي الأصل، سماه ابن فرحون بالمُقرئ المُجوّد والمحدّث المُكثر، عالي السند ضابط فيما يُحدث به، وله اختصاصات في الفقه والأصول والتفسير، وكان مقدما في علم الكلام، كما اشتهر بالمهارة في الطب والهندسة والحساب، ونال درجة المحققين في المنقول والمعقول، وتكفّل بقضاء بجاية، ثم انتقل إلى فاس ومراكش وإشبيلية وتوفي هناك، من كتبه "تنزيه القرآن عما لا يليق بالبيان"[7].

---

[1]- الغبريني: المصدر السابق، ص73، المقري، المصدر السابق، ج4، ص315.

[2]- ابن الأبار: المصدر السابق، ج2، ص699، التنبكتي: المصدر السابق، ص163.

[3]- محمد بن مخلوف: المصدر السابق، ج1، ص156.

[4]- علي عشي: المغرب الأوسط خلال عهد الموحدين، المرجع السابق، ص261.

[5]- لخضر بولطيف: الفقه والتاريخ في الغرب الإسلامي، المرجع السابق، ص122.

[6]- ابن الأبار: المصدر السابق، ج2، ص165.

[7]- ابن فرحون: المصدر السابق، ص116، عادل نويهض: معجم المفسرين، المرجع السابق، ص758.

وتجدر الإشارة هنا إلى فضل الشيوخ الإباضيين في نشر وتعليم علم الكلام بالمغرب الأوسط، فقد ألّف أبو يعقوب بن إبراهيم السدراتي (ت570هـ/1174م) كتاباً بعنوان "الدليل والبرهان" وهو بحث في علم الكلام[1]، كما ذكرت آنفا.

ومن أصحاب الآراء الكلامية الشيخ أبو عمار عبد الكافي الورجلاني (ت570هـ/1174م) من خلال كتابه "الموجز"، فوارجلان تعتبر إقليما إباضيا قبل دعوة الموحدين لالتقائهما في مسائل الكلام والتوحيد، وقد حمل الداعية العيتروسي على عاتقه نشر الدعوة الموحدية بالإقليم[2].

وأبو زكريا يحي الزواوي (ت611هـ/1214م) ألّف كتاباً في الرد على ابن حزم بعنوان "حجة الأيام وقدوة الأنام" الذي استدعاه الخليفة للمناظرة وعرض كتابه[3]. ويذكر الغبريني أنّه لم يكن في بجاية من هو أجلد منه على الصيام والقيام، وفي رمضان ينقطع في جبل رجراجة إلى أن ينقضي الشهر، وكان نشاطه حافلا بدروس الفقه والتفسير والحديث في الجامع الأعظم[4].

---

(1)– لفيتسكي تاديوس: المؤرخون الإباضيون في إفريقيا الشمالية، ترجمة ماهر جرار وريما جرار، دار الغرب الإسلامي، ط1، بيروت، لبنان، 2000م، ص79.

(2)– الدرجيني: المرجع السابق، ج2، ص135.

(3)– عبد المجيد النجار: المرجع السابق، ص375، خالد الصمدي: المرجع السابق، ج1، ص93.

(4)– الغبريني: المصدر السابق، ص82، ابن الزيات: المصدر السابق، ص447.

المبحث السادس: العلوم الأدبية(اللسانية)

حظيت العلوم اللغوية والأدبية المعروفة باسم "العلوم اللسانية" بعناية العلماء المسلمين بصفة عامة والموحدين بصفة خاصة، لأنّها من أهم الآليات والأدوات لفهم القرآن الكريم والسنة النبوية، وتشمل علوم النّحو والأدب.

يرى ابن خلدون أنّ الأدب هو الإجادة في فني المنظوم والمنثور على أساليب العرب ومناحيهم[1]، ومعرفة ما يحترز به من جميع أنواع الخطأ في كلام العرب لفظاً وخطاً[2]، وهو كل ما يعبر عن معنى الحياة بأسلوب لطيف جميل سواء أكان شعراً أم نثراً[3].

وغاية علم الأدب الإجادة في فني النظم والنثر، إضافة إلى تهذيب العقل وتزكية الجنان، وتلك فوائد عظيمة يكتسبها المشتغل بعلم الأدب، فيعصم نفسه من زلة الجهل، ويروض أخلاقه، ويلين طبائعه، وينهض بالهمم إلى طلب المعالي والأمور الشريفة[4].

يُقسِم ابن خلدون العلوم الأدبية إلى أربعة أقسام هي: اللغة، النّحو، البيان، الأدب، ويُربط تطورها بازدهار العمران وتناقصها بتراجعه[5]، أمّا عبد الله كنون فيُقسم العلوم الأدبية إلى: اللغة، النّحو، البيان، العروض، التاريخ والسّير[6]، فيشتركان في ثلاثة أقسام ويختلفان في باقي الأقسام.

استهوى الأدب في المغرب الإسلامي الدارسين منذ بداية الفتوحات الإسلامية، ومع انتشار اللغة العربية في أوساط الشعوب المغربية والاحتكاك بالعرب[7]، خاصة الفاتحين وما تلاها من الهجرات، بما فيها التغريبة الهلالية والمتمثلة في النازحين الهلاليين الذين بعثتهم الدولة الفاطمية إلى المغرب الإسلامي للانتقام من الزيريين، فساهموا بقسط كبير في تعريب بلاد المغرب الإسلامي، وتجلى تأثيرهم اللغوي في نشر لغة التخاطب بين القبائل البربرية،

---

[1]– ابن خلدون: المقدمة، المصدر السابق، ج3، ص248.

[2]– عبد الله نجيب سالم: المرجع السابق، ص87.

[3]– عبد المنعم ماجد: تاريخ الحضارة الإسلامية في العصور الوسطى، مكتبة الأنجلو المصرية، ط2، القاهرة، مصر، 1972م، ص189.

[4]– عبد الله نجيب سالم: المرجع السابق، ص87.

[5]– ابن خلدون: المقدمة، المصدر السابق، ج3، ص336.

[6]– عبد الله كنون: المرجع السابق، ج1، ص126.

[7]– عبد الحميد خالدي: الوجود الهلالي السليمي في الجزائر، دار هومة، الجزائر، 2003م، ص175.

فأخذ الأدب ينمو شيئا فشيئا[1]، ودرسوه عن طريق عدة مؤلفات منها كتاب "الحماسة" ومقصورة ابن دريد وصفوة الأديب الجراوي وشرح ابن زاكور، لذلك حافظ المغاربة على قوة التعبير باللغة العربية وسلامة الأسلوب الأدبي[2]، إضافة إلى كتاب سيبويه والجمل لأبي العبدري ومقدمة الجزولي وشرح أبي عمرو الغافقي ومقامات الحريري[3].

كان الأدب لدى الموحدين أدبًا مغربيًا موسومًا بالإجادة والتفنن والإبداع. والفضل الأول في هذه النهضة يعود لخلفاء هذه الدولة الذين شجعوا الحركة الأدبية[4]، حتى استهوى ابن تومرت المصامدة بمكايده وسحرهم بعذوبة لفظه؛ فقد كان فصيحا في العربية والبربرية حتى صاروا يستغيثون به في شدائدهم، ويتبركون بذكره على موائدهم[5]. وحسب ما ورد في مؤلف ابن القطان أنّ ابن تومرت ألّف لهم كتاب "التوحيد" باللسان البربري وهو سبعة أحزاب بعدد الأيام[6]، وآخر سماه "الإمامة" وكتاب "القواعد" بالعربية والبربرية، عُرِف بالفصاحة في وعظه وخطبه ووصاياه، والبلاغة في كتاباته[7].

من خلال كتاب ابن صاحب الصلاة نجدأنّ العهد الموحدي شهد حركة أدبية واسعة، ساعد على ازدهارها تشجيع الخلفاء الموحدين للأدباء والشعراء، وإجزالهم العطاء، وجعلوا اللغة العربية اللغة الرسمية للدولة، كما تشهد بذلك الرسائل الديوانية وما أُثر من شعر[8]، حيث كان عبد المؤمن بن علي مؤسس الدولة شاعرا وأديبا وناقدا وقلده أبناؤه وشعبُه، فانتشر العلم والأدب، وتبارى العلماء في ميادين الشعر والبلاغة ونالوا عناية وتشجيع الخلفاء ونافسوا أدباء الأندلس لأول مرة في التاريخ[9]. وقد اجتمع للأمير عثمان بن عبد المؤمن وجوه الشعراء وأعيان الكُتّاب ما اجتمعت لملك منهم بعده[10]، ونالت علوم العربية وآدابها

---

[1]- محمد عليلي: المرجع السابق: ص 367.

[2]- الحسن السائح: المرجع السابق، ص219.

[3]- محمد المنوني: المرجع السابق، ص23.

[4]- المرجع نفسه، ص95.

[5]- مبارك الميلي: المرجع السابق، ج3، ص301.

[6]- ابن القطان: المصدر السابق، ص129.

[7]- محمد المنوني: العلوم والآداب والفنون، المرجع السابق، ص154.

[8]- ابن صاحب الصلاة: المصدر السابق، ص50.

[9]- صالح بن قربة: المرجع السابق، ص49.

[10]- محمد المنوني: العلوم والآداب والفنون، المرجع السابق، ص138.

حظا عظيما ونفقت سوق الأدب من شعر ونثر لحاجة الدولة إلى ناطقين باسمها وكُتّاب في دواوينها[1]، فنبغ في المغرب الأوسط الكثير من الأدباء منهم:

-ترجم ابن الأبار للأديب الحسن بن الحجاج بن يوسف الهواري (ت598هـ/1202م)، وهو أديب مبرز فقيه مالكي من بجاية، سكن مراكش ودخل الأندلس وولي خطابة إشبيلية توفي بفاس[2]، وذكر ابن الزبير الأديب يوسف بن محمد بن عبد الله بن يحي البلوي الحجاج (ت604هـ/1207م) نزيل بجاية[3]، وترجم ابن الأبار للأديب مصعب بن محمد بن مسعود الخشني (604هـ/1207م) الذي أخذ عن أبيه الأستاذ أبي بكر علم اللغة والآداب[4]، ومروان بن عمار البجائي (ت610هـ/1214م)[5].

-وأبو عبد الله محمد بن أحمد بن محمد بن أحمد الأريسي الجزائري (ت ق7هـ)، كاتب أديب بارع موقر، حسن النظم والنثر سهل الشعر، مليح التواشيح وكان شيخ كتبة الديوان، غاية الجودة في الخط المشرقي ببجاية، صاحب شعر كبير[6]، أبو زكريا يحي بن علي الزواوي (611هـ/1214م) ألّف كتاب "الدُّرة الألفية في علم العربية"[7]، والأديب محمد بن عبد الحق اليفرني (ت625هـ/1228م) له كتاب"الإعراب"[8]، ومحمد بن حمّاد الصنهاجي (ت628هـ/1230م) أديب بارع في النثر لغوي[9].

-أبو علي الحسن بن علي بن محمد الأغماتي (ت615هـ/1218م) فقيه لغوي، أصله من تلمسان، روى عن أبي عبد الله اللّخمي صاحب القضاعي، سافر إلى ميورقة وأقرأ بها العربية وأخذ عنه الكثير، ثمّ سافر إلى بلنسية وتوفي بمراكش، إضافة إلى محمد بن علي الأفرم

---

(1)- عز الدين عمر موسى: المرجع السابق، ص54.

(2)- ابن الأبار: المصدر السابق، ج2، ص33.

(3)- ابن الزبير: المصدر السابق، ص218.

(4)- ابن الأبار: المصدر السابق، ج2، ص737.

(5)- الغبريني: المصدر السابق، ص321، ابن الأبار: المصدر السابق، ج2، ص384.

(6)- الغبريني: المصدر السابق، ص337، عادل نويهض: معجم أعلام الجزائر، المرجع السابق، ص15.

(7)- الغبريني: المصدر السابق، ص135.

(8)- الزركلي: المصدر السابق، ج6، ص186، السملالي: المصدر السابق، ج4، ص184، ابن الأبار: المصدر السابق، ج1، ص166، يحي بن خلدون: المصدر السابق، ج1، ص151.

(9)- الغبريني: المصدر السابق، ص218.

المسيلي (ت ق6هـ/12م) شاعر وأديب، من أهل مسيلة له شعر رائق[1]. وحمّاد بن علي البين (ت ق6هـ/12م) شاعر جزائري له قصيدة من عشر أبيات نقلها الأصفهاني في كتابه "خريدة القصر قسم شعراء المغرب"[2].

–أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن مروان التلمساني (ت651هـ/1253م) شاعر أديب فقيه وقاض، أصله من المرية بالأندلس، نشأ في تلمسان وولي مدينة وهران، ولاّه يعقوب المنصور منصب قاضي القضاة ثُم عزله، وولاه النّاصر محمد بن يعقوب للقضاء[3]. والأديب أبو القاسم عبد الرحمن بن محمد بن أبي بكر بن السطاح الجزائري (ت629هـ/1231م)[4]، والأديب أبو جعفر أحمد بن محمد بن عبد العزيز بن عبد الرحمن بن عبد الله بن عياش التجيبي (ت629هـ/1231م)[5]، والأديب اللغوي أبو الخطاب عمر بن دحية الكلبي (ت633/1235م)[6].

–أبو إسحاق إبراهيم بن ميمون بن بهلول الزواوي (ت686هـ/1287م) الأديب الفاضل الفقيه الناظم، نشأ في بجاية ثُمّ رحل إلى المشرق ولقي أكابر العلماء كالرشيد بن عوف، كان حسن الحديث ونظّم شعراً تفرس فيه معانٍ توفي ببجاية[7]، محمد بن محرز بن محمد الوهراني (ت575هـ/1179م) الملقب بركن الدين صاحب "المنامات الشهيرة" أحد أدباء العالم المتمكنين، نبغ في المنامات والرسائل المشهورة، وعُرِف بالهزل والسُخرية[8].

–الأديب البارع أبو محمد عبد الله بن نعيم الحضرمي القرطبي القسنطيني (ت636هـ/1238م) فقيه جليل، نشأ بتونس، انتصب للتّدريس والرواية، شرح مقامات

---

[1]– عادل نويهض: معجم أعلام الجزائر، المرجع السابق، ص22.

[2]– المرجع نفسه، ص52.

[3]– المرجع نفسه، ص77.

[4]– القفطي: المصدر السابق، ج2، ص140.

[5]– ابن الأبار: المصدر السابق، ج1، ص146.

[6]– الغبريني: المصدر السابق، ص269، ابن العماد: شذرات الذهب في أخبار من ذهب، تحقيق الأرناؤوط، دار ابن كثير، ط1، بيروت، لبنان، 1986م، ج7، ص281.

[7]– الغبريني: المصدر السابق، ص205، عادل نويهض: معجم أعلام الجزائر، المرجع السابق، ص160.

[8]– الصفدي: الوافي بالوفيات، تحقيق أحمد الأرناؤوط وتركي مصطفى، دار إحياء التراث، ط1، لبنان، 2000م، ج4، ص273، نويهض: معجم أعلام، المرجع السابق، ص350، لخضر بولطيف: فقهاء المالكية، المرجع السابق، ص141.

الحريري، كان مشرفا ببجاية على عهد بني عبد المؤمن، له قصيدة المنفرجة، توفي بقسنطينة[1].

لقد اهتمت السلطة الموحدية بالأدب والشعر على مختلف فروعه نظراً لأهميته، حيث يُعد أداة بالغة التّأثير تُستعمل في مختلف المجالات، وكان هذا الاهتمام عن طريق تقريب الأدباء والشعراء والاحتفاء بهم، والتشجيع على دراسة هذه العلوم والفنون، لذلك ظهر في المغرب الأوسط أدباء وشعراء كثيرون بجميع فروعه.

المطلب الأول:علم اللغة

اللغة هي الألفاظ الموضوعة للمعاني، وهي أصوات يُعَبر بها كل قوم عن أغراضهم[2]، وعلم اللغة هو العلم الذي يبحث في مدلولات المُفردات، ومعانيها وصفاتها الجزئية، وكيفية استخدام هذه المفردات ومدلولاتها لتوضع في مكانها الصحيح بهدف الاحتراز من الخطأ في فهم المعاني[3]. وتُعتبر اللغة العربية من أغنى اللغات السامية لأنّها تتميز بكثرة مفرداتها وصياغة المشتقات من ألفاظها، مع سهولة التعبير الدقيق في إطار الجزالة، وسمو البلاغة وسحر البيان، وتُعتبر أداة للتعبير عن حضارة سادت خلال العصور الوسطى[4].

أتقن أهل المغرب اللغة العربية تدريجيا منذ الفتح إلى أن أصبحت جزءًا من كيانهم، وأولوا اهتمامهم لها حتى أصبحوا من علمائها، فألفوا فيها الكتب القيمة حتى ارتقوا إلى مصاف كبار علماء المشرق[5]، حيث عرفت الحركة اللغوية نشاطاً لا يقل عن نشاط العلوم الدينية، خاصة في عهد الموحدين لنشر دعوتهم باستعمال اللسان البربري إلى جانب اللغة العربية[6]. ويعود هذا الشيوع للغة العربية إلى اهتمام الخلفاء الموحدين بها خاصة ابن

---

[1]– الغبريني: المصدر السابق، ص325.

[2]–اللغة من لغوت؛ تكلمت، اللغو: النّطق، يُقال: هذه لغتهم التي يلغون بها. ابن منظور: المصدر السابق، ج15، ص251.

[3]– صديق بن حسن القنوجي: أبجد العلوم، دار الكتب العلمية، دمشق، سوريا، 1978م، ج2، ص469.

[4]– عبد العزيز فيلالي: المرجع السابق، ج2، ص436.

[5]– بشير رمضان التليسي: المرجع السابق، ص472.

[6]– عبد العزيز فيلالي: المرجع السابق، ج2، ص452.

تومرت وعبد المؤمن بن علي لكونهم درَسوها في المشرق[1]، كما قام عبد المومن بتربية ابنه يوسف بن عبد المؤمن بن علي تربية دينية ولغوية حتى صار أحفظ النّاس للغة العربية وأسرعهم نفوذ خاطر في غامض مسائل النّحو، وهذا حسب شهادة المراكشي[2].

وسادت اللغة العربية دولتهم باعتبارها لغة البلاد الرسمية في المكاتبات والمعاملات وشؤون الدولة، ورحلة العلماء، وقدوم القبائل الهلالية إلى المغرب الإسلامي لها أثر كبير في دعم اللغة العربية وانتشارها لتمسك هذه القبائل البدوية باللسان العربي[3]، إضافة إلى الاتصال بالمراكز الثقافية الأخرى في المغرب الأوسط كقلعة بني حماد، ودرسوا اللغة بشرح أبي ذر على الغريب وشرح أبي الطيب الشرقي على القاموس في أربعة مجلدات[4].

إلى جانب ذلك يرى ابن خلدون أنّ الدولة الموحدية لم تهمل الاعتناء باللغة البربرية فعندما نزل المهدي بن تومرت على قومه سنة (515هـ) وبني رابطة للعباد اجتمع إليه الطلبة والقبائل يعلمهم المرشدة في التوحيد باللسان البربري[5]، وورد عند ابن أبي زرع أنّه لا يؤم ولا يخطب إلا من حفظ كتاب التوحيد باللّسان البربري الذي ألّفه ابن تومرت[6].

نبغ لغويون في المغرب الأوسط منهم؛ خطاب بن أحمد بن عدي (ت.ق6هـ/12م)[7]، وكذلك المخضرم الذي عاش الفترة الحمادية والموحدية وهو أحمد بن عبد الجليل التدمري (ت.بعد555هـ/1160م) الذي نشأ بالمرية، ورووا عن أبي علي الصدفي وابن عطية وابن الدباغ وغيرهم، كان عالماً بالعربية واللغة والآداب والشعر، واستأدبه سلطان مراكش لبنيه، سكن بجاية، وألّف بها لوزير الصنهاجيين محمد بن علي بن حمدون كتاب"نظم القرطين وضم أشعار السقطين" وله كتاب "التوطية في العربية" وله شرح

---

(1)– عبد الواحد المراكشي: المصدر السابق، ص 100.

(2)– المراكشي: المصدر السابق، ص155، محمد المنوني: المرجع السابق، ص44.

(3)– مبارك بن محمد الميلي: المرجع السابق، ص 274.

(4)– الحسن السائح: المرجع السابق، ص220.

(5)– ابن خلدون: العبر، المصدر السابق، ج6، ص303.

(6)– ابن أبي زرع: المصدر السابق، ص62، المنوني: المرجع السابق، ص106، عبد الحميد النجار: المرجع السابق، ص44.

(7)– العماد الأصفهاني: المصدر السابق، ج2، ص341.

على كتاب الفصيح وشرح أبيات الجمل سماه "شفاء الصدور" وله "المختزل" و"الفوائد والفرائد" توفي بفاس[1].

-أبو العباس أحمد بن هلال العروضي (ت640هـ/1242م) أديب ولغوي من مدينة الجزائر نشأ بها وأخذ عن علمائها، انتقل إلى بجاية فدرس علم العروض على أدبائها ونبغ فيه فاشتهر بالعروضي، ثم رحل إلى الأندلس ودرّس وحدث بمرسية إلى أن مات[2].

-ومن أبرز اللغويين الذين ترجم لهم الغبريني؛ أبا جعفر أحمد بن يوسف الفهري الليلي (ت691هـ/1292م)، قرأ بالأندلس ثم ارتحل إلى العدوة وسكن بجاية وأقرأ بها مدة ثُمّ ارتحل إلى المشرق للحج، ثم استقر بتونس مشتغلا بالإقراء إلى أن مات بها، وله علم باللغة العربية يتبسط لإقراء كتبها، له تآليف كثيرة منها: "شرح أبيات الجمل في النحو" و"شرح كتاب الفصيح لثعلب في اللغة و"الإعلام بحدود قواعد الكلام" تكلم فيه على الاسم والفعل والحرف[3].

-ومن علماء اللغة العالم الذي ذكره الذهبي وهو عبد الحق بن عبد الرحمن بن عبد الله بن حسين بن سعيد، أبو محمد الأزدي الإشبيلي ويعرف بابن الخراط (ت581هـ)؛ روى عن شريح بن محمد، وأبي الحكم بن برجان وغيرهم، وأجاز له ابن عساكر، ونزل بجاية وقت فتنة الأندلس، فبث بها علمه وصنّف التصانيف وولي الخطبة والصلاة بها، يعد كتابه من الجهود المبذولة في هذا العلم كتاب"الحاوي في اللغة" يقع في ثمانية عشر مجلدًا، وكتاب "الغريبين في اللغة"[4].

المطلب الثاني: النثر

النثر هو كلام غير موزون من علوم العرب قبل الإسلام، فقد كانت لدى العرب ملكة الخطابة، واستمرت لدى المسلمين، حيث استخدمت الخطابة عند القادة والأمراء والجند وفي المساجد للوعظ والعبر، أما النثر كعلم فكان يعبر عنه بالنثر الفني، ظهر بشكل واضح في

(1)– ابن القاضي: المصدر السابق، ج1، ص138.

(2)– عادل نويهض: معجم أعلام الجزائر، المرجع السابق، ص231.

(3)– الغبريني: المصدر السابق، ص345.

(4)– الذهبي: شذرات الذهب، المصدر السابق، ج4، ص271، ينظر كذلك صلاح الدين محمد بن شاكر (ت764هـ): فوات الوفيات: تحقيق احسان عباس، دار صادر، بيروت، لبنان، 1973م، ج2، ص256.

العصر الأموي بعد تعريب الدواوين وارتبط بديوان الإنشاء[1]، ويتمثل في الكتابة والخطابة ووصايا وحكم وفن المقامات، كما يقال أن الفنون النثرية ظهرت أواخر العهد العباسي، وكانت من خصائصها التوقيعات الصوتية الموزونه ومراعاة التجانس اللفظي وكثرة استعمال المحسنات البديعية من جناس وطباق، ومن أبرز علماء المغرب الأوسط في هذا الفن ابن محرز الوهراني[2] الذي ستأتي ترجمته في الفصل الأخير.

فالنثر فيه السجع والمرسل، ويقصد بالسجع اتفاق آخر الحرف في القطعة النثرية، وهو يشبه القافية في الشعر ومنها المرسل الذي يطلق على الكلام ولا يقطع أجزاء[3].

الفرع الأول: النثر الفني

هو النثر الذي يختص بالرسائل، ويقول القلقشندي:" الترسل مبني على مصالح الأمة وقوام الرعية لما يشتمل عليه من مكاتبات الملوك وأسرار الناس في مهمات الدين وصلاح الحال وبيعات الخلفاء وعهودهم، وما يصدر عنهم من عهود الملوك"[4]. والرسالة هي قطعة نثرية يصوغها الكاتب في نسق فني جميل وبأسلوب بليغ هادف، وفي غرض من الأغراض، يبعث بها شخص إلى آخر[5]، منها ما يلي:

1- **الديوانية أو الرسمية أو الأميرية:** هي التي تتم بين الأمراء وعمالها، وتتعلق بشؤون الدولة، يعبر عنه بالنثر الإداري، ويشمل كذلك الخطب[6]، والوصايا[7]، تتصف ببساطة الأسلوب وخلوه من البيان، فهي وسيلة لبسط النظام تحوي معلومات هامة للدولة[8]، مثل

---

[1]- محمد حسين محاسنة: المرجع السابق، ص178.

[2]- أحميدي بن شارف: من ملامح النهضة اللغوية والأدبية بالمغرب الأوسط في العهد الموحدي، مجلة الباحث، جامعة وهران، الجزائر، د ت، العدد17، ص101.

[3]- ابن خلدون: المقدمة، المصدر السابق، ج3، ص272.

[4]- القلقشندي: المصدر السابق، ج1، ص60.

[5]- نجاة بلعباس: المرجع السابق، ص178.

[6]- الخُطب: هي كلام مبني على حمد الله تعالى وتمجيده وتقديسه وتوحيده والثناء عليه، والصلاة والسلام على رسول الله ﷺ، والتذكير والترغيب في الآخرة والتزهيد في الدنيا، الحث على طلب الثواب، والأمر بالصلاح والإصلاح. ينظر: القلقشندي: المصدر السابق، ج1، ص60.

[7]- الوصية: هي نوع من أنواع النثر الأدبي، وهي نقل أمين للتجارب السابقة والخبرات المكتسبة يقدمها الوصي لتحقيق الفائدة. ينظر: نجاة بلعباس: المرجع السابق، ص188.

[8]- بغداد غربي: الكتابة الرسمية عند الموحدين في الغرب الإسلامي، مجلة الأكاديمية للدراسات الاجتماعية والإنسانية، جامعة شلف، الجزائر، جوان2016م، العدد16، ص45، محمد عليلي: المرجع السابق، ص374.

الرسالة التي أنشأها الكاتب أبو عقيل بن عطية عن الخليفة عبد المؤمن إلى طلبة تلمسان يُعْلِمهم بفتح القسطنطينية، ويخبرهم بإبانة يحي بن عبد العزيز صاحب بجاية إلى التوحيد:"وهذا كتابنا إليكم كل جديد منها جديدا"[1].

2-**الكتابة الاجتماعية:** وهي من الرسائل المعروفة برسائل الفصول، مثل التي أنشأها الكاتب أبو جعفر بن عطية عن إذن الخليفة عبد المؤمن إلى أهل بجاية يوصيهم بإقامة الحدود وحفظ الشرائع وإظهار الحق بلزوم الواجبات:"وابتدئ بأول أمر به فيهم"[2].

3-الخطابة: تعد من الفنون الأدبية الأصيلة، فهي أداة لإيصال الأفكار، وتعتبر أول أداة استعملها الموحدون في نشر الدعوة الموحدية، فمن خطب ابن تومرت تلك التي ألقاها في الموحدين فقاموا لمبايعته وعلى رأسهم عبد المؤمن بن علي، كما عرفت رواجاً في عهد عبد المؤمن حيث بلغت رسائل الموحدين سبعاً وثلاثين رسالة، وعشرون منها كتبت في عهده[3].

ومن علماء الخطابة في المغرب الأوسط على عهد الدولة الموحدية؛ العالم الصوفي أبو مدين شعيب، وأبو عبد الله محمد بن إبراهيم الوغليسي عاش خلال (ق7هـ)، من بني وغليس جنوب بجاية، وهو الخطيب الفقيه العارف المقتدى بهم، عالم بالكتابة الأدبية والشرعية معتمد في المخاطبات السلطانية وتسجيلات القضاة، ولي الخطابة بجامع القصبة ببجاية، فصيح اللسان بارع الخط[4].

4-**المناظرات:** هي فن من فنون الإنشاء وشروطها ثلاثة؛ أن يجمع بين خصمين متضادين، وأن يأتي كل خصم في نُصرته لنفسه بأدلة ترفع شأنه وتعلي مقامه فوق خصمه، وأن تُصاغ المعاني والمراجعات صوغا لطيفا[5]، وأول مناظرة كانت لزعيم الموحدين ابن تومرت مع علماء المرابطين فتغلب عليهم في مجلس الأمير علي بن يوسف، ثم تطور هذا الفن في عهد عبد المؤمن الذي كان عصره عصر جدل طويل بين الموحدين والمالكيين[6].

---

(1)- محمد المنوني: المرجع السابق، ص123.

(2)- المرجع نفسه والصفحة نفسها.

(3)- محمد المنوني: المرجع السابق، ص130.

(4)- الغبريني: المصدر السابق، ص282.

(5)- عبد الله نجيب سالم: المرجع السابق، ص89.

(6)- محمد المنوني: المرجع السابق، ص131، صالح بن قربة: عبد المؤمن بن علي،المرجع السابق، ص51.

5-المقامة: هي مجلس أو ندوة، والمقامة كفن أدبي هي حكاية تقال في مقام معين، وتتناول كلاماً متصلا بقصد الموعظة، وأول من أبدع فيه بديع الزمان الهمذاني (ت398ه)[1]، وهي عبارة عن كتابة مسجوعة حسنة التأليف، تتضمن نكتة أدبية، تدور على رواية لطيفة مختلقة تنسب إلى بعض الرواة وقد راجت سوقها بين الأدباء في القرون التي تلت عصر مخترعها بديع الزمان الهمذاني المتوفى عام (398ه) كان أول من فتح بابها وسلك طريقها، واشتهر من بعده الحريري بمقاماته (ت516ه) وتابعه كثيرون آخرون[2].

الفرع الثاني: النثر التأليفي:

هو النثر[3] الذي يتطلب الإبداع الأدبي ويقصد لذاته، أي أن الهدف منه هو الصنعة والمتعة الأدبية[4]، ومن أدباء النثر في المغرب الأوسط:

-ابن محشرة أبو الفضل محمد بن علي بن ظاهر القيسي (ت598ه/1202م) الفقيه الجليل الأديب الكاتب، أخذ عن أبي القاسم القالمي، وقد نشأ في بجاية وكان أبوه قاضيا بها، ذاع صيته في فن الكتابة فاستدعاه الخليفة ابن عبد المؤمن بمراكش، وكتب ليوسف بن عبد المؤمن وأبيه يعقوب المنصور[5]. وأبو الربيع سليمان بن عبد المؤمن الكومي (ق6ه) أديب وشاعر فنان، يسكن قصور بني حماد في جبال شاهقة مطلة على البحر، كل ذلك أدى إلى قوة عبقريته بأدب رائع خاصة فصاحته وتضلعه في اللغة، كانت كتبه ومقطوعاته الشعرية تسير مابين بجاية وتلمسان[6].

---

[1]- أحميدي بن شارف، المرجع السابق، ص185.

[2]- عبد الله نجيب سالم: المرجع السابق، ص90.

[3]- ظهر النثر التأليفي مع تطور الكتابات العربية نحو النضج والكمال واستكمال صورتها النهائية، وكانت حركة التأليف العربية قد شقت طريقها منذ عصر معاوية بن أبي سفيان الذي كان يحضر دفاتر سير الملوك وأخبارهم لتقرأ عليه، وأمر بتدوين ذلك، وفي القرن الثاني الهجري بدأ التأليف في مجالات مختلفة كالنحو والحديث والتفسير والمغازي. ينظر: محمد حسين محاسنة: المرجع السابق، ص132.

[4]- محمد عليلي: المرجع السابق، ص382.

[5]- الغبريني: المصدر السابق، ص55، ينظر كذلك: عبد الحميد حاجيات: تلمسان مركز الإشعاع الثقافي في المغرب الأوسط، مجلة الحضارة الإسلامية، الجزائر، 1993م، العدد1، ص37، نويهض: معجم أعلام، المرجع السابق، ص288.

[6]- محمد بن عمرو طمار: المرجع السابق، ص167.

- والأديب الذي ذكره يحي بن خلدون محمد بن عبد الرحيم بن أبي العيش، الخزرجي (ت بعد654هـ/1256م) له كتاب نثري بعنوان"التذكرة في قبول المعذرة وفيما جاء في العفو عند المقدرة" أهداه للخليفة الموحدي الرشيد[1]، إضافة إلى المراسلات التي جرت بين عبد الحق بن الربيع البجائي (ت675هـ/1277م) والأندلس يأبي مطرف (ت582هـ/1187م)[2].

-وأبو محمد عبد الله بن عبد الرحمن بن عبد الله بن عميرة بن طريف الأزدي (ت661هـ/1263م) يعرف بابن برطلة، سكن بجاية وولي صلاة الجماعة بجامعها الأعظم، وقضاء مدينة الجزائر وغيرها، بارع في الأدب كان خطيبا بمرسية يخطب في كل جمعة بخطبة من إنشائه، حج إلى البيت الحرام مات بتونس[3].

المطلب الثالث: علم النحو

النحو هو العلم الذي يحتل الصدارة بين علوم اللغة ويصون اللسان من الخطأ، يتمثل في إعراب الكلام العربي[4]، ويعرّفه ابن خلدون أنّه استنباط قوانين ملكة الكلام وقواعد تسييرها ويلحقون الأشياء بها بالأشباه، ثم رأوا تغيير الدلالة بتغيير هذه الحركات، فاصطلحوا على تسميتها إعرابا، فصارت كلها اصطلاحات خاصة بالعرب، فقيدوها بالكتاب وجعلوها صناعة مخصوصة واصطلحوا على تسميتها علم النحو[5].

وقد ظهر بالبصرة والكوفة في القرن الأول الهجري على يد أبي الأسود ظالم بن عمرو الدُؤلي (ت69هـ/688م)[6]، الذي وضع قواعد اللغة العربية، يُقال تلقى أصول هذا

---

[1]- يحي بن خلدون: المصدر السابق، ج1، ص104.

[2]- الغبريني: المصدر السابق، ص254.

[3]- المصدر نفسه، ص322.

[4]- النّحو هو القصد والطريق، ونحاه ينحوه وينحاه نحواً وانتحاه، ونحو العربية منه إنّما هو انتحاء سمت كلام العرب في تصرفه من إعراب وغيره كالتثنية والجمع والتحقير، ونحى الشيء ينحاه وينحوه إذا حرفه، ومنه سمي النّحو لأنّه يحرف الكلام إلى وجوه الإعراب. ينظر: ابن منظور: المصدر السابق، ج15، ص309.

[5]- ابن خلدون: المقدمة، المصدر السابق، ج3، ص237.

[6]- أبو الأسود ظالم بن عمرو الدُؤلي(ت69هـ/688م): يعتبر مؤسس علم النحو، فعندما شكى إلى علي بن أبي طالب ما يراه ويسمعه من فساد اللغة، طلب منه علي كرم الله وجهه أن يضع أسسا للغة، فقام أبو الأسود بذلك ووضع أساس مدرسة البصرة أقدم مدرسة في النحو، ويعزى الفضل كذلك إلى الخليل بن أحمد الفراهدي وسيبويه في وضع أصول النحو العربي عن طريق القياس. ينظر: محمد حسين محاسنة: المرجع السابق، ص172.

العلم عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه[1]، من أجل الحرص على سلامة القرآن الكريم من التحريف، ويعود السبب في ظهور علم النحو إلى فساد اللغة لاختلاط العرب بغيرهم من الأقوام بعد الفتوحات الإسلامية[2].

وقد اهتم المغاربة بعلم النحو، وكانوا يدرسونه بكتاب سيبويه وكتاب الجمل ثم الألفية[3]، فظهر الكثير من النّحاة بالمغرب الأوسط خلال العهد الموحدي منهم عبد الله بن محمد الصنهاجي الأشيري (ت561هـ/1165م) صنّف كتاباً هذّب فيه الاشتقاق[4]، ومحمد بن محرز بن محمد الوهراني الملقب ركن الدين (ت575هـ/1169م)[5]. وأبو مدين شعيب (ت594هـ/1197م) له رسالة في النثر إلى الشيخ الصالح محمد عبد العزيز[6]. وأبو الحسن طاهر بن علي بن محمد بن عبد الرحمن السلمي (ت.ق7هـ/13م)[7]. والنّحوي محمد بن قاسم بن منداس أبو عبد الله المغربي البجائي الأشيري (ت643هـ/1245م) أديب لغوي نحوي محدث ولد بالجزائر أصله من أشير، أخذ عنه العربي أبو موسى الجزولي، الذي قام بتدريس النّحو في الجزائر[8]. ونزيل تلمسان وبجاية ابن دحية (ت633هـ/1235م) ألّف كتابا في النحو بعنوان"الصارم الهندي في الرد على الكندي"[9]، دون أن ننسى صاحب الألفية النحوية"الدرة الألفية" يحي بن عبد المعطي الزواوي الذي نبغ في العلوم العربية، حيث بلغت منظومته ألفاً وعشرين بيتاً، قام الكثير من النّحاة بشرحها، كما ستأتي ترجمتهم في الفصول الموالية[10].

---

(1)– الزبيدي: طبقات النحويين واللغويين، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف، ط2، مصر، د ت، ص21.

(2)– ابن خلدون: المقدمة، المصدر السابق، ص454.

(3)– الحسن السائح: المرجع السابق، ص219.

(4)– الغبريني: المصدر السابق، ص225.

(5)– ابن خلكان: المصدر السابق، ج4، ص385.

(6)– ابن قنفذ: المصدر السابق، ص99.

(7)– عبد الملك المراكشي: المصدر السابق، ص156.

(8)– ابن الأبار: المصدر السابق، ج2، ص754، عادل نويهض: معجم أعلام الجزائر، المرجع السابق، ص319.

(9)– الغبريني: المصدر السابق، ص228.

(10)– عبد الله كنون: المرجع السابق، ج1، ص153، نجاة بلعباس: المرجع السابق، ص76.

–أبو حفص عمر بن حسان بن عياض الميلي جمال الدين (حيا600هـ/1203م) فاضل من أهل ميلة، له كتاب "منقذ الحالك وعمدة السالك"[1]، كما ذكر الغبريني كُلاً من الأديب النّحوي اللغوي والفقيه أبي الحجاج يوسف بن سعيد بن يخلف الجزائري (ق7هـ/13م) يقرأ في مجلسه الكتب الأدبية والنحوية واللغوية، يحضره الكثير من الطلبة منهم الغبريني حيث انتفع به خلق كثير[2]، وأبو الحسن عبيد الله النفزي (ت642هـ/1244م) الذي اعتنى بالنحو، فوضع كتاباً شرح فيه مبادئ النحو العامة من كتاب المفصل لأبي القاسم الزمخشري (ت538هـ/1143م)[3].

–ومن أدباء القرن السابع هجري نجد أبا الحكم مروان بن عمار بن يحي (ت610هـ/1214م) الفقيه القاضي، كان أديباً نحوياً ولغوياً من أهل بجاية مشاركاً في أبواب العلم، سمع عن عبد الحق الإشبيلي ودخل الأندلس وسمع عبد المنعم بن الفرس، وسمع بفاس وسبتة وغرناطة، كان حسن الخط فكتب للولاة ثم ولي قضاء المرية[4]، وقبله نجد أبا محمد عبد الحق الإشبيلي (ت582هـ/1184م) صاحب "الحاوي في اللغة" من ثمانية عشر مجلدًا[5]، ومن الوافدين بجاية أبو جعفر أحمد بن يوسف الفهري النحوي، ألّف شرحاً لكتاب"الجُمل".

المطلب الرابع: الشعر

الشعر[6] هو كلام موزون مفصل قطعا وتسمى كل قطعة بيت[7]، ينقسم إلى أربعة أنواع: ضرب حسن، ضرب منه حسن، وضرب منه تأخر معناه، وضرب منه جاد قصرت ألفاظه[8]، أغراضه كثيرة منها: الغزل، المدح، الهجاء، الرثاء، الزهد[1]. فوائده كثيرة منها تخليد المآثر[2].

---

[1]– عادل نويهض: معجم أعلام الجزائر، المرجع السابق، ص325.

[2]– الغبريني: المصدر السابق، ص77، ليفيتسكي: المرجع السابق، ص103.

[3]– الغبريني: المصدر السابق، ص325.

[4]– المصدر نفسه، ص321، عادل نويهض: معجم أعلام الجزائر، المرجع السابق، ص40.

[5]– المصدر نفسه، ص43.

[6]– الشعر: لغة شَعر به وشُعر به ويشْعر شعرًا تعني الإحساس بالشيء، فالإيقاع الناجم عن الوزن والقافية وهو الذي يكون النظم والنظم هو الشعر. ينظر: ابن منظور: المصدر السابق، ص195.

[7]– عبد الجليل الحافظ التنسي: المصدر السابق، ص56.

[8]– ابن قتيبة الدينوري(ت276هـ): الشعر والشعراء، تحقيق أحمد محمد شاكر، دار الحديث، مصر، 2006م، ص26.

لم يشتغل العرب في صدر الإسلام بالأدب لانشغالهم بالفتوح الإسلامية، فحافظت على الروح الأدبية السائدة في العصر الجاهلي، وقد غض الإسلام من قيمة الشعراء الذين يستعملونه في الهجاء[3]، حيث قال تعالى:﴿وَالشُّعَرَاء يَتَّبِعُهُمُ الْغَاوُونَ* أَلَمْ تَرَ أَنَّهُمْ فِي كُلِّ وَادٍ يَهِيمُونَ﴾[4]، وفي المقابل أعلى من قدر الشعراء الذين ينتصرون لمبادئ الحق والعدل، أمثال حسان بن ثابت الذي قربه الرسول ﷺوقال:{ إنّ منَ البيَانِ لَسِحراً ومنَ الشّعرِ لَحكْمة}[5]، كما شهد ازدهاراً في العصر الأموي فتعددت أغراضه وألوانه، وظهر شعراء كبار أمثال جرير(ت112هـ) والفرزدق(ت114هـ)، وكذلك العصر العباسي برز خلاله شعراء كبار أمثال أبو تمام والبحتري وأبو نواس[6].

عَرف الشعر على غرار النثر ازدهارًا في المغرب الأوسط لعدة أسباب منها الهجرة الأندلسية، والحركة الصوفية من أجل نشر أفكارها، وكان للخلفاء الموحدين اهتمام كبير بالعلوم الأدبية خاصة منهم عبد المؤمن بن علي الكومي (ت558هـ/1162م) الذي يستدعي إليه الشعراء، كما له شعر رائق حسن منها الأبيات الشعرية التي قالها وهو يستنفر عرب إفريقيا لغزو الأندلس، والتي ذكرت في كتاب ابن الصلاة:[7]

أقيموا إلى العلياء هوج الرواحل*** وقودوا إلى الهيجاء جرد الصواهل

وقوموا لنصـر الدين قومة ثائر *** وشدوا على الأعداء شدة صـائل

وكان الخليفة يعقوب المنصور (ت595هـ/1198م) أديباً فصيحاً جزل اللفظ شاعراً، يجمع حوله شعراء العصر من العدوتين ينصت إلى مدائحهم ويغمرهم بصلاته[8]، وكان الشعر مجالاً مشتركاً بين العلماء باختلاف تخصصاتهم، حيث كان الطبيب والأديب والفقيه

---

[1]– إحسان عباس: فن الشعر، دار صادر، بيروت، 1996م، ص26.

[2]– ابن خلدون: المقدمة، المصدر السابق، ص630.

[3]– محمد حسين محاسنة: المرجع السابق، ص185.

[4]– سورة الشعراء، الآيتين(225، 226).

[5]– أخرجه البخاري(ت256هـ) في صحيحه، كتاب الطب، باب إن من البيان سحراً، برقم (5767)، ص524.

[6]– محمد حسين محاسنة: المرجع السابق، ص185.

[7]– ابن صاحب الصلاة: المصدر السابق، ص 100، محمد المنوني: المرجع السابق، ص110، مبارك الميلي: تاريخ الجزائر، المرجع السابق، ج3، ص324.

[8]– عبد الهادي حسيس: المرجع السابق، ص316، محمد المنوني: العلوم والآداب والفنون، المرجع السابق، ص160.

ينظمون أشعاراً كموهبة بعد التخصص، وكانت أغلب أشعارهم في مدح الخلفاء نظراً للمكانة التي حظي بها الشعراء آنذاك[1]. وقد تعددت أغراض الشعر زمن الموحدين وكثرت ضروبه، وبرز أعلام منهم ابن عربي (ت638هـ/1240هـ) في الشعر الصوفي، ابن سهل (ت649هـ/1251م) في المجون[2]، من شعراء المغرب الأوسط في العهد الموحدي الذين ذكرهم البيذق حسن بن عبد الله الأشيري التلمساني(ت569هـ/1174م) له مقطوعة يذكر فيها مجيء الشبل إلى مجلس الخليفة عبد المؤمن:[3]

أنس الشبل ابتهاجا بالأسد *** ورأى شبه أبيه فقصد

ودعا الطائر بالنصـر لـكم *** فقضـى حقكم لما وفد

-وذكر ابن الأبار؛ عبد الله بن محمد الصنهاجي الأشيري (ت561هـ/1165م)[4]، وأبا عبد الله محمد بن حماد الصنهاجي (ت628هـ/1230م) الذي له "ديوان شعر"[5]، وأبا إسحاق إبراهيم بن يوسف بن إبراهيم بن عبد الله بن باديس بن القايد الحمزي الوهراني بن قورقول (ت564هـ/1168م) كما ستأتي ترجمتهم في الفصول الموالية[6].

-والشاعر أبو الطاهر عمارة بن يحي بن عمارة البجائي (حيا سنة585هـ/1261م) استعطف والي بجاية الموحدي أن يشفع فيه وأصحابه فيخلي سبيلهم في قصيدة[7].

ومن الشعر الصوفي ما ذكره المقري لأبي مدين شعيب (ت594هـ/1197م) منه هذه الأبيات الشعرية[8]: لاتحسبوا الزمر الحرام مرادنا *** مزمـارنا التسبيح والأذكار

---

[1]- قاسمي بختاوي: المرجع السابق، ص116.

[2]- عز الدين عمر موسى: المرجع السابق، ص54.

[3]- البيذق: المصدر السابق، ص85، السلاوي: المرجع السابق، ج1، ص140.

[4]- ابن الأبار: المصدر السابق، ج2، ص568.

[5]-الغبريني: المصدر السابق، ص218، ابن الأبار: المصدر السابق، ج2، ص585.

[6]- الذهبي: سير أعلام النبلاء، المصدر السابق، ج20، ص520.

[7]- الغبريني: المصدر السابق، ص47، عادل نويهض: المرجع السابق، ص241.

[8]- المقري: المصدر السابق، ج7، ص143.

كما طرق أبو مدين شعيب فن الموشحات[1] باتجاه ديني وبأسلوب الرمز، لأنّه معروف بالزهد والتّصوف[2].

ومن شعراء المغرب الأوسط في عهد الدولة الموحدية شاعر بني عبد المؤمن أبو علي حسن بن علي بن عمر بن الفكون القسنطيني (حيا سنة602هـ/1205م) الفقيه الأديب البارع، الذي وفد على خلفائهم بمراكش ونظم رحلته في قصيدة ذكرها العبدري في رحلته والمقري في نفح الطيب، حيث امتدح الناصر بن المنصور بقصيدة بليغة لما نزل بقسنطينة سنة(601هـ)، وكان كثير الوفادة على ولاة بجاية، له ديوان شعر[3]، وله قصيدة رائعة في مدن المغرب الأوسط ومن أبياتها:[4]

فلمـــا جئت ميلة خير دار *** أمـــالتنـــي بكل رشـا أبي

وجئت بجاية فجلت بـــدورا *** يضيق بوصفها حرف الراوي

وقال كذلك يصف مدينة بجاية[5]:

دع العـــراق وبغداد وشـــامها***فالناصـــرية ما إن مثلها بلد

بر وبحر وموج العيـــون بـــه***مـــسارح بان عنها الهم والنكد

ومن الشعراء الذين ذكرهم الغبريني كذلك أبو عبد الله محمد بن الحسن بن علي بن ميمون التميمي القلعي البجائي (ت660هـ/1261م) بارع في علم العربية حسن الشعر خاصة في الزهد اشتهر بالأدب، عاش بعد تدوين شعره ثلاثاً وأربعين سنة، تواشيحه حسنة، قام بمدح الرسول ﷺ ومن أبياته[6]:

فيا طول شوقي للنبي وصحبه *** وياشد ما يلقى الفؤاد ويكتم

إليك رسول الله أرفع حاجـتي *** فأنت شفيع الخلق والخُلق هيم

---

[1]– الموشحات: هي فن من فنون الشعر الغنائي استحدثه الأندلسيون أحيانا يخرج عن أوزان الشعر وقوافيه لاستخدامه العامية أحيانا. ينظر: محمد الطمار: المرجع السابق، ص200.

[2]– نجاة بلعباس: المرجع السابق، ص231.

[3]– ابن القاضي: المصدر السابق، ج1، ص184، مبارك بن محمد الميلي: المرجع السابق: ص337، الغبريني: المصدر السابق، ص334، عادل نويهض: معجم أعلام الجزائر، المرجع السابق، ص253.

[4]– عادل نويهض، المرجع السابق، ص203.

[5]– عبد الرحمن الجيلالي: المرجع السابق، ص319.

[6]– الغبريني: المصدر السابق، ص94.

-وأبو عبد الله محمد بن يحي بن عبد السلام (عاش في القرن 7هـ/13م) من تدلس (أو دلس) استقر ببجاية، ولي القضاء ببعض أكوار بجاية، فقيه وله حظ في علم الطب "علمية وعملية" كاتب أديب برع في الأدب وله أشعار مطولات ومختصرات رائعة فيها مسحة صوفية[1].

-أبو بكر محمد بن يحي بن سيد الناس (ت659هـ/1261م)، الذي سبقت ترجمته[2].

-عبد الرحمن بن يخلفتن بن أحمد اليجفشي الفزازي (ت657هـ/1229م) له173 بين قصيدة ومقطوعة[3]، نشأ في قرطبة واستقر بتلمسان، كان أديباً وفقيهاً، استطاع أن يجذب بأشعاره الزهدية أنظار المريدين[4]، ومن شعراء الصوفية نجد كذلك أبا عبد الله محمد بن أحمد اللخمي بن اللحام التلمساني، واعظ أهل زمانه له حظ وافر في الأدب والشعر، له مصنف حجة الحافظين، نظمه بمجموعة من الحكم والمواعظ لترشيد العباد[5]، وكذلك نجد نزيل تلمسان وبجاية أبا الخطاب بن دحية (ت633هـ/1235م) له ديوان شعر"المطرب من أشعار أهل المغرب"[6] والشاعر الصوفي ابن أبي العيش محمد بن أبي زيد عبد الرحيم الخزرجي التلمساني له أشعار في الوعظ والإرشاد[7].

-أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن عبد العزيز بن عمر الزناتي التلمساني جمال الدين المعروف بحافي رأسه (ت680هـ/1281م) ولد بتاهرت، يعد من أئمة العربية في عصره، أخذ عن محمد بن منداس صاحب الجزولي وابن الزيات، ثم انتقل إلى مصر واستقر

---

(1)- الغبريني: المصدر السابق، ص341.

(2)- الغبريني: المصدر نفسه، ص295.

(3)- ابن الأبار: المصدر السابق، ج2، ص585.

(4)- التنبكتي: المصدر السابق، ص163.

(5)- يحي بن خلدون: المصدر السابق، ج1، ص27.

(6)- الغبريني: المصدر السابق، ص228، الذهبي: تذكرة الحافظ، المصدر السابق، ج4، ص1420، المقري، المصدر السابق، ج2، ص104، ابن العماد: المصدر، ج7 ص281، ابن دحية: المطرب من أشعار أهل المغرب، تحقيق مصطفى عوض الكريم، جامعة الخرطوم، السودان، 1954م، ص33.

(7)- نجاة بلعباس: المرجع السابق، ص203.

بالإسكندرية وأخذ عن عبد العزيز بن مخلوف وغيره، كان شيخ أهل الإسكندرية في النحو، له شعر [1].

-كما ذكر ابن الأبار الشاعر محمد بن علي بن حماد بن عيسى الصنهاجي (ت628هـ) من قلعة بني حماد سكن بجاية أخذ عن أشياخها ثم دخل الأندلس وسمع بها، ولي قضاء الجزيرة الخضراء، ثم قضاء سلا، كان كاتبًا بليغًا وشاعرًا مجيدًا، له ديوان شعر، ومن مؤلفاته؛ "الإعلام بفوائد الأحكام" و"شرح مقصورة ابن دريد"[2]، ومن شعراء المدائح النبوية ما نظمه شمس الدين محمد بن سليمان بن العفيف التلمساني الشاب الظريف[3].

لم يقف الشعر عند الرجال بل كان للمرأة دور فيه، ومنهن عائشة الشريفة ابنة عمارة الشريف الحسيني ومن أشعارها[4]: عذيـــري من عاشــق أصلع***قبيــح الإشــارة والمنزع

كما اشترك العديد من العلماء في العلوم خاصة منها الشعر لأنه موهبة قد يمارسها أي شخص موهوب. وأغلب الشعر لدى شعراء المغرب الأوسط لم يكن في الرثاء إلاّ في النزر القليل المتصل والمقلد لشعراء الأندلس[5]، ونظرًا لأهمية الشعر في شتّى المجالات فقد قرض الملوك والأمراء الشعر وحفزوا عليه،وشجعوا الأدب واللغة عموما، كما كان للشعراء دور في مختلف المجالات العلمية.

---

[1]- لقب حافي رأسه لأنه أقام مدة مكشوف الرأس، وقيل لحفرة في رأسه، وقيل رآه رئيس في الثغر فأعطاه ثيابا جددا لبدنه فقال هذا لبدني وراسي حافي. ينظر: ابن شاكر: المصدر السابق، ج2، ص257، عادل نويهض: معجم أعلام الجزائر، المرجع السابق، ص119.

[2]- ابن الأبار: المصدر السابق، ص156، الغبريني: المصدر السابق، ص218.

[3]- نجاة بلعباس: المرجع السابق، 206.

[4]- الغبريني: المصدر السابق، ص48.

[5]- محمد ابن تاويت: أصداء في الأدب الموحدي، مجلة دعوة الحق، وزارة عموم الأوقاف والشؤون الإسلامية، الرباط، المغرب، 1968م، العدد9-10، ص94.

المبحث السابع: علم التاريخ

يُسهم علم التاريخ في استكشاف هوية الدول والحفاظ على ذاكرتها قصد صناعة شخصيتها واستشراف مستقبل يميزها بالتنقيب عن ماضيها وتفسير وقائعه وتحليلها وتصوره بدقة لتجنب ما حدث فيه من أخطاء، والاستلهام من خبرات وتجارب الأشخاص والأحداث لبلورة مستقبلها بعد فهم حاضرها. ولهذا توليه الدول والباحثون رعاية فائقة في جميع الأزمان والعصور، فما موقف علماء المغرب الإسلامي زمن الموحدين من علم التاريخ؟.

المطلب الأول: علم التاريخ قبل الموحدين

لقد اختلف المؤرخون في أصل لفظ"تاريخ"، يقول البعض إنّه لفظ عربي خالص، وذهب آخرون إلى أنه لفظ فارسي، إلا أنّ أغلب المؤرخين يرون أنّ التاريخ علم عربي خالص تطور ذاتيا دون أي تأثير أجنبي في الغالب، ومنذ عصر ما قبل الإسلام تحدث العرب عن قبائلهم ووقائعها وسموها "أيام العرب" كما حفظوا أنسابهم وتناقلوها جيلا بعد جيل[1].

التاريخ يعني التوقيت أي تحديد زمن الأحداث وأوقات حدوثها[2]، وعرّفه ابن خلدون قائلا:" إنّه فن من الفنون التي تتداوله الأمم والأجيال وتشد إليه الركائب وتسمو إلى معرفة السوقة والأغفال وهو في ظاهره لا يزيد على إخبار عن الأيام والدول والسوابق من القرون الأول وفي باطنه نظر وتحقيق وتعليل للكائنات"[3]، وعرّفه السخاوي بأنّه:" فن يبحث فيه عن وقائع الزمان من حيث التعيين والتوقيت بل مكان في العلم وموضوعه الإنسان والزمن، ومسائله أقوالهما المفصلة للجزئيات تحت دائرة الأحوال العارضة الموجودة للإنسان وفي الزمان، وإما فائدته معرفة الأمور"[4].

---

[1]- بشير رمضان التليسي: المرجع السابق، ص478، محمد حسين محاسنة: المرجع السابق، ص180.

[2]- التاريخ لغة مشتق من الفعل الثلاثي "أرّخ"، والتاريخ تعريف الوقت وهو التدوين، يُقال أرخت الكتاب وورخته أي بينت وقت كتابته، هو الإعلام بالوقت. ينظر: ابن منظور: المصدر السابق، ج3، ص04، ينظر كذلك السخاوي: الإعلان بالتوبيخ لمن ذم أهل التاريخ، تحقيق فرانز روزنثال، ترجمة صالح أحمد العلي، مؤسسة الرسالة، ط1،بيروت، لبنان، 1986م، ص19.

[3]- ابن خلدون: المقدمة، المصدر السابق، ص43.

[4]- السخاوي: المصدر السابق، ص19.

وعلم التأريخ هو تتبع أحداث الماضي تسجيلا ودراسة وتحليلا، سواء أكانت متعلقة بالفرد أو الجماعة، بحيث يمكن الإفادة منها في الحاضر والتنبؤ مستقبلا[1]، وهو تسجيل الأحداث على أساس الزمن، فهو علم قائم بذاته يتبع أحداث الماضي تسجيلا ودراسة وتحليلا بحيث يمكن الاستفادة منه في فهم الحاضر والتنبؤ بالمستقبل[2]، ويعد العلم الذي يتضمن ذكر الوقائع وأوقاتها وأساليبها، ومظاهر الحضارة وازدهارها، وعوامل اضمحلالها وانهيارها، وموضوعه الإنسان والزمان معاً[3].

سارت بدايات علم التاريخ عند العرب والمسلمين في اتجاه ديني، ظهر عند أهل الحديث في صدر الإسلام، للحاجة الماسة إلى معرفة سيرة الرسول ﷺ وأقواله وأفعاله وحروبه، فاقبلوا على جمع أخبار السيرة النبوية وتدوينها، فكانت البداية للاشتغال بعلم التاريخ، فسميت بالمغازي، ويعتبر عروة بن الزبير (ت94هـ/711م) مؤسس دراسة المغازي وألّف كتاب "المغازي" فيه سيرة الرسول والصحابة، ويعد علم التاريخ من العلوم النقلية نتيجة لاتصاله الأول بعلم الحديث. لذا وجه المسلمون عناية فائقة إلى تاريخهم منذ وقت مبكر وبدءوا بتدوين أخبارهم منذ منتصف القرن الثاني للهجرة[4].

بعد علم المغازي انتقلت الكتابة من الحديث إلى التاريخ، حيث كتب ابن إسحاق أقدم سيرة والتي اختصرها ابن هشام (ت218هـ)، وحاول المسلمون الاستفادة من أخبار الأمم السابقة فظهر إخباريون استقلوا عن المحدّثين، منهم المدائني (ت215) والطبري (ت310هـ) وابن عساكر (ت571هـ) وابن الأثير (ت630هـ)[5]، ومرّ علم التاريخ بمراحل كثيرة إلى أن أصبح على ما هو عليه الآن.

المطلب الثاني: علم التاريخ زمن الموحدين

لقد ازدهر التاريخ في عصر الموحدين بما يناسب مقامهم العلمي، فظهرت طائفة كبيرة من المؤرخين في المغرب الإسلامي، فألفوا في السير والأنساب والتراجم وتاريخ الملوك

---

(1)– محمد حسين محاسنة: المرجع السابق، ص183، عبد الله نجيب سالم: المرجع السابق، ص53.

(2)– زينب رزيوي: العلوم والمعارف الثقافية بالمغرب الأوسط مابين القرنين(7و9هـ/13و15م)، أطروحة دكتوراه، جامعة جيلالي اليابس، سيدي بلعباس، الجزائر، 2016/2015م، ص274.

(3)– شوقي أبو خليل: المرجع السابق، ص478.

(4)– عبد الرؤوف زواري: المرجع السابق، ص187.

(5)– محمد حسين محاسنة: المرجع السابق، ص185.

والبلدان[1]، وتأثر عدد كبير من المؤرخين بالكتابة الأندلسية للتاريخ، نظراً لأستاذية مؤرخي الأندلس لأبناء العدوة المغربية وتداول كتبهم فيما بينهم، فظهرت مؤلفات تاريخية مغربية مثل "المعجب في تلخيص أخبار المغرب" لعبد الواحد المراكشي[2].

كما نجد الأمراء الموحدين في حد ذاتهم مؤرخين مثل المهدي بن تومرت، مؤسس الدولة، له كتاب "أعز ما يطلب"، ومؤرخ الدولة الموحدية بالبيذق أبو بكر الصنهاجي (ت555هـ/1160م) أدرك الدولتين المرابطية والموحدية، ورافق محمد بن تومرت أثناء عودته من المشرق فألّف كتاب"أخبار المهدي بن تومرت" وهي مذكرات شاهد عيان حول قيام الدولة الموحدية إلى أواخر أيام عبد المؤمن[3]، وأشهر المؤرخين في المغرب الأوسط نجد:

- المؤرخ الذي ترجم له ابن الأبار؛ حسن بن عبد الله الأشيري التلمساني (569هـ/1174م)، الذي ولد بتلمسان في عهد يوسف بن عبد المؤمن، له كتاب مختصر في التاريخ حول تاريخ الدولة الموحدية والنهاية المأساوية للمرابطين يسمى "نُظم اللآلي في فتوح الأمر العالي"[4].

-والإباضي الذي ذكره الدرجيني؛ أبو يعقوب يوسف بن إبراهيم بن مناد السدراتي الوارجلاني (ت570هـ/1174م) له كتاب في تاريخ المناطق الإباضية بعنوان "التاريخ الكبير لورجلان وسدراتة ووادي ريغ"[5] يتناول تاريخ هذه المدن ومناطقها، ومن كتب السير نجد كتاب الإباضي أبو الربيع الوسياني (ت600هـ/1203م) بعنوان"سير المشايخ"[6]، وهو معجم لترجمة حياة علماء الإباضية، كذلك يحي بن إبراهيم الورجلاني (ت.ق6هـ/12م)، له كتاب في السير"العقيدة في علم التوحيد والعلم والسير"[7].

---

[1]- محمد المنوني: المرجع السابق، ص47.

[2]- محمد عادل: المرجع السابق، ص118.

[3]- عبد المجيد النجار: المرجع السابق، ص407، رابح بونار: المرجع السابق، ص 234، محمد المنوني: العلوم والآداب والفنون، المرجع السابق، ص69.

[4]- ابن الأبار: المصدر السابق، ج1، ص218، ورابح بونار: المرجع السابق، ص234.

[5]- الدرجيني: المصدر السابق، ج2، ص312.

[6]- الدرجيني: المصدر السابق، ج2، ص335.

[7]- إبراهيم بحاز: المصدر السابق، ص154.

-وذكر الصمدي كتابا لعبد الحق الاشبيلي البجائي (ت581هـ/1185م) في السيرة بعنوان "معجزات الرسول ﷺ"[1]، ومحمد بن عبد الرحمن التجيبي (ت610هـ/1214م)، نزيل تلمسان،له كتاب" مناقب السبطين الحسن والحسين" الذي يشمل تاريخ أئمة أهل البيت طوال خمسين سنة من وفاة الرسول ﷺ إلى وصول زين العابدين إلى المدينة من كربلاء، وكتاب "مناقب شيخه أبي طاهر السلفي"[2]. وأبو الخطاب عمر بن الحسن بن دحية (ت633هـ/1235م)، له كتاب "النبراس في تاريخ خلفاء بني العباس" يسرد فيه تاريخ دولة العباسية.

-وذكر صاحب كتاب "العقد الثمين" المؤرخ جعفر بن عبد الرحمان بن جعفر الصقلي البجائي (ت644هـ/1246م)، من مؤلفي كتب الفهارس، حدّث بالمدرسة المنصورية بمكة، سمع منه الحافظ شرف الدين الدمياطي، ومن معجمه"لخصت ما ذكرت من حاله"[3]، وأبو عبد الله محمد بن الحسن التميمي (ت673هـ/1275م)، وعبد الحق الإشبيلي (ت581هـ/1185م)، له مختصر عن كتاب للرشاطي حول الأنساب من القبائل والبلاد[4].

---

[1]- الصمدي: المصدر السابق، ج1، ص207.

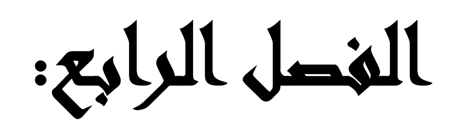
[2]- ابن الأبار: المصدر السابق، ج2، ص648.

[3]- تقي الدين الفاسي(ت832هـ): العقد الثمين، تحقيق محمد الفقي، مؤسسة الرسالة، لبنان، 1986م، ج3، ص426.

[4]- الغبريني: المصدر السابق، ص67.

خلاصة

لقد ازدهرت العلوم في عهد الدولة الموحدية خاصة العلوم الدينية ومنها علم الكلام الذي كان مذموما على عهد الدولة المرابطية، كما ازدهرت الحياة الأدبية من شعر ونثر ونحو وتاريخ، إلا أنّه لقي بعض فقهاء المالكية محنة في عهد بعض الخلفاء الموحدين، رغم ذلك استطاع المذهب المالكي الصمود والانتشار في المغرب الإسلامي، كما شهد التصوف تطورًا وتشجيعًا زمن الموحدين ممّا أدى إلى ظهور الطرق الصوفية التي أصبحت الزوايا مركزًا لنشره ومختلف العلوم الدينية. وإضافة إلى العلوم النقلية اهتم الموحدون بالعلوم العقلية التي سنوضحها في الفصل الموالي.



العلوم العقليـة في المغرب الأوسط

زمن الموحدين

المبحث الأول: علم الطب والصيدلة

المبحث الثاني: علم الفلك والنجوم والأوفاق

المبحث الثالث: الرياضيات والمنطق والفلسفة

المبحث الرابع: علم الجغرافيا والفن العمراني

المبحث الخامس: الأدوار العلمية والتربوية للمرأة زمن الموحدين

المبحث السادس: عوامل ازدهار الحركة العلمية بالمغرب الأوسط زمن الموحدين

تمهيد:

العلوم العقلية كما يبدو جلياً من اسمها، هي العلوم التي تستخدم آلية العقل في النظر والتدبر والتفكر والبحث والدرس، من أجل الاختراع والاستكشاف وتسخير الكون لخدمة الإنسان، وقد اعتنى المسلمون بالعلوم العقلية فضلاً عن العلوم النقلية، فكان لهم الفضل والأسبقية في التنظير لبعضها والتأليف فيها خاصة في المشرق الإسلامي.

وعرفنا في الفصول السابقة مدى اهتمام الموحدين في المغرب الإسلامي بالعلوم النقلية، وتشجيع أمرائهم على تعلمها، بل وإتقانها ورصد الجوائز لفحولها، فبرز علماء أفذاذ، وأدباء وشعراء كثر، فما هو موقفهم من العلوم العقلية؟ وما أهم تلك العلوم التي حظيت بعنايتهم وساهمت في ازدهار المنطقة؟ وفيم تكمن عوامل ازدهار الحياة العلمية بالمغرب الأوسط خلال عهد الموحدين؟ هذا ما سأحاول الإجابة عنه من خلال المباحث الموالية.

المبحث الأول: علم الطب والصيدلة

يعتبر الطب من العلوم التي اهتم بها الإنسان منذ القدم لأنّه مرتبط بجسده وصحته، لذلك اهتم به العلماء المسلمون منهم الموحدين خاصة خلفاءهم، فإلى أي مدى وصل اهتمامهم بهذا العلم؟ قبل بحث ذلك نتناول تعريف الطب.

المطلب الأول: الطب قبل زمن الموحدين

الطب[1] يعني الرفق وحسن الاحتيال والسحر والدأب والعادة[2]، وهو مهنة نبيلة تحافظ على صحة الإنسان من جهة، وتعالج الأمراض التي يتعرض لها المجتمع من جهة أخرى. ويقول ابن رشد:" إنّ صناعة الطب هي صناعة فاعلة عن مبادئ صادقة غايتها حفظ الإنسان"[3]، فالطب يسعى لحفظ صحة الإنسان ووقايتها وعلاجها بمختلف الأدوية والعقاقير، عن طريق تشخيص المرض. وقد عرّفه ابن خلدون أنّه صناعة تنظر في بدن الإنسان من حيث يمرض ويصح، فيحاول صاحبها حفظ الصحة وبرء المرض بالأدوية

---

(1)– الطب: لغة علاج الجسم والنّفس، وهو السحر والمَطبوب المسْحور، والطب مِن تَطبب الطبيب، والعالم بالأمور، يقال؛ هو من طِب، أي عالم وطِب، أي يتعاهد مواضع خفه أين يضعه. ينظر: ابن منظور: المصدر السابق، ج3، ص133، الفراهيدي(ت170هـ): كتاب العين، تحقيق عبد الحميد الهنداوي، دار الكتب العلمية، بيروت، 2003م، ج3، ص34.

(2)– مجمع اللغة العربية: المعجم الوسيط، مكتبة الشروق الدولية، ط4، مصر، 2004م، ص549.

(3)– ابن رشد(ت595هـ): الكليات في الطب، تحقيق عمار طالبي، دار الأمة، ط1، الجزائر، 2013م، ص31.

والأغذية بعد أن يتبين المرض الذي يخص كل عضو من أعضاء البدن وأسباب تلك الأمراض التي تنشأ ودوائها[1].

وعلم الطب هو علم بقوانين تعرف منها أحوال أبدان الإنسان من جهة الصحة وعدمها[2]، وهو فرع من فروع الطبيعيات[3]، ومن أشرف الصنائع وأربح البضائع[4]، والطبيب يرى أنّ لسعيه أثراً ولعمله غاية فتقوى همته ويزداد عزمه في إيجاد الدواء ليصل إلى علاج المرضى.

لقد حاز هذا العلم اهتمام الإنسان منذ القدم، والدليل على ذلك ما نجده في الحضارات القديمة[5]، مثل الحضارة المصرية[6]، والحضارة الهندية[7]، ومن أشهر أطباء العرب في الجاهلية ابن حذيم والحارث ابن كلده الثقفي[8] وزينب طبيبة بني أود[9]. فقبل مجيء الإسلام

---

[1]– ابن خلدون: المقدمة، المصدر السابق، ج3، ص100.

[2]– التهانوي(ت بعد1158هـ): موسوعة كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم، تحقيق علي دحرج، مكتبة لبنان، ط1، لبنان، 1996م، ج2، ص1124.

[3]– ابن خلدون: المقدمة، المصدر السابق، ص530.

[4]– زينب رزيوي: المرجع السابق، ص324.

[5]– يرى البعض أن سحرة اليمن هم الذين وضعوا أساس علم الطب، ويرى آخرون أنهم سحرة من فارس بعد سقوط الكلدانيين (612–539ق م) فوصلت إلى أوج ازدهارها وتطورت في مختلف العلوم خاصة الطب، حتى عاصرت الحضارة اليونانية فنشأت ثقافة طبية بعد دخول الإسكندر المقدوني سنة334ق م الذي حرق جميع الكتب ما عدى كتب الطب والحكمة والنجوم، حيث قام بترجمتها إلى اليونانية وبعثها إلى بلاده، مما يدل أن اليونان أخذوا الطب عن الفرس، ومن أشهر الأطباء أنذاك أندرومانس رئيس الأطباء في الأردن الذي صنع معجون الدرياق رحاب. ينظر: ابن أبي أصيبعة(ت668هـ): المصدر السابق، ص307، خضر عكاوي: الموجز في تاريخ الطب عند العرب، دار المناهل، بيروت، 2000م، ص43.

[6]– تعتبر بردية أدوين سميث(2500–3000ق.م) أقدم مخطوطة طبية وظهور التحنيط في الحضارة الفرعونية، ويختص الكهنة في معبد إله الشفاء آمنحوتب. ينظر: عبد العزيز اللبدي: تاريخ الجراحة عند العرب، دار الكرمل، عمان، 1992م، ص59.

[7]– عند الهنود اشتهر في القرن (5 ق م) عالمان في الطب هما سوشروتا وشاراكا الذي أنشأ موسوعة في علم الطب لا تزال مأخوذ بها في الهند. ينظر: ويل ديورانت: قصة الحضارة، ترجمة زكي نجيب محمود، دار الجيل، بيروت، د ت، ج3، ص202.

[8]– الحارث بن كلدة الثقفي: من أهل الطائف وطبيب العرب في عصره أحد الحكماء المشهورين، رحل إلى فارس ومارس الطب هناك، عاش أيام الرسول ﷺ والخلفاء الراشدين وأيام معاوية. ينظر: راغب السرحاني: قصة العلوم الطبية في الحضارة الإسلامية، مؤسسة إقرأ، ط1، القاهرة، 2009م، ص31.

[9]– محمد حسين محاسنة: المرجع السابق، ص207، أحمد فؤاد باشا: المرجع السابق، ص159.

كانت الممارسات الطبية في شبه الجزيرة العربية شائعة عند العرّافين عن طريق السحر، وذوي الخبرة عن طريق الكي والبتر والأعشاب، وبعد مجيء الإسلام حثّ على التّداوي والتّطبيب وحرّم السحر،[1] وأرشد القرآن إلى التداوي بالعسل فقال تعالى:﴿ يَخْرُجُ مِن بُطُونِهَا شَرَابٌ مُّخْتَلِفٌ أَلْوَٰنُهُ فِيهِ شِفَآءٌ لِّلنَّاسِ﴾[2]ونبه إلى فضل التداوي بالقرآن فقال:﴿ وَنُنَزِّلُ مِنَ ٱلْقُرْءَانِ مَا هُوَ شِفَآءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾[3].

أمّا السنّة فقد حفلت بالأحاديث التي تحض على التطبيب، منها قول الرسول ﷺ:{ تَداوُوا عِبَاد الله فإنّ الله سُبحَانه لَم يَضَع دَاء إلاّ وَضَع مَعَه شِفاء إلاّ الهَرِم}[4]، وبناءً على ما جاء في القرآن الكريم والسنّة النّبوية فلكل داء نفسي أو جسدي دواء، ماعدا الموت أو الهرم والشيخوخة، لأنّ الإنسان يقترب من الموت ويفضي إليه، إلاّ أنّ الطبيب قد يصيب الدواء المناسب ويصل إلى علاج الداء بإذن الله تعالى، وقد يخطئ في معرفة الدواء أو في تشخيص المرض فيفشل في العلاج. ومن خلال الحديث النبوي نلاحظ أنّه لا توجد أمراض مستعصية لا دواء لها إلا نادراً، فما من داء إلاّ وجعل له الحكيم العزيز دواء إلاّ أنّ الطبيب قد لا يكتشفه أحيانا.

كان الطب النبوي الشريف محل اهتمام العلماء، وجعلوه قاعدة العلاج وأُلفت فيه تآليف مفيدة منها:" أربعون حديثا في الطب النبوي" للبغدادي (ت629هـ/1231م)[5]. وقد جمع الإمام البخاري كل الأحاديث المتعلقة بالمرض والعلاج وخصهما بكتابين من الجزء السابع من البخاري[6]، وعدّه الإمام الشافعي من أشرف العلوم فقال:" لا أعلم علما بعد الحلال والحرام أنبل من الطب"[7].

---

[1]– راغب السرجاني: المرجع السابق، ص9.

[2]– سورة النحل الآية(69).

[3]– سورة الإسراء الآية(82).

[4]– ابن قيم الجوزية(ت751هـ): الطب النبوي، تحقيق عبد الغني عبد الخالق، دار الفكر، بيروت، د ت، ص08.

[5]– إبراهيم بن مراد: من مظاهر تطور الطب في بلاد الشام(ق6و7هـ)، مجلة التراث العربي، دمشق، 1985م، العدد19، ص75، ينظر كذلك محمد حسين محاسنة: المرجع السابق، ص207.

[6]– أحمد فؤاد باشا: المرجع السابق، ص162.

[7]– الذهبي(ت748هـ): المصدر السابق، ج10، ص57.

وقد نبغ كثير من علماء الطب في العالم الإسلامي حتى صار طلابه يأتون من مختلف أنحاء العالم للتعلم في مدارس ومارستنات المسلمين، فتم ترجمة ونقل مؤلفاتهم، لأنّه كانت لهم الأسبقيةُ في علم الطب وفضلٌ على مختلف البلدان.

أمّا في بلاد المغرب الإسلامي فبدأ الاهتمام بالعلوم الطبية منذ أوائل القرن الثاني الهجري عندما تولى أمر إفريقية ولاة الخلافة العباسية، ومن أوائل الأطباء السرياني يوحنا بن ماسويه المسيحي النِحلة، قدِم القيروان مع الأمير يزيد بن حاتم المهلبي سنة (155هـ/722م)[1]، كما ظهر بعد ذلك أطباء كثيرون خاصة في بلاط الحكام ومرافقة الجيوش، وقام المغاربة ببناء مارستانات(مستشفيات) لعلاج المرضى حيث كان الأغالبة سباقين في وضع أسسها، ويظهر ذلك جليا في جلبهم أحد الأطباء المشاهير ببغداد، وهو إسحاق بن عمران الإسرائيلي الذي وضع أسس المدرسة الطبية المغاربية[2]، وقام المسلمون بالإطلاع على خبرات الأمم السابقة وترجمة كتبهم ومصنفاتهم خاصة اليونانية والفارسية.

إنّ الحضارة الإسلامية -كما هو معروف- ظهرت في المشرق وتطورت ثم انتقلت إلى المغرب عن طريق الهجرة والفتوحات الإسلامية ومختلف الرحلات، وبعد ذلك تطورت العلوم خاصة علوم الطب وأنشئت مراكز ومؤسسات لتعليم الطب وعلاج المرضى، فاكتسب الأطباء الخبرة والصنعة فطوروا هذا العلم وشيدوا المدارس لتعليم هذه المهنة النبيلة وإجراء الأبحاث فضلا عن علاج المرضى ومداواتهم، فبرز كبار الحكماء وعلماء الطب.

المطلب الثاني: الطب زمن الموحدين

حظي الطب باهتمام كبير من طرف أهل المغرب الإسلامي، ولهم قدم راسخة في ذلك، وتعد علوم الطب من بين العلوم العقلية التي تدرس في حواضر المغرب الأوسط كبجاية وتلمسان وقسنطينة[3]، لأنّ الطبيب يسعى إلى إيجاد الدواء المناسب في كل الأحوال. والطب المغربي جزء من الطب الأندلسي، يعتمد زيادة على الدراسة العربية في الطب على الدراسة الإغريقية الطبية، وكان أغلب الأطباء يتقنون اللغة اللاتينية، وتوصلوا إلى معرفة الأدوية، فنبغ أطباء عملوا بالمشرق ودبروا المستشفيات، وعرّفوا أوروبا بمعطيات

---

(1)- بشير رمضان التليسي: المرجع السابق، ص489.

(2)- ابن أبي أصيبعة: المصدر السابق، ص478.

(3)- عبد لعزيز فيلالي: المرجع السابق، ج2، ص349.

جديدة في الطب[1]، كما ساهم الأطباء الأندلسيون مساهمة جليلة في تدريس هذا العلم، وعرفت الأندلس تطورًا معتبرًا في المجال الطبي لاسيما في العصر المرابطي والموحدي[2].

لقد نال الطب عناية الموحدين، وكان له دولة وصولة خاصة في عهد الخلفاء الثلاثة الأوائل؛ عبد المؤمن بن علي، وابنه يوسف، وحفيده يعقوب المنصور، فكان يوسف من عشاق الطب؛ إذ أقبل على دراسته واعتبر من رجالات الطب[3]، ويشهد على ذلك ولع يعقوب المنصور بالطب حتى لازم الطبيب أبا بكر بن زهر وجعله طبيبه الخاص وخصه بالإقامة عنده، ولم يرخص له في السفر إلى أهله فأنشد الطبيب أبياتا شعرية شوقا لولده الصغير منها:[4]

تشوقني وتشوقتــه *** فيبكي علـىّ وأبكـي عليه

وقد تعب الشوق ما بيننا *** فمنه إليّ ومني إليه

وبفضل هذه الأبيات الشعرية رقَّ إحساس الخليفة يعقوب المنصور فأمر المهندسين ببناء منزل للطبيب ابن زهر بمراكش يشبه منزله بإشبيلية، ثم أمر بنقل عياله وأولاده، وهذا ما يدل على حرص الخليفة على ملازمة عالم وطبيب جليل للاستفادة منه ومن خدماته الطبية[5]. وبفضل سياسة هؤلاء الخلفاء شهد هذا العهد نوعا من التنافس؛ وذلك بدعم تعلم الطب وتشجيع ممارسته وتوظيف الأطباء واستدعائهم إلى قصورهم، وهكذا ساهم كلا الطرفين في تطوير العلوم الطبية وازدهارها، وأُلِفت مصنفات وكتب خاصة في مجال الأمراض والأوبئة التي كانت تظهر آنذاك.

والأندلس من المناطق التي تطورت فيها العلوم خلال العصر الوسيط وفي مقدمتها علم الطب، حيث اكتسبت مهنة التطبيب منزلة سامية في المجتمع الأندلسي، فكان له تأثير في المجتمع المغربي خصوصاً بعد أن أصبحت العدوتين تحت جناح الدولة الموحدية،

---

[1]- الحسن السائح: المرجع السابق، ص229.

[2]- الغبريني: المرجع السابق، ص101، محمد الأمين بلغيث: الحركة الفكرية في الأندلس في عصر المرابطين(479-539هـ/1085-1144م)، أطروحة دكتوراه، جامعة الجزائر 02، 2003/2002م، ص 465.

[3]- عبد الله علي علام: المرجع السابق، ص361، محمد المنوني: العلوم والآداب والفنون، المرجع السابق، ص123، جمال أحمد طه: مدينة فاس في عصري المرابطين والموحدين، دار الوفاء، الإسكندرية، 2001م، ص302.

[4]- عبد الله كنون: المرجع السابق، ج1، ص135.

[5]- المرجع نفسه والصفحة نفسها.

فحدث تفاعل بينهما عن طريق الرحلات التي يقوم بها العلماء والأطباء الذين كثيرا ما تستدعيهم السلطة الموحدية، وساهموا في علاج المرضى والتدريس في البيماريستانات، فتم نقل كتبهم وخبراتهم.

يتجلى اهتمام الموحدين بالطب في إنشاء البيمارستانات[1] (مستشفيات)، حيث يخبرنا عبد الواحد المراكشي أن الخليفة المنصور بنى أكبر بيمارستان بمراكش؛ تميز بزخرفته البديعة ومياهه وأشجاره الوارفة، وأمر بثلاثين دينارًا للأدوية يوميا، ويديره أبو إسحاق إبراهيم الداني البجائي[2].

كما كان عبد المؤمن بن علي من عشاق الطب، إذ أقبل على دراسته حتى عُدّ من الأطباء، وكان له طبيب خاص من أعظم أطباء العصور الوسطى، وهو أبو بكر بن زهر (ت596هـ/1199م)، وحفيدته وابنتها كانت لديهما خبرة جيدة بمداواة النساء[3].

وكان حكامها يشجعون الطب والأطباء حيث أنشئ في عهد يوسف بن عبد المؤمن مختبر"خزانة الأشربة والمعاجين" تحت إدارة أسرة أبي يحي بن القاسم الإشبيلي بالتعاقب، ومن أبرز أطباء هذا العصر إبراهيم بن أبي الفضل بن صواب الحجري، ومن أطباء يوسف بن يعقوب الوزير أبو مروان عبد الملك بن قاسم القرطبي وابن طفيل القيسي الوادآشي[4].

إن أغلب أطباء الدولة الموحدية من أصول أندلسية، وبالتالي حدث تأثير وتأثر بين العدوتين، وتزايد عدد الأطباء في هذا العهد خاصة بعدما عرف بلاد المغرب الأوسط خلال

---

[1]- البيماريستان: هي كلمة فارسية مكونة من كلمتين هما (بيمار) بمعنى مريض أو مصاب، و(ستان) بمعنى دار، أي أنها دار المرضى، ظهرت في الدولة العباسية ثم القيروان ثم فاس ثم تلمسان، ينظر: أحمد عيسى بك: المرجع السابق، ص04.

[2]- عبد الواحد المراكشي: المصدر السابق، ص204، الصفدي: المصدر السابق، ج28، ص98، حسن علي حسن: المرجع السابق، ص410، محمد الطمار: المرجع السابق، ص167، محمد المنوني: المرجع السابق، ص92.

[3]- محمد المنوني: المرجع السابق، ص90.

[4]- جمال أحمد طه: المرجع السابق، ص303، محمد المنوني: العلوم والآداب والفنون، المرجع السابق، ص126.

القرون الوسطى تفشي الأمراض والأوبئة[1] والمجاعات[2]، ممّا أدى إلى زيادة نسب الوفيات. وللتصدي لتلك الأمراض اتخذت الدولة بصفة خاصة والمجتمع المغاربي بصفة عامة العديد من الطرق والوسائل العلاجية، منها الطرق الطبية والصيدلانية المبنية على العلم أو عن طريق طب الأعشاب المتوارث، الذي مارسه العشابون، إضافة إلى الأولياء والطرق الروحية التي انتشرت في تلك الفترة، فتم بناء مستشفيات وتنظيم مهنة الطب ووضع مؤلفات واتخاذ تدابير وقائية لمواجهة هذه الأمراض والأوبئة[3]، وقد درّسوا بأشهر كتب الطب في هذه الدولة ككتاب"القانون" لابن سينا، وابن زهر والأنطاكي والمجوسي وكتب أبقراط وجالينوس[4].

إن انتشار الأمراض والأوبئة خلال العصر الوسيط كانت من بين الأسباب التي أدت إلى الاهتمام بهذا العلم وقيام العلماء بالبحث عن الأدوية والعقاقير، فانتهى ذلك إلى تطور علم الطب والصيدلة لتكاملهما وصلتهما الوثيقة ببعض، وكان الأطباء صيادلة وعشابين[5]، فهما صنعتان متلازمتان، إذ لا يمكن فصل إحداهما عن الأخرى ولا يخلو أي مجتمع منهما[6].

المطلب الثالث: الصيدلة في المغرب الأوسط زمن الموحدين

الصيدلة هي علم الأدوية بأنواعها النباتية والحيوانية والمعدنية، وأصل الكلمة هندي معرب من لفظ "جندناني"، "جندن" هي الصندل من العطور المعروفة عند العرب للعلاج،

---

(1)– الوباء: هو مرض سببه الهواء الفاسد والعفن لكثرة العمران، فهو مرض حاد حار يتصل بالروح بدءا بواسطة الهواء ويسري في العروق فيفسد الدم. ينظر ابن خلدون: المقدمة، المصدر السابق، ص282، وينظر: سمية مزدور: المرجع السابق، ص20.

(2)– شهد المغرب مجاعات خلال هذه الفترة منها مجاعة(588هـ/1192م) التي تعرضت لها بجاية بسبب هجوم بنو غانية عليها، وفي سنة(616هـ) بسبب القحط والجفاف. ينظر: ابن عذارى المراكشي: المصدر السابق، ص181.

(3)– أحمد طه: مدينة فاس في عصري المرابطين والموحدين، دار الوفاء، الإسكندرية، 2001م، ص302.

(4)– الحسن السائح: المرجع السابق، ص220.

(5)– صادق قاسم: المرجع السابق، ص389.

(6)– أحمد سعودي: الحياة الاقتصادية والثقافية لقلعة بني حماد، مجلة هيرودوت، مؤسسة هيرودوت قالمة، الجزائر، 2021م، العدد2، مج5، ص158.

وبذلك فإنّ كلمة "جندلاني" حرفت إلى"صيدلاني" وتطلق على مزاولة العطر، ثم أطلقت على مزاولة الأدوية[1]، وتعتبر الصيدلة فرعا من علم الطب، وهو علم يبحث في العقاقير[2].

وقد استغلت النباتات والأشجار في استخدام الأدوية لعلاج المرضى، وضرب لنا صاحب كتاب "الإستبصار" على سبيل المثال شجرة تشبه الكمثري يجففون ثمرته ويتركونه يذبل، ثم يضعونه في مقلاة فخار على النار فيستخرج دهنه لعلاج الكلى[3]. والطبيب يستخدم هذه العقاقير والأدوية في العلاج، وهو ما يفسر العلاقة الوطيدة والمستمرة بين الطب والصيدلة عبر العصور.

والجدير بالذكر أنّ المحيط الفكري والثقافي الذي تميزت به بجاية خلال العصر الوسيط هيأها لأن تكون مقصد كبار الأطباء والصيادلة الذين حلّوا بها في رحلاتهم العلمية، ففي جانب الصيدلة هناك ما يؤكد استمرارية البحث الصيدلي في بجاية اعتمادًا على أعشاب جبالها، لذلك كانت وجهة العلماء والأطباء من بينهم الذين ورد ذكرهم لدى ابن أبي أصيبعة منهم؛ الصيدلي الإشبيلي ابن الرومية أحمد بن محمد بن خليل مفرج الأموي في رحلته العلمية إلى المشرق سنة (612هـ)، كما كانت محل زيارة النباتي والصيدلي المالقي ابن البيطار تلميذ ابن الرومية في رحلته العلمية سنة (617هـ)[4].

ومن الأسباب التي أدت إلى الاهتمام بعلم الطب والصيدلة في المغرب الأوسط توفر أصناف عديدة من النباتات الطبية المستعملة في تركيب الأدوية، مثل الحضض، القلونفد، وجاء في كتاب الإدريسي أنه توجد العديد من النباتات الطبية في جبال بجاية تستعمل في الطب منها: شجر الحضض، والبرباس[5]، والأسلوب الشائع في المداواة القار والكي بالنار أو باستعمال الزيت المغلى والقطران الساخن أو الفحم والصمغ، ورش المساحيق المعقمة

---

[1]– رمضان الصباغ: العلم عند العرب وأثره في الحضارة الأوروبية، دار الوفاء، ط1، مصر، 1998م، ص215، أحمد فؤاد باشا: المرجع السابق، ص186.

[2]– عقاقير: مفردها عقار مشتقة من العبرية عقار معناها أصول النبات واتسعت بعد ذلك فدلت على جميع أجزاء الأعشاب المستعملة للعلاج، وخصائصها وتركيب الأدوية وما يتعلق بها. ينظر: شحاتة فتواتي: تاريخ الصيدلة والعقاقير في العهد القديم والعصر الوسيط، أوراق شرقية، ط2، لبنان، 1996م، ص12، أحمد علي الملاء: أثر العلماء المسلمين في الحضارة الأوروبية، دار الفكر، ط2، دمشق، 1981م، ص143.

[3]– مجهول: الاستبصار، المصدر السابق، ص212، حسن علي حسن: المرجع السابق، ص412.

[4]– ابن أبي أصيبعة: المصدر السابق، ص538.

[5]– الإدريسي: المصدر السابق، ج1، ص259.

التي استخلصوها من بعض النباتات التي لها خاصية وقف النزيف، واستعملوا الضمادات[1]، وشرب العسل أو الحمية كما يقال "المعدة بيت الداء والحمية رأس الدواء"[2]، وبهذا جاء قول الرسول ﷺ:{ الشّفَاء فِي ثَلاث: فِي شرْطَة مَحْجم أو شرْبَة عَسَل أو كيّة نَار}[3].

ويخبرنا الإدريسي عن تجربته الناجعة مع إحدى هذه النباتات التي تستخدم في علاج لسعة العقارب فيقول:" في قلعة بني حماد عقارب كثيرة سود، تقتل في الحال وأهل القلعة يتحرزون منها ويتحصنون من ضررها، ويشربون لها نبات الفليون الحراني، ويزعمون أنه ينفع، درهمين منه لعام كامل، وحكى عن هذه الحشيشة أنه شربها وقد لَسَبَتْه العقرب فسكن الوجع سريعا، ثم أنه لسبتْه العقارب في سائر العام ثلاث مرات، فما وجد لذلك اللبس ألما، وهذا النبات ببلد القلعة كثير"[4]،

فسكان المغرب الأوسط اهتموا بهذا العلم من خلال البحث عن الأعشاب والعقاقير من أجل علاج الأمراض وإيجاد الدواء المضاد لها، خاصة في فترة الأوبئة والأمراض والأزمات حيث يتجه الناس إلى العطارين للأخذ بنصائحهم وما يبيعونه من أعشاب طبية طلبا للشفاء، فتطورت صناعة الأدوية، إضافة إلى ذلك طلبوا العلاج في الطب النبوي الذي يدعو للوقاية والحمية الغذائية والرقية بالقرآن الكريم والتداوي ببعض الأعشاب والحبة السوداء والعسل وغيرها مما ورد في السنة النبوية.

إنّ معظم أطباء المغرب الأوسط كانوا صيادلة من بينهم ابن أندراس (ت674هـ/1275م) الذي ورَد على بجاية سنة (660هـ) مستوطنا، كان متخصصا في صناعة الأدوية ومداواة المرضى خاصة طب النساء والتوليد، اشتغل رفقة تلميذه الغبريني الذي كان يساعده. ويعد طبيباً وباحثاً جيداً له معرفة بعلم الأدوية وأصول الدين، وله أرجوزة في أسماء الأدوية الطبية المختلفة استكملها في بجاية، وأعانه في نظم بعضها تلميذه الغبريني الذي أخبرنا بذلك في قوله:" كلفني في تنظيم بعض الأدوية على سبيل التعاون

---

[1]- بشير رمضان التليسي: المرجع السابق، ص496.

[2]- محمد الصادق عفيفي: تطور الفكر الطبي عند المسلمين، مكتبة الخانجي، القاهرة، 1976م، ص173.

[3]- الألباني: مختصر صحيح البخاري، مكتبة المعارف، ط1، الرياض، 2002م، باب الشفاء، رقم5680، مج4، ص13.

[4]- الإدريسي: المصدر السابق، ص109.

فنظمت له بعضها"[1]. وقد ساهمت في نجاح تجربة العالم والطبيب ابن أندراس عدة عوامل من بينها الظروف الملائمة لمزاولة نشاطه الطبي في بجاية، خاصة توفرها على أنواع النباتات والأعشاب الطبية التي تصلح لعلاج المرضى، إضافة إلى تشجيع حكامها وأهلها على ذلك.

وينبئنا بعض المؤلفين كابن جلجل الأندلسي في مؤلفه "طبقات الأطباء والحكماء" أنّ الأطباء كانوا لا يتقاضون أجراً من المريض إلا بعد أن يشفى تماما[2] خلافا لما عليه الحال اليوم. إضافة إلى ذلك هناك دور الأولياء في العلاج حيث كانت الرّقية تستعمل لعلاج بعض الأمراض الوبائية[3]، وتعتبر العلاج الروحي والنفسي عن طريق القرآن والأدعية النّبوية.

وأثمر ذلك كله ولادة مؤلفات طبية خلال هذا العهد، وعلماء وأطباء كثر من المسلمين وأهل الذمة على حد سواء، وأصبح يدرس هذا العلم في مختلف المؤسسات العلمية، وما يؤكد استمرارية وتطور هذا العلم هو بناء البيماريستانات والمدارس التي بقيت ماثلة خلال العصر الوسيط، ومن بين علمائه في الطب:

-ابن أبي المليح (قبل561هـ/1166م) طبيب من الكتاب الشعراء، له مقطعات وقصيدة عيدية في الأمير عبد الله بن العزيز الحمادي يصف جنائبه وقضاءه حق العيد وواجبه، اشتهر كثيراً في الطب لكن لم نعثر له على ترجمة وافية في المصادر المتاحة.[4]

-ومن أهم أطباء المغرب الأوسط الذين ذكرهم ابن أبي أصيبعة؛ أبو جعفر عمر بن علي بن بذوخ القلعي (ت576هـ/1180) من قلعة بني حماد، له اعتناء بعلم الحديث والكتب الطبية، خبير في صناعة الأدوية وتركيبها، منها المفردة والمركبة من المعاجين والأقراص والسّفُوفات[دواء يابس غير معجون]، وله حسن النظر في الاطلاع على الأمراض ومداواتها، أقام بدمشق كثيرًا له دكان عطر فيها، يعالج من يأتي إليه، ألّف كتابًا في الطب

---

[1]- الغبريني: المصدر السابق، ص75، ابن الطواح: المصدر السابق، ص234.

[2]- بشير رمضان التليسي: المرجع السابق، ص497.

[3]- الحسين بن محمد الورثلاني: نزهة الأنظار في فضل علم التاريخ والأخبار، منشورات معهد تاريخ العلوم العربية والإسلامية، ط2، الجزائر، د ت، ج1، ص14.

[4]- عادل نويهض: معجم أعلام الجزائر، المرجع السابق، ص317، عبد الحليم عويس: المرجع السابق، ص270.

بعنوان "حواشي على كتاب القانون"[1] وكتب ملاحظات على كتاب ابن سينا، كان عمله مداواة العامة من النّاس في دكانه الخاص حتى وفاته بدمشق[2].

-وأبو عبد الله محمد بن عبد الله بن حامد البجائي المعروف بابن النباش(ت ق7هـ)، طبيب وعالم من أهل بجاية رحل إلى الأندلس وسكن مرسية، جاء في كتاب ابن أبي أصيبعة أنّه اعتنى بصناعة الطب وواظب على علاج المرضى، مشارك في سائر العلوم الحكمية منها الطبيعية[3].

-والطبيب أحمد بن عتيق بن الحسن بن زياد بن جرج (ت601هـ/1204م)[4]، جاء في التكملة لكتاب الصلة أنّه "من أَهْل بلنسية وَأَصله من المرية، يعرف بالذهبي ويكنى أَبَا جَعْفَر وَأَبا الْعَبَّاس، أَخذ الْقرَاءَات عَن أبي عَبد اللَّه بن حُمَيْد والعربية والآداب عن أبي محَمَّد عبدون وله سَماع من ابن النِّعمَة وابن حُبَيْش وابن مضاء وغيرهم، وأجاز له أبو الطَّاهِر بن عوف وأبو عبد اللَّه بن الحضْرميّ، ومال إلى العلوم النظرية فمهر في كلّ فن منها وشارك في جميعها واقتدر على تحصيلها في أقرب مدّة وكان في الذكاء والفهم وحسن الاستنباط والغوص على دقائق المعاني آية من آيات اللَّه تعالى ومن تواليفه كتاب "الإعلام بفوائد مسلم للمهدي الإمام وكتاب "حُسن العبارة في فضل الخلافة والإمارة" وقيدت عنه في الفقه وغيره فتاو بديعة وجوابات حسنة ولم يخل من نظم زان به علمه ونال بخدمة السّلطان دنيا عريضة ورأس نظراءه من الطَّلبة، وقد حدَّث بِيَسير وأقرأ العربيَّة وأخذ عنه وتُوفّي بتلمسان قَاصدًا في جيش المغرب إفريقية وذلك في شوَّال سنة إحدى وستمائة"[5].

-أبو عبد الله محمد بن محمد بن أبي بكر المنصور القلعي (ت660هـ/1265م)، فقيه مالكي، عالم بالفرائض والحساب، من أهل قلعة بني حماد، وبها نشأ وتعلم، ثم انتقل إلى بجاية واستوطنها إلى أن توفي سنة (660هـ)، ترجم له الغبريني في عنوان الدراية فقال:" كان له علم بالفقه والفرائض علما وعملا، وكان له علم بالحساب سبق فيه الأوائل، وله

---

[1]- ابن أبي أصيبعة: المصدر السابق، ص268، عادل نويهض: معجم أعلام الجزائر، المرجع السابق، ص362.

[2]- ابن أبي أصيبعة: المصدر السابق، ج2، ص157، عادل نويهض: معجم أعلام الجزائر، المرجع السابق، ص362.

[3]- ابن أبي أصيبعة: المصدر السابق، ص497، عادل نويهض: معجم أعلام الجزائر، المرجع السابق، ص328.

[4]- علي بن سعيد: المغرب في حلى المغرب، تحقيق شوقي ضيف، دار المعارف، ط4، القاهرة 2009م، ص321.

[5]- ابن الأبار: المصدر السابق، ج1، ص85.

طريق في الفرائض، ولم يكن ببجاية في وقته أحد يريد قراءة هذا العلم إلا قرأه عليه، وكان يقصد من البلاد لقراءة هذا العلم عليه"[1].

-والطبيب المعروف شهاب الدين أحمد بن يوسف التيفاشي من سوق أهراس (651هـ/1253م)، يقال تيفاش قرية من قرى قفصة إحدى بلاد إفريقية، ينحدر من بيت علم ومجد، فجدّه أحمد كان كاتباً لأمير قفصة المعتز بن الوند، وكان أبو العباس قاضي قفصة، شيخاً حسناً فاضلاً، عارفاً بالأدب وعلوم الأوائل، وله تفسير القرآن يغلب عليه القصص، وله شعر حسن، ونثر جيد، ومصنفات حسنة في عدة فنون كثيرة الفائدة منها: كتاب"نزهة الألباب فيما لا يوجد في كتاب" جمع فيه نوادر أخبار وأشعار وفوائد شريفة، وأخبار منيفة وما وقع في المشرق والمغرب خلال ذلك الزمان وصفات أصناف البشر، كتاب "الدرة الفائقة في محاسن الأفارقة" و"أزهار الأفكار في جواهر الأحجار" يتضمن وصف الأحجار الكريمة المعدنية والحيوانية، ورصيد أهل اليسار وأهل السلطة من الثروة، وله اهتمام بالطب وله كتاب"الوافي في الطب الشافي"، مات بالقاهرة[2] إلاّ أنّ أغلب مؤلفاته على شكل مخطوطات أو في حكم المفقود.

-الطبيب الذي ترجم له ابن الأبار؛ أبو الحسن علي بن موسى بن محمد بن شلوط الشبارتي البلنسي التلمساني (ت610هـ/1213م)، من أهل بلنسية، سكن تلمسان وكان محدثاً عدلاً محترفاً بالطب ماهراً فيه، له شرح كتاب سيبويه، وشرح كتاب الجمل للزجاجي، وكتاب الرد على أبي زيد السهيلي[3]، لذلك وجمع بين عدة علوم منها الطب والحديث ومختلف العلوم الدينية.

-وطبيب الخليفة الناصر والمستنصر ثم المتوكل؛ محمد بن سحنون الندرومي (ت634هـ/1237م)[4]، نسبه الغبريني إلى تلمسان، ولد بقرطبة وانتقل إلى إشبيلية، درس الطب على يد ابن رشد، كان طبيباً وعالماً في اللغة وأسرارها، وهو الذي اختصر مستصفى الغزالي،

---

[1]- الغبريني: المصدر السابق، ص266.

[2]- الصفدي: المصدر السابق، ج8، ص188، الحسني: المصدر السابق، ج1، ص274، عبد الحميد حاجيات: تاريخ الجزائر، المرجع السابق، ج3، ص346، أحمد التيفاشي(ت651هـ): كتاب نزهة الألباب فيما لا يوجد في كتاب، تحقيق جمال جمعة، دار رياض، ط1، لندن، 1992م، ص156.

[3]- ابن الأبار: المصدر السابق، ج2، ص676، عبد القادر بوباية، إسهام العلماء، المرجع السابق، ص165.

[4]- ابن أبي أصيبعة: المصدر السابق، ص537، عادل نويهض: المرجع السابق، ص330.

انتقل آخر حياته لخدمة بني هود[1]، عاش أواخر عهد الدولة الموحدية وقد جمع بين عدة علوم منها الطب والفقه والأدب مما أهله لنيل مناصب مرموقة في الدولة الموحدية فكان من أطبائها البارعين، كما ستأتي ترجمته في الفصل الموالي.

-أستاذ الغبريني الطبيب أبو القاسم محمد بن أحمد بن محمد الأموي المرسي بن أندراس البجائي (ت674هـ/1275م)[2] الفقيه الحكيم من مرسية، دخل بجاية سنة (660هـ/1260م) جلس بها لتعليم الطب واختص بصناعة الأدوية ومداواة المرضى خاصة طب الولادة، قام بدور كبير في توسيع دائرة النشاط والبحث العلمي في النباتات الطبية وصناعة الدواء خاصة أنّ جبال زواوة في بجاية توفرت على كثير من النباتات المنتقع بها في الطب مثل شجرة الحصص والباربريس، ويعتبر من أشهر أطباء المستنصر، له رجز نظم فيه بعض الأدوية استكمله ببجاية، كلف تلميذه الغبريني بنظم بعض الأدوية على سبيل التعاون، توفي بتونس[3].

-أبو عبد الله محمد بن يحي بن عبد السلام (ق7هـ/13م)، فقيه وكاتب بارع في الأدب وطبيب، أصله من دلس، سكن بجاية وولي القضاء في بعض كورها، كان له حظ في علم الطب علمية وعملية، مزاولاً ومعالجاً، له خط بارع وكتابة وأشعار مطولة ومختصرات رائعة، حيث أشار الغبريني إلى عدة أبيات ومقطوعات شعرية له[4].

-ولم يغفل الغبريني عن ذكر الطبيب المخضرم (عاش الفترة الموحدية والحفصية) والفقيه الأصولي عبد الله أبي العباس أحمد بن خالد المالقي (ت660هـ/1262م) من أهل مالقة، قرأ بالأندلس ثم مراكش، جلس للإقراء ببجاية كانت له تدخلات طبية بالإضافة إلى دراسة العلوم الدينية والمنطق، مات ببجاية ودفن بباب أمسيون[5].

---

[1]- الغبريني: المصدر السابق، ص100، محمد الطمار: المرجع السابق، ص167، محمد المنوني: العلوم والآداب والفنون، المرجع السابق، ص128، عادل نويهض: معجم أعلام الجزائر، المرجع السابق، ص330.

[2]- الغبريني: المصدر السابق، ص75، رشيد مصطفاوي: بجاية في عهد الحماديين، مجلة الأصالة، مطبعة البعث، قسنطينة، الجزائر، 1971م، العدد1، ص89.

[3]- الغبريني: المصدر السابق، ص77، مفتاح خلفات: المرجع السابق، ص206.

[4]- الغبريني: المصدر السابق، ص341.

[5]- المصدر نفسه، ص73، عمار عمورة: موجز تاريخ الجزائر، دار الريحان، ط1، الجزائر، 2002م، ص26.

-أبو إسحاق إبراهيم الداني البجائي كان أمين البيمارستان خلال القرن السابع هجري بمراكش وطبيبه بالحضرة، ووالده أبو محمد الذي قتل في معركة العقاب، وتوفي الداني في مراكش في دولة المستنصر بن الناصر[1]، كما ذكر ابن أبي أصيبعة الطبيب جمال الدين الزواوي (ت684هـ/1284م) الذي كان طبيباً متمكناً لكن شهرته في ميدان القضاء كانت أكثر منها في الطب[2].

إن أغلب أطباء هذا العصر كان لهم دور في تخصصات أخرى، فالتخصص لم يكن معروفًا آنذاك، حيث نجد الفقيه أديبًا، والشاعر طبيبًا، والصوفي عالمًا رياضيًا وفقيهًا، والطبيب صيدليا وفقيها[3]، حيث درجوا على الجمع بين عدة علوم خاصة العلوم الدينية مع بعض العلوم الأخرى كالطب والعلوم الأدبية.

كانت بجاية على الأرجح محل زيارة من قبل النباتي والصيدلي المالقي ابن البيطار تلميذ ابن الرومية، وكان يجتمع بأهل الاختصاص من علماء النبات المغاربة ويعاين النباتات الطبية[4]، وقد لعبت بجاية دوراً في إمداد أوروبا بالعلم والطب، حيث استفادوا من التجربة العربية عامة وبجاية خاصة[5]، وأغلب أطباء الدولة الموحدية من أصول أندلسية أو درسوا بها، لأنّها كانت أكثر تطوراً في مجال العلوم الطبية.

ورغم ذلك فإنّ أبا القاسم سعد الله يرى أنّ الطب في المغرب الأوسط وخلال القرن السابع الهجري كان في وضع مزر، ومن أشد الصنائع ضياعا، حيث كان يعاني من ادعاء كثير من الناس معرفتهم له، ويدعم ذلك بمفاد قول الغبريني بأنّ صناعة التطبيب تعرضها الغث والسمين ولا يقع التمييز بينهما إلاّ عند القليل من الناس.[6] كما لم يحظ علم الطب في المغرب الأوسط بالتأليف؛ لأن أغلب الأطباء اهتموا بالجانب العملي أكثر من الجانب النظري[7].

---

[1]- محمد المنوني: العلوم والآداب والفنون، المرجع السابق، ص131.

[2]- ابن أبي أصيبعة: المصدر السابق، ج4، ص237.

[3]- محمد بن أحمد بن شقرون: المرجع السابق، ص193، نجاة بلعباس: المرجع السابق، ص84.

[4]-ابن أبي أصيبعة: المصدر السابق، ج4، ص601.

[5]- مريم معلاش: المرجع السابق، ص64.

[6]- الغبريني: المصدر السابق، ص76.

[7]- أبو القاسم سعد الله: المرجع السابق، ج1، ص103.

وعلى كل فإنّ أسباب قلة تطور الطب والصيدلة في المغرب الأوسط تعود إلى قلة الوسائل والأسس العلمية والنظام الخاص بهذا العلم وندرة التأليف فيه، كذلك الاعتماد على الجانب التطبيقي والمتمثل في علاج المرضى دون تدوين مراحل العلاج وأسباب المرض وطرق تحضير الأدوية، ورغم ذلك فإن إسهامات المغاربة والأندلسيين في علم الطب كان متميزًا.

المبحث الثاني: علم الفلك والنجوم والأوفاق

علم الفلك يعنى بالكون والأجرام السماوية وما يحدث خارج نطاق الغلاف الجوي وانعكاسه على سيرورة الحياة في كوكب الأرض، ولهذا يتوخى استشراف الأحداث الفلكية المستقبلية ورصد الأحوال الجوية كالطقس والزلازل والأعاصير وغيرها من الظواهر، ويعطي نتائج دقيقة كلما كانت الوسائل المستخدمة متطورة، محل اهتمام الدول منذ القدم.

المطلب الأول:علم الفلك والنجوم

كلمة فلك في اللغة جمعها أفلاك وردت في المعاجم بمعنى مجرى النجوم، وهو كل شيء مستدير[1]، فالفلك يطلق على الجسم المستدير وعلى سطح الكرة وسطح الدائرة ومحيطها[2]، وهو جسم كروي يحيط به سطحان ظاهري وباطني متوازيان مركزهما واحد[3].

والفلك اصطلاحًا الدراسة العلمية للأجرام السماوية، أي دراسة الأجسام والمواد الموجودة خارج الغلاف الجوي مثل النجوم والكواكب والمذنبات والمجرات ودراسة خصائصها الفيزيائية والكيميائية[4]. فهو العلم الذي يسهل معرفة مواقع النجوم ومختلف الكواكب وأثرها في الحياة اليومية للإنسان والتنبؤ بما يمكن أن يحدث فلكيا مستقبلا، بما فيها معرفة الأيام والشهور والسنوات.

يرى ابن خلدون أنّعلم الفلك من العلوم التي تستهوي النّفس وتثير غريزة حب الاطلاع لما يكتنفه الغموض، والنّفس بطبيعتها متطلعة إلى اكتشاف الغامض، وعلم النجوم يجري وراء محاولة كشف المستقبل، وهذا ما تصبو إليه النفس علميا[5]، ويسميه ابن خلدون علم الهيئة، أما الخوارزمي يسميه التنجيم، وباليونانية اصطرنوميا (اصطر هو النجم ونوميا هو

---

(1)– ابن منظور: المصدر السابق، ص323.

(2)– مؤيد الدين العرضي(ت664هـ): تاريخ علم الفلك العربي، تحقيق جورج صليبا، مركز دراسات الوحدة العربية، ط1، لبنان، 1999م، ص29.

(3)– الغزالي: معيار العلم في المنطق، شرح أحمد شمس الدين، دار الكتب العلمية، ط1، لبنان، 1990م، ص293.

(4)– إيمان نايل عبيد: جهود العرب والمسلمين في علم الفلك، مجلة أفكار، سوريا، 1990م، العدد14، ص81.

(5)– ابن خلدون: العبر، المصدر السابق، ج6، ص469.

العلم)، وهو من أقدم العلوم التي عرفها الإنسان؛ عرف عند اليونانيين والهنود، وعند العرب قبل الإسلام[1].

وجاء عند ابن خلدون أنّه:" العلم الذي ينظر في حركات الكواكب الثابتة والمتحركة والمتحيرة، ويستدل بكيفيات تلك الحركات على أشكال وأوضاع للأفلاك لزمت عنها لهذه الحركات المحسوسة بطرق هندسية"[2]. فابن خلدون ربط هذا العلم بحركة الكواكب وأشكالها ومختلف تحركاتها التي تعبر عن مسائل معينة.

ويرى المطيعي أنّه علم يبحث فيه عن أحوال الأجرام السماوية من حيث حركتها ومناظرها مفردةً ومجملة، وما يعرض لها كذلك من المقارنة والمقابلة، والتثليث والتسديس، وكيفية سيرها ومقدار حركاتها وارتفاعها وانخفاضها، وما مضى من الليل والنهار، والأطوال والعروض، ونحو ذلك مما حواه علم الزيج والاصطرلاب[3] (صورة11)، والربع المجيّب والمقنطر، وما يتعلق بالشهور والسنين وفصولها، والكسوف والخسوف، وكل ما يحدث لتلك الأجرام مفردة ومجملة، وعن علل تلك الحوادث وقواعدها، وعما يوصل إلى معرفة تلك الحوادث وعللها وقواعدها بالآلات والأرصاد والحساب[4]، فهو يدرس كل ما يتعلق بالأجسام الموجودة خارج الكرة الأرضية والتنبؤ بما سيحدث في المستقبل عن طريق حركة هذه الأجسام.

اهتم العرب بهذا العلم في الجاهلية وبعد الإسلام؛ وذلك بمعرفة حركات الكواكب والنجوم والتنجيم. وقد ارتبط علم الفلك بحساب حركة الأفلاك والنجوم وتحديد أوقات الصلاة،

---

[1]- إن علم الفلك موجود منذ العصور القديمة قبل مجيء الإسلام وغالبا ما يستعمل في التنجيم ومعرفة الغيبيات، وظهر هذا العلم في الحضارات القديمة حيث اشتغل المصريون القدماء بالفلك في أول الأمر لمعرفة الزمن الذي يبدأ فيه فيضان النيل، فحسبوا السنين بالشمس لما أدركوا أن فيضان النيل مرتبط بالشمس والفصول، وكانوا قبل ذلك يحسبون السنين بالقمر وعرفوا المزاولة(الساعة الشمسية)، كذلك بالنسبة للبابليين اهتموا برصد الكواكب والنجوم وحسبوا قران الزهرة بالشمس، ووضع الكلدانيون جداول الأرصاد، والهنود من خلال الكتاب الذي ترجمه العرب "السند هند" للفلكي"براهما جوبتا" حول تحركات الأجرام السماوية. ينظر: محمد محاسنة: المرجع السابق، ص202، أحمد فؤاد باشا: المرجع السابق، ص94.

[2]- ابن خلدون: العبر، ج6، المصدر السابق، ص641.

[3]- الإصطرلاب: أصله يوناني هو آلة ميزان الشمس يستفاد بها كثير من الأمور المتعلقة بالنجوم، كارتفاع الشمس ومعرفة الطالع والقبلة. ينظر: عبد الله نجيب سالم: المرجع السابق، ص133.

[4]- المرجع نفسه، ص130.

وموضع القبلة في كل بلد مسلم والحج ما يعطي لهذا العلم أبعاداً دينية[1]، لأنه كان على المسلمين معرفة الوقت والاتجاهات من أجل الصلاة فسمي علم الميقات أو علم الوقت الذي كان يطبق عن طريق الحساب الرياضي لتحديد الوقت بدقة ومعرفة الاتجاهات الجغرافية، وكانوا يستخدمون طول الظل وعلاقته بارتفاع الشمس، وقد بدأ التقويم الإسلامي من يوم هجرة الرسول ﷺ سنة (622م)، كما يعود التطور العلمي للرياضيات إلى القرآن الكريم وما ورد فيه من أحكام شرعية في تقسيم التركة.

أمّا بالنسبة للمغرب الأوسط فقد ذكر البكري (ت487هـ/1094م) أنّ المغاربة أقبلوا على هذا العلم، وأنّ أكثر قبائل تلمسان فرسان لهم معرفة بارعة وحذق وكياسة لاسيما بعلم الكتف[2]، ومعروف إلى يومنا هذا عند العامة قولهم:" يأكل اللحم ويفتش عن الهمّ" أي توقع المستقبل من خلال قراءة خطوط كتف الحيوان من جدب وحروب وغيرها بعد أكل لحمه.

وقد استعان العلماء بمؤلفات الحضارات القديمة في هذا المجال خاصة الهندية والفارسية واليونانية، وذلك عن طريق الترجمة والشرح للوصول إلى غايات وأفكار جديدة، فألفوا حوله المصنفات التي تشرح مختلف القوانين والنظريات الفلكية واستعملوا المراصد، كما دعت حاجة أهل المغرب الأوسط لضبط الأحكام في حياتهم اليومية وتدوين المصاريف واستخلاص الضرائب، وضبط أوقات الصلاة وما يرتبط بالشعائر الدينية كالصيام والحج والأعياد والميراث.

ومن الكتب المتداولة في المغرب الأوسط نجد كتاب "البارع في أحكام النجوم" الذي نقل إلى الإسبانية واللاتينية، يتحدث عن تحقيقات فلكية وتواريخ ميلاد وحوارات حول الأبراج الفلكية وسمات الكواكب، وكتاب "أرجوزة في الأحكام الفلكية" لعلي بن أبي الرجال التاهرتي

---

[1]– محمد عليلي: المرجع السابق، ص420، أحمد فؤاد باشا: المرجع السابق، ص94.

[2]– علم الكتف: علم يبحث في الخطوط والأشكال التي ترى في أكتاف الضأن والمعز إذا قوبلت بشعاع الشمس من حيث دلالتها على أحوال العالم الأكبر من الحروب والخصب والجدب، قلما يستدل بها على أحوال جزئية للإنسان، حيث يؤخذ لوح الكتف قبل طبخ لحمه ويلقى على الأرض ثم ينظر فيه فيستدل بأحواله من الصفاء والكدر والحمرة والخضرة إلى الأحوال الجارية في العالم. ينظر: نصيرة عزرودي: تطور علم الفلك في المغرب الأوسط خلال الفترة الوسطى، أطروحة دكتوراه، جامعة جيلالي اليابس، سيدي بلعباس، الجزائر، 2016/2017م، ص62، نقلا عن حاجي خليفة: كشف الظنون، المرجع السابق، ج1، ص141.

الذي يتحدث عن وحدات زمنية ترتبط بالنجوم والأجرام السماوية وتحدد مسار الحياة البشرية[1].

لقد اهتم الموحدون بعلم التنجيم، ففي بداية عهدهم كان ابن تومرت من أئمة هذا العلم المعدودين في عصره، فقد اختار تلميذه عبد المؤمن بن علي واصطفاه من بين التلاميذ ليكون خليفته طبقا لنتائج علم التنجيم[2]، وعندما التقى به عرفه بالعلامات التي كانت عنده، حيث كان ابن تومرت أوحد عصره في علم خط الرمل، ووقع بالمشرق على ملامح من عمل المنجمين من بعض خزائن خلفاء بني العباس[3].

كما قام الخليفة أبو يعقوب المنصور (ت595هـ/1199م) بجمع الكتب الأندلسية الخاصة بعلم أحكام النجوم، ونشرها في سائر بلاده، وكان الخليفة يعقوب المنصور معتنيا بالعلم والعلماء مولعاً بعلم التنجيم وبلغ فيه شأنًا كبيرًا، فأمر بإقامة مرصد فلكي وهو برج عالٍ بجامع إشبيلية الأعظم لرفع الآذان ورصد النجوم وتتبع حركة الأجرام السماوية، والذي يعتبر أول مرصد بأوروبا، ووضع فيه أزياج فلكية عن كسوف الشمس[4].

أغلب الخلفاء اهتموا بهذا العلم لأنّ الإسلام دعا إلى إيجاد طرق لاستعمال النّجوم، حيث قال تعالى:﴿ وَهُوَ ٱلَّذِي جَعَلَ لَكُمُ ٱلنُّجُومَ لِتَهۡتَدُواْ بِهَا فِي ظُلُمَٰتِ ٱلۡبَرِّ وَٱلۡبَحۡرِۗ قَدۡ فَصَّلۡنَا ٱلۡأٓيَٰتِ لِقَوۡمٖ يَعۡلَمُونَ﴾[5]، لأنّ علم الفلك له بعد ديني في بعض المسائل مثل معرفة أوقات الصلاة التي تختلف حسب الموقع ومعرفة اتجاه القبلة، ومواقيت الصلاة والصيام والحج، وهذا حسب حركة الكواكب، وقد ميز المسلمون بين علم الفلك والتنجيم واعتبروا التنجيم مرتبطا بعلم الغيب الذي يعد من الشرك وقد حرمه الكثير من العلماء منهم ابن خلدون. وبرز بالمغرب الأوسط فلكيون ومنجمون منهم:

---

(1)– عبد الحليم عويس: المرجع السابق، ص271.

(2)– عبد الواحد المراكشي: المصدر السابق، ص 116، عبد الله علي علام: المرجع السابق، ص358.

(3)– عبد الواحد المراكشي: المعجب، المصدر السابق، ص116.

(4)– عبد الله علي علام: المرجع السابق، ص355، محمد المنوني: المرجع السابق، ص78.

(5)– سورة الأنعام الآية(97).

–العالم أبو العباس محي الدين أحمد بن علي بن يوسف القرشي البوني[1] (ت622هـ/1225م) الصوفي من أعيان علماء المغرب الأوسط، تخصص في علم التنجيم والطلاسم والرموز، وعلم الحروف والخواص والكهانة وعلم الغيب والعلاج بالروحانيات، اشتهر بكتابه "شمس المعارف الكبرى ولطائف العوارف"، ومن مؤلفاته كذلك كتاب "سير الحكيم" وكتاب "اللمعة النورانية"، وهو كتاب صوفي روحاني ذو مسحة سحرية، يتوفر على أنواع الأدعية والأذكار التي تُحصن الفرد وتحميه، كأنّه تتمة للكتاب السابق، و"شرح اسم الله الأعظم" و"رسالة سير الكريم" و"تحفة الأحباب ومنية الإنجاب"، توفي بالقاهرة ودفن بالقرافة.[2] ولم تورد المصادر وصفًا دقيقًا لحياته ربما لاتخاذهم موقفاً سلبياً من كتبه، حيث يرى بعض العلماء منهم الشيخ محمد بن شمس الدين أنّ أغلب السحرة تربوا على كتابه.

ومن علماء الفلك كذلك أبو عبد الله محمد بن علي الطائي الحاتمي الشهير محيي الدين بن عربي المرسي، البجائي موطنا، والذي سبقت ترجمته، له كتاب في علم الفلك "جامع مواقع النجوم ومطالع أهلة الأسرار والعلوم"[3]، وهو كتاب في التصوف يبحث في المنازل التي يتبوأها المريدون والسالكون في طريقهم إلى ربهم أثناء استكمالهم طريقتهم الشريفة، حيث شرح هذه المنازل بالتفصيل ليسهل على القارئ فهم المقصود.

–الفلكي ابن أبي حجلة التلمساني (ت776هـ/1375م) أحمد بن يحيى بن أبي بكر بن عبد الواحد، الشيخ شهاب الدين أبو العباس المغربي المصري الحنفي، الشهير بابن أبي حجلة، كان إمامًا بارعًا عالمًا فقيهًا أديبًا شاعرًا، مولده بالمغرب بتلمسان بزاوية جده الشيخ أبي حجلة في سنة ست وعشرين وسبعمائة تقريبًا، ونشأ بالمغرب ثُمّ قدِم القاهرة وتولى بها مشيخة مدرسة الأمير منجك اليوسفي، ودرس وأفاد، ومهر في عدة علوم، وغلب عليه الأدب، وقال الشعر الجيد، وصنّف ودوّن، ومصنفاته كثيرة تبلغ ستين مصنفًا: من ذلك كتابه "ديوان الصبابة"، وكتاب "سكردان السلطان" الذي أهداه إلى سلطان مصر المملوكي حسن بن الناصر قلاوون، مخطوط "منطق الطير" الذي صرّح فيه بأنّ مقاماته التي عارض بها

[1]– سمي البوني نسبة إلى مدينة بونة(عنابة) التي تقع في الشرق الجزائري على الساحل على مسافة 600كم شرق الجزائر العاصمة. ينظر: إسماعيل العربي: المدن المغربية، المؤسسات الوطنية للكتاب، الجزائر، 1984م، ص196.

[2]– عبد الرحمن الجيلالي: المرجع السابق، ص75، عادل نويهض: معجم المفسرين، المرجع السابق، ص759.

[3]– الغبريني: المصدر السابق، ص167.

الحريري بلغت سبعًا وعشرين مقامة، وله خمسة دواوين في مدح الرسول ﷺ، صاحب كتاب "النّهر في أعمدة البحر"[1].

لقد عثر على زيج[2] في المغرب الأوسط منسوب للمنجم الشهير علي بن أبي الرجال القيرواني بعنوان"حل العقد وبيان الرصد" ألّفه في القرن (6هـ/11م)[3]، ورغم ذلك فإنّ اهتمام المغاربة بهذا العلم قليل خاصة من ناحية تأليف الكتب، ولعلّ ذلك يعود إلى نظرتهم إليه نظرة التنجيم المحرم والزندقة، كما يمكن أن يعود ذلك إلى ضياع وإهمال الأسماء والكتب التي اشتغلت به نظرًا لطول المدة التي تفصل بيننا. وعلم الفلك والنجوم كانت له أهمية لدى علماء المغرب الأوسط، لكن بنسبة قليلة مقارنة بالعلوم الأخرى، ورغم ذلك أدى دورًا هامًا في حياتهم اليومية والعلمية.

المطلب الثاني: علم الأوفاق

علم الأوفاق عبارة عن علم الحروف، مرتبط بالأعداد والحساب؛ وهو علم قائم على مربعات تتكون من خانات مثل الشطرنج في كل منها رقم أو حرف[4]، من علمائه الفقيه البوني محي الدين أبو العباس أحمد بن علي (ت602هـ/1205م) يقول:" أعلم أنّ للأعداد أسرارًا كما أنّ للحروف آثارًا، عالم الكرسي يمد فلك زحل، وفلك زحل يمد فلك المشتري، وفلك المشتري يمد فلك المريخ"[5]، فهو من المشتغلين بأسرار الحروف ووضع قواعد هذا العلم وتحديد أدعيته، والراجح كون كتبه أقرب إلى السحر.[6]

---

[1]- ابن تغري بردي(ت874هـ): المنهل الصافي والمستوفى بعد الوافي، تحقيق محمد أمين، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر، د ت، ج3، ص350.

[2]- علم الأزياج: كلمة فارسية تعني خيط البناء، وهو علم تعرف منه مقادير الكواكب السيارة وحركتها ومواضعها، وهو صناعة حسابية على قوانين عددية فيما يخص تركيب كل كوكب عن طريق حركته، ويعرف بها مواضيع الكواكب في أفلاكها من خلال القوانين المستخرجة من كتب الهيئة، ينظر: ابن الأكفاني(ت749هـ): إرشاد القاصد إلى أسنى المقاصد في أنواع العلوم، تحقيق عبد المنعم محمد عمر، دار الفكر العربي، القاهرة، د ت، ص205، ابن خلدون: العبر، المصدر السابق، ج2، ص307.

[3]- نصيرة عزرودي: المرجع السابق، ص47.

[4]- المرجع نفسه، ص155.

[5]- البوني محي الدين أبو العباس(ت602هـ/1205م): شمس المعارف الكبرى، المكتبة الثقافية، لبنان، د ت، ص5.

[6]- نصيرة عزرودي: المرجع السابق، ص159.

ويرى ابن خلدون أنّ علم أسرار الحروف الذي يسمى السيميا (العلامة) نقل من الطلسمات خاصة لدى أهل التصرف من المتصوفة[1]، لذلك لم يظهر في عهد الصحابة والتابعين وتابعي التابعين، إنّما ظهر لدى غلاة المتصوفة، لذلك أفتى أغلب العلماء بعدم جوازه وأنّه من ضروب الدجل وإدعاء معرفة الغيب ولا يعلم الغيب إلا الله تعالى حيث قال:﴿قُل لَّا يَعْلَمُ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ٱلْغَيْبَ إِلَّا ٱللَّهُ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ﴾[2].

---

[1]- ابن خلدون: المقدمة، المصدر السابق، ص465.

[2]- سورة النمل الآية(65).

المبحث الثالث: علم الرياضيات والمنطق والفلسفة

إنّ علم الرياضيات والمنطق والفلسفة من العلوم التي اهتم بها الإنسان للحاجة الماسة إليها في جميع مجالات حياته اليومية، وتسمى الرياضيات بالعلوم العددية.

المطلب الأول: علم الرياضيات

تعرف الرياضيات[1] أنها علم إدراك المقادير أو مجموعة علوم تتناول الكمية المجردة والعلاقات بين أقسامها وأشكالها[2]، وتتمثل في معرفة خواص الأعداد من حيث التأليف على التوالي أو بالتضعيف، ويتضمن هذا العلم كل من العلوم العددية والحساب[3] والهندسة[4] والجبر[5] والمقابلة والمعاملات[6] والفرائض، فهذا العلم نتعلم منه أنواع الأعداد وأحوالها

---

[1]– الرياضيات: لغة مفردها رياضية نسبة للرياضة، وسميت بهذا الإسم "لارتياض الذهن أي انقياده بسبب الاشتغال بها إلى درك المعقولات"، وهي رياضة للذهن. ينظر: ساجقلي زادة(ت1145هـ): ترتيب العلوم، تحقيق محمد بن إسماعيل السيد أحمد، دار البشائر الإسلامية، ط1، بيروت، 1988م، ص179.

[2]– محمد حسين محاسنة: المرجع السابق، ص196.

[3]– الحساب: هو صناعة علمية في حساب الأعداد بالضم والتفريق، وبراهين منتظمة ينشأ عنها عقل مضيء، وهو علم بقوانين يسرح بها المجهولات العددية من معلوماتها، فموضوعه الكم المنفصل، وهو العدد وهذا الفن مقدمة لبعض أبواب الفقه كالفرائض والوصية، فقيل أنه ربع العلم لأنه نصف الفرائض وهو نصف العلم وكانوا يعلمونه في البداية وكانت معظم كتبه ابتدائية. ينظر: ابن خلدون: المقدمة، ج3، ص83، وينظر: ساجقلي زاده: المصدر السابق، ص181.

[4]– الهندسة: كلمة فارسية معربة "آندازة" وتعني المقادير، هي علم النظر في المقادير المتصلة كالخط والسطح والجسم، أو المنفصلة كالأعداد فيما يعرض لها من العوارض الذاتية، ويشمل الخطوط والسطوح والجذور والمجسمات المختلفة، فهي تفيد صاحبها إضاءة في عقله واستقامة في فكره، لأن براهينها بينة الانتظام، والتركيب، لا يكاد الغلط يدخل قياساتها لترتيبها وانتظامها. ينظر: الخوارزمي: المصدر السابق، ص117، وينظر كذلك: ابن خلدون: المقدمة، ج3، ص84.

[5]– الجبر: هو صناعة يستخرج بها العدد المجهول من المعلوم المفروض إذا كان بينهما نسبة تقتضي ذلك، فاصطلحوا فيها على أن جعلوا للمجهولات مراتب عن طريق التضعيف بالضرب، أولها العدد وثانيها الشيء وثالثها المال، ويعود الفضل في ظهور هذا العلم إلى العالم العربي الخوارزمي الذي عاش في عصر المأمون العباسي، أنه صناعة من صناعات الحساب وتدبير حسن لاستخراج المسائل العويصة في الوصايا والموارد والمعاملات والمطارحات، وسميت بهذا الاسم لما يقع فيها من النقصان والاستثناءات ومن المقابلات بالتشبيهات. ينظر: الخوارزمي: المصدر السابق، ص116. وينظر كذلك: ابن خلدون: المقدمة، المصدر السابق، ج3، ص80، محمد حسين محاسنة: المرجع السابق، ص200، عبد الله نجيب سالم: المرجع السابق، ص117.

[6]– المعاملات: يعرفها ابن خلدون تعريف الحساب في معاملات المدن في البياعات والمساعات والزكاة وما يعرض فيه العديد من المعاملات، ويصرف في ذلك صناعة الحساب في المجهول والمعلوم والكسر والصحيح والجذور وغيرها. ينظر: ابن خلدون: المقدمة، المصدر السابق، ص543.

وكيفية تولد بعضها من بعض[1]، فهي مجموعة من معارف مجردة. وتُعد العلوم العددية من العلوم العقلية التي لا يمكن الاستغناء عنها، لأنّها ضرورية في جميع مجالات الحياة، لذلك أولاها العلماء أهمية كبرى.

الهندسة هي العلم بقوانين تعرف منه الأحوال العارضة للكمّ وفروعه، فهو علم اتخاذ الآلات والأدوات وعلم الوزن والموازين وعلم المناظرة وعلم الحيل وعلم جر الأثقال وعلم نقل المياه، وكانت الأساس الذي قامت عليه المنشآت الكثيرة، فقد استأجر عبد المؤمن العديد من المهندسين الذين قاموا بتنفيذ أموره[2]، فكان لها دور في تشييد المباني الدينية والمدنية والحربية.

أمّا الحساب فهو صناعة علمية في حساب الأعداد بالضم والتفريق وبالأفراد والجمع والتضعيف والضرب والقسمة[3]، وهو مادة دراسية هامة؛ إذ كانت الحكومات جميعا لا تستغني عن طبقة الحاسبية، لاسيما في ميدان المحاكم وما تتطلبه التركات وفروض النفقة من حساب[4]، حيث كانت الدول بحاجة للمحاسبين في الحسابات المالية وفي البنوك وحتّى المحاكم، وقد ذكر الله سبحانه وتعالى علم الحساب في قوله:﴿ وَجَعَلْنَا ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ ءَايَتَيْنِ فَمَحَوْنَآ ءَايَةَ ٱلَّيْلِ وَجَعَلْنَآ ءَايَةَ ٱلنَّهَارِ مُبْصِرَةً لِّتَبْتَغُواْ فَضْلًا مِّن رَّبِّكُمْ وَلِتَعْلَمُواْ عَدَدَ ٱلسِّنِينَ وَٱلْحِسَابَ﴾[5].

إنّ الحساب مرتبط بالأرقام، أمّا الجبر فلا يقتصر على دراسة الأعداد، إذ يشمل معادلات تحتوي أحرفًا وأعدادًا، لذلك يعتبر الجبر أشمل من الحساب، أمّا الهندسة فمرتبطة بخصائص الأجسام، إضافة إلى ذلك يوجد علم الفرائض الذي يعتمد على الناحية الحسابية وعلى طريقة الصحيح من الأعداد، إلى أن ظهرت طريقة الكسور، وتهدف الطريقتان إلى استخراج أقل عدد صحيح ينقسم على أهل الفريضة، ويكون لكل واحد منهم سهام صحيحة[6]، فعلم الفرائض يستخدم في تقسيم التركة بين الورثة، وذكر ابن خلدون أنّه:"

---

[1]- ابن خلدون: المقدمة، المصدر السابق، ص534.

[2]- حاجي خليفة: المصدر السابق، ج1، ص120.

[3]- ابن خلدون: العبر، ج1، ص483.

[4]- عبد الله علي علام: الرجع السابق، ص369، عبد الله نجيب سالم: المرجع السابق، ص117.

[5]- سورة الإسراء الآية(12).

[6]- عبد القادر بوعقادة: المرجع السابق، ص447.

يختص بمعرفة فروض الوراثة ويجمع بين المعقول والمنقول من أجل الوصول به إلى الحقوق في المواريث بوجه صحيحة يقينية" [1]، ويدخل في علم الفقه، وموضوعه البحث عن كيفية تقسيم التركة بين الورثة وتحديد نصيب كل وارث بناء على فروضهم في القرآن والسنة.

ومن علمائه في المغرب الأوسط محمد بن علي بن الحسن بن علي بن أبي علي القلعي له مصنفات كثيرة مشهورة منها مؤلَّف"إيضاح الغوامض في علم الفرائض" الذي يتضمن شرح فرائض التركة وكيفية تقسيمها، كما يوجد ارتباط وثيق بين علم الفرائض وعلم الحساب، لأنّ الفقيه يحتاج في تقسيم التركة إلى إجادة علم الحساب.

الفرع الأول: الرياضيات قبل الموحدين

يعد علم الرياضيات من أقدم العلوم التي عرفها الإنسان واستخدمها في حياته اليومية بصورة مباشرة، خاصة عندما احتاج إلى العمليات والمقاييس في معاملاته ونشاطاته، وكانت محل اهتمام جل الحضارات؛ الرافدية[2] والمصرية[3] والإغريقية[4]، والهندية والصينية[1].

---

[1]- ابن خلدون: المقدمة، المصدر السابق، ص472.

[2]- لقد عثر على ألواح طينية في خرائب بابل، ثبت في بعضها أنهم كانوا يعرفون شيئا من المتواليات العددية والهندسية وأنهم استعملوا النظام الستيني، وكسور عددية، كما يعرفون شيئا من النسبة والتناسب وقُسم محيط الدائرة إلى ستة أقسام متساوية وإلى 360 قسم متساوي، وظهر من الأشكال الهندسية الموجودة على الألواح أن المثلث والأشكال كانت معروفة لديهم طرق لإيجاد مساحات الأجسام والأشكال، ووجدت مسائل تؤدي إلى معادلات من الدرجة الثانية، وبعض المسائل تبحث في إيجاد المستطيل إذا عرفت بعض العلاقات بين أضلاعه، كما وضع البابليون جداول للمربعات والمكعبات، كما استخدم السومريون نظام المحاسبة منذ أربعة ألاف سنة قبل الميلاد. ينظر :قدري حافظ طوفان: تراث العرب العلمي في الرياضيات والفلك، مكتبة العرب، ط1، مصر، 1941م، ص12، وينظر: محمد بن موسى الخوارزمي: كتاب الجبر والمقابلة، منشورات بول بارنيه، بيروت، 1937م، ص4.

[3]- قدماء المصريين كانوا على دراية بالأرقام العشرية، ويقومون بحل مسائل معقدة باستخدام معادلات تحتوي على أرقام تربيعية، ويحسبون بدقة كافية مساحات الدائرة والكون وكان عموما يطبقون نوعاً من المهارات الرياضية التي تتطلبها المهمات الكبرى مثل التخطيط وبناء المهارات، ويعرفون القياسات الهندسية للمسطحات والمجسمات. ينظر: الخوارزمي: المرجع السابق، ص11، أحمد فؤاد: التراث العلمي للحضارة الإسلامية، دار المعارف، مصر، 1983م، ص48.

[4]- كان الإغريق على اتصال بالمصريين والبابليين فأصبحت لهم إضافات هامة التي تعتبر أساسا لبعض فروع المعرفة، حيث اشتغلوا في الهندسة ولم يتركوا فيها زيادة لمستزيد، ويعتبر كتاب إقليدس في الهندسة أهم الكتب التي وضعت في هذا العلم، بل هو المعين الذي يرجع إليه علماء الشرق والغرب على السواء، بالإضافة إلى ذلك رغب الإغريق في معرفة منحنيات غير الدائرة تتكون من تقاطع المخروط الدائري بمستو، فدفعتهم هذه الرغبة لدراسته، ولعلى إقليدس الذي عاش في العصر الإسكندري في القرن3ق.م، وضع مبادئه في 13كتاب، وأرخميدس وابولونيوس وهم أكثر العلماء الإغريق اهتماما

كما كان لنشأة الرياضيات دوافع كثيرة منها الرغبة في الوقوف على أسرار العلوم، ومنها ماهو متصل بالحياة اليومية وما أوجدته الضرورة وأحدثته الحاجة، حيث أراد الإنسان أن يعرف العدد والشكل والمكان والزمان ويجد العلاقة بينهما، لذلك بدأت تتطور العلوم الرياضية وتتشعب فروعها من حساب وهندسة وجبر، إلى أن ظهرت الحضارة الإسلامية فظهر علم الفرائض الذي يعتمد على العلوم الرياضية.

ظهرت الحاجة الكبيرة إلى العلوم الرياضية مع ظهور الدولة العربية الإسلامية، فاتصل العرب بالأمم الأخرى واستفادوا من معارفهم، واطلعوا على حساب الهنود[2]، وأخذوا عنهم الترقيم وأضافوا إليه الكثير، وكونوا مجموعة أرقام تسمى الأرقام الغبارية لأنّها ترسم على مسطحات من التّراب الناعم، كما تُسمى أرقاما عربية والتي نقلت إلى أوروبا في القرن (5هـ/11م)، ولا تزال تستخدم إلى اليوم في أوربا والغرب (من1إلى9) والأرقام الهندية (من١الى٩)، واستخدموا لفظ صفر قبل الإسلام[3]، كما قام الأوروبيون بترجمة المصنفات والكتب الخاصة بالمسلمين مثل كتاب الخوارزمي في الحساب.

لقد اهتم المسلمون بالرياضيات وبرعوا فيها، للحاجة إليها في التعاملات العقلية، إذ يحتاجها الإنسان في مختلف ميادين حياته، منها المجال الديني خاصة في معرفة الفرائض

بهذه الموضوعات، حيث كانت الأرقام والأشكال الهندسية تذهل الإغريق منذ أيام فيثاغورس(570–495ق.م)، مما مكنهم من استيعاب العالم ككل، وليس عبثا أن دخلت الرياضيات في بنية الفلسفة الإغريقية، فالرياضيات عبارة عن تدريب فلسفي باستخدام طرق مستقرة في الجدل والبراهين، وبذلك أصبحت الرياضيات أداة عالمية للحساب قبل الإسلام بزمن طويل وتحويلها إلى منظومة ممنهجة. ينظر :هوارد تيرنر : العلوم عند المسلمين، ترجمة فتح الله الشيخ، المجلس الأعلى للثقافة، الكويت، 2004م، ص75.

[1]– كان علماء الحساب في الصين قادرين على حل المسائل المعقدة حول مسح وقياس المساحات الهندسية قبل الميلاد، وقد برز عدة علماء متميزين إلى الواجهة مثل "ليوهي" 265–317ق.م الذي يعتبر من مؤسسي النظرية الكلاسيكية الصينية، ومن أعماله "دليل الرياضيات لجزر البحر" و"التعليق على الفصول التسعة في الفن الرياضي" الذي يعطي شرحا كاملا للمفاهيم الرياضية، كما وفر الأساس النظري والخوارزمية العلمية لبحوث "باي" ذات القيمة 1416 و3، على مر السنين. ينظر : مايكل ديلون: مختصر تاريخ الصين، ترجمة ناسبي محمد، دار العربي، ط1، القاهرة، 2018م، ص21.

[2]– خلال القرن الرابع قبل الميلاد كانت في الهند تجرى الحسابات باستخدام طرق تشبه الجبر توارثتها من بابل بواسطة أرقام قريبة الشبه بالأرقام العربية والهندية الحديثة، فأصبحت القيمة العشرية معروفة في الهند في القرن الأول بعد الميلاد، وأخذت الأعداد تضم شكل يمثل الصفر وهو تطور للرمز البابلي الذي يمثل مكانا خاليا. ينظر : هوارد تيرنر : المرجع السابق، ص75.

[3]– محمد حسين محاسنة: المرجع السابق، ص186، أحمد فؤاد باشا: المرجع السابق، ص49.

والمواريث، ومختلف الحسابات اليومية مثل الضرائب والخراج بطريقة شرعية حسب ما جاء في القرآن الكريم، وهذا بعد احتكاكهم بالأمم السابقة ووراثة العلوم الرياضية عنهم وترجمتها ومراجعتها، ونقد أفكارهم ونظرياتهم فتوصلوا إلى بعض الاستنتاجات الجديدة، كما تأثروا بمختلف المبادئ والنظريات مثل المفاهيم الفيثاغورسية وهندسة إقليدس التي أصبحت جزءا من تراثهم العلمي، واهتموا بنظرية الأعداد واستكشاف المربعات السحرية والعلاقات بين الأعداد والحروف، كما قام المسلمون بتنقيح القواعد الرياضية بطريقة بسيطة لفهم العلاقات الرياضية العددية والحسابات، حيث كان نظام الستين هو السائد ثم تم استبداله بالنظام العشري من أجل تسهيل العمليات المعقدة، وأضاف المسلمون الأعداد الصماء والأعداد الطبيعية والكسور. فأصبح العالم الإسلامي خلال العصور الوسطى أكثر تطورًا في مختلف المجالات خاصة المجال العلمي، ممّا أدى إلى انتقال هذه الحضارة إلى جل مناطق العالم خاصة أوروبا التي كانت تعيش الجهل والظلام في ظل سيطرة الكنيسة والنظام الإقطاعي.

الفرع الثاني: الرياضيات زمن الموحدين

أولت الدولة الموحدية عناية لعلم الرياضيات، من أجل ضبط أحكامها ومواردها وضبط مواقيت العبادات والمعاملات كالصلاة والصيام والميراث وغيرها، ويمكن أنتكون نهضة علم الرياضيات في المغرب الإسلامي في عهد الموحدين نظرًا لاهتمام الخلفاء بها وبعلمائها. لذا كان علم الحساب مادة دراسية هامة، ومن بين مصنفات العلماء التي استخدمت في العلوم العددية كتاب"تلخيص أعمال الحساب" لابن البناء محمد بن خلف الكلاعي الإشبيلي (ت588هـ/1192م)، الذي له ثلاثة مؤلفات في الفرائض؛ الكبير والمتوسط والصغير [1] يوضح فيها قواعد علم الفرائض والمواريث، ومن كتب الحساب والجبر التي كانت متداولة في المغرب الإسلامي خلال عهد الدولة الموحدية واعتمدها خاصة علماء تلمسان "الأرجوزة الياسمينية في الجبر" لأبي محمد عبد الله الحجاج بن الياسمين (ت601هـ/1254م)[2] وتتضمن بيان وجوه التصرفات في المقادير المجهولة، وبيان المسائل بالمعادلة، وكيفية تناول المسألة، إلاّ أنّه من بين المصنفات الأكثر توظيفا في

[1]– محمد المنوني: نشاطات الدراسات الرياضية في المغرب العصر الوسيط الرابع (عصر بني مرين)، مجلة المناهل، وزارة الشؤون الدينية الثقافية، المغرب، 1985م، العدد33، ص78.

[2]– محمود بوعياد: جوانب من الحياة في المغرب الأوسط، الشركة الوطنية للنشر، الجزائر، 1982م، ص76.

العلوم العددية في المغرب الأوسط كتاب "تلخيص أعمال الحساب" للكلاعي[1] و"مسائل الحساب" لأبي فرحون القسي، ومنظومة ابن الياسمين في الجبر[2].

إن حاجة الحكام لهؤلاء العلماء الذين تخصصوا في دراسة علوم الهندسة والجبر والحساب دعت إلى استدعائهم من أجل عمليات البناء والتعمير والزخرفة التي شهدتها الدولة الموحدية[3]، ومن مظاهر اهتمام الموحدين بعلم الهندسة؛ تلك التي تتضح من خلال الآثار الراقية والفاخرة التي أنجزت في عهدهم منها: مقصورة جامع القصبة بمراكش التي صنعت بمحركات ميكانيكية تدل على التطور الصناعي بحيل هندسية خلال عهد المنصور، حيث تظهر إذا استقر الخليفة ووزراؤه وتختفي إذا انفضوا عنها، المقصورة الميكانيكية بجامع الكتيبة؛ التي وصفها المؤرخ عبد الواحد المراكشي؛ إذ كان يجلس فيها الخلفاء الموحدون أثناء صلاة الجمعة والتي تتسع لحوالي ألف شخص، وتتحرك بواسطة عجلات ومحركات بطريقة هندسية رائعة، لها ستة أضلاع، تتحرك جميعاً في وقت واحد، ويفتح باب المنبر متى صعد إليه الخطيب ويغلق من تلقاء نفسه، وقد وصفها أبو بكر بن مجبر في قصيدة رائعة ومن أبياتها ما يلي:[4]

أعلمتني أن ألقي عصا السيار *** فهي بلدة ليست بدار قرار

طوراً تكون بمن حوته محيطة *** فكأنها سور من الأسوار

وكأنها علمـت مقـادير الـورى *** فتصرفت لهم على مقدار

فـإذا أحسـت بالإمــام يـزورها *** في قومه قامت على الزوار

يـبدو فتبـدو ثـم تخـفى بـعده *** كتكون الهلالات للأقمـار

لقد استعمل مسلمو المغرب الإسلامي الدائرة "صفرا" فنقلها عنهم الأوروبيون عبر الأندلس وبجاية وصقلية[5]. وتمكنت بجاية من إرساء قواعد علمية ساهمت في احتضان العلماء الذين كانت لهم اليد في التأليف ككتاب "الحاوي" في اللغة، والذي يقع في ثمانية

---

[1]- محمد المنوني: نشاطات الدراسات الرياضية، المرجع السابق، ص78.

[2]- محمد المنوني: حضارة الموحدين، المرجع السابق، ص21.

[3]- حسن علي حسن: المرجع السابق، ص505.

[4]- عبد الواحد المراكشي: المعجب، المصدر السابق، ص116، ينظر كذلك: مجهول: الحلل الموشية، المصدر السابق، ص144، السلاوي: المرجع السابق، ص175.

[5]- يحي بوعزيز: المرجع السابق، ج1، ص148.

عشر مجلدا، من تأليف عبد الحق الأزدي الاشبيلي ببجاية[1]، حيث كانت بجاية عاصمة الرياضيات في عهد الموحدين ومنها انتقل هذا العلم إلى قارة أوروبا خاصة إيطاليا، حيث درس في بجاية العالم الرياضي الايطالي البيزي ليوناردو فيبوناتشي، الذي كان أبوه الطبيب بوناتشيو رئيس المركز التجاري البيزي ببجاية، ولد في بيزا (564هـ-602هـ/1180م-1250م)[2]، التحق بوالده واهتم بتعليمه ووكله إلى أستاذه علي البجائي ليعلمه، انكب على دراسة مادة الحساب والرياضيات بصورة خاصة وعاشر التجار وأخذ منهم ما عُرف بطريقة العدّ السريعة مستخدما الأرقام الهندية الغبارية[3]، ويعد من المترجمين الذين نقلوا العلوم العربية إلى أوروبا في العصور الوسطى[4]، ومن مؤلفاته "كتاب العد" سنة 1202م، وكتاب "الهندسة التطبيقية" سنة 1220م، وكتابين آخرين فيهما طرق حل المعادلات الحسابية[5].

لقد كان لبجاية حضور قوي في مجال الرياضيات استهوى أفئدة طلبة العلم بفضل منهج مدرستها التي كونها علماء الرياضيات، وعلى رأسهم: محمد بن محمد بن أبي بكر المنصور خلال القرن السابع هجري[6]، وظهر فيها نخب من علماء المغرب الأوسط في هذا المجال ومنهم:

- أحد علماء الرياضيات الذي ذكره ابن الأبار وهو أحمد بن عبد الله بن خميس بن نصرون أبي جعفر (ت548هـ/1154م)، رحل من بلنسية إلى المغرب الأوسط، واستوطن الجزائر،

---

(1)- الغبريني: المصدر السابق، ص57.

(2)- يحي بوعزيز: المرجع السابق، ص165، مريم معلاش: الحياة العلمية ببجاية في ظل الدولة الحفصية، رسالة ماجستير، جامعة أبي بكر بلقايد، تلمسان، 2010م/2011م، ص64.

(3)- سميت بالغبارية لان أهل الهند كانوا يأخذون غبارا بطيئا ويبسطونه على لوح من خشب أو غيره، ويرسمون عليه الأرقام التي يحتاجونها في عملياتهم الحسابية ومعاملاتهم التجارية. ينظر: حكمت نجيب عبد الرحمن: دراسات في تاريخ العلوم عند العرب، دار الكتب، بغداد، 1977م، ص85، زيغريد هونكة: شمس العرب تسطع على الغرب، ترجمة فاروق بيضون وكمال الدسوقي، دار الجيل، بيروت، ط8، 1993م، ص95.

(4)- محمد عباسة: العلاقات الثقافية بين العرب والإفرنج، مجلة حوليات، جامعة مستغانم، الجزائر، 2013م، العدد13، ص13.

(5)- الغبريني: المصدر السابق، ص73، يحي بوعزيز: المرجع السابق، ص144.

(6)- الغبريني: المصدر السابق، ص57.

العالم الفقيه الأصولي الذي اهتم بالفروض، ويمثل الأثر الأندلسي بالمغرب الأوسط، دفن عند باب الفخارين على ساحل البحر[1].

-كما أشار الغبريني إلى العالم أبي طاهر عمارة بن يحي بن عمارة الشريف الحسني، من أهل القرن 6هـ (مات.بعد585هـ/1189م)، له علم وأدب وفضل، شاعر وقاض في نواحي بجاية في زمن بني غانية وامتدحهم وأنشد بين أيديهم، وحينما زالت شوكتهم على بجاية وغادروها تعرض هذا العالم إلى محنة الاعتقال من قبل الموحدين، كان متقدما في علم العربية والأدب، له تأليف في علم الفرائض، وتواشيحه في نهاية الحسن، جمع شعره في ديوان[2].

-والعالم المذكور في كتاب ابن العماد، وهو علي بن معصوم بن أبي ذر القلعي (ت551هـ/1156م) عالم بالحساب، من كبار فقهاء الشافعية، ولد بقلعة بني حماد وبها نشأ وتعلم، رحل إلى المشرق واستوطن العراق، وأخذ عن أكابر الفقهاء، ثم انتقل إلى خراسان بإيران ومات بمقاطعة إسفرائن، قال السمعاني:" إمام فاضل، عالم بالمذهب، بحر في الحساب"[3].

-ومن علماء الإباضية نجد العالم يوسف بن إبراهيم بن مناد السدراتي الورجلاني (ت570هـ/1174م)، المؤرخ والمفسر والفقيه الإباضي، زار الأندلس، وألّف كتاب "مرج البحرين" في قواعد ومسائل حول المنطق والحساب والهندسة، كتاب "العدل والإنصاف" فيه ثلاثة أجزاء يحوي شرح حلقات نظام العزابة التربوي الناجح، كما يتضمن أصول الفقه الإباضي، و"الدليل والبرهان لأهل العقول" يتضمن أصول الدين في المذهب الإباضي، و"تفسير القرآن الكريم" جاء في سبعين جزء لكن للأسف الشديد مازال مفقودًا[4].

---

[1]- ابن الأبار: المصدر السابق، ج1، ص54.

[2]- الغبريني: المصدر السابق، ص45، عادل نويهض: معجم أعلام الجزائر، المرجع السابق، ص242.

[3]- ابن العماد: المصدر السابق، ج6، ص263، عادل نويهض: المرجع السابق، ص267.

[4]- عمر فروخ: المرجع السابق، ص368، عبد الحميد حاجيات: الجزائر في التاريخ، ج3، ص341، عادل نويهض: معجم أعلام الجزائر، المرجع السابق، ص342.

-وقد أشار الذهبي إلى العالم أبي جعفر أحمد بن عتيق بن الحسن بن زياد بن جِرج البلنسي الذهبي (ت601هـ/1204) توفي بتلمسان، اتصل به العلماء والطلاب بها، وكان مشاركا في عدة علوم منها الرياضيات[1].

-ولم ينس التنبكتي والغبريني العالم أبا عبد الله محمد بن محمد بن أبي بكر المنصور القلعي (ت660هـ/1265م)، كان فقيهًا عالمًا في الفرائض وعلم الحساب[2]، أقام بقلعة بني حماد، وفد إلى المدرسة البجائية وأقام حلقات تدريس علم الفرائض والحساب، وتخرج في هذه المدرسة الفقيه العالم بالفروض والمنطق والأصول أبو موسى عمران بن موسى المشدالي (745هـ/1345م)، له مجلس يقرأ عليه فيه "التهذيب"[3].

-أبو محمد عبد الحق بن ربيع البجائي الأنصاري (ت675هـ/1276م)، الفقيه العالم الصوفي، أصله من الأندلس ولد ببجاية وقرأ بها، عالم بأصول الدين والفقه والمنطق والتصوف، لم يكن في ذلك الوقت بالمغرب الأوسط مثله، عرض عليه قضاء بجاية فامتنع منه، كما وصله كتاب المستنصر بقضاء قسنطينة فاعتذر، له باع في الفرائض والحساب[4].

-برز في علم الفرائض خلال منتصف القرن (7هـ/13م) إبراهيم بن أبي بكر التلمساني الوشقي أبو إسحاق (ت697هـ/1298م)، كان شاعرًا أديبًا محسنًا، نظم في الفرائض أرجوزة محكمة[5].

رغم ذلك إلاّ أنّ الغبريني يرى أن الاهتمام بهذا العلم كان ضعيفًا ولم ينبُغ فيه علماء إلاّ القلة[6]، ربما قال هذا مقارنة بالعلوم الدينية التي نبغ فيها كثير من العلماء، إلاّ أنّ الرياضيات كانت من العلوم التي اهتمت بها الدول من أجل ضبط أمورها الاقتصادية والدينية، فالهندسة هي أساس بناء الهياكل الكبرى من قصور، وحصون ومساجد، وهو من

---

[1]- الذهبي: تاريخ الإسلام، المصدر السابق، ج43، ص64، ابن سعيد: المصدر السابق، ج2، ص321.

[2]- الغبريني: المصدر السابق، ص227، عادل نويهض: المرجع السابق، ص267.

[3]- التنبكتي: المصدر السابق، ص382، القرافي: المصدر السابق، ص238، عادل نويهض: معجم أعلام الجزائر، المرجع السابق، ص267.

[4]- الغبريني: المصدر السابق، ص86.

[5]- ابن مريم: المصدر السابق، ص193.

[6]- المصدر نفسه، ص227.

العلوم التي لم تعرف تنافرًا ولا تعارضًا مع علوم الدين[1]، لذلك يعد علم الرياضيات ركيزة أساسية في حياة الإنسان المسلم، نظرًا لمتطلباته الاجتماعية والاقتصادية والفنية التي فرضتها الحضارة الإسلامية، ولا ننسى فضل علماء الأندلس الذين استعان بهم الخلفاء في مجال الهندسة خاصة في البناء والتعمير.

المطلب الثاني: علم المنطق

إضافة إلى العلوم العقلية السابقة المتداولة في المغرب الأوسط خلال عهد الدولة الموحدية، يوجد علم المنطق، يستدعي استقصاء مدى حضوره خلال هذه الفترة؛ نظريا وتطبيقا وتدريسا.

الفرع الأول: المنطق قبل الموحدين

المنطق لغةً من نَطَق الناطِق، ينطَق نُطقًا؛ تكلم والمنطق الكلام، وكلام كل شيء منطقه[2]، ومنه قول الله تعالى:﴿ عُلِّمْنَا مَنطِقَ الطَّيْرِ﴾[3].

أمّا اصطلاحًا فقد عرّفه ابن سينا تعريفًا مفصلاً فقال:" الحكمة (ويقصد بها علم المنطق) صناعة نظرية، يستفيد الإنسان منها تحصيل ما عليه الوجود كله في نفسه، وما الواجب عليه فعله، مما ينبغي أن يكتسبه فعلُه، لتشرُف بذلك نفسه وتستكمل وتصير عالمًا معقولاً مضاهيًا للعالم الموجود، وتستعد للسعادة القصوى بالآخرة، وذلك حسب طاقة الإنسان"[4].

وفي نظر الغزالي " هو علم يدرس مبادئ الاستنتاج الصحيح للتمييز بين الصحيح والخاطئ" ويضيف بأنّه يعتبر عند الكثير من العلماء فرع من فروع الفلسفة، وهو أساس التفكير السليم".[5] وقال ابن خلدون:" المنطق هو ميزان العلوم الذي يعرف به الصحيح من الفاسد في حدود المعرفة للماهيات والحجج المفيدة للتصديقات، وذلك لأنّ الأصل في

---

[1]- شقرون محمد: الرجع السابق، ص216.

[2]- ابن منظور: المصدر السابق، ص5023.

[3]- سورة النمل الآية(16).

[4]- عبد الله نجيب سالم: المرجع السابق، ص109.

[5]- الغزالي: تهافت الفلاسفة، تحقيق سليمان دنيا، دار المعارف، مصر، 1972م، ص36.

الإدراك إنّما هو المحسوسات بالحواس الخمس"[1]. وجاء عند الجرجاني أنّه:" علم آلة قانونية تعصم مراعاتها الذهن عن الخطأ في الفكر فهو علم عملي آلي"[2].

وذكر له طاش كبري زاده اسمين آخرين الأول هو علم الميزان حيث يعرف منه كيفية اكتساب المجهولات التصويرية والتصديقية من معلوماته وموضوعاته[3]. فهو يرجع علة هذه التسمية إلى كونه ميزان الحجج والبراهين، أمّا الاسم الثاني فهو خادم العلوم، لأنّه الوسيلة إليها أو رئيس العلوم لحكمه عليها[4]. وهو الوصف الذي عُرف به عند الفارابي.

إنّ المنطق من العلوم القديمة القيمة، فهو علم يوناني المنشأ والمنبت، بدأ فعليا كعلم مستقل مع أرسطو الذي يعد أول من تكلم فيه[5]، ورتبه في ثمانية كتب ترجمت إلى اللغة العربية فانكب عليها المسلمون بالشرح والتلخيص منهم الفارابي وابن سينا وابن رشد، ثم جاء المتأخرون فألحقوا به علم الكلام والجدل واعتبروه آلة للعلوم ومنهم الإمام فخر الدين بن الخطيب[6].

الفرع الثاني: المنطق زمن الموحدين

قبل عهد الموحدين كان علم المنطق غير مستحب في المغرب الإسلامي، حيث أنكر بعض الفقهاء دراسته وحذروا من تعلمه وتعليمه، ففي عهد المرابطين أمروا بحرق كتبه، كما أنّ الموحدين اعتبروا كل من يشتغل به زنديقا. وعندما برز علماء في هذا المجال أمثال الغزالي والإمام الخطيب الذين أجازوا تدريسه، وبينوا فضائله وفوائده، انكب الناس على دراسته[7]، وقام المهدي بن تومرت بتغيير هذه النظرة وحبب إليهم كتب الغزالي، وفي القرن (7هـ/13م) اعتمد المنطق كمنهج في تبويب المسائل والاستدلال في علوم الفقه والأصول فاندمج في سائر العلوم[8]، فأخذوا يعتنون به منذ القرن السادس هجري الثاني عشر

---

(1)- ابن خلدون: المقدمة، المصدر السابق، ج3، ص71.

(2)- الجرجاني(ت471هـ): كتاب التعريفات، مكتبة لبنان، ط2، بيروت، 1985م، ص251.

(3)- طاش كبرى زادة: المصدر السابق، ج1، 272.

(4)- المرجع نفسه، ص107.

(5)- السيوطي(ت911هـ): صون المنطق والكلام، تحقيق علي سامي النشار وسعاد علي عبد الرزاق، سلسلة إحياء التراث الإسلامي، دار النصر، ط2، مصر، 1970م، ص36، عبد الله نجيب سالم: المرجع السابق، ص107.

(6)- ابن خلدون: المقدمة، المصدر السابق، ص529.

(7)- عبد المجيد النجار: المرجع السابق، ص270، نجاة بلعباس: المرجع السابق، ص87.

(8)- عبد لعزيز فيلالي: تلمسان في العهد الزياني، المرجع السابق، ص476، زينب رزيوي: المرجع السابق، ص316.

ميلادي[1]، لأنّ الموحدين أطلقوا العنان للتفكير والبحث وإبداء الرأي فظهرت هذه العلوم ونالت حظها من الانتشار بفضل اهتمام الحكام الموحدين بها، فشكلت الدعوة الموحدية منطلقا لتجديد الثقافة والتفتح على نظريات المعتزلة والأشاعرة والفلسفة والمنطق، لذلك استطاعوا النهوض بالجانب الفكري والعلمي للدولة وتحويله من نمط التقليد إلى الإبداع والتجديد ودعم روح المبادرة والمناظرة والجدل[2].

مع هذه الاحترازات من المنطق عرف هذا العلم فشوًا متزايدًا بين العلماء، وأُلفت فيه الكتب، وادخلوه في العلوم كمنهج للفهم والتقرير والبرهان، وبهذا الانتشار الواسع وجد طريقه إلى الاختلاط بسائر العلوم وانقرضت نزعة المعارضة[3]، مع أنّه كان لا يسمح بتعليم المنطق إلاّ بعد حفظ القرآن الكريم وتفسيره وحفظ الحديث، وممن ذُكر في علم المنطق من علماء المغرب الأوسط – رغم أننا عبنا على المصادر قلة المادة الخبرية عنهم في حدود إمكانيات بحثنا– نذكر:

–العالم الذي ترجم له الغبريني أبو عبد الله محمد بن عمر القرشي (ابن قرشية) من أهل القرن7هـ، نشأ في قلعة بني حماد، سكن بجاية اتخذ الجندية حرفة، ثم اشتغل بالقراءة، له باع في المعقولات (المنطق)، أخذ عن صديقه عبد الحق الإشبيلي، له علم بالحديث والفقه، كان نائبًا عن القاضي أبي عبد الله الأصولي ببجاية[4].

– كما ترجم للعالم أبي الحسن علي بن أحمد الحسن بن إبراهيم الحرالي التجيبي (ت637هـ/1239م)، وهو فقيه عالم زاهد، جمع فنون العلم من علم الأصول ومعقولات الحكماء (المنطق)، وله فيها تصانيف منها "المعقولات" تكلم في الكائنات وأمور وأسرار الحروف وصنف في المنطق[5]، إضافة إلى العالم أبي يعقوب يوسف بن إبراهيم السدراتي (ت570هـ/1174م) الذي له كتاب "مرج البحرين في علم المنطق"[6] كما سبق شرحه.

---

[1]– ابن مريم: المصدر السابق، ص223.

[2]– نجاة بلعباس: المرجع السابق، ص160.

[3]– عبد المجيد النجار: المرجع السابق، ص472.

[4]– الغبريني: المصدر السابق، ص214.

[5]– المصدر نفسه، ص154.

[6]– إبراهيم بحاز: المرجع السابق، ص152.

-ولا ننسى أبا حامد الصغير المسيلي (580هـ/1184م)، له اجتهادات في الفلسفة[1]، وأبو عبد الله محمد بن سحنون الكومي الندرومي، فيلسوف من تلاميذه ابن الرشد[2]، وكذلك نزيل تلمسان أبو العباس أحمد بن عتيق بن الحسن بن زياد بن جرج أبو جعفر البلنسي الذهبي (601هـ/1204م)[3]، والذين سبقت ترجمتهم.

-كما نجد ترجمة في الدراية لنزيل بجاية أبي العباس أحمد بن خالد المالقي (ت660هـ/1261م)، الشيخ الفقيه الأصولي المشارك المحصل من أهل مالقة، قرأ بالأندلس وقرأ بمراكش، ولقي جملة أفاضل ولازم الفقيه الإمام أبا عبد الله الموموناني ملازمة كثيرة، لازمه مدة عشرين سنة، مدة ملازمة أرسطو لأفلاطون نفسها، كان متحملاً لأصول الفقه ولأصول الدين على طريقة الأئمة المتقدمين، ورفض طريقة فخر الدين ويرى فيها تخليطا في إدخاله طرفا من المنطق في الأصلين، وله مشاركة في الطب والحكمة في الطبيعيات والإلهيات، وكان قليل الكلام كثير الملكة في إمساك نفسه في البحث، جلس للإقراء ببجاية له مشاركة في الحكمة في الطبيعيات[4].

-وأورد القرافي ترجمة للعالم أبي محمد عبد الحق بن ربيع بن أحمد بن عمر الأنصاري (ت675هـ/1285م)، أصله من مدينة أبّدة باسبانيا، ولد ببجاية وقرأ بها ولقي مشايخ، فقيه إمام محصل، صوفي مجتهد، يحمل فنونا من العلم؛ الفقه والأصلان والتصوف والكتابتان الشرعية والأدبية، والفرائض والحساب واهتم بالمنطق، ناب عن القضاة فكان المشاور عندهم ومرجع أمرهم، نظم القصيدة الصوفية من نحو خمسمائة بيت في مدة قراءته على الشيخ أبي الحسن الحرالي[5].

-أضاف الغبريني عالما من علماء القرن السابع هجري، وهو أبو زيد عبد الرحمن بن علي بن أبو دلال (ت669هـ/1271)، الشيخ الفقيه المتقن الفاضل، كان أديبًا وشاعرًا وخطيبًا، نزيل بجاية، له مشاركة في الفنون وتحصيل العلوم العقلية والنقلية، وله حظ في علم أصول

---

(1)- الغبريني: المصدر السابق، ص66، الحفناوي: المصدر السابق، ج1 ص60، يحي بوعزيز: الموجز، المرجع السابق، ص16.

(2)- محمد طمار: المرجع السابق، ص167.

(3)- ابن سعيد: المصدر السابق، ج2، ص321، ابن الأبار: المصدر السابق، ج1، ص117.

(4)- الغبريني: المصدر السابق، ص73.

(5)- القرافي: المصدر السابق، ص138.

الدينوعلم المنطق، كما له رجز فيه الآيات البينات لابن الخطيب، ورجز ابن سينا في الطب، له قصيدة سينية اللزومية في بعض أصحابه، لقي المشايخ أمثال ابن محرز الزهري وأبا بكر بن سيد الناس[1].

–وأبو الحسن عبيد الله بن محمد بن عبيد الله بن فتوح النفزي (ت642هـ/1245م)، الشيخ الفقيه، العالم العابد الزاهد، من أهل شاطبة ودفين بجاية، رحل إليها من الأندلس بسبب الغزو الصليبي، كان من أهل العلم والفضل والدين متفننًا عالمًا بالفقه وأصوله واللغة والأدب، له شعر رائق، بارعًا في علم المنطق وله تقييد على كتاب المفصل، وله اختصار حلية الأولياء لأبي نعيم[2].

–كما ذكر الغبريني أهم علماء المنطق عبد الوهاب بن يوسف بن عبد القادر البجائي (ت بعد680هـ/1281م)، كان له تحصيل في العلوم الدينية ومعرفة بالحكمة وبراعة في علم المنطق خاصة على طريقة المتأخرين، ولم يكن في وقته أعلم منه بكشف الأسرار الذي وضعه الخونجي في علم المنطق[3].

رغم اهتمام أغلب العلماء المسلمين بالمنطق خلال العصر الوسيط، إلا أنّ موقفهم لم يكن موحداً، بل انقسموا إلى موقِفين هما موقف القبول لهذا العلم والدفاع عن ضرورته منهم الغزالي وابن حزم، بحجة أن المنطق يعتمد على العقل، كما أنّ الإسلام يطالب الإنسان بالنظر والتمييز، واستعمال العقل لتسيير الحياة الدنيوية والأخروية، أمّا موقف الرفض فيمثله بعض الفقهاء والمتكلمين بسبب أنّ المنطق نشأ في بيئة فلسفية كان أصحابها أهل شرك.

المطلب الثالث: الفلسفة

إلى جانب علم المنطق هناك الفلسفة التي تُعد من بين العلوم العقلية، التي ظهرت في الشرق من خلال الثقافة اليونانية ثم انتقلت إلى الثقافة الإسلامية في المشرق والمغرب الإسلاميين، وأصبحت أم العلوم بعدما كانت منبوذة لدى المسلمين في القرون الإسلامية الأولى، فكيف كان وضعها في المغرب الأوسط زمن الموحدين؟ هذا ما سنتعرّف عليه بعد بيان لمحة عن امتدادها الحدودي والتاريخي قبل ذلك.

---

[1]– الغبريني: المصدر السابق، ص205.

[2]– المصدر نفسه، ص176، عبد القادر بوعقادة: المرجع السابق، ص473.

[3]– الغبريني: المصدر السابق، ص233.

الفرع الأول: الفلسفة قبل الموحدين

الفلسفة[1] هي علم حقائق الأشياء والعمل بما هو أصلح، وهي فرع من العلوم العقلية تسمى علوم الأوائل[2]، وهي علم يدرك الوجود كله الحسي بالأنظار الفكرية والقياسية وبالأدلة العقلية وتصحيح العقائد الإيمانية والتمعن فيها للوصول إلى المعرفة الحقيقية[3]، ويرى يعقوب الكندي (ق6هـ) أنّ الفلسفة هي علم الأشياء بحقائقها وغرض الفيلسوف إصابة الحق، فهي علم يعتمد على استعمال الحجج والبراهين للوصول إلى الحقيقة.

تعتبر الفلسفة من مميزات الثقافة اليونانية، انتشرت في الشرق فظهر المذهب الأفلاطوني الحديث، وانتشرت الفلسفة في جنديسابور في بلاد فارس (بايران حاليا) فأثرت في الشرق الإسلامي، كما لاقت قبولا عند بعض المتصوفة والمعتزلة عن طريق الترجمة السريانية، وهذا أدى إلى ظهور الجدل والمنطق ثم ظهور علم الكلام لدى المسلمين[4].

إنّ الفلسفة الإسلامية ظهرت مبكرًا مع يعقوب بن إسحاق الكندي في القرن الثاني الهجري لذلك ازدهرت في المشرق فظهرت مدارس خاصة بها، كما ذاع صيتها في الغرب الإسلامي على عهد الغزالي وابن رشد خلال القرن السادس هجري، وبعدها تمت ترجمة ونقل الفلسفة الإسلامية إلى أوروبا، وهذه الأخيرة تتناول مواضيع مرتبطة بالدين الإسلامي، وإثبات حقائقه باستعمال العقل عن طريق القرآن والسنة النبوية الشريفة ومختلف مصادر التشريع الإسلامي.

الفرع الثاني: الفلسفة زمن الموحدين

من خلال مضامين كتب التاريخ التي تكشف أنّه لم يكن للفلسفة وجود يذكر بالمغرب قبل عهد الموحدين، لأنّ الثقافة الفقهية القائمة هناك كانت شديدة العداء لهذا اللون من الفكر عكس الأندلس[5]، حيث كانت الفلسفة من العلوم المحرمة لدى المرابطين، لاعتقادهم الراسخ أنّها تجر إلى الإلحاد، وارتيابها الشديد في آراء الفلاسفة، وتمسكهم بمذهب السلف الصالح

---

[1]– الفلسفة لغة مشتقة من اللفظ اليوناني فيلا سوفيا ومعناها محبة الحكمة. ابن خلدون: العبر، المصدر السابق، ج1، ص478.

[2]– ابن أبي أصيبعة: المصدر السابق، ص113، الخوارزمي: المصدر السابق، ص131.

[3]– ابن خلدون: المقدمة، المصدر السابق، ص223.

[4]– محمد حسين محاسنة: المرجع السابق، ص221.

[5]– عبد المجيد النجار: المرجع السابق، ص466.

الذي لا يقبل الحياد عن القرآن والسنة[1]، وبانتصار دعوة الموحدين أصبحت الفلسفة تحتل مكانة بين العلوم، لأنّه لما ظهر ابن تومرت بمنهجه العقلي النقدي المقارن، صار هذا المنهج سياسة للدولة من بعده، فانفتحت الأذهان لتقبل العلوم الفلسفية وصارت عنصرًا من عناصر الثقافة المغربية[2]، لأنّهم فتحوا المجال للعقل البشري وشجعوا دراسة مختلف العلوم والتفتح الفكري والتسامح، خاصة مجال علم الكلام والفلسفة التي كانت محظورة في عهد المرابطين، وكانت ثورتهم سياسية وفكرية أيضا.

خلال عهد الموحدين انفرجت الأزمة وزال التحجير على كتب الغزالي، ساهم المعتزلة في بناء الفلسفة العربية الإسلامية، وقبل ذلك شجع البويهيون في المشرق جمعية سرية ظلت مجهولة إلى سنة (370هـ/980م) تسمى"إخوان الصفا وخلّان الوفا"، فقام المسلمون بترجمة الفلسفة اليونانية في العصور الوسطى، كما ظهر فلاسفة مسلمون خاصة في الأندلس ومنهم ابن الرشد الذي اجتاحت فلسفته العالم[3]، لذلك انتشر علم الفلسفة في عهد الموحدين وكان من أثر انتشارها أن طبعت حضارتهم بالماورائية والبحث عن حياة خُلقية أفضل وأسمى، وتحقيق مكان للعقل على الطريقة الرُشدية مما جعل الفقهاء يخشون من اندلاع حرية الاختيار، وانحصار المذهب الأشعري الذي أعطى للسلفية الحجة والدعم بين القدرية والجبرية والاعتزالية[4].

لقد شجع الموحدون الحركة الفلسفية والترجمة اليونانية حتّى أصبح علماء أوروبا يفزعون إلى المغرب لحل المشاكل الفلسفية، كما فعلوا مع العالم والفيلسوف ابن سبعين في الأجوبة الصقلية، لأنّه كان ذا معرفة بالفلسفة اليونانية، ناقدًا لاذعًا لها من خلال الفلاسفة الإسلاميين فتأثر بابن عربي تأثرًا كبيرًا[5]، حيث وجه ملك إيطاليا فريدريك الثاني أسئلة لعلماء سبتة فوضع جوابها في كتاب ابن سبعين "المسائل العقلية"، كما كان للفلسفة الإسلامية أثر في المجال العلمي في أوروبا، حيث قاموا بترجمة كتب هؤلاء الفلاسفة المسلمين مثل كتب ابن رشد.

---

[1]- المراكشي: المصدر السابق ، ص111، مبارك الميلي: تاريخ الجزائر، المرجع السابق، ج3، ص336.

[2]- عبد المجيد النجار: المرجع السابق، ص466.

[3]- شوقي أبو خليل: المرجع السابق، ص506.

[4]- الحسن السائح: المرجع السابق، ص206.

[5]- المرجع نفسه والصفحة نفسها.

يعود الفضل في نشر العلوم العقلية بالدولة الموحدية خاصة الفلسفة إلى الخليفة أبي يعقوب يوسف بن عبد المؤمن، حيث كان من أكثر الموحدين تعلقا بها وتشجيعا على انتحالها، وبعد تعلمه العلوم الشرعية والتبريز فيها طمح إلى تعلم الفلسفة، وقرأ كتب أرسطو وأمر بتدريسها، فقرب إليه علماء الفلسفة وحرص على جلب الفلاسفة إلى حاضرته مراكش من مختلف الأنحاء، وبالغ في إكرامهم وتشجيعهم وحثهم على التأليف في علوم الفلسفة وشرح غامضها، وتذليل صعابها ومن بين الفلاسفة الذين جلبهم إليه الفيلسوف ابن طفيل وابن رشد[1].

ومن المغرب الأوسط الفيلسوف أبو عبد الله محمد بن سحنون الكومي الندرومي الذي جمع بين الطب والفلسفة، وأبو حامد الصغير المسيلي[2]، ولما جاء الخليفة أبو يوسف يعقوب المنصور سار على نهج أبيه في انتحال الفلسفة وتشجيع علمائها وتقريبهم منه، إلاّ أنّه طرأ عليه حال من المجافاة بعد ذلك هجر الفلسفة وأمر الناس بتركها وإحراق كتبها، أمّا العامة فكانت تسمي المشتغل بالفلسفة بالزنديق وكانوا يحرقون كتب الفلسفة[3]، هذا في إطار ما سمي نكبة ابن رشد الذي كاد له بعض المقربين من الأمير المنصور الموحدي فأمر بنفيه وأحرق كتبه، ونهى عن قراءة فلسفته حتى مات محبوسًا بداره في مراكش سنة (595هـ/1198م)[4]، وهذا ربما يعود إلى الحقد والغيرة التي يكنونها لابن رشد بسبب تقربه من البلاط الملكي ومكانته المرموقة فيه.

رغم ذلك لا نجد عصرًا تآخت فيه الفلسفة والشريعة كعصر الدولة الموحدية، لأنّ الفلاسفة المسلمين من أعظم حفظة الشريعة مثل ابن رشد الحفيد وتلميذه أبو عبد الله محمد بن سحنون الكومي الندرومي التلمساني[5]، لأنّ التوفيق بين الشريعة والفلسفة أمر طبيعي يكون عند الإحساس بالحاجة من أجل تحقيق الانسجام بين المعتقد الديني والواقع، فالعلاقة بين الفلسفة الإسلامية والدين علاقة توافق وانسجام ولا يوجد بينهما صراع، لأنّ الفلسفة تدعو

---

[1]– عبد المجيد النجار: المهدي، المرجع السابق، ص466، المنوني: العلوم والآداب والفنون، المرجع السابق، ص97.

[2]– يحي بوعزيز: المرجع السابق، ج1، ص163، عبد الرحمن الجيلالي: المرجع السابق، ج2، ص24، محمد الطمار: المرجع السابق، ص167.

[3]– عبد الحميد النجار: المرجع السابق، ص467.

[4]– عبد الواحد المراكشي: المعجب، المصدر السابق، ص315.

[5]– مبارك الميلي: تاريخ الجزائر، المرجع السابق، ج3، ص336، الحسن السائح: المرجع السابق، ص222.

إلى النّظر والتأمل في الموجودات التي تدل على وجود صانع خلق هذا الكون، وظهرت كوكبة من الفلاسفة خلال هذا العهد وأصبح لهم دور في دفع الحركة العلمية وازدهار الفلسفة.

ومن أشهر الفلاسفة أبو محمد عبد الحق بن سبعين (ت669هـ/1270م) وتلميذه أبو الحسن علي الششتري (ت668هـ/1269م) اللذين نزلا بجاية منذ (624هـ/1267م)، فانتشرت مؤلفاتهما وأشعارهما، وقال ابن سبعين للششتري:" إن كنت تريد الجنة فسر إلى أبي مدين شعيب، وإن كنت تريد رب الجنة فهلمّ إليّ"[1]، وهذا ما دل على تعدد العلوم لدى العلماء المسلمين وتخصصاتهم.

-وذكر الغبريني العديد من علماء الفلسفة منهم أبو الحسن علي بن عبد الله النميري الششتري (ت668هـ/1269م) الفقيه الصوفي الأديب، تقدم في علم النظم والنثر على طريقة التحقيق، وله شعر مليح وتواشيح، توفي بالشام[2]، وكذلك أبو الحسن علي المسيلي (ت580هـ) من خلال كتابه "التفكر" والذي سبقت ترجمته في الفصل السابق[3].

يتضح أنّ للموحدين دورًا حاسمًا في نشر الفلسفة والاهتمام بها في المغرب الإسلامي بصفة عامة، ممّا أدى إلى ازدهارها والاستفادة من كتبها وصارت تدرس في المؤسسات التعليمية، لذلك برز علماء كبار يعتز بهم العالم الإسلامي بصفة عامة والمغرب الإسلامي بصفة خاصة.

---

(1)- المقري: المصدر السابق، ج2، ص185.

(2)- الغبريني: المصدر السابق، ص239.

(3)- الطاهر بونابي: المرجع السابق، ص88.

المبحث الرابع: علم الجغرافيا والفن العمراني

يحتل علم الجغرافيا مساحة في فضاء العلوم العقلية إلى جانب علم الفلك وغيره، وهي من العلوم التي سجلت حضورها في المغرب الأوسط زمن الموحدين نظرا لأهميتها في الحياة الدينية والدنيوية؛ واستخدام آلية العقل لتحديد المواقع والتمييز بين مختلف الظواهر الطبيعية والبشرية على سطح الكرة الأرضية، والنظر في العلاقة التفاعلية بينها. وسنتعرض لبيان مدى قوة حضورها في المغرب الأوسط زمن الموحدين وجذورها التي مهدت لذلك، إضافة إلى الفن العمراني.

المطلب الأول: علم الجغرافيا

علم الجغرافيا[1] هو علم وصف الأرض[2]، والعلم بأحوال الأرض من حيث تقسيمها إلى أقاليم وجبال وأنهار، ومعرفة مواقع البلدان وأطوالها ومدنها[3]، ويبحث في وصف طبيعة البلاد، برّها وجوّها، ناسها وحيوانها، نباتها ومعدنها، والمدن ومسالكها، والأرض وهيئتها وحركتها وأفلاكها[4].

فالجغرافيا هي العلم الذي يدرس الأرض وما تحويه من تضاريس ومناخ وسكان وأقاليم ومختلف الكائنات الحية. وتكمن أهميتها في تحديد مواقع البلدان عن طريق الرحلات في طلب العلم أو أداء مناسك الحج أو التجارة وغيرها من الرحلات.

يطلق على علم الجغرافيا عدة تسميات منها؛ علم تقويم البلدان، المسالك والممالك، صورة الأرض، الأطوال والعروض، صورة الأقاليم، علم عجائب البلدان، وهو العلم الذي اهتم به الإنسان منذ القدم وقبل مجيء الإسلام، ومن أوائل المهتمين بالجغرافيا بطليموس القلوزي صاحب كتاب "الجغرافيا" بعدما صنّف "المجسطي"، حيث عدد فيه مدن عصره والجبال والجزر والحيوانات[5]، فالرّحالة كانوا يصفون ويسجلون ما شاهدوه في رحلاتهم عن البلاد والأقاليم التي يزورونها أو يميزون غيرها ثم تطورت مواضيع دراستها.

---

(1)– الجغرافيا: لغة تعتبر كلمة يونانية قديمة وأصلها "جغراويا" وتعني "صورة الأرض. ينظر: محمد حسين محاسنة: المرجع السابق، ص189، عبد الله نجيب سالم: المرجع السابق، ص125.

(2)– شوقي أبو خليل: المرجع السابق، ص493.

(3)– عبد الله نجيب سالم: المرجع السابق، ص125، محمد حسين محاسنة: المرجع السابق، ص189.

(4)– عز الدين الخطيب التميمي: المرجع السابق، ص301، نجاة بلعباس: المرجع السابق، ص160.

(5)– عبد الله نجيب سالم: المرجع السابق، ص125.

الفرع الأول: علم الجغرافيا قبل الموحدين

اهتم المسلمون بهذا العلم فورد في ""رسائل إخوان الصفا" وأدركوا أهميته لحاجتهم إليه في الأسفار المختلفة والرحلات، وسجلوا ملاحظاتهم من خلالها، فكانت أول رحلة مدونة للتاجر سليمان البحار (ق3هـ/9هـ) من الخليج العربي إلى الصين، ونشر كتابه في فرنسا[1]، وشجع المسلمون على الرحلة والتنقل من خلال الاهتمام بالطرق والمسالك وإقامة مؤسسات كالوكالات والفنادق والرباطات، فأثبتوا كروية الأرض، ورسموا صورتها على شكل خريطة، ومن بين هؤلاء الجغرافيين ابن خرداذبه وأحمد بن واضح والجَيْهاني، وابن الفقيه،وأبو زيد البَلخي، وأبو إسحاق الإصطخري، وابن حوقل، وأبو عبد الله البَشّاري، والحسن بن محمد المهلبي وابن أبي عون البغدادي وأبو عبيد الله البكري والزهري[2].

ولعلّ الظروف التي ساعدت في اهتمام المسلمين بعلم الجغرافيا حياة الترحال من أجل طلب العلم ورحلات الحج والعمرة، أو بحثا عن الكلأ والعشب والاشتغال بالتجارة الداخلية والخارجية، مما يستدعي معرفة الطرق والأماكن[3]. كما يعود اهتمام المغاربة بهذا العلم إلى معرفة البلاد التي انطلقت منها الدعوة ويمثل الذهاب إليها ركنا من أركان الإسلام وهو الحج، إضافة إلى معرفة البلدان التي يمرون بها لتأدية مناسكه[4].

وقد تطور علم الجغرافيا عند المسلمين بسبب تطور العلوم العقلية خاصة علم الفلك والرحلة والترجمة، وارتباطها بحياة المسلمين الدينية والدنيوية، وأثناء رحلاتهم كانوا يدونون أخبار المدن والأماكن التي يمرون بها ويصفونها[5].

---

(1)– أحمد رمضان أحمد: المرجع السابق، ص43، ينظر كذلك: سعيد عبد الفتاح عاشور وآخرون: دراسات في تاريخ الحضارة العربية الإسلامية، دار المعرفة الجامعية، القاهرة، 1996م، ص75.

(2)– محمد حسين محاسنة: المرجع السابق، ص189.

(3)– بشير رمضان التليسي: المرجع السابق، ص476.

(4)– المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

(5)– عبد القادر بوحسون: المرجع السابق، ص86، عواطف محمد يوسف: الرحلات المغربية الأندلسية، مكتبة الملك فهد الوطنية، الرياض، 1996م، ص77.

الفرع الثاني: علم الجغرافيا زمن الموحدين

لقد اشتهر المغاربة بحبهم للرحلة والإطلاع على أحوال الأمم، لذلك كثر الرحالة والجغرافيون منهم في فترة الموحدين، فالمغرب الأوسط صلة وصل بين المشرق والأندلس[1]، لذلك اهتم الموحدون بعلم الجغرافيا وشجعوا الرحلات والأبحاث الجغرافية، بتوطيد الأمن بالمغرب الإسلامي، فظهر علماء كبار في هذا المجال منهم: الإدريسي (ت560هـ/1164م)، وابن جبير (ت614هـ/1217م)[2].

ومن علماء الجغرافيا في المغرب الأوسط نجد يوسف بن إبراهيم بن مناد السدراتي الورجلاني (570هـ/1174م) قام برحلة نحو المشرق، ذكرها في قصيدته الحجازية المؤلفة من ثلاثمائة وستين بيتًا[3]، ومن رحالة المغرب الأوسط كذلك أبو علي حسن بن علي بن فكون القسنطيني (حيا سنة602هـ/1205م)، رحل إلى مراكش ومدح الخليفة الموحدي وكتب حول سفره من قسنطينة إلى مراكش[4]. وابن الرهيبد أبو جعفر لحسن محمد بن الحسن الأنصاري من علماء القرن السادس هجري، رحل إلى الحج وأقام بالإسكندرية إلى سنة (576هـ) ثم رجع إلى بجاية، وكان طلبة الإسكندرية يتزاحمون عليه لسماع "التيسير"لأبي عمرو المقرئ[5]، كما رحل المشارقة إلى المغرب مثل تاج الدين عبد الله بن حمويه شيخ الشيوخ بدمشق، وكتب فصولا عن الدولة الموحدية ونقل عنه ابن خلكان[6].

لقد ساهم العلماء المسلمون بإنجازات كثيرة في مجال الجغرافيا، منها تصحيح المعارف الجغرافية السابقة، تقديم وصف دقيق لمختلف البلدان والمناطق، إثبات كروية الأرض وأبعادها ودورانها، ورسم خرائط دقيقة، كما أنّ علم الجغرافيا له علاقة بمختلف العلوم خاصة علم الفلك الذي يخدم علماء الجغرافيا في رحلاتهم وتنقلاتهم، مثل أداء فريضة

---

(1)– صالح بن قربة: المرجع السابق، ص119.

(2)– محمد المنوني: العلوم والآداب والفنون، المرجع السابق، ص75.

(3)– عبد الحميد حاجيات: الجزائر في التاريخ، المرجع السابق، ج3، ص341.

(4)– الغبريني: المصدر السابق، ص334، نويهض: معجم أعلام، المرجع السابق، ص203، خالد بلعربي: المرجع السابق، ص31.

(5)– ابن الأبار: المصدر السابق، ص162.

(6)– ابن خلكان: المصدر السابق، ج5، ص68.

الحج ومختلف الرحلات السياحية والعلمية عبر مختلف مناطق العالم للإطلاع على أحوال الأمم وزيارة المناطق المهمة والمقدسة، وتقديم صورة عن الكوكب الذي يعيش فيه الإنسان.

المطلب الثاني: الفن العمراني

يعد الفن العمراني من أهم الفنون التي أولت لها الدول الإسلامية عناية واهتمام سواء من الناحية الشكلية الخارجية أو الداخلية للمنشآت العمرانية خاصة المساجد والقصور.

الفرع الأول: الفن العمراني قبل الموحدين

لقد شهد العالم الإسلامي ازدهارًا كبيرًا في فن العمارة، نتيجة الثراء الناجم عن الفتوحات الإسلامية، فتنوعت العمارة الإسلامية لتشمل المنشآت الدينية كالمساجد والزوايا والمدن والقلاع والحصون والأبراج والبيمارستانات والقصور، وظهرت على المنشآت الإسلامية خصائص مميزة كالعقود والأعمدة والأقواس والقباب والمآذن والزخارف من تيجان وعقود، ومقرنصات (الدلايات) فأصبحت أقواس حذوة الفرس تدل على الفن المعماري الإسلامي[1]. وقد راعى المسلمون في بناء مساجدهم مغايرة معمارها لفن معمار الكنائس عند النصارى والأديرة عند اليهود والمعابد الوثنية، فكانت خالية من الرسوم والصور والتماثيل، واقتصر تزيينها على الآيات القرآنية الشريفة، والأشكال الهندسية والنباتية مثل البراعم والأزهار والأوراق[2].

الفرع الثاني: الفن العمراني زمن الموحدين

برز الفن المعماري ببلاد المغرب الإسلامي من خلال العمارة الدينية والمتمثلة في المساجد والرباطات والزوايا، ويتجلى الطراز الفني المغربي في تزيين الجدران بالقاشاني[3]، خاصة مساجد الموحدين، وكذلك العمارة المدنية والعسكرية مثل القصور والحصون والقلاع والمنشآت المائية، حيث تفنن الخلفاء الموحدون في زخرفتها وتزينها، وفي هذا الصدد يرى مبارك الميلي أنّ الدولة الموحدية حافظت على ما قبلها من عمران وحضارة، وكانت تلمسان قد قلدت في حضارتها الأندلس أيام المرابطين ثم تلتها بجاية أيام الموحدين[4].

---

[1]– محمد حسين محاسنة: المرجع السابق، ص235.

[2]– عطية القوصي: اليهود في ظل الحضارة الإسلامية، مركز الدراسات الشرقية، القاهرة، 2001م، ص286.

[3]– القاشاني: من الفنون الزخرفية الفارسية حل محل الفسيفساء. ينظر: شافية عبلول: المساجد الموحدية في بلاد المغرب الأقصى، (524هـ–688هـ/1130م–1265م)، أطروحة دكتوراه، جامعة الجزائر2، الجزائر، 2017م/2018م، ص23.

[4]– مبارك الميلي: تاريخ الجزائر، المرجع السابق، ج3، ص333.

إلاّ أنّ ابن صاحب الصلاة يخبرنا أن الدولة الموحدية في البداية قامت على أساس التقشف ومحاربة الفن وبالأخص في مواقف المهدي ضد الزخارف والنقوش والموسيقى والسماع والرقص، واختفت مظاهر الترف واضطر علماء فاس لطمس معالم المرابطين في جامع القرويين، إلاّ أنّ هذه الظاهرة زالت بموت المهدي[1].

إنّ المدة التي بقي فيها الموحدون مبتعدين عن الأعمال الفنية تبدو غير طويلة؛ فمسجد تينمل الذي بني في الفترة الأولى للوجود الموحدي، وما يحويه من العناصر الزخرفية (صورة6)، خاصة منها الهندسية والنباتية دليل كاف للتأكد أنّهم انغمسوا أو تأثروا بالحركة الفنية التي ورثوها عن الدولة المرابطية وتمكنوا من ابتكار الكثير من العناصر الزخرفية، خاصة العقود الموحدية التي لها عنصرين أساسيين، هما: الفصوص النباتية والعقيدات المتجاوزة تفصل بينهما زهرة ذات ثلاثة فصوص ودلاية[2]، وأمست المساجد آية من آيات الفن المعماري لا يترددون في الإنفاق عليها[3]، فأصبحت الدولة الموحدية مزدهرة في جميع المجالات خاصة الفن الإسلامي ولها مكانة مرموقة تفوق ماكان عليه المرابطون[4]، ولم تلبث أن أصبحت أعظم حامية للفن المغربي في عهد عبد المؤمن بن علي الذي أقام العمائر الرائعة[5]، وترك آثاره المعمارية في المغرب الأوسط، منها تشييد سور تاقرارت بتلمسان مسقط رأسه، وأقام مسجدها الجامع سنة (540هـ/1145م) ومسجد تازة وتنملل[6]. ولابن خلدون اعترافات صريحة فيما وصل إليه الموحدون من رقي في مجال العمارة لم يقدمها لغيرهم من العرب.

كذلك مسجد ملالة (صورة2) الذي يعرف عند عامة الناس باسم جامع سيدي يحي، وأغلب الظن نسبة إلى سيدي يحي أبي زكريا الزواوي (ت611هـ)، لكن لم يبق منه سوى آثار محرابه وهي مجوفة نصف دائرية، يعلوها إطار من الزخارف، يقال أنّها حديثة، أمّا

---

[1]– ابن صاحب الصلاة: المصدر السابق، ص54، حسن علي حسن: المرجع السابق: ص377، عبد الحميد النجار: المرجع السابق، ص390.

[2]– محمد عقاب: لمحات عن العمارة والفنون الإسلامية في الجزائر، مكتبة زهراء الشرق، ط1، القاهرة، 2002م، ص23.

[3]– ابن صاحب الصلاة: المصدر السابق، ص54.

[4]– رزقي نبيلة: المرجع السابق، ص68.

[5]– حسين مؤنس: المرجع السابق، ص109.

[6]– عبد المحسن طه رمضان: تاريخ المغرب والأندلس، دار الفكر، ط1، عمان، 2011م، ص430.

الزخارف الموجودة أعلى قبيبة المحراب (صورة3) فهي أصلية فيه، وهي عبارة عن معينات متشابكة، تتشابه مع زخارف المنشآت المعمارية الموحدية خاصة مآذنها، مثل مئذنة جامع حسان بالرباط والكتيبة بمراكش (صورة9)، أمّا مادة بناء محرابه البارزة من مستوى الجدار المبني من الآجر المنتظم، وأمام المحراب فيوجد قبر يقال: إنه لسيدي يحي أبي زكريا الزواوي، لكن الغُبريني والورثيلاني يشيران أنّ له قبرًا ببجاية، لذلك يسمى عند أهل المنطقة سيدي يحي أبو قبرين[1].

ومن الآثار التي تُبرِز تفوّق المعمار الموحدي خاصة في المغرب الأوسط نجد جامع القصبة ببجاية، شكله مستطيل يشبه مساجد المشرق مثل المسجد الأموي والأزهر، يتكون من أربع واجهات، تتألف الواجهة الجنوبية الشرقية من مدخل معقود يتوسطها ويتقدمه درجة، أما الواجهة الجنوبية الغربية فتبدو على شكل أربع وحدات مدببة الشكل، تتبع اتجاه البلاطات الموازية للجدار الجنوبي، وتتكون الوحدة الأولى من نافذة مستطيلة تعلوها ثلاث فتحات معقودة، يتألف من خمس بلاطات عمودية، كل بلاطة حددت بدعامة تحمل عقودًا منكسرة ومتجاورة وأخرى نصف دائرية، ويتألف من ثلاث قباب مثمنة الشكل، ويلاحظ أنّه خال من المحراب، فأغلب الظن أنّه اندثر[2] (صورة5)، كما شيدوا قصر المشور بتلمسان سنة(540هـ/1154م)[3].

أمّا مسجد تنملل (تينمل) فأنشأه عبد المؤمن بن علي أول سلاطين الموحدين سنة (548هـ/1153م)، يقع قرب قبر المهدي، له أربع واجهات، وتحتوي الواجهة الرئيسة على ست فتحات معقودة للإضاءة والتهوية، وفي السقف ثلاث قباب، وفي الظلة الشمالية الشرقية صحن به بائكة من أربعة عقود على شكل حذوة الفرس، ولا يوجد به ظلة شمالية غربية. وهذا ماميز عمارة الموحدين في عهد الخليفة عبد المؤمن[4] (صورة6)، وبه مئذنة مستطيلة

---

[1]- عبد الكريم عزوق: المرجع السابق، ص28.

[2]- المرجع نفسه، ص26.

[3]- عبد الرحمن الجيلالي: المرجع السابق، ص318.

[4]- يحتوي جامع تينلل على ثلاث قباب؛ قبة أمام المحراب وهي مقرنصة من الجص في رقبتها افريز من الأشكال الهندسية على شكل نجمة ثمانية، وجوانبها السفلية تتضمن زخارف نباتية، كما يحتوي الجامع على قبتين متطرفتين واحدة في الجهة اليمنى للمحراب والأخرى في الجهة اليسرى. ينظر: شافية عبلول: المرجع السابق، ص27، صلاح البهنسي: المرجع السابق، ص87.

الشكل بداخلها سلم ونوافذ، كما يحتوي على خزانة الكتب تعود للعهد الموحدي، وكان موقع هذا المسجد بعيدًا عن المدينة على غير العادة مثل الحصون والقلاع، على الأرجح كونه مركز للدعوة الموحدية[1].

إنّ بناء الجوامع والمساجد على عهد الدولة الموحدية متشابهة؛ مداخلها تعلوها أشكال من عقود نصف مستديرة مفصصة أو محدبة، ويتكون أغلبها من الصحن وقاعة للصلاة ومحراب، مع تواجد الأعمدة الرخامية دائرية ونصف دائرية، والقباب، وفي الغالب مئذنة واحدة. وترك خلفاء عبد المؤمن بن علي منهم ولده يوسف الذي أثرى بلاطه بالأطباء والفلاسفة وهندسيين وفنانين خلفوا أعظم آثار عمرانية، منها الآثار التي تركها المنصور مثل قصبة وآثار مراكش والجامع المكرم، ومنار الكتبين، وآثار الرباط وإشبيلية، فيها نقوش زهرية ونخلية وبالمسجد قبب مخروطة، وأفخم قبة ثمانية الهندام[2].

أما محمد الناصر بن المنصور فشيّد ضريح الشيخ أبي مدين بالعباد العلوي بتلمسان (صورة4)، وقام بتجديد بلدة تاجرا مسقط رأس عبد المؤمن بن علي، وبناء المسجد الجامع بندرومة (صورة8)، وتأسيس مدينة البطحاء المعروفة باسم السدرة في نواحي شلف شمال شرق غليزان (555هـ/1160م)، وبناء سور تلمسان الذي شرع في إنشائه سنة (566هـ/1170م) على يد السيد موسى بن يوسف بن عبد المؤمن وإنهائه سنة (581هـ/1185م) على يد أبي الحسن بن السيد أبي حفص بن عبد المؤمن، كما تم تجديد الرياض الرفيع والرياض البديع ببجاية على يد سليمان حفيد عبد المؤمن[3].

وجاء في كتاب "الحلل الموشية" أنّ الخليفة المأمون بن يعقوب المنصور كان معماريًا مقتدرًا وضع تصاميم قصر السيد بمالقة بالأندلس سنة (623هـ)، وكان أعجوبة في الهندسة المعمارية[4]، من آثار الموحدين كذلك مدينة الرباط التي تجاوز سورها خمسة كيلو مترات من باب القصيبة وعدد أبراجها أربع وسبعون برجًا[5]، حيث كانوا يهتمون ببناء الأسوار والحصون والقلاع من أجل تحصين المدن وحمايتها من هجمات العدو.

---

[1]- شافية عبلول: المرجع السابق، ص27.

[2]- ابن أبي زرع: المصدر السابق، ص166، الحسن السائح: المرجع السابق، ص245.

[3]- عبد الرحمن الجيلالي: المرجع السابق، ص318، مبارك الميلي: تاريخ الجزائر، المرجع السابق، ج3، ص334.

[4]- مجهول: الحلل الموشية، المصدر السابق، ص163.

[5]- الحسن السائح: المرجع السابق، ص220.

تتميز منشآتهم ببساطة التكوينات الزخرفية وتجريد التوريقات من عناصرها الحيّة وطبعها بطابع من الورع يعكس اتجاههم الإصلاحي، وهي زخرفة توريقية أقل دقة وكثافة من الزخرفة الرقشية الإسلامية التي توافق تفكيرهم الرّوحي[1]، وقد تأثرت فنونهم المعمارية والزخرفية تأثرًا عميقًا برجال الفن الأندلسي ومهندسيه، وفي هذا المجال كان الموحدون يستعينون بخبرة أهل الأندلس، فبرزت أسماء أندلسية مشهورة مثل أحمد بن باسة[2].

كما أثرت الهجرة الأندلسية إلى المغرب الأوسط في المجال العمراني، وتبرز هذه التأثيرات بصفة واضحة في عدة مساجد مثل الجامع الكبير بتلمسان (صورة1)، أحد أهم مساجد المغرب الأوسط[3]، والذي يشبه إلى حد كبير جامع قرطبة لاسيما المحراب الذي على شكل خماسي الأضلاع فيه عمودان من الرخام، سواء في الشكل أو القوس وحتى النقوش التي تعلو القوس[4]، وحتى الكتابات والزخارف والزيادات التي تضاف للمساجد[5]،كما يتضح هذا التأثير في جامع سيدي أبي مدين شعيب الذي تشبه زخارفه الهندسية زخارف قصر الحمراء بغرناطة، حيث شيد ضريح هذا المسجد الناصر بن المنصور الموحدي بعد وفاة العالم أبي مدين شعيب (صورة4)[6]، وهذا خلافًا لما كان عليه الموحدون في بداية الحكم حيث يجتنبون الغلو في الزخرفة على نظام مؤسس الحكم الموحدي المهدي بن تومرت في التقشف والزهد في الدنيا، إلاّ أنهم ما لبثوا أن تشبعوا بالحضارة الأندلسية فاقتبسوا من جمال عمارتها وبديع زخرفها.

كان للأندلسيين دور كبير في الفن المعماري بالمغرب الأوسط لاسيَّما بتلمسان، وهذا راجع للاتصال المباشر بين تلمسان والأندلس، ودور المهاجرين الذين توافدوا بكثرة على تلمسان من علماء فنانين ومهندسين[7]، وعلى العموم امتاز فن العمارة في عهد الموحدين

---

[1]– حسن علي حسن: المرجع السابق: ص375، محمد الطيب عقاب: المرجع السابق، ص30.

[2]– حسن علي حسن: المرجع السابق: ص375، رزقي نبيلة: المرجع السابق، ص68.

[3] – Georges Marçais, Tlemcen, édition du tell, Algérie, 2003, p18.

[4]– صادق خشاب: تأثير الفن الزخرفي الأندلسي على نظيره المغاربي، نموذج تلمسان، رسالة ماجستير، جامعة تلمسان، 2000م/2001م، ص98.

[5]– عبد القادر بوحسون: المرجع السابق، ص127، شافية عبلول: المرجع السابق، ص68.

[6]– صادق خشاب: المرجع السابق، ص 128.

[7]– عبد القادر بوحسون: المرجع السابق، ص 127.

بالضخامة والأناقة والاتزان الهندسي مع البساطة[1]. ومن أهم ما ميز العمارة الموحدية صفوف الأقواس العمودية المزخرفة التي تحمل السقف.

والمرابطون أول من أعطى لمحراب المساجد شكلاً سداسيًا[2]، واستمسك الموحدون بهذا النمط في مساجدهم بدءًا من مسجدهم الأول بتنمل، ومن أهم العناصر الزخرفية للمساجد الزخرفة النباتية والزخرفة الكتابية والزخرفة الهندسية (صورة6)[3]، رغم ذلك لم يقلد الموحدون الأندلسيين تقليدًا كاملاً مثلما فعل المرابطون، وهذا يدل على ما كان يسود البلاد من حرية المعاملة وتطور المجتمع خاصة في المجال الفكري واحترام الرأي العام، وهذا ما أدى إلى إبداعات جديدة[4]، وعلى العموم فإنّ الزخرفة في المساجد الموحدية تتكون من مواد متنوعة من الحصى والجص والخشب، وتعتمد على العناصر النباتية والهندسية والكتابية.

كما يشهد تشييد القصور في عهد الدولة الموحدية على الرخاء الاقتصادي الذي وصلت إليه، خاصة في الحواضر والمدن لدرجة أنّ آثارها باقية إلى غاية يومنا هذا وأصبحت مزارًا للسوّاح والمؤرخين، وقد تميزت العمارة المغربية بصفة عامة بالزخرفة من نقوش وعقود وأعمدة وتيجان وحنيات تنحت وتنقش على الرخام والحجارة والجص والخشب، إضافة إلى الألوان ورموز النباتات من ورق وبراعم وجريد ومختلف الأشكال الهندسية.

لقد تأثرت العمارة الإسلامية في المغرب الإسلامي بفنون العمارة الأندلسية والمشرقية في آن واحد إضافة إلى الطابع المغاربي في بناء الحصون والأسوار والقلاع، إلاّ أنّ الحرفيين في المغرب الأوسط لم يكونوا مقلدين فقط، بل متفاعلين ومتأثرين ومؤثرين فتركوا بصماتهم في العمارة الإسلامية، وحافظوا على تميزها المجسد في منجزاتها من قصورٍ ومبانٍ وأسوارٍ ومساجدَ وصوامعَ، تعُبِر عن عظمتها ورونق مظهرها وبراعة مصمميها.

---

[1]– عبد الرحمن الجيلالي: المرجع السابق، ص319.

[2]– بورويبة: الفن الديني الإسلامي في الجزائر، ديوان المطبوعات، الجزائر، 1983م، ص79.

[3]– محمد الطيب عقاب: المرجع السابق، ص62.

[4]– المرجع نفسه، ص25.

المبحث الخامس: الأدوار العلمية والتربوية للمرأة في عهد الموحدين

تُمثل المرأة العنصر الفعّال والمتميز في المجتمع إلى جانب شقيقها الرجل، لأنّ لها مشاركة في مختلف مجالات الحياة، علاوة عن وظيفتها كربة بيت ومدرسة للأجيال، كما شاركت في العملية التعليمية وتسيير شؤون المجتمع، فبرزت المعلمة والمُتصوفة والزاهدة العابدة، وسخرت نفسها لخدمة الدين، كما ساهمت بمالها وقوتها في تنشئة الأجيال وتحقيق التكافل الاجتماعي.

كانت المرأة تتمتع بقسط وافر من الحرية في الفترة السابقة للموحدين حتّى بلغت حدّ الاختلاط بالرجال في الأماكن العامة والمناسبات، ممّا دفع ابن تومرت عند عودته من رحلته العلمية إلى استنكار هذا الوضع؛ فعندما نزل ببجاية في عيد الفطر ووجد اختلاط الرجال بالنساء فرّق بينهم بعصاه، كما اعترض على تبرج وسفور بعض النساء في المغرب الأقصى، فكان يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر [1].

كانت الفتاة في الصغر ترتاد المدارس من أجل التعلم كالولد سواء بسواء[2] كما كان للمرأة دور في التدريس في حلقات المساجد، وسجلت كتب التاريخ أسماء عشرات النساء المحدِّثات في الأمة الإسلامية، منهن أم الدرداء الصغرى هجيمة الدمشقية التي روت عن أبي الدرداء[3]، لكن تغيرت مكانة المرأة في عهد الموحدين فأقصيت من شؤون الحكم وأمور السياسة[4]، ولم تتمتع المرأة الموحدية بمثل النفوذ والحرية التي كانت تتمتع بها أختها في الدولة المرابطية، بسبب تشدد ابن تومرت في منع الاختلاط بين الرجال والنساء والحدّ من حريتهنّ ومنع سفورهن في الطرقات العامة، وهذا من أجل صيانة المرأة وحمايتها[5]، لكن كان المنصور الموحدي يقف بجانب المرأة والضعيف ويأخذ لهم بالحق[6].

رغم ذلك أدت المرأة المغربية دورًا كبيرًا في مجالات متنوعة، ففي بداية نشر الدعوة الموحدية حضرت المجالس العلمية والدعوية لابن تومرت، وشاركت في الاستماع إلى كلامه

---

(1)– البيذق: المصدر السابق، ص52، ابن القطان: المصدر السابق، ص41.

(2)– شوقي أبو خليل: المرجع السابق، ص457.

(3)– المرجع نفسه، ص455.

(4)– عبد الله علي علام: المرجع السابق، ص246.

(5)– حسن علي حسن: المرجع السابق، ص355.

(6)– ابن خلكان: المصدر السابق، ص10.

ونصائحه، وحين دنا أجله أمر أن يكون الرجال أمامه والنساء خلفه ليسمعوا كلامه[(1)]. كما نالت المرأة نصيبًا من العلم في عهد الموحدين وأسهمت إسهامًا فعّالا في النشاط الفكري والثقافي.

ونجد بعض المصادر تبرز لنا الشيء القليل عن نساء البلاط الموحدي، بداية من زينب؛ أم عبد العزيز بن عيسى، أخت المهدي بن تومرت التي برزت أثناء مرضه وحضورها في تسيير شؤون الدولة، وعند وفاته انتقلت أمور الخلافة إلى عبد المؤمن بن علي بإيعاز من أعضاء مجلس العشرة وبمباركة أخت المهدي، كما ظهرت في مسرح الأحداث فندة (بندة) أخت الخليفة عبد المؤمن، وكذلك أم الخليفة حبابة الرومية التي لها يد في تولية الخليفة الرشيد بعد قتل زوجها الخليفة المأمون[(2)].

وتوجهت المرأة الموحدية إلى ميدان آخر أكثر ملاءمة لطبيعتها ألا وهو ميدان التربية والتعليم، حيث كان لها دور في هذا المجال العلمي، فقد كانت إحدى أخوات الطبيب ابن زهر من ممرضات القصر الموحدي، ممتازة بمعرفتها لفنها وماهرة في الطب النّظري والعلمي، كما اشتدت حظوة المرأة في البلاط الموحدي حيث كان الشعراء يقصدون الأميرات للوساطة[(3)].

ومن بنات الخلفاء المثقفات الأميرة زينب بنت الخليفة يوسف بن عبد المؤمن، أخذت علم الأصول عن أبي عبد الله بن إبراهيم، وكانت عالمة صائبة فاضلة. وحفصة بنت الحاج الركونية وهي من شاعرات الأندلس، مدحت الخليفة عبد المؤمن بن علي، ودرّست في قصر الخليفة المنصور. وفاطمة بنت عبد الرحمن والسيدة خيرونة التي كان لها يد في نشر عقيدة الأشاعرة[(4)]، وقالت الشاعرة حفصة الركونية تهنئ أبا سعيد بن عبد المؤمن:[(5)]

[(1)]– ابن القطان: المصدر السابق، ص126.

[(2)]– صبان عبد اللطيف: بعض أدوار النساء في البلاطات الموحدي، مجلة أمل، الناشر محمد معروف، المغرب، 2001م، العدد22–23، مج8، ص167.

[(3)]– ابن أبي أصيبعة: المصدر السابق، ص524، الحسن السائح: المرجع السابق، ص235، محمد المنوني: العلوم والآداب والفنون، المرجع السابق، ص128، نقاز كريمة: المرجع السابق، ص49.

[(4)]– حسن علي حسن: المرجع السابق، ص358، عبد الله كنون: المرجع السابق، ج1، ص144، محمد المنوني: العلوم والآداب والفنون: المرجع السابق، ص33.

[(5)]– صالح بن قربة: المرجع السابق، ص56.

ياذا العلا وابن الخليفة *** الإمام المرتضي

يهنيك عيد قد جرى *** فيه بما تهوى القضا

ومن النساء المغربيات نجد منية بنت ميمون الدكالي (ت595هـ) التي كانت متصوفة زاهدة فاعتبرت من الأولياء الصالحين، أقامت بالرباط في مراكش[1]، وغيرها من الزاهدات المتصوفات.

أما في مجال الحديث فتذكر المصادر أم العلاء العبدرية وزينب القرقولية أستاذة في القراءات السبع، وزوجة المنصور الموحدي التي باعت حُليها من أجل تزيين الجامع الذي بناه زوجها وأمرت بصنع التفاحات الذهبية الثلاث التي تزين الصومعة[2].

أدت المرأة الموحدية أدوارًا متميزة في عدة مجالات منها السياسية والعلمية، إضافة إلى إدارة بيتها وتربية الأجيال، وساهمت ولو بالنزر القليل في نشر العلوم وتطويرها من أجل ازدهار الدولة الموحدية خاصة في المجال الديني والثقافي، وما سبق ذكره ليس إلاّ بعض من النماذج في ذلك المجتمع، ويعود الفضل في هذا إلى اهتمام الموحدين بتعليم المرأة وتثقيفها لإدراكهم لأهمية موقع المرأة في الريادة الحضارية للمجتمع.

---

[1]- ابن الزيات: المرجع السابق، ص316.

[2]- حسن الوزان: المصدر السابق، ص131.

المبحث السادس: عوامل ازدهار الحركة الفكرية بالمغرب الأوسط زمن الموحدين

يعود ازدهار الحياة الفكرية والثقافية في مختلف العلوم بالمغرب الأوسط زمن الموحدين إلى تضافر عدة عوامل وأسباب، بعضها يتعلق بالأفراد والبعض الآخر يتعلق بالمحيط الاجتماعي والسياسي وغيرها، أذكر أهمها:

المطلب الأول: الأوضاع السياسية

لقد انتشر الأمن واستتب زمن الموحدين بفضل عدل القادة الموحدين وصرامتهم وحرصهم على أمن السكان وسلامتهم، نتيجة توحيد المغرب الإسلامي تحت رايتهم، حيث استقرت أوضاع البلاد نسبيًا خلال هذا العهد في ظل حكومة مركزية واحدة، مما ساعد في تطور المجال الفكري، وفي ظل هذا الاستقرار نمت الحركة الفكرية وترعرعت فروعها حتى صارت وارفة الظلال تعطي أطيب الثمار[1].

لذلك هاجر علماء من مختلف أقطار العالم الإسلامي إلى المغرب الأوسط، خاصة علماء الأندلس بعد سقوط الخلافة الأموية بالأندلس سنة (422هـ/1029م)، وازدادت حدتها مع بداية القرن السابع الهجري، خاصة بعد انهزام الموحدين في معركة حصن العقاب (609هـ/1212م)، فاستقر عدد كبير منهم في المغرب الأوسط، وجلهم من العلماء والفقهاء والصُنّاع والأُدباء[2]. بهذا عرف المغرب الإسلامي خلال حكم الموحدين ازدهارًا كبيرًا وتطورًا ملحوظًا نتيجة الأمن والاستقرار الذي ساد المنطقة، واهتمام حكامها بالعلم والثقافة وبناء مؤسساته لا تزال بعض آثارها المتميزة قائمة إلى يومنا هذا شاهدة على عصرها الذهبي.

المطلب الثاني: تشجيع العلم والعلماء

إنّ حضارة الدولة وتطورها تقوم على مدى اهتمام خلفائها وولاة أمورها وشعبها بالعلم والثقافة، وهذا ما نستشفه من خلال الدولة الموحدية، حيث كان ابن تومرت شغوفًا بالعلم وكانت رحلته طويلة في سبيل ذلك، ويتجلى هذا في تأليفه لكتاب "أعز ما يطلب"، لذلك أصبح جل أمراء الدولة الموحدية شغوفين بالعلم متزينين به ومشجعين عليه برعايته[3]، فنجد الخليفة عبد المؤمن قد جمع بين العلوم من أصول وحديث ولغة وقراءات وأدب متأثرًا بشيخه

---

[1]- حسن علي حسن: المرجع السابق، ص443.

[2]- خالد بلعربي: المرجع السابق، ص199.

[3]- عبد المجيد النجار: المرجع السابق، ص382.

ابن تومرت، وكرّم العلماء الذين انضووا تحت لوائه[1]. وقد تتلمذ عبد المؤمن بن علي على يد داعية دينية وهو العالم المهدي بن تومرت فكان من الطبيعي أن يشجعوا العلماء ويقربوا إليهم رجال الدين والأدب[2]، كما كان عبد المؤمن فقيهًا، فصيحًا، عالمًا بالجدل والأصول، حافظًا لحديث رسول الله ﷺ، مشاركًا في علوم كثيرة منها علم النجوم واللغة والأدب والتاريخ وعلم القراءات[3]، وكان يستدعي العلماء للتدريس ويعقد المجالس العلمية ويحضرها، وكان يغدق عليهم الأموال المتدفقة على هذه الدولة القوية آنذاك، كما جمع أبو يعقوب يوسف بن عبد المؤمن (ت580هـ/1185م) بين العلوم الشرعية والعلوم العقلية، وكان محبًا للعلماء ساعيًا في تقريبهم وتشجيعهم[4].

كان لاتصاف الأمراء الموحدين بالعلم وشغفهم به وحثهم عليه أثر واضح في ازدهار الحركة العلمية في عهد الموحدين في عديد العلوم والفنون، وفي نشوء فطاحل العلماء في تلك العلوم[5]، إذ كانوا يقيمون المجالس العلمية في قصورهم ويستدعون العلماء فيجزلون لهم العطاء لأنّهم أهل علم منذ البداية؛ فالمهدي درَس على يد كبار العلماء بالمشرق والأندلس، ثمّ أصبح عبد المؤمن بن علي تلميذًا له وخليفته من بعده، كما كان الخليفة يوسف من أعلم النّاس بالكلام والفلسفة، فقد حاور ابن رشد وكلّفه بتلخيص كتاب أرسطو. ويتقدمهم يعقوب المنصور في علوم القرآن واللغة والنحو والأدب والطب والفلسفة، لذلك حرروا الفكر من الجمود والقيود التي فرضها المرابطون على المجتمع وثاروا ضد الغلو والتعصب، لذلك راجت العلوم خاصة علم الكلام والفلسفة.

إنّ ازدهار المعارف وتنوعها من سمات العصر الموحدي البارزة، فقد أسسوا المدارس وشيدوا المساجد ونظموا خزائن للكتب ووفروا الجو العلمي[6]، وأخذت الحياة العلمية والأدبية بالنمو والاتساع نتيجة تشجيع الرحلات العلمية بين الحواضر العلمية المغربية والمشرقية

---

[1]– ابن بشكوال: المصدر السابق، ص14.

[2]– حسن علي حسن: المرجع السابق، ص444.

[3]– ابن أبي دينار: المصدر السابق، ص110.

[4]–عبد المجيد النجار: المرجع السابق، ص384.

[5]– المرجع نفسه، ص385.

[6]– عز الدين عمر موسى: المرجع السابق، ص53.

طلبا للعلم والحج[1]، حيث يعود أغلب العلماء من رحلاتهم لنشر التعليم الذي تلقوه في مراكز العلم والثقافة، وبهذا ساهموا في نهوض العلوم بشتّى أنواعها.

المطلب الثالث: الصلة الوثيقة بين المغرب الإسلامي والأندلس

إنّ العلاقة بين المغرب الإسلامي والأندلس كانت قائمة منذ القدم خاصة بعد الفتوحات الإسلامية، وتحققت هذه الصلة الوثيقة أكثر منذ أن أصبح الأندلس إقليما تابعا للمغرب، وتم الاطلاع على الحركة الفكرية المزدهرة في مدن الأندلس والاستفادة منها في المغرب، والترحيب بالعلماء الأندلسيين المهاجرين[2]، فكان للعامل الجغرافي دور هام في ربط العلاقات بين بلاد المغرب بالأندلس منذ الفتح الإسلامي، حيث أدرك المسلمون الصلة الوثيقة بالقطرين، خاصة أنّ المظاهر الجغرافية متشابهة، ولطالما كان الأندلس إقليما تابعا للمغرب جغرافيا أو سياسيا، فمن الناحية الجغرافية تكاد تُجمع المصادر على أنّ إقليم الأندلس جزء من بلاد المغرب الإسلامي[3]، نظرًا لسهولة الاتصال بينهما، فارتبط القطران بعلاقات متينة في مختلف المجالات؛ السياسية والثقافية والاقتصادية، خاصة أثناء الوحدة السياسية في عهد المرابطين والموحدين[4]، ونتج عن ذلك سهولة التنقل والترحال خاصة من أجل طلب العلم ونشره.

وقد سهلت عدة مدن في المغرب الأوسط التنقل بين الأقاليم وأدت دورا في الحركة العلمية؛ فمدينة تلمسان سهل موقعها الجغرافي التنقل بين هذه الأقاليم، كذلك قرب مدينة وهران[5] التي أدت دورًا في العلاقات الثقافية بين المغرب الأوسط والأندلس، إضافة إلى مدينة هنين الواقعة على شاطئ البحر، والتي تسكنها " كومية" قبيلة عبد المؤمن بن علي،

---

[1]– رضا عبد الغني الكساسبة: النثر الفني في عصر الموحدين، دار الوفاء، الإسكندرية، 2004م، ص123.

[2]– حسن علي حسن: المرجع السابق، ص445.

[3]– عبد القادر بوحسون: المرجع السابق، ص105.

[4]– المقري: المصدر السابق، ج1، ص340.

[5]– وهران: بفتح الواو وسكون الهاء وفتح الراء، مدينة كبيرة من مدن المغرب الأوسط تقع على ساحل البحر المتوسط، تبعد عن تلمسان بحوالي140ميل، اختطها المغراوي خزر بن حفص بن صولات بن ونزمار سنة(290هـ/902م). ينظر: محمد بن يوسف الزياني: دليل الحيران وأنيس السهران في أخبار مدينة وهران، تعليق المهدي البوعبلي، الشركة الوطنية، الجزائر، 1979م، ص25.

هذه المدينة التي لا يفصل بينها وبين مدينة ندرومة إلاّ جبل تاجرة التي تشتهر بالنُبل والشرف[1].

إضافة إلى وجود عدة مراسٍ كبيرةٍ في المغرب الأوسط منها: المرسى الكبير الذي يبعد حوالي ميلين فقط عن مدينة وهران، وجزائر بني مزغنى وهي مدينة كبيرة[2]. وقد ساعدت كذلك على تمتين العلاقات الثقافية بين المغرب الأوسط والأندلس الوحدة المذهبية المتمثلة في المذهب المالكي الذي تأصلت جذوره عبر العصور.

المطلب الرابع: الرحلات العلمية

تُعد الرحلة[3] فن من فنون الأدب العربي، وهي تخصص برع فيه الرحالة المسلمون خاصة المغاربة والأندلسيين لكثرة دوافعهم للحج وطلب العلم، ووردت كلمة الرحلة في القرآن الكريم مرة واحدة في قوله تعالى:﴿ إِيلَافِهِمْ رِحْلَةَ الشِّتَاءِ وَالصَّيْفِ﴾[4]، لكن القرآن الكريم حثّ على الرّحلة في عدة مواضع لاسيما الرحلة في طلب العلم، وأشهر الرحلات رحلة موسى مع الخضر عليهما السلام، أما الرّحلة لأداء فريضة الحج فقديمة منذ أيام خليل الرحمن عليه السلام[5]، حيث قال تعالى:﴿ وَلِلهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ البَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا﴾[6].

ومن أسباب الرحلة انتشار مبادئ الدين الإسلامي وحثه على طلب العلم من جهة، وهذا ما جاء في الكتاب والسُنَّة النَّبوية، وقبل تأسيس الدولة الموحدية نجد المهدي بن تومرت قد عاد من رحلته العلمية من الشرق وبدأ بمحاربة الجهل ونشر المبادئ والقيم الإسلامية، ومن جهة ثانية فإنّ من دوافع الرحلات العلمية الرغبة الملحة في تعلّم اللغة العربية والتعمق في معرفة قواعدها قصد فهم القرآن الكريم والتبحر في علومه، عن طريق التلقي عن علماء مختلف الحواضر الإسلامية بالمشرق والمغرب.

---

[1]– البكري: المصدر السابق، ص80، الوزان: المصدر السابق، ج2، ص15.

[2]– ابن حوقل: المصدر السابق، ج1، ص76، الوزان: المصدر السابق، ص37.

[3]– تعرف الرحلة لغة أنها من الفعل يرحَل رحْلا ورحيلا وترحَالا ذهب، ورحله من بلد أخرجه منها، وارتحل القوم انتقلوا، والرّحل ما يستصحبه المسافر، والرُحلة الجهة التي يقصدها المسافر. ينظر: ابن منظور: المصدر السابق،ج11، ص277، الفيروزابادي: المصدر السابق، ص1005، أحمد رمضان: الرحلة والرحالة المسلمون، دار البيان ، جدة، د ت، ص07.

[4]– سورة قريش، الآية(1).

[5]– عواطف محمد يوسف نواب: المرجع السابق، ص36.

[6]– سورة آل عمران، الآية(97).

كان مجتمع المغرب الأوسط مهتما بالعلم والمعرفة بشهادة المؤلفات التاريخية، وهو ما يؤكده قول القلصادي (ت891):" فيه الكثير من العلماء والصلحاء والعُبّاد، وسوق العلم نافقة، وتجارة المعلمين والمتعلمين رابحة، والهمم إلى تحصيله مشرفة، وإلى الجِد والاجتهاد فيه مرتقية"[1]، وأول رحلة علمية في المغرب الأوسط احتفظت بها ذاكرة التاريخ، هي رحلة بكر بن حمّاد الزناتي سنة (217هـ) إلى بغداد وهو في السابعة عشر ربيعا[2].

كانت عبادة الحج مقترنة بطلب العلم لدى علماء وطلاب المغرب الأوسط، فمن خلال المصادر نجدهم يؤدون هذه الفريضة ويجلسون إلى كبار علماء الحجاز يأخذون عنهم مختلف العلوم التي يتقنونها، ومن بين هؤلاء العلماء نجد أبا زكرياء التجيبي يحي بن محمد بن موسى التلمساني (ت652هـ/1254م) الذي حجّ وجاور وسمع بمكة[3]، وجعفر بن عبد الرحمان بن جعفر بن عثمان بن عبد الله السلمي الصقلي البجائي (ت644هـ/1246م) نزيل مكة الذي كان مقرئا وفقيها ومحدثا[4].

-كما أشار الغبريني إلى العالم علي بن أبي نصر فاتح بن عبد الله أبي الحسن البجائي (ت652هـ/1254م) من بجاية رحل إلى مكة المكرمة، وهو فقيه مالكي له علو السند في الحديث، سنده في البخاري من أعلى الأسانيد[5].

-أبو عبد الله محمد بن مختار الزواوي، ذكره هكذا الجندي في تاريخ اليمن، وذكر أنّهثقة، أخبره أنه سئل عن قوله ﷺ :{ الخِلاَفة فِي قُرِيْش، والقَضَاء فِي الأنْصَار، والأذَان فِي الحَبشَة}، فكيف عمل الشافعي بالخبر الأول دون الأخيرين؟ وما الفرق؟ فأجاب الزواوي باثني عشر فرقًا، وكان قدومه اليمن سنة خمسين وستمائة، فقرأ وارتحل إلى مكة، وتوفى بها في بضع ستين وستمئة هجري[6].

---

(1)- القلصادي: المصدر السابق، ص94.

(2)- صافية كساس: الرحلات العلمية من وإلى المغرب العربي ودورها في تنشيط الحركة العلمية والتعليمية بالمغرب العربي، مجلة الممارسات اللغوية، جامعة ملود معمري، تيزي وزو، الجزائر، 2011م، العدد8، ص180.

(3)- عبد الرؤوف زواري أحمد: المرجع السابق، ص16.

(4)- تقي الدين الفاسي: المصدر السابق، ج3، ص426.

(5)- الغبريني: المصدر السابق، ص66.

(6)- تقي الدين الفاسي: المصدر السابق، ج2، ص352.

-ومن الرّحالة الذين ذكرهم الغبريني ابن برطلة أبو محمد عبد الله بن عبد الرحمان بن عبد الله بن موسى بن عميرة الأزدي (ت661هـ/1262م)، من بجاية، قصد مكة للحج، وهو محدِّث[1].

-وذكر كذلك أبا علي عمر بن أحمد العمري البجائي (ت665هـ/1265م) الفقيه الأصولي، وهو من بجاية رحل إلى المشرق وزار مكة المكرمة، ثم رجع إلى بجاية بعد التحصيل وانتصب فيها للتدريس فيقرأ عليه الفقه والقرآن والحديث، أخذ عنه الشيخ عبد الحق بن الربيع، توفي ببجاية[2].

-إبراهيم بن يخلف التنسي المطماطي (ت670هـ/1272م) فقيه من تنس، شرح التلقين لعبد الوهاب في عشرة أسفار، زار مكة المكرمة، دخل مصر والشام وأخذ عن ابن رقيق العيد، وروى عن ناصر المشذالي، استوطن تلمسان ودرس وتوفي بها وانتفع به خلق كثير[3].

-عبد الوهاب بن يوسف بن عبد القادر البجائي (ت.بعد680هـ/1281م)، من بجاية حج مرتين، له تحصيل في الفقه وعلم بأصول الدين[4]. وأبو عبد الله محمد بن محمد بن عبد الله الكتامي بن الخضار التلمساني (ت697هـ/1297م)، من تلمسان، حج سنة 634هـ عالم بالحديث والتاريخ[5].

- أبو سليمان داوود بن مطهر الوجهاني (ق7هـ/13م) فقيه فاضل من بجاية، رحل إلى المشرق للحج، له علم بالفقه وأصوله، وله مشاركة في العربية وأصول الدين من أكابر المفتين[6]. وأبو نصر فتح بن يحي بن حزب الله المرادي الأنصاري التلمساني (ق7هـ/13م) من تلمسان، زار مكة المكرمة وهو مقرئ[7].

---

(1)- الغبريني: المصدر السابق، ص322.

(2)- المصدر نفسه، ص268، عادل نويهض: معجم أعلام الجزائر، المرجع السابق، ص39.

(3)- محي الدين الطعمي: تكملة جامع كرامات الأولياء، دار الكتب العلمية، بيروت، 2008م، ص24، عمار هلال: الجزائريون في البلدان العربية، المرجع السابق، ص170، ابن مريم: المصدر السابق، ص81.

(4)- الغبريني: المصدر السابق، ص108.

(5)- الوادي آشي(ت749هـ): برنامج ابن جابر، تحقيق محمد الهيلة، جامعة أم القرى مكة المكرمة، 1981م، ص132.

(6)- الغبريني: المصدر السابق، ص262.

(7)- عمار هلال: العلماء الجزائريون، المرجع السابق، ص30، بلقاسم فيلالي: رحلات طلبة المغاربة في طلب العلم خلال القرنين السادس والسابع هجريين، أطروحة دكتوراه، جامعة قسنطينة، 2014م/2015م، ص165.

–عبد الرحيم بن محمد اليزناسي (ت بداية ق7هـ/13م) من بجاية زار مكة المكرمة، فقيه عالم عامل، الإمام الشيخ الصالح الفاضل، رحل للمشرق وأتى بكل بديع مشرق، ولقي الأفاضل وصحب نجم الدين بن شاس واستشاره في وضع كتابه الجواهر، ثمّ رجع واستوطن فاس[1].

إنّ علماء بجاية كان حضورهم واضح في الرحلة لطلب العلم خلال هذا العهد بحسب ما توفر في مختلف المصادر العربية، وحضور مبكر لمدينة تلمسان التي تعتبر مركزًا علميًا منذ بداية القرن (6هـ/12م)، كونها عاصمة للعلم والمعرفة وقِبلة للعلماء من مختلف الأصقاع[2]، وقد لعبت الهجرات العلمية في العالم الإسلامي دورًا كبيرًا في ازدهار الحركة الثقافية، حتى صارت بجاية قبلة العلماء من كل حدب وصوب بما حملوه من علوم وآداب[3].

لقد حضّ العلماء طلبتهم على الرحلة العلمية، فترك بعضهم بلدانهم لتحصيل العلم، وكابدوا مشاق السفر وأخطاره، وقطعوا مسافات طويلة للحصول على كتاب من أجل قراءته أو سماع حديث، وأحيانا كانوا ينتهزون موسم الحج للسماع والأخذ من الشيوخ المتواجدين في المشرق الإسلامي، خاصة أن هؤلاء العلماء والطلاب يتنقلون بين أقطار المغرب الإسلامي وكذلك الأندلس بلا حواجز أو عراقيل، لأنّهم تحت لواء دولة الموحدين التي وجدوا التحفيز والعناية منها، ومنهم من استقر في دار الهجرة ومنهم من عاد إلى بلاده حاملا معه أنفس الكتب والإجازات والشهادات والتقديرات، وبذلك ذاع صيتهم في الآفاق وانتشرت مؤلفاتهم، وملأت أخبارهم بطون الكتب.

كانت الرحلة العلمية من المسائل المحمودة في المغرب الإسلامي عمومًا، إذ نتج عنها تبادل المعارف والآراء في مختلف العلوم العقلية والنقلية، وكان علماء المغرب يتصلون بعلماء المشرق والأندلس ويتداولون معهم الكتب والمصنفات وشتّى العلوم[4]. وبهذه الرحلات

---

[1]– الغبريني: المصدر السابق، ص120، الناجي لمين: رحلات علماء المغربين الأقصى والأوسط الملكية وآثارهما العلمية من خلال القرنين السابع والثامن الهجريين، دار الكلمة، القاهرة، 2016م، ص10.

[2]– عبد الرؤوف زواري أحمد: المرجع السابق، ص64.

[3]– رابح بونار: المرجع السابق، ص283.

[4]– رشيد الزواوي: التبادل العلمي بين المشرق والمغرب، مجلة الحضارة الإسلامية، الجزائر، 1993م، العدد3، ص324.

احتك علماء المغرب الأوسط بعلماء باقي دول المغرب والمشرق بدافع حب العلم والاستطلاع[1].

وللرحلة أهمية في لقاء الشيوخ والأخذ من أفواههم وأدبهم، وهو ما نبه عليه ابن خلدون في قوله:" فلقاء أهل العلم وتعدد المشايخ يفيده تمييز الاصطلاحات بما يراه من اختلافات طرقهم فيها، فيُجرد العلم عنها ويعلم أنها أنحاء تعلّم وطريق توصيل، فالرحلة لابد منها في طلب العلم لاكتساب الفوائد والكمال بلقاء المشايخ ومباشرة الرجال"[2].

لقد شدّ طلاب المغرب الأوسط الرحال إلى الحواضر العلمية بالمغرب والمشرق الإسلاميين، وأشهر تلك المناطق القيروان ومراكش وإشبيلية والإسكندرية وبغداد والبصرة والمدينة ودمشق. وانتشرت هذه الظاهرة في القرنين السادس والسابع الهجريين، بهدف توسيع المعارف العلمية والالتقاء بالعلماء والمحدِّثين[3]. فكانت مصر والشام ومكة والمدينة والعراق أكبر مراكز الإشعاع العلمي والثقافي التي تستقطب أنظار أهل العلم وطالبيه[4]. وعلى الرغم من ظهور مفكرين وعلماء أجلاء بالمغرب لهم مكانة علمية رفيعة إلاّ أنّ المغاربة ظلوا أوفياء للمراكز العلمية بالمشرق ولم تنقطع رحلاتهم[5].

زمن الموحدين توطدت علاقة المغرب بالمشرق من خلال رحلات العلماء من مختلف التخصصات، أولائك العلماء الذين هاجروا من المغرب إلى مختلف مدن المشرق بمصر والشام والعراق والجزيرة العربية. وقد كانت هذه الهجرة كبيرة لم تعهد من قبل، ومن هؤلاء المهاجرين إلى مصر الفلكي ابن أبي حجلة التلمساني صاحب كتاب "النهر في أعمدة البحر" والنّحوي الجزائري يحيى بن عبد المعطي صاحب أول ألفية في النّحو وهو الذي أوحى لابن مالك أن يؤلف ألفيته المشهورة كما أشار إلى ذلك ابن مالك نفسه في ألفيته[6].

---

[1]– القلصداي: المصدر السابق، ص59.

[2]– ابن خلدون: المقدمة، المصدر السابق، ص559.

[3]– عفاف بسطي: هجرة العلماء في المغرب الأوسط في العصر الوسيط، مجلة الفضاء المغاربي، جامعة تلمسان، الجزائر، 2003م، العدد4، مج2، ص85.

[4]– عبد المنعم ماجد: المرجع السابق، ص151.

[5]– الحاج عيفة: المرجع السابق، ص81.

[6]–عبد الله كنون: المرجع السابق، ج1، ص153، الحاج عيفة: المرجع السابق، ص82.

كما كانت الرحلة إلى فلسطين أكثر من غيرها لأنّها تزخر بالمشايخ والعلماء الكبار آنذاك، وتعد منبعا ومنهلا علميا وثقافيا يُستند عليه في التحصيل الفكري، وهي منفذ رئيس للحجاج المسلمين، وبفضل هذه الرحلات العلمية أصبح أهل المغرب في أرقى مستويات التطور والازدهار الفكري والعلمي، حتى تفوقوا على أهل العلم من المشرق[1]. وغلب على الرحلات العلمية غاية التحصيل العلمي، فهاجر العلماء وطلاب العلم من المغرب الإسلامي وإليه حتى صار التلاقح العلمي بين مجتمعاته واضحًا، فاجتمع فيه أعلام من مختلف هذه المجتمعات الإسلامية.

المطلب الخامس: انتشار المعاهد والمؤسسات الدينية والعلمية

لقد اهتم الموحدون بإنشاء مراكز علمية وثقافية وأنفقوا على علمائها وطلابها الأموال وحاربوا الأميّة والجهل، فجعلوا التعليم إجباريا ومجانيا، وكلّفوهم بنشر الدين والعلم في البوادي والأرياف، كما اعتنوا بالكتب عن طريق جمعها وإنشاء مكتبات ومرافق علمية.

كان لهذه الأسباب والعوامل أثر في ازدهار الحياة العلمية والثقافية في المغرب الأوسط بصفة خاصة والمغرب الإسلامي بصفة عامة، فألّف العلماء كتبا ومصنفات في مختلف العلوم وخلفوا وراءهم ميراثا هائلا، يشهد على الازدهار والرقي الفكري والثقافي.

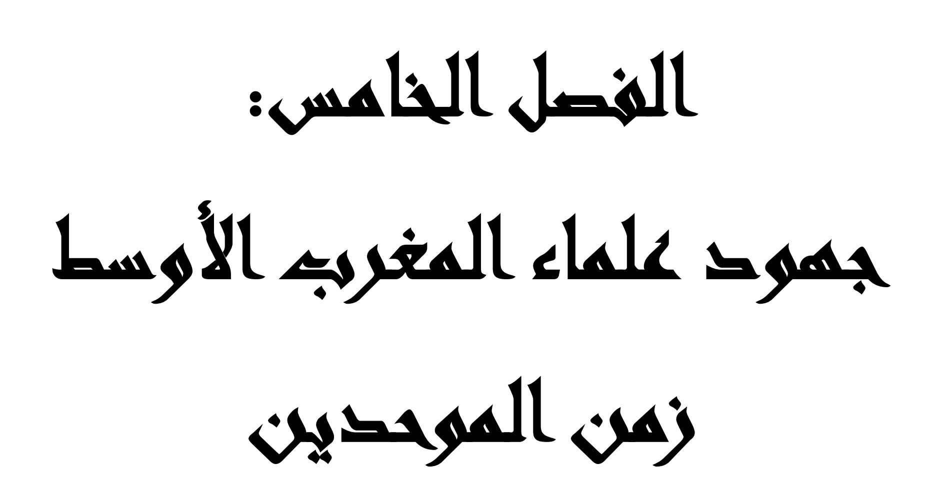
[1]– الحاج عيفة: المرجع السابق، ص84.

خلاصة

نستصفي ممّا سبق أنّ التخصص لدى العلماء بمعناه الحديث في علم معين لم يكن معروفًا في ذلك العصر، بل غلبت على العلماء الموسوعية فكانت لهم مشاركة في مختلف العلوم،حيث نجد الفقيه أديبًا، والشاعر فيلسوفًا، والصوفي عالمًا رياضيًا وفقيهًا، والطبيب صيدليًا وفقيها.

إنّ العلوم العقلية لم تكن مزدهرة كلها خلال العهد الموحدي بل ظهر بينها تفاوت نسبي، ففتح الموحدون الأبواب التي كانت شبه مغلقة أمام الفلسفة واحتضنت الطب والصيدلة وعلم الفلك والجغرافيا والرياضيات غيرها من العلوم المذكورة سابقا وبرز في بعضاها علماء لازالت أسماؤهم تملأ الأفاق إلى اليوم؛ وذلك نتيجة تضافر عدة عوامل منها: الاستقرار والأمن الذي كان ينعم به الموحدون، واهتمام خلفاء الدولة بالعلوم والفنون، ونشر التّعليم في سائر رقعة الدولة وتعميمه على الإناث والذكور، وتحفيز أهل العلم وتكريم شيوخه وطلبته وتشجيع الرحلات العلمية حتّى ذاع صيت علمائها في مختلف مناطق العالم، وإنشاء المكتبات والمرافق والفضاءات الفكرية والثقافية. وهي من مظاهر التحضر والتطور في هذه الدولة التي استطاعت أن تحقق تقدمًا علميًا رياديا في ظرف قرن من الزمن.

حظيت العلوم النقلية خلال العصر الوسيط باهتمام كبير من طرف علماء المغرب الأوسط بصفة خاصة وعلماء المغرب الإسلامي بصفة عامة، على عكس العلوم العقلية التي كان الاهتمام بها ضعيف ولم يكن لها الحظ الوفير، لذلك كانت أقل ازدهارًا من العلوم النقلية، ونظرًا لصعوبتها وصعوبة تحصيل وسائلها، خاصة أنّها تعتمد على المنهج التجريبي حيث يصعب إخضاع الظواهر للتجريب، إلا أنّه تنوعت الثقافات في المجتمع المغربي بتنوع أعراقها.



المبحث الأول: شيوخ العلوم النقلية

المبحث الثاني: شيوخ العلوم العقلية

المبحث الثالث: هجرة علماء المغرب الأوسط

المبحث الرابع: إسهامات علماء المغرب الأوسط

المبحث الخامس: التلاقح العلمي في الحواضر الإسلامية

المبحث السادس: رحلات علماء المغرب الأوسط

تمهيد:

شهد المغرب الأوسط نهضة علمية ومعرفية، وأُقيمت في سبيل ذلك مؤسسات تعليمية متنوعة، ونبغ علماء أجلاء وشيوخ[1] في مختلف المجالات العلمية والمعرفية؛ النقلية منها والعقلية، بعدما حازوا فيها على الإجازات التي تؤهلهم للمشيخة العلمية، وبرزت نُخب هامة من الفقهاء والمفسْرين والمحدثين والفلاسفة والأطباء والصيادلة والفنانين والمهندسين والموسيقيين، وغير ذلك من روّاد مجالس العلم المشاركين في نشره.

وأسهم في تلك النهضة خلفاؤه الذين يعدون من أهل العلم المبرّزين، خاصة ابن تومرت وعبد المؤمن بن علي الذي كان مُؤْثِرًا في الشيوخ وأهل العلم محبًا لهم محسنًا إليهم، يستدعيهم إليه ويُجري عليهم الأرزاق والمكافآت، فصار العلماء والشيوخ من أهل الحظوة، فاعتلوا المناصب السامية، ودونوا تآليف وتركوا آثارا تشهد على دورهم في تطور الأفق المعرفي والثقافي الذي كان له امتداد حضاري إلى العصور اللاحقة، حيث جاء في مقدمة كتاب "عنقاء مغرب" أنّ الحكام لهم استفادة في بناء دولتهم بالدرجة الأولى من العلماء الذين قربوهم إليهم لتشكيل الكيان السياسي والمعرفي لدولتهم[2]، وستُجلي المباحث الموالية أولئك الشيوخ والعلماء وبصماتهم على تمايزهم.

المبحث الأول: شيوخ العلوم النّقلية

ازدهرت الحياة العلمية بالمغرب الأوسط وعاشت المنطقة في ظل النهضة المعرفية بفضل تضافر عدة عوامل، في مقدمتها ما حظي به المجال العلمي والمعرفي من رعاية خلفاء الدولة الموحدية فبرز في العلوم النقلية كوكبة من الشيوخ الحاصلين على الإجازات نتعرف عليهم وعلى المعارف التي كانت لهم فيها قدم راسخة من خلال المطالب الآتية.

المطلب الأول: المفسرون المحدثون

نظرًا للأهمية البالغة التي يتمتع بها علم تفسير القرآن الكريم والحديث النبوي ظهر من أهل المغرب الأوسط مفسرين ومحدثين، نذكر أبرزهم من خلال الفروع التالية.

---

[1]– الشيخ في اللغة الكبير في السن واستعملها القرآن والسُنة بالمعنى نفسه، وتطلق لغة وعرفا على كثير العلم والمعرفة. ينظر الراغب: المفردات في غريب القرآن، ص 469. وهو المعنى المعتمد في هذا البحث شرط حيازة الإجازة الشاهدة على ذلك ومباشرة التعليم بواسطتها.

[2]– ابن عربي(ت638هـ): عنقاء مغرب، تحقيق عبد الباقي أحمد مفتاح، مطبعة العلم، دمشق، 1970م، ص15.

الفرع الأول: المفسرون

يُعد التفسير أشرف صناعة يتعاطاها الإنسان لشرف موضوعه وهو القرآن الكريم، لذلك لقي إقبالا من قبل العلماء وتباروا في إتقانه منذ عهد النبوة، وظل على ذلك إلى زمن الموحدين حيث برز كثير من المفسرين في المغرب الأوسط خلال عهد الدولة الموحدية أذكر أهمهم:

-المفسر الذي ترجم له عدة مؤرخين؛ أبو يعقوب يوسف بن إبراهيم السدراتي الورجلاني (ت570هـ/1174م) من ورجلان، مفسر ومؤرخ وفقيه إباضي، كان كثير الترحال في سبيل العلم، زار الأندلس والمشرق، سكن قرطبة للتحصيل المعرفي، ولم يخرج من داره مدة سبعة أعوام متفرغ للعلم إلى أن توفي بمسقط رأسه، له تأليف في تفسير القرآن يقع في سبعين جزءًا[1].

- ومن أكبر المفسيرين نجد أبا زكرياء يحي بن علي الزواوي (ت611هـ/1214م) الفقيه الزاهد، ولد في بني عيسى من قبائل الزواوة من أهل أمسيون، قرأ في أول أمره بقلعة بني حمّاد على يد الشيخ الصالح أبي عبد الله بن الخراط وغيره، ثم ارتحل إلى المشرق ولقي الفضلاء والأخيار والمشايخ من الفقهاء والمتصوّفة وأهل طريق الخير، الذي كان له ميعاد في بجاية بجامعها الأعظم يفسر فيه القرآن لعامة النّاس، فانتفع به خلق كثير، حيث أخذ "إعجاز القرآن" للخطابي عن أبي ظاهر السلفي في المشرق، كان صالحًا زاهدًا[2].

الفرع الثاني: المحدثون

لا يكاد ينفصل التفسير عن الحديث لاسيما أنّه كان في أول عهده بابا من أبواب الحديث نظرا لكون السُنّة مُبيّنة للقرآن الكريم، لذلك لقيت السُنّة وعلومها اهتماما من قبل علماء الدولة الموحدية، فتفوّق بالمغرب الأوسط كثير من علماء الحديث أذكر منهم:

-أبو محمد عبد الله بن محمد بن عبد الله الصنهاجي الأشيري (ت561هـ/1165م) من بلدة أشير رحل إلى الأندلس والشام والعراق، فقيه ومحدث وأديب، سمع أبا جعفر بن غزلون وابن العربي بالأندلس، إمام أهل عصره في الفقه والحديث حيث كان جامعًا لمصنفات العلماء

---

[1]- عبد الرحمن الجيلالي: المرجع السابق، ج2، ص21، محمد بن عمرو طمار: المرجع السابق، ص166.

[2]- الغبريني: المصدر السابق، ص127، ابن الزيات: المصدر السابق، ص428، الطاهر بونابي: المرجع السابق، ص238، عادل نويهض: معجم أعلام الجزائر، المرجع السابق، ص168.

منها نسخة متقنة من كتاب"المتفق والمفترق في رواة الحديث"، وله كتاب"تهذيب الاشتقاق لأبي العباس المبرّد" فاق علماء الشام، مات بحمص ودفن هناك[1].

–أبو إسحاق إبراهيم بن يوسف المري الفاسي الحمزي الوهراني بن قرقول (ت569هـ/1173م) أصله من حمزة موضع ناحية المسيلة، ولد بالمرية ونشأ بها وسمع من جده لأمه، وهو تلميذ القاضي عياض، روى عن طائفة جليلة، أخذ عن ابن غزلون بتلمسان، ثم سافر إلى الأندلس وعاد إلى ثمّ سلا، بارع في الخط والوراقة، فقيه وأديب نحوي، بصير بالحديث ورجاله، أخذ عنه النّاس، له كتاب "مطالع الأنوار على صحيح الآثار" شرح فيه أحاديث غريب البخاري ومسلم والموطأ، توفي بفاس[2].

– الحسن بن عبد الله بن حسن التلمساني الأشيري (ت.بعد569هـ/1174م) الكاتب المعروف بابن الأشيري، ويُكنى أبا علي من أهل تلمسان، نشأ بها وأخذ عن الأستاذ أبي علي بن الخرّاز ثم انتقل إلى الأندلس وأخذ بالمرية (الجدل، الشك) عن أبي الحجاج بن يسعون سنة (540هـ)، كان من أهل العلم بالقراءات واللغة والغريب يغلب عليه الأدب وكان ناظمًا وناثرًا، وله مجموع في غريب الموطأ وُقفت عليه بخطه، ومختصر في التاريخ سماه "نظم اللآلي فتوح الأمر العالي " وهو عبارة عن مختصر في التاريخ، ويعد من أهم المؤلفات التي تناولت تاريخ بلاد المغرب والأندلس، وقصيدة في غزوة السبطاط سنة (569هـ)[3].

–المحدّث محمد بن عبد الله بن علي بن مروان بن جبل الهمذاني الوهراني(ت601هـ)، وهراني الأصل، من أشهر الفقهاء والقضاة الذين أنجبتهم مدينة وهران[4]، ويقال أنّأصله من الأندلس. كان والده واليًا على وهران، وُلدبها ونشأ بتلمسان مُجِدًّا في الفقه والأدب، ميّالاً لعلم الظاهر ومطالعا لكتب ابن حزم، مشاركًا في صناعتي النّظم والنثر، روى عن أبي موسى

---

[1]– رابح بونار: المرجع السابق، ص272، عادل نويهض: معجم أعلام الجزائر، المرجع السابق، ص16.

[2]– الذهبي: السير، المصدر السابق، ج20، ص521، ابن خلكان: المصدر السابق، ج1، ص62، الصفدي: المصدر السابق، ج6، ص109، ابن الأبار: المصدر السابق، ج1، ص130، خالد الصمدي: المرجع السابق، ج1، ص203.

[3]– ابن الأبار: المصدر السابق، ج1، ص218، خالد الصمدي: المرجع السابق، ص204، ابن القطان: المصدر السابق، ص210، عادل نويهض: معجم أعلام الجزائر، المرجع السابق، ص16.

[4]– عبيد الله البكري: المصدر السابق، ج2، ص738، الإدريسي: المصدر السابق، ص153، يحي ابن خلدون: المصدر السابق، ج1، ص151، عادل نويهض: معجم أعلام الجزائر، المرجع السابق، ص350.

عيسى بن عمران، وروى عنه أبو جعفر بن ثعبان[1]. عُرف بغزارة العلم وحفظ المسائل. جمع بين الفقه والحفظ والشعر وحسن الخط[2]، جلس للقضاء في تلمسان، كان ذا نباهة وصرامة في الحق، بصير بالوثائق وعادل في الحكم فأحبه النّاس، فوصل ذلك إلى مسامع الخليفة الموحدي المنصور الذي استدعاه وعينه قاضي الجماعة بمراكش عاصمة الموحدين سنة (584هـ/1188م)، ثمّ قاضي أول بقضاء إشبيلية حتّى سنة (592هـ/1195م)، ثمّ عاد إلى قضاء مراكش سنة (596هـ)، توفي سنة (601هـ) ودُفن بروضة الشيوخ بمراكش[3].

-أبو عبد الله محمد بن عبد الحق بن سليمان الكومي اليفرني التّلمساني (ت625هـ/1228م) قاضي تلمسان وفقيه مقرئ عارف بالحديث حسن الخط[4]، صاحب الزاهدين أبا عبد الله بن محيو الهواري وأبا مدين شعيب، أخذ بفاس عن ابن الرمامة وابن أبي كنون، وبسبتة عن ابن رزق، روى بمراكش وإشبيلية، وأجاز له بالأندلس أبو بكر بن خير وابن رزق وابن نمارة ابن هذيل وابن بشكوال. كاتب المشارقة يستجيز لهم، له مؤلفات عديدة في الحديث منها؛ مصنف في الفقه "المختار في الجمع بين المنتقى والاستذكار" وقام على "غريب الشهاب" وهو كتاب في الحكم والمواعظ والآداب، وكتاب"غريب الموطأ وإعرابه" شرح فيه جميع المسائل المشكلة في الموطأ من غريب لفظ أو معنى أو مسألة فقهية، والتأليف على البخاري، وبرنامج في مشيخته سماه "الإقناع في ترتيب السماع"[5].

المطلب الثاني: الفقهاء والمتصوفون

كان عهد المرابطين عهد فقهاء ومتصوفين أكثر منه عهد العلماء[6]، لذلك واصل الموحدون هذه المسيرة فتكونت طبقة كبيرة من الفقهاء، نذكر أشهرهم حسب الفروع الموالية.

---

(1)- يحي بن خلدون: المصدر السابق، ج1، ص151.

(2)- موسوعة العلماء والأدباء الجزائريين: المصدر السابق، ج2، ص724.

(3)- ابن الأبار: المصدر السابق، ج2، ص161، يحي بن خلدون: المصدر السابق، ج1، ص151، محمد الطمار: المرجع السابق، ص168، تيرس نوح، المرجع السابق، ص260.

(4)- عمار هلال: علماء الجزائر، المرجع السابق، ص22.

(5)- ابن قنفذ(ت810هـ): شرف الطالب، المصدر السابق، ص211، بوعقادة: المرجع السابق، ص845، خالد الصمدي: المصدر السابق، ج1، ص219، يحي ابن خلدون: المصدر السابق، ج1، ص151، الترغي: المرجع السابق، ص603.

(6)- نجاة بلعباس: المرجع السابق، ص133.

الفرع الأول: الفقهاء

برز الكثير من الفقهاء من أهل المغرب الأوسط خاصة في الفقه المالكي منهم:

-أبو علي حسن بن علي بن محمد المسيلي (ت580هـ/1185م) الفقيه العالم، أصله من مسيلة نشأ ببجاية، وصاحَب الشيخ أبي مدين شعيب، كان معجبًا بكتب الغزالي، وُلّي قضاء بجاية ثُمّ تخلّى عنه عندما غزاها بنوا غانية، وبقي على دراسة العلم، ألّف كتابًا في علم التذكير"التفكير فيما تشتمل عليه السور والآيات من المبادئ والغايات" سلك فيه مسلك الغزالي، وأحاط فيه بالفقه والتّصوف حتّى لقب أبو حامد الصغير، جمع بين العلم والعمل والورع، وبين الظاهر والباطن، كثير التجويد، له مصنفات حسنة، وله كتاب فِقهي بعنوان "التذكرة في أصول الدين"، وكتاب "النبراس في الرّد على منكري القياس" الذي يرد فيه على أراء ابن حزم، لكنه غير متوفر ربما فُقد، مات ببجاية ودُفن بباب أمسيون[1].

-موسى بن حجاج بن أبي بكر الأشيري (ت589هـ/1194م) من فقهاء المغرب الأوسط، رحل إلى الأندلس لطلب العلم سنة (535هـ/1141م)، سمع من أبي بكر بن العربي وأبي مروان بن مسرة وغيرهما، مات بتدلس[2]، سبقت ترجمته في الفصل الثالث من هذا البحث.

-أبو محمد عبد العزيز بن عمر بن مخلوف المكنى بأبي فراس التلمساني المتوفى بالجزائر سنة (686هـ/1285م) عالم وفقيه جليل محدّث، يلقب "خزانة مالك"، فصيح اللّسان، له دروس بين الصلوات بالمسجد خاصة الجامع الأعظم، تولى القضاء ببجاية وبسكرة وقسنطينة والجزائر، واشتغل بالتدريس فأخذ عنه العلم خلق كثير مثل الغُبريني[3].

الفرع الثاني : المتصوفون

كان المغرب الإسلامي مركزًا للتّصوف فأصبح يعُجب العلماء في هذا المجال، ومنهم:

-أبو عمرو عثمان بن علي التلمساني (ت542هـ/1144م) قطب الصوفية بالمغرب الإسلامي سلك اتجاه المجاهدة النفسية بالقيام والصيام والتهجد، من جيل أبي يعزى

[1]– الغبريني: المصدر السابق، ص34، التنبكتي: نيل الابتهاج، المصدر السابق، ص155.

[2]– ابن الأبار: المصدر السابق، ج2، ص182.

[3]– الغبريني: المصدر السابق، ص63.

(ت572هـ/1176م)، اشتهر بالتمكن في العلم والمجاهدات، كثير التردد بين تلمسان وسجلماسة، عاد من الحج أثناء تشييع جنازة والدته[1].

-أبو عبد الله محمد التاونتي المعروف بابن الميلي (ت590هـ/1193م)، كان يعمل كاتبًا عند أحد كبار الأندلس، متكاسلا في تأدية الفرائض، فلمّا صار الفجر لم يقم للصلاة ولمّا أتاه رسول مستخدميه نهض مسرعا؛ فقالت له زوجته:" سبحان الله دعاك داعي الله فلم تجبه، ولما دعاك داعي المخلوق أجبته"، فأثّر كلامها في قلبه فخرج ولقي راعي الغنم، فأخذ منه جبته وأعطاه أثوابه، ثمّ رحل إلى بلدته تاونت بتلمسان، وكان يمثل التيار الصوفي التلقائي من أصحاب الانغماس في الملذات حتّى حدثت عبرة فتحول إلى حياة الزهد[2].

-أبوعلي عمر بن العباس الصنهاجي المعروف بالحباك (ت613هـ/1216م)، كان غنيًا فلمّا شهد موكب جنازة أبي مدين، أدرك يومها عزّة الصوفية ومكانتهم، فأعطى ثيابه للفقير ولبس مرقعته، وشكل مجلسًا كان يحضره أتباعه من المريدين، تنقّل بين تلمسان ومراكش، جاهد الهوى زاهدًا، توفي في طريقه إلى مكة غرقًا في البحر[3].

-أبو عبد الله محمد بن أحمد بن محمد اللخمي بن اللّحام (ت614هـ/1217م) ولد بتلمسان سنة (558هـ)، الزاهد الواعظ والصالح، كان أديبًا وشاعرًا نبيلاً، نشأ في تلمسان ثمّ رحل إلى فاس أخذ العلم بها وقرأ السبع على الأعرج، وأخذ عن أبي الحجاج بن نموي، ورحل إلى مراكش، استقدمه الخلفاء الموحدون فحظي عند يعقوب المنصور الموحدي والناصر والمستنصر[4]، له في الوعظ كتاب "حجة الحافظين ومحجة الواعظين" اختصره أبو زكرياء يحي بن محمد بن طفيل وسماه "مجالس وأبكار عرائش الأفكار" في مجلدين ضخمين يصف فيه نفسه ومحبته لربه التي تعد أساس التصوف وجوهره، توفي بمراكش، ومن نظمه في التّصوف قوله:

غريب الوصف ذو علم غريب *** عليل القلب من حب الحبيب

---

(1)- ابن الزيات: المصدر السابق، ص118.

(2)- المصدر نفسه، ص358.

(3)- يحي بن خلدون: المصدر السابق، ج1، ص144، ابن الزيات: المصدر السابق، ص458.

(4)- يحي بن خلدون: المصدر السابق، ج1، ص138، محمد المنوني: العلوم والآداب والفنون، المرجع السابق، ص144، عادل نويهض: معجم أعلام الجزائر، المرجع السابق، ص275.

إذا ما الليل أظلم، قام يبكـــي *** ويشـــكو ما يكن من الوجيب.[1]

-أبو العباس أحمد بن عثمان بن عبد الجبار الملياني (ت644هـ/1247م) الشيخ الفقيه الذي رحل إلى المشرق ولقي الأفاضل ثمّسكن بجاية وأقرأ بها وأسمع، له علم باللغة العربية والفقه وأصول الدين والتّصوف، كان له في التلقين تقدم، له كتاب "التلقين" في الفقه وله عليه تقييد، قبره بمليانة[2].

-أبو إسحاق إبراهيم بن أحمد بن الخطيب البجائي (ت691هـ/1292م) انتقل من قبيلة زواوة إلى مصر، وصحب الصوفي أبي الحسن الشاذلي، ثم هاجر إلى الشام، وكرّس حياته لتدريس الطلبة، حيث تخرج على يده ألفا طالب وثلاثمائة طالبة، وهو ذو الاتجاه الصوفي الباطني الذي تبنّى أفكار الغزالي الصوفية القائمة على المجاهدات للوصول إلى الكشف والميل للعلوم الباطنية، ونزع تلامذته إلى معرفة الله بكل ما في النّفس من قوة بعد وفاته، دُفن بجبل لبنان. كذلك أبو إسحاق إبراهيم بن يوسف الوهراني (ت569هـ/1173م) له نظم شعر في التصوف[3].

المطلب الثالث: الأدباء والمؤرخون

علاوة على عناية علماء المغرب الأوسط بالعلوم الشرعية من تفسير وحديث وتصوف خصوصا، فقد ضموا إلى ذلك الإقبال على اللغة العربية وآدابها، باعتبارها أداة لفهم القرآن والسُنّة فضلا عن كونها وسيلة للتعبير والتفاهم، إضافة إلى ظهور العديد من المؤرخين.

الفرع الأول: الأدباء

برز في المغرب الأوسط أدباء كثر ،أذكر منهم:

-الشيخ أبو عبد الله محمد بن محرز بن محمد المعروف بركن الدين الوهراني (ت575هـ/1179م)، أصله من مدينة وهران، رحل إلى الديار المصرية في أيام السلطان صلاح الدين الأيوبي، ثم انتقل إلى بلاد الشام فأقام بمدينة دمشق، وتولّى الخطابة في أحد مساجدها بداريا إلى غاية وفاته، ودفن في تربة الشيخ أبي سليمان الداراني، له عدة

---

[1]- يحي بن خلدون: المصدر السابق، ج1، ص139، عبد الحميد حاجيات: تطور الفكر الإسلامي بالمغرب الأوسط على عهد الموحدين، مجلة عصور الجديدة، الجزائر، 2012م، العدد5، ص58.

[2]- القرافي: المصدر السابق، ص51، الغبريني: المصدر السابق، ص188.

[3]- الغبريني: المصدر السابق، ص231، الطاهر بونابي، المرجع السابق، ص273.

مؤلفات[1]. لقي عماد الدين الأصبهاني، وسلك طريق الهزل، وعمل المنامات والرسائل المشهورة به والمنسوبة إليه[2]؛ اتخذت رسائله أشكالا إبداعية في غاية التنوع، وكتب عن سفره إلى بغداد، ومدح الخليفة، وكتب رسائل إلى القاضي عبد الرحيم البيساني والأثير بن بنان والأمير نجم الدين بن مصال، وله نمط آخر في كتابة رسائله على لسان الحيوانات والجماد[3]، وقد ذُكر أنّه ألّف كتابًا في التاريخ، وكان ملمًا بمختلف العلوم؛ من الطب وأعلامه والمنطق والتاريخ واللغة والشعر [4].

-أبو الحسن علي بن عبد الله بن ناشر بن المبارك الوهراني (ت615هـ/1219م)، مفسر وإمام خطيب ونحوي ولغوي شاعر، من وهران، سكن دمشق وولي الخطابة بجامع داريا سمع منه أبو الحجاج، من أثاره "تفسير القرآن الكريم" و"الشرح" على شواهد الجمل للزجاجي، وشرح المعلقات السبع وإعرابها، له شعر جيد[5].

-الأديب العلامة يحي بن عبد المعطي بن عبد النور الزواوي أبو الحسين زين الدين الحنفي (564هـ-628هـ/1168م-1230م)، ولد بالجزائر في منطقة زواوة بحاضرة بجاية، درس بها العربية والنحو والفقه المالكي على يد أبي موسى الجزولي (ت607هـ/1210م)، وابن عساكر (ت600هـ)[6]، يُعد مبرزاً في علم الأدب، وهو أحد أئمة عصره في النّحو والأدب، شاعر مجيد كثير الحفظ، هاجر إلى المشرق وسكن دمشق واشتغل بالتدريس، ولقي ابن عساكر فسمع منه، وفي سنة (624هـ) سافر إلى القاهرة إجابة في مجلس الملك الصالح[7]

---

[1]- ابن خلكان: المصدر السابق، ج4، ص385، الذهبي: العبر، المصدر السابق، ج3، ص70، الصفدي، المصدر السابق، ج4، ص386.

[2]- ابن خلكان: المرجع السابق، ج4، ص385.

[3]- أحميدي بن شارف: المرجع السابق، ص103.

[4]- المرجع نفسه، ص101.

[5]- نويهض: معجم أعلام، المرجع السابق، ص349، الداودي: طبقات المفسرين، المصدر السابق، ج1، ص219.

[6]- عبد الله كنون: المرجع السابق، ج1، ص153، مسعود كواتي: شخصيات جزائرية مواقف وآثار ونصوص، دار طليطلة، الجزائر، 2011م، ص72.

[7]- يروى أنه قد حضر مجلس الملك الصالح مع جماعة من العلماء فسألهم الملك الكامل وكان عالما قال: زيد ذهب به، هل يجوز في زيد النصب؟ فقالوا: لا، فقال ابن معطي: يجوز النصب على أن يكون المرتفع بذهب المصدر الذي دل عليه ذهب وهو الذهاب، وعلى هذا فموضع الجار والمجرور الذي هو به النصب فيجيء من باب: زيد مررت به، إذ يجوز في زيد النصب فكذلك هاهنا، فاستحسن الملك الكامل جوابه وطلب منه السفر معه إلى مصر فسافر، وقرر له راتبا على أن يقرئ الناس الأدب بالجامع العتيق بمصر. ينظر: الذهبي: السير، المصدر السابق، ج22، ص324، علي موسى

الذي اقترح عليه التوجه إلى مصر، حيث درّس بها الأدب في الجامع العتيق جامع عمرو بن العاص، والتف حوله الطلاب للاستفادة من علمه، وعكف على التأليف، ولم يزل على حاله إلى أن توفي بها عن عمر ناهز 54 سنة ودفن بالقرب من ضريح الإمام الشافعي[1]، أول من ألّف في النحو عن طريق النظم الشعري منظومته المسماة "الدرة الألفية" عندما بلغ من العمر 39 سنة، وصل عدد أبياتها ألفًا وعشرين بيتا؛ بدأ تأليفها سنة (593هـ) وانتهى منها سنة (595هـ)، وهي منظومة جمعت علم النحو والصرف من بحرين بعضها من السريع والآخر من الرجز افتتحها بهذه الأبيات:

يقول راجى ربه الغفور *** يحيى بن معط بن عبد النور

الحـــمد لله الذي هدانا *** بأحمــــــد ديــنا له ارتضانا

لقد حظيت هذه الألفية بمكانة عالية عند أئمة النّحو والعلماء واستقبلها طلبة العلم بحفاوة، و أشاد بها علماء النحو واللغة، فحفظوها وتناولوها بالشرّح والدراسة، وسار كثير من فضلاء الأمة على تقليدها ومجاراتها مثل السيوطي (ت911هـ)، وابن مالك (ت672هـ) في ألفيته حيث قلّده وأخذ عنه، وقد وصفها ابن الوردي قائلا:" وهي شاهدة لناظمها بإصابة الصواب، والتفنن في الأدب حتى كأن سيبويه ذا الإعراب قال له: يا يحي خذ الكتاب".[2]

وقال شهاب الدين أحمد الغرناطي: إن شئت نيل المراد فاقصد *** أرجوزة للإمام يحيى

كانت هذه الألفية تدرس في الزوايا والكتاتيب لطلبة العلم للتحكم في قواعد اللغة والنحو[3]. عاصر العصر الزاهر لخلفاء الدولة الموحدية، حيث اهتموا بالعلم والعلوم وأطلقوا حرية التفكير فاستقطبوا العلماء والمشايخ والأدباء والشعراء والمفكرين، وعُدت من أزهى فترات تاريخ المغرب الإسلامي الثقافي والحضاري، فبرز ثلة من العلماء، ووسط هذه الكوكبة الكبيرة من العلماء ضمن ابن معطي الريادة، وتميز بتفوقه في اللغة والأدب[4]، وقد أثنى

الشوملي: شرح ألفية ابن معطي، مكتبة الخريجي، ط1، الرياض، 1985م، ص21، الذهبي: السير، المصدر السابق، ج22، ص324.

[1]– نويهض، معجم أعلام، المرجع السابق، ص167، الشوملي: المرجع السابق، ص15، مسعود كواتي: المرجع السابق، ص72.

[2]– زين الدين عمر بن الوردي: تاريخ ابن الوردي، المطبعة الحيدرية، النجف، العراق، 1969م، ج2، ص157.

[3]– تيرس نوح: المرجع السابق، ص255.

[4]– المرجع نفسه والصفحة نفسها.

عليه السيوطي، فوصفه بالتقدم في العربية وقوة الذاكرة قائلاً:" كان إمامًا مبرزًا في العربية، وشاعرًا محسنًا، وكان يحفظ شعرًا كثيرًا؛ ومن جملة محفوظاته كتاب الصحاح"[1].

هاجر ابن معطي إلى الشام طلبا للرزق وبحثا عن لقمة العيش، وليس طلبًا للعلم لأنّ العلم كان متوفرًا في بلده، أتقن علوم عصره حتّى وصل إلى رتبة عالية فصار عالمًا مبدعًا، ولما دخل دمشق جلس للتّعليم والتف حوله الطلبة ينهلون من علمه؛ يدرّسهم علوم اللغة[2]، فاستقبله سلطان الشام عيسى بن محمد الأيوبي (ت624هـ) استقبالاً لائقا بمكانته[3].

لذلك فإنّ ابن معطي لم يكن مدرسًا فقط بل كان مؤلفًا أيضًا في علمي النّحو واللغة، وهذا حسب مؤلفه:" الدرة الألفية في علم العربية" التي قام بشرحها العديد من العلماء مثل الشريشي و"الفصول الخمسون في النحو" التي شرحها القاضي شهاب الدين الشافعي (ت693هـ/1293م)، وهي مراجع لتدريس النّحو، وله "المثلث في اللغة"[4]، وشرْح لأبيات سيبويه، وديوان خطب وديوان شعر[5]، و"الفصول في النحو"، وحواشي على أصول ابن السراج وشرح على الجمل للزجاجي في النّحو، و"نظم ألفاظ الجمهرة"[6]، ولم ينقطع عطاؤه، فمصنفاته وتحقيقاته كثيرة؛ ومن بين الكتب التي حققها: "العقود والقوانين في النّحو" و"الفصول الخمسون في النحو"، كما ألّف" أرجوزة في القراءات السبع" و"البديع في صناعة الشعر "[7].

فابن معطي كان أحد علماء الجزائر خلال القرن السادس هجري، الثاني عشر ميلادي اشتهر بمصنفات لغوية ونحوية كثيرة وصلنا منها الجزء اليسير، قد تكون موجودة في الخزائن التي لم تفهرس بعد، لعلّ الأيام ستسمح بالعثور عليها والاستفادة من تراث السلف الصالح[8].

---

[1]- جلال الدين السيوطي(ت911هـ): بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، المكتبة العصرية، لبنان، د ت، ج2، ص344.

[2]- ابن خلكان: المصدر السابق، ج6، ص197، علي موسى الشوملي: المرجع السابق، ص72.

[3]- المرجع نفسه، ص17.

[4]- الزركلي: المصدر السابق، ج8، ص155.

[5]- مسعود كواتي: المرجع السابق، ص72.

[6]- علي موسى الشوملي: المرجع السابق، ص31.

[7]- عادل نويهض: معجم أعلام الجزائر، المرجع السابق، ص167، تيرس نوح: المرجع السابق، ص297.

[8]- مسعود كواتي: المرجع السابق، ص75.

– أبو عبد الله محمد بن الحسن التميمي القلعي (ت673هـ/1274م) من قلعة بني حماد، وجده كان قاضيا بها، نشأ بالجزائر وقرأ بها ثم انتقل إلى بجاية، لقي مشايخ كبار منهم أبو الحسن الحرالي وأبو بكر بن محرز، وقرأ بالجزائر على ابن منداس، تتلمذ على يده الغبريني، كان عالما بالعربية بارعا مقدما محكما لفنونها الثلاثة النّحو واللغة والأدب متفوقًا في علم الصرف، له كتاب"الموضح في علم النحو" و"حدق العيون في تنقيح القانون" و"نشر الخفي في مشكلات كتاب الإيضاح لأبي علي الفارسي"، كما له شعر رائق[1]، وجل إنتاجه مفقود.

الفرع الثاني: المؤرخون

عرفنا في الفصل السابق أنّ علم التاريخ من العلوم التي كان لها نصيب من العناية في المغرب الأوسط نتيجة تهيئ عدة معطيات شأنه شأن جل العلوم والمعارف التي أزهرت زمن الموحدين وهو ما أفضى إلى لمعان أسماء كثير من المؤرخين، منهم:

–أبو عبد الله محمد بن علي بن حماد الصنهاجي (ت628هـ/1231م) وهو مؤرخ شاعر أديب، له مشاركة في علوم اللغة والفقه والحديث، نشأ ببرج حمزة قرب البويرة، تعلم ودرّس في قلعة بني حماد وبجاية ومدينة الجزائر وتلمسان، دخل الأندلس فسمع بها وتولى القضاء بالجزيرة الخضراء، ثم قضاء سلا (613هـ) وأزمور، استوطن مراكش وأخذ عن أبي ذر الخشني، عاش عقب سقوط الدولة الحمّادية التي خلفت تراثًا مزدهرًا ورثته الدولة الموحدية، من مؤلفاته "النبذ المحتاجة في أخبار صنهاجة" وهو كتاب في تاريخ وأصول أكبر قبائل شمال إفريقيا، له كذلك "تلخيص تاريخ الطبري"، وله في مجال الحديث كتاب "شرح الأربعين حديثا"، وله ديوان شعر[2]، كما أرّخ للدولة الفاطمية منذ تأسيسها إلى غاية سقوطها وبطولات ملوكها في كتاب بعنوان"أخبار ملوك بني عبيد وسيرتهم"، وله كتاب"الديباجة في أخبار صنهاجة" الذي يعد من أهم كتب التاريخ.

وقد ذكر لنا الغبريني أهم المؤرخين خلال هذه الفترة وهو ابن الأبار (ت658هـ/1260م) نزيل بجاية، المقرئ النحوي والأديب والمؤرخ من بلنسية، درس بالأندلس، ثم استقر ببجاية ودرّس بها وأقرأ وروى وألّف، ومن كتبه التاريخية "الحلة السيراء" الذي جمع فيه تراجم الأمراء

---

[1]– الغبريني: المصدر السابق، ص67.

[2]– الغبريني: المصدر السابق، ص218، نويهض: معجم أعلام الجزائر، المرجع السابق، ص166، خالد الصمدي: المرجع السابق، ص220، عبد القادر بوعقادة: المرجع السابق، ص845، المرابط الترغي: المرجع السابق، ص604.

الشعراء الذين لم تلههم مهامهم السياسية عن الشعر، والحلة السيراء تعني الحلة الفاخرة المنسوجة من الذهب سماه بما يناسب الملوك، ومن كتبه كذلك "التكملة لكتاب الصلة" وهو تراجم لأعلام أندلسية ومغربية مكملة لتراجم كتاب الصلة لابن بشكوال[1].

-عيسى بن مسعود أبو الروح الزواوي (ت743هـ)، فقيه وإمام، متقن لكثير من العلوم، تفقه ببجاية، حفظ الموطأ، تولى القضاء بقابس ثم درّس بالجامع الأزهر، شرح صحيح مسلم، ألّف كتاب التاريخ في عشر مجلدات لم تذكر المصادر اسم الكتاب، وقد بيّض منه نصفه؛ ذكر فيه بدء الدنيا وقصص الأنبياء وأخبار الأمم من آدم إلى زمانه، ولا يوجد مخطوط منه في الفهارس العربية[2].

---

[1]- الغبريني: المصدر السابق، ص192.

[2]- ابن فرحون: المصدر السابق، ج2، ص72.

المبحث الثاني: شيوخ العلوم العقلية

تآخى ظهور العلوم العقلية بالنقلية في المغرب الأوسط وتطورت جنبا إلى جنب رغم تفاوت العناية بها نسبيا، فاكتسحت الساحة المعرفية أسماء أعلام في المعارف العقلية حذو العلوم الأخرى زمن الدولة الموحدية وحافظت عليها الذاكرة التاريخية، وتنتمي إلى تخصصات علمية اقتضت الحاجة بل الضرورة الحياتية استدعاءها، أذكرها بشيء من البسط قدر ما توفر من مادة علمية في المطالب أدناه.

المطلب الأول: الأطباء

لا تقل حاجة النّاس إلى علم الأبدان عن الحاجة إلى علم الأديان، لذلك لقيت المعارف والعلوم الصحية عموما بما في ذلك الطب والصيدلة اهتماما خاصا في مختلف الحقب الزمنية، فعرف التاريخ البشري أطباء كان لهم فضل في حفظ الصحة وعلاج المرضى، وهو ما تفطنت له الدولة الموحدية فأولته رعاية خاصة أفضى إلى ذيوع صيت أطباء وصيادلة في المغرب الأوسط خلال عهد الدولة الموحدية منهم:

-أبو جعفر عمر بن علي بن بذوخ القلعي (ت576هـ/1180)، خبير في صناعة الأدوية، منها المركبة من المعاجين والأقراص والسفوفات، ألّف كتابا في الطب وهو"حواشي على كتاب القانون"[1]، وكتب ملاحظات على كتاب ابن سينا، كانت هجرته إلى دمشق التي استقر بها، وامتهن مداواة العامة من النّاس في دكانه الخاص حتّى وفاته[2].

-طبيب خلفاء الدولة الموحدية؛ الناصر والمستنصر ثم المتوكل وهو محمد بن سحنون الندرومي (ت634هـ/1237م)[3] من تلمسان، ولد بقرطبة وانتقل إلى إشبيلية، ودرَس الطب على يد ابن رشد، كان طبيبًا وعالمًا في اللغة وأسرارها، اختصر كتاب "المستصفى" للغزالي، والذي يتناول أركان علم أصول الفقه في أربعة أجزاء؛ المقدمات المنطقية والأحكام، الدلالة وطرق الاستنباط، والاجتهاد[4]، ويمكن أن تكون له كتب أخرى في عداد المفقودة، وقد سبقت ترجمته في الفصل السابق، إلاّ أنّ المصادر التي ترجمت له جاءت مادتها شحيحة.

---

[1]- ابن أبي أصيبعة: المصدر السابق، ص268، عادل نويهض: معجم أعلام، المرجع السابق، ص362.

[2]- ابن أبي أصيبعة: المصدر السابق، ص157، عادل نويهض: معجم أعلام، المرجع السابق، ص362.

[3]- ابن أبي أصيبعة: المصدر السابق، ص537، عادل نويهض: معجم أعلام، المرجع السابق، ص330.

[4]- الغبريني: المصدر السابق، ص100، محمد الطمار: المرجع السابق، ص167، محمد المنوني: العلوم والآداب والفنون، المرجع السابق، ص128، عادل نويهض: معجم أعلام الجزائر، المرجع السابق، ص330.

-الطبيب جمال الدين الزواوي (ت684هـ/1284م) كان طبيبا متمكنا لكن شهرته في ميدان القضاء كانت أكثر منها في الطب[1].

المطلب الثاني: الفلكيون والرياضيون

إنّ اهتمام الدولة الموحدية بعلوم الصحة عموما لم يثن إرادتها عن الانفتاح على بعض العلوم العقلية التي بدا الاهتمام بها مبكرا نوع من الرفاء المعرفي كعلم الفلك وعلم الرياضيات اللذان نالا حيزًا هاما في المغرب الأوسط، فأثمر بروز أسماء سجلها التاريخ بماء الذهب، أشرقت في ناصيته.

الفرع الأول: الفلكيون

برز عدة فلكيون من علماء المغرب الأوسط أمثال:

-محي الدين أبو العباس أحمد بن علي بن يوسف القرشي البوني[2] (ت622هـ/1225م)، الصوفي من أعيان علماء المغرب الأوسط، تخصص في علم التنجيم والطلاسم والرموز، وعلم الحروف والخواص والكهانة وعلم الغيب والعلاج بالروحانيات، غزير الإنتاج له أكثر من 37 مصنفًا، ومن مؤلفاته "كتاب سير الحكيم"، و"كتاب اللمعة النورانية" يقع في 191 صفحة، يتحدث عن الشمس والكواكب وطريقة فتح رصد الكنوز، وذكر العناصر الأربعة والساعات وجميع ما وضع لفهم ذلك، كما ذكر الكثير من المجربات الروحانية، لذلك يقال أنّه مولع بحضارة مصر القديمة، وفي نفس المجال ألّف كتاب"إظهار الرموز وإبداء الكنوز" و" تنزيل الأرواح في قوالب الأشباح" و"التوسلات الكتابية والتوجهات العطائية" وغيرها، وله كتاب "شرح اسم الله الأعظم" ويتضمن شرح عظمة الله وقدرته من خلال خلقه وما له من تصريفات خفية، ومن أشهر كتبه كذلك "شمس المعارف الكبرى ولطائف العوارف" والطبعة المتداولة هي طبعة بيروت 1986م، تتضمن أربعة أجزاء في مجلد واحد من 600 صفحة، يشمل معاني وإشارات ورموز خفيات وظاهرات، تتدبر بالعقل والتأمل والتفكير، منها أقسام فلكية ورياضية، وأسرار الحروف وما تضمنه من أسرار صوفية وروحانية وطلاسم وأسحار

---

[1]- ابن أبي اصيبعة: المصدر السابق، ج4، ص237.

[2]- سمي البوني نسبة إلى مدينة بونة(عنابة) التي تقع في الشرق الجزائري على الساحل على مسافة 600 كم شرق الجزائر العاصمة، ينظر: إسماعيل العربي: المرجع السابق، ص196.

غامضة، وكتاب"رسالة سير الكريم" و"تحفة الأحباب ومنية الأنجاب في سرّ بسم الله" في التفسير، توفي بالقاهرة ودفن بالقرافة[1] غير أنّ أغلب مؤلفاته مفقودة.

الفرع الثاني: الرياضيون

احتضنت البيئة المعرفية في المغرب الأوسط زمن الموحدين علماء اتجهت أنظارهم صوب العدّ والحساب لتيسير الحياة اليومية معاملاتها التي لا تستغني عن توظيف علم الرياضيات في مجالات شتّى، فبرز عدة علماء سخروا أنفسهم لإجادة هذا العلم، وحفروا أسماءهم في ذاكرة التاريخ، أذكر منهم:

-أبو طاهر عمارة بن يحي بن عمارة الشريف الحسني من أهل القرن 6هـ، مات بعد (585هـ/1189م)، له علم وأدب وشعر، اشتغل قاضيا في نواحي بجاية زمن بني غانية، وامتدحهم وأنشد بين أيديهم، وحينما زالت شوكتهم على بجاية وغادروها تعرّض هذا العالم إلى محنة من قبل الموحدين فاعتقلوه، كان متقدمًا في علم العربية والأدب، له تأليف في علم الفرائض، وتواشيحه في نهاية الحسن، جُمع شعره في ديوان.[2]

-علي بن معصوم بن أبي ذر القلعي (ت551هـ/1156م) عالم بالحساب فقيه شافعي[3]، له ديوان شعر يسمى ديوان ابن معصوم، كما مرّت ترجمته في الفصل السابق.

-يوسف بن إبراهيم بن مناد السدراتي الورجلاني (ت570هـ/1174م)، مؤرخ ومفسر وفقيه إباضي، زار الأندلس وسكن قرطبة، له مؤلفات كثيرة منها: كتاب "مرج البحرين" في المنطق والحساب والهندسة"، "العدل والإنصاف" و"الدليل لأهل العقول" و"المغرب في تاريخ المغرب" و"تفسير القرآن الكريم"[4].

-أبو عبد الله محمد بن محمد بن أبي بكر المنصور القلعي (ت660هـ/1265م)، فقيه وعالم في الفرائض وعلم الحساب[5]، من قلعة بني حمّاد، وفد إلى المدرسة البجائية وأقام حلقات تدريس علم الفرائض والحساب، وتخرّج في هذه المدرسة الفقيه العالم بالفروض

---

[1]- عبد الرحمن الجيلالي: المرجع السابق، ص75، عادل نويهض: معجم المفسرين، المرجع السابق، ص759.

[2]-الغبريني: المصدر السابق، ص45، عادل نويهض: معجم أعلام الجزائر، المرجع السابق، ص242.

[3]- ابن العماد: المصدر السابق، ج6، ص263، عادل نويهض: المرجع السابق، ص267.

[4]- عمر فروخ: المرجع السابق، ص368، عبد الحميد حاجيات: الجزائر في التاريخ، المرجع السابق، ج3، ص341، عادل نويهض: معجم أعلام الجزائر، المرجع السابق، ص342.

[5]- الغبريني: المصدر السابق، ص227، نويهض: المرجع السابق، ص267، ابن الأبار: المصدر السابق، ص59.

والمنطق والأصول أبو موسى عمران بن موسى المشدالي (745هـ/1345م)، له مجلس يقرأ عليه فيه التهذيب من العدول المرضيين[1].

–أبو محمد عبد الحق بن ربيع البجائي الأنصاري (ت675هـ/1276م)، الفقيه العالم الصوفي، أصله من الأندلس ولد ببجاية وقرأ بها، عالم بأصول الدين والفقه والمنطق والتصوف، ولم يكن في ذلك الوقت بالمغرب الأوسط مثله حسب ما ورد لدى الغبريني، عُرِض عليه قضاء بجاية فامتنع منه، كما وصله كتاب المستنصر بقضاء قسنطينة فاعتذر، له باع في الفرائض والحساب[2].

[1]– التنبكتي: المصدر السابق، ص382، القرافي: المصدر السابق، ص238، نويهض: معجم أعلام، المرجع السابق، ص267.

[2]– الغبريني: المصدر السابق، ص86.

المبحث الثالث: هجرة علماء المغرب الأوسط

كان العلماء الذين يعرفون باسم "حماة الدين" و"مصابيح الظلام" مقربين من خلفاء الدولة الموحدية، حيث استطاعوا احتلال مراكز هامة في الدولة وبلوغ مناصب سامية؛ فمنهم الكتّاب والمُستشارين والقُضاة وغيرها من المناصب العليا[1]، ورغم ذلك فإنّ أغلب هؤلاء العلماء هاجروا إلى مناطق وحواضر مختلفة، وذلك لعدة أسباب نوضحها في هذا المبحث.

المطلب الأول: أنواع هجرة علماء المغرب الأوسط

لقد هاجر وانتقل علماء المغرب الأوسط إلى مختلف مناطق العالم لعدة أسباب، وتركوا آثارًا بها[2]، وتنوعت هجرتهم إلى نوعين:

الفرع الأول: هجرة داخلية

ينتقل بعض العلماء من منطقة أو مدينة إلى أخرى طلبًا للعلم أو الحظوة أو الوظيفة، حيث تكون الثقافة أكثر انتشارًا أو للفرار من أوضاع سياسية[3]، وتكون في منطقة من مناطق دولة المهاجر نفسها.

الفرع الثاني: هجرة خارجية

تكون من دولة إلى أخرى، وهي بدورها تنقسم إلى نوعين؛ هجرة مؤقتة تكون من أجل طلب العلم أو الحج، وهجرة دائمة غالبًا ما تكون هروبًا من أوضاع غير مرضية.

المطلب الثاني: أسباب هجرة علماء المغرب الأوسط

كانت حركة المغاربة مستمرة في مختلف مناطق العالم الإسلامية،وذلك لعدة دوافع وأسباب نوضح أهمها في العناصر الموالية:

الفرع الأول: الأسباب السياسية والاجتماعية

إنّ الاضطرابات السياسية وتغيير أنظمة الحكم وما يصاحب ذلك من معارضة من قِبل أصحاب النفوذ والمصالح، وكثرة الفتن تدفع بعض العلماء والأدمغة إلى الهجرة بحثا عن

---

(1)– أبو القاسم سعد الله: المرجع السابق، ج1، ص304.

(2)– الهجرة: لغة مصدر هاجر، وتعني الخروج، وهي المفارقة والقطع، وهي الرحيل، اصطلاحا: الإنتقال من أرض إلى أرض لتحقيق أهداف معينة. ينظر: زين الدين الرازي: المرجع السابق، ص3000، وابن منظور: المصدر السابق، الطبعة التونسية1، ج2، ص1476، ومحمود العيني: عمدة القاري شرح صحيح البخاري، دار إحياء التراث العربي، بيروت، د ت، ج4، ص179.

(3)– أبو القاسم سعد الله: المرجع السابق، ج1، ص324.

الأمن والاستقرار الذي يسمح بالإنتاج المعرفي وغيره. ولم يختلف الأمر زمن الدولة الموحدية، حيث هاجر بعض علمائها إلى مختلف الحواضر والدول المجاورة لأسباب سياسية واجتماعية، وفي المقابل قد تتعلق الأسباب باستقرار الدولة أو المنطقة المستقبلة، وتَحضرها وتَنعم شعوبها بالأمن والاستقرار والازدهار والرفاء. وقد يعود السبب إلى استدعاء العلماء من طرف الخلفاء والحكام، ومن الأسباب السياسية والاجتماعية التي أدت بعلماء المغرب الأوسط إلى الهجرة ما يلي:

-دخول قبائل بني هلال وبني سليم إلى المغرب وما نتج عنه من ثورات واضطراب، وتحصلهم على أراضي وثروات أهل المنطقة بعدة طرق منها الاستيلاء أو المنح من طرف السلطة. والهجوم النورماندي على سواحل إفريقيا، وبداية تفوق أوروبا في مختلف المجالات[1]، وهذا ما أفضى إلى الاضطراب خاصة في المجال السياسي، ممّا يجعل الدولة توجه اهتمامها لهذه الثورات فيحدث التدهور في المجالات الأخرى خاصة المجال المعرفي والاقتصادي.

-كانت العلاقات بين الدولة الموحدية والمشرق الإسلامي سيئة لأنّ الموحدين تلقبوا بالخلافة منذ عهد عبد المؤمن بن علي (528هـ/1133م) الذي تَسمّى بأمير المؤمنين، فأصبحوا ينافسون الفاطميين في مصر والعباسيين في بغداد والأمويين في الأندلس[2]، لاسيما في المجال المعرفي حيث قاموا ببناء مؤسسات دينية وعلمية، واهتموا بالعلماء وتشجيع طلاب العلم، فكانت أجزاء المغرب الإسلامي تحت لواء هذه الدولة، ممّا سهل تنقل العلماء بين أقطارها وحواضرها العلمية، وأدى امتدادها لأنحاء المغرب إلى توثيق العلاقة بين أقطارها وتكثيف الاتصال بين سكانها فأصبح كثير من العلماء والطلاب يتنقلون فيها بحرية من أجل التعلّم والتعليم.

الجانب السياسي كان عاملاً هامًا في جعل المشرق يستقطب المغاربة والأندلسيين، ويسمى عامل الجذب والاستقطاب حيث يسود الاستقرار السياسي والمذهبي، بحثًا عن حياة رغيدة وآمنة حيثُ يعم الأمن والاستقرار تحت حكم نور الدين زنكي (ت568هـ/1173م)

---

[1]- الحاج عيفة: إسهامات المغاربة والأندلسيين في مصر والشام من ق6هـ إلى ق9هـ، أطروحة دكتوراه، جامعة الجزائر، الجزائر، 2010م/2011م، ص311.

[2]- المرجع نفسه، ص67.

الذي حكم بلاد الشام (541هـ-569هـ/1146م-1173م) ووحّد المنطقة لمواجهة الصليبيين، كما وحّد المسلمين مذهبيا؛ وذلك ببناء مدارس ودور الحديث لدعم أهل السُنّة الذين يعانون الاضطهاد الشيعي، فانتعشت الحياة الفكرية والاقتصادية حتّى أصبحت الشام حلقة وصل وملتقى القوافل التجارية القادمة من مختلف مناطق العالم[1].

قام نور الدين زنكي بتقديم مساعدات فردية وجماعية للمغاربة، مثل مساعدته لأسرة عبد الله بن محمد الأشيري (ت561هـ/1165م) الذي كان فقيهًا من الأكابر؛ فاق علماء الشام وحلب وتسابقت إليه الملوك إثر فراره من المغرب الأوسط بعد أن أصابته نكبة فقده مكتبته الغنية[2]. كانت هجرته إلى الشام في النصف الثاني من القرن (6هـ/12م)، ثمّ رحل لأداء فريضة الحج مع أهله، ونتيجة لظروفه المزرية ترك أهله في المدينة المنورة وعاد إلى الشام وطلب المساعدة من السلطان نور الدين زنكي، لكن توفي سنة (561هـ/1166م)، فأرسل السلطان مساعدات مالية لعائلته وخيرهم بين الحجاز والشام، فاختاروا الشام[3]. فهذا العالم الجزائري الذي احتضنته الشام زمن نور الدين زنكي عاش في كنف الدولة الموحدية لفترة لكن اضطره الاضطهاد الذي تعرض له والظروف السياسية والاجتماعية في المغرب الأوسط إلى الهجرة بحثا عن السكينة والطمأنينة والهدوء ورغد العيش.

ضف إلى ذلك أنّ الدولة الأيوبية كانت تهتم بالمغاربة المهاجرين إليها، خاصة في عهد صلاح الدين الأيوبي (ت589هـ/1193م) الذي استنجد بالموحدين سنة (587هـ/1191م)، حيث راسل خليفتهم أبا يوسف يعقوب بن عبد المؤمن، ورغم أنّه لم يلق دعمًا رسميًا إلاّ أنه لقي دعمًا شعبيًا من خلال مشاركة المغاربة في الدفاع عن الدولة الإسلامية في المشرق، وكان السلاطين يقربون العلماء والفقهاء والقضاة والمتصوفة لقيامهم بإقناع العامة وتعليمهم[4]، وكانت لهجرة علماء الأندلس دورا كبيرًا في تطور الحياة الفكرية في مختلف البلدان خاصة بلاد المغرب الإسلامي، حيث نقلوا طريقتهم الخاصة في مجال

---

[1]-الحاج عيفة: المرجع السابق، ص47، شوكت عارف محمد الأطروشي، درويش يوسف حسن: مساهمة المغاربة والأندلسيين في الحركة العلمية ببلاد الشام على عهد الأيوبيين، مجلة قضايا تاريخية، العراق، 2016م، العدد2، ص16.

[2]- عمار هلال: العلماء الجزائريون، المرجع السابق، ص163.

[3]- القفطي: المصدر السابق، ج2، ص140، بونابي: المرجع السابق، ص170.

[4]- عبد الفتاح عاشور: عصر المماليك في مصر والشام، دار النهضة العربية، ط1، مصر، 1965م، ص311.

التعليم، وتنظيم حلقات العلم بالمساجد، ولهم دور كبير في تثمين العلاقات بين الحواضر الإسلامية والتلاقح العلمي والثقافي بينها.

لقد نزح المغاربة إلى المشرق الإسلامي بسبب ما لقوه من ترحيب ودعم، فعاشوا حياة رغيدة آمنة، وسرعان ما اندمجوا في المجتمع المشرقي، وتركوا فيه بصمات واضحة في جميع الميادين العلمية والاجتماعية، كابن معطي الذي هاجر من المغرب الأوسط إلى رحاب الدولة الأيوبية، حيث يعيش النّاس أحلى اللحظات بانتصار صلاح الدين الأيوبي وسحقه للصليبيين، مما غير وجه التاريخ وفتح المجال للنشاط الفكري والمعرفي.

إن الازدهار والتطور جعل الحكام والرعية يلتفتون إلى النّاحية الثقافية والفكرية، فتطورت العلوم بشكل مذهل وسريع ممّا جعل الأندلسيين والمغاربة يقفون وقوف النّد أمام العلماء المشارقة يزاحمونهم في الإنتاج العلمي الضخم في مختلف فنون المعرفة[1]. فالمغرب الأوسط شهد رحلات بين حواضر المغرب والأندلس والمشرق، فهناك من العلماء من اتجه إلى المغرب الأقصى مركز الدولة الموحدية، ومنهم من توجه إلى القيروان أو المشرق الإسلامي، وذلك لعدة أسباب قد تكون علمية أو سياسية أو دينية أو اجتماعية قصد التخلص من واقع أليم ومرير.

هاجر علماء المغرب أحيانًا بسبب الاضطرابات والتحولات السياسية في المغرب والأندلس والمتمثلة أساسًا في سقوط دول الطوائف في الأندلس، وقيام دولة المرابطين ومن بعدها دولة الموحدين، حيث رافق هذا التغيير السياسي تبدل عقائدي، انعكس سلبًا على فئات معارضة خاصة في عهد الموحدين الذين خالفوا أهل السُنّة باعتقادهم بالإمامة وأنّها ركن من أركان الدين والمهدوية، وهو ما اضطر بعض فقهاء المالكية الذين يدينون بالولاء للمرابطين للهجرة[2].

بعد سقوط دولة المرابطين على أيدي الموحدين أثّر هذا سلبًا على النُخب العلمية التي لم تجد وسيلة إلاّ الفرار والهجرة نحو بعض مناطق المغرب الإسلامي أو المشرق، وقد أشار الشيخ أبو عبد الله محمد بن محرز بن محمد المعروف بركن الدين الوهراني (ت575هـ/1179م) العبقري اللغوي المشهور بالعلم والأدب إلى هذه الظروف التي كانت

---

(1)– علي أحمد: الدور الفكري للأندلسيين والمغاربة في المشرق العربي منذ نهاية القرن الخامس حتى نهاية القرن التاسع الهجري، دار شمأل، دمشق، 1995م، ص82.

(2)– شوكت عارف محمد الأطروشي، درويش يوسف حسن: المرجع السابق، ص14.

سببا في هجرته إلى المشرق[1] عندما ساءت وتدهورت الأوضاع السياسية الداخلية في ظل تغيير الأنظمة الحاكمة بالمغرب والأندلس على السواء، فقال في مناماته:" لما تعذرت مآربي واضطربت مغاربي، ألقيت حبلي على غاربي، وجعلت مذهبات الشعر بضاعتي ومن أخلاف الأدب رضاعتي، فما مررت بأمير إلا حللت ساحته واستمطرت راحته، فتقلبت بي الأعصار، وتقاذفت بي الأمصار، فقصدت مدينة السلام لأقضي حَجة الإسلام"[2].

كما أظهر الوهراني سَخطه على الموحدين عندما سُئل عن عبد المؤمن بن علي (ت558هـ/1162م) سلطان الدولة الموحدية[3]، فقال:" مُؤَيد من السماء، خَوّاض للدماء، مسلط على من فوق الماء، حكم سيفه في القمم وأعمله في رقاب الأمم، حتى خضعت له التيجان، ودانت له الإنس والجان، وقلم العلم أظفاره، ولو أنّ للعلم لسانًا، وللورقة إنسانًا، لتألمت وتَظلمت، لكن السكوت عن هذا أرجح، ومسالمة الأفاعي أنجح، وعند الله تجتمع الخصوم"[4].

إنّ هجرة الوهراني كان لها عدة مآرب منها الدنيوية والدينية كذهابه إلى القيروان ثم صقليّة التي غادرها؛ وذلك نظرًا لنقص الدين فيها، ثمّ توجه إلى مصر ثمّ بغداد والشام من أجل الراحة والاستئناس والحج إلى بيت الله، ثمّ استقر بالشام وتولّى الخطابة ونشر العلم.

إنّ المغاربة والأندلسيين كانوا متعاطفين مع نظام حكم المرابطين، بسبب نظرة الموحدين إلى من خالفهم في العقائد والفروع بحقد وكراهية، إذ عدّوا كل من أخذ بغير مذهبهم خارجًا عن الملّة، فعاملوه بقسوة ممّا أثار الخوف والذعر في أوساط المغاربة والأندلسيين. وهذا جعل أنصار الدولة المرابطية وكثير من الفئات الاجتماعية المالكية تعيش الفزع والخوف[5] وعدم الاستقرار.

ودفعت الوشاية المغرضة بعض فقهاء المالكية الذين يعملون في البلاط الموحدي إلى الهجرة خوفا من العقاب أو السجن، مثلما حدث لأبي محمد بن عبد الله الصنهاجي الأشيري

---

(1)– الأغا بن عودة المزاري: المرجع السابق، ج1، ص95.

(2)– الوهراني: المصدر السابق، ص10، ينظر كذلك:

Basst René : Les Nom Berbères des plantes dans le traité des simples d’Ibn el Bettar, Giornal de la societait aliana, volume doclicesiom 1899, p53.

(3)– الحاج عيفة: المرجع السابق، ص32.

(4)– الوهراني: المصدر السابق، ص11.

(5)– الحاج عيفة: المرجع السابق، ص33.

(ت561هـ/1165م)، كبار علماء المالكية، كان يعمل كاتبًا عند عبد المؤمن بن علي، فلما اضطربت ظروفه رحل إلى مدينة اللاذقية ثُمّ دمشق ثمّ العراق ثمّ استقر بدمشق إلى غاية وفاته[1]. ورغم قربه من البلاط الموحدي إلاّ أنّه فضّل الرّحيل إلى المشرق هروبا من الظروف والاضطرابات السياسية، فاستدعاه الوزير ابن هبيرة[2] ببغداد وذاع صيتهم هناك.

ومن المغاربة نزلاء مصر: محمد بن سعيد بن حماد الصنهاجي البوصيري، من قلعة بني حمّاد، المقيم ببلدة بوصير، اشتهر بقصائد مدح الرسول ﷺ وتولّى تحفيظ القرآن بالقاهرة ونشر العلم، كما مدح ملوك الدولة الأيوبية. وتسلّم كتابة ديوان المنطقة الشرقية إلى غاية وفاته سنة (697هـ/1298م) واشتهر بالأخلاق الحسنة تألم لحالة الحُكام حيث قال:[3]

فقدت طوائف المستخدمين *** فلم أرى فيهم رجلا أمينا

فقد عاشرتهم ولبثت فيها *** مع التجريب من عمري سنينا

فكم سرقوا الغلال وما عرفنا *** بهم فكأنما سرقوا العيونا

كان الحسد بين العلماء الأقران أحيانا يفضي إلى نكبة بعضهم بالسجن أو العزل أو الفرار، كأبي عبد الله محمد بن إبراهيم البجائي (ت612هـ/1216م) الذي أُمتحن من أجل تركيبه وتحليله لعلوم الأوائل، فكان شأنه في ذلك شأن ابن الرشد[4].

الفرع الثاني: الأسباب الدينية

إنّ المشرق له مكانة خاصة في نفوس المسلمين عامة والعلماء خاصة، فهو مهبط الأنبياء وموطن الأماكن المقدسة ومهد الإيمان، خاصة وأنّها ذكرت في القرآن الكريم والأحاديث النبوية الشريفة، حيث قال تعالى:﴿ سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلاً مِّنَ المَسْجِدِ الحَرَامِ إِلَى المَسْجِدِ الأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ﴾[5]، وقال الرسول ﷺ:{ ألاَ إنّ عُقر دَار

[1]– ابن الأثير(ت630هـ): اللباب في تهذيب الأنساب، مكتبة المثنى، العراق، د ت، ج1، ص69، وينظر القفطي: المصدر السابق، ص137، وابن الأبار: المصدر السابق، ج2، ص918، وابن العماد، المصدر السابق، مج2، ج4، ص198، الحاج عيفة: المرجع السابق، ص34.

[2]– أبو المظفر يحيى بن محمد بن هبيرة ولد بالعراق سنة(499هـ)، تعلم ببغداد، وترقى وصار مشرف الخزانة، تولى ديوان الزمام للمقتفي لأمر الله ووزر له سنة(544هـ)، توفي سنة(560هـ). ينظر: الذهبي: سير أعلام النبلاء، المصدر السابق، ص426.

[3]– الصفدي: المصدر السابق، ج3، ص100.

[4]– عمار هلال: المرجع السابق، ص168.

[5]– سورة الإسراء الآية(1).

المُؤمنين الشّام}[1]. ومن أهم المناطق المقدسة القدس الشريف بعد مكة والمدينة، كما قال الرسول ﷺ:{ لاَ تَشدوا الرّحَال إلاّ إلى ثَلاثَة مَسَاجِد؛ المَسْجد الحَرام، ومَسْجدي، ومسْجد بَيت المَقدِس}[2]، وقال:{ صَلاَة الرّجل في المسْجِد الأَقْصَى بِخمْسين ألفَ صَلاة، وصَلاتُه فِي المَسْجد الحَرام بمَائة أَلْف صَلاة}[3].

فالقدس تستهوي قلوب المسلمين حيث كانوا يشدون الرحال إلى زيارتها والإقامة بها خاصة الأندلسيين والمغاربة الذين تدفقوا على هذه المدينة، حتى سميت الحارة المجاورة للمسجد الأقصى باسم حارة المغاربة[4]، ونظرًا لهذه المكانة العظمى هاجر العلماء إلى المشرق من أجل أداء فريضة الحج، خاصة أنّه ترسخ في ذهن المغاربة أنّ من أحبه الله يؤدي فريضة الحج ويتوفاه عند الكعبة المشرفة، وصار لأهله الشرف العظيم، ومن وقفت في وجهه الحواجز في سبيل الحج تألم وتأسف واعتقد سخط وغضب رب البيت[5].

كانت الحجاز المنطقة التي استقطبت هجرة العامة والعلماء باعتبارها المركز الروحي الذي تُشد إليه الرّحال من طرف المسلمين من مختلف مناطق العالم لأداء الركن الخامس من أركان الإسلام، كما تعتبر مركزا لتحصيل العلم خاصة العلوم الدينية من طرف الطبقة المثقفة والمتعلمة من علماء وطلبة، وذلك عن طريق بعثات علمية أو رحلات خاصة، ومرد هذه الرحلة الحنين إلى مهبط الوحي، والرغبة في الارتواء من منبع الحضارة الإسلامية، والأخذ من علمائها المشهورين، والتعمق في معرفة الدين الإسلامي ومبادئه ومختلف علومه.

شكلت مكة المكرمة أهم مركز لجذب العلماء من بين المراكز الثقافية الإسلامية، نظرًا للمكانة التي حظيت في نفوس المسلمين، لأنّها جمعت بين القدسية والمكانة العلمية والسمعة الطيبة، فهناك فريقان من العلماء الذين رحلوا إلى مكة المكرمة، فريق زار مكة وأخذ من علمائها وقفل راجعا إلى وطنه، وفريق جاور أو توفي بها، وفريق ثانٍ زار مكة واستقر بها[6].

---

[1]– ابن عساكر (ت571هـ): تهذيب تاريخ دمشق، تحقيق عبد بدران، دار المسيرة، ط2، لبنان، 1979م، ج1، ص33.

[2]– ابن فقيه(ت365هـ): مختصر كتاب البلدان، دار إحياء التراث العربي، ط1، لبنان، 1988م، ص92.

[3]– ابن الجوزي(ت597هـ): فضائل القدس، تحقيق جبرائيل سليمان، منشورات دار الأفاق، لبنان، 1979م، ص89.

[4]– صلاح المنجد: المشرق في نظر المغاربة والأندلسيين، دار الكتاب، ط1، بيروت، 1963م، ص21.

[5]– عبد القادر بوعقادة: المرجع السابق، ص581.

[6]– عبد الرؤوف زواري أحمد: المرجع السابق، ص72.

وهناك من مات ودفن بالبقيع من علماء تلمسان منهم؛ عبد الحق بن سليمان الكومي (ت571هـ/1176م)، الذي عُرف بالزهد، رحل إلى الحجاز حاجًا فأدى الفريضة، وأجهد نفسه صومًا وطوافًا على إثر مرض، فتوفي بالمدينة المنورة ودفن بالبقيع[1]، وأبو محمد عبد الله الأشيري التيطراوي (ت561هـ/1166م)، المشتهر بإمامته في الفقه والحديث، كان النّاس يتسابقون إليه وتتفاخر به الملوك، تصدى للإقراء ببغداد، ثم سافر إلى مكة وتوفي بالبقاع[2].

ومن الفقهاء من لقي حتفه على يد السلطان بسبب الخلاف المذهبي أو عدم مسايرته، مثل ابن صاحب الصلاة الذي قُتل زمن الموحدين سنة (594هـ/1197م)، بعدما ترك المهدي وصيته لعبد المؤمن بن علي التي قال له فيها:" أقتله فإنّ صفير الصاد من قوله لي:" اشتغل بخويصة نفسك" لا يزال في أذني حتّى الآن"[3]، لأنّ الخلفاء يخافون الغدر من بعض المقربين، ويتوقعونه من خلال ما تشير به تصرفاتهم وتحركاتهم، فيحتاطون عن طريق التخلص منهم بطرق شتّى.

الفرع الثالث: الأسباب الاقتصادية

كما هاجر العلماء زمن الدولة الموحدية لظروف سياسية ودينية فإنّهم قد هاجروا لظروف اقتصادية؛ وذلك من أجل التجارة أو بحثا عن لقمة العيش، خاصة أنّ المغرب الأوسط شهد نكسات اقتصادية وكان في صراع دائم مع جيرانه، ممّا جعل السلطة في حاجة إلى مداخيل مالية لتلبية حاجيات البلاد وتمويل الحروب، فلجأت الدولة إلى تضخيم الضرائب على الشعب، وهذا ما جعل العلماء يفكرون في ترك وطنهم والاتجاه إلى بلاد المشرق لتحسين وضعهم المعيشي[4].

لذلك يعتبر المشرق من أهم مناطق الرخاء الاقتصادي، فهي بلاد فلاحية وصناعية وحِرفية وتجارية، وهي مناطق جذب للمغاربة الذين ضاقت بهم سبل العيش في بلادهم، وفي هذا الصدد يقول ابن جبير:" كل من وفقه الله بهذه الجهات من الغرباء للانفراد يلتزم إن أحب ضيعة من الضياع، فيكون فيها طيب العيش ناعم البال، وينهال الخير عليه من أهل الضيعة، ويلتزم الإمامة أو التعليم أو ما شاء، ومتى سئم المقام خرج إلى ضيعة أخرى أو يصعد على جبل لبنان أو إلى جبل الجودي فيلقى بها المنقطعين إلى الله عز وجل فيقيم

[1]– يحي بن خلدون: المصدر السابق، ج1، ص122.

[2]– يحي بوعزيز: أعلام الفكر، المرجع السابق، ج1، ص32.

[3]– يحي بن خلدون: المصدر السابق، ج1، ص116.

[4]– عبد الرؤوف زواري أحمد: المرجع السابق، ص19.

معهم ما شاء"[1]، لأنّ مِن العلماء مَن تضيق به سبل العيش في مجتمعه، فيرتحل من أجل الاسترزاق عن طريق الجهد العضلي أو الفكري خاصة في أوقات الأزمات.

ومن الرعاية الخاصة التي تلقاها المغاربة وأهل الأندلس من طرف السلاطين تلك التسهيلات التجارية والاقتصادية المتمثلة في تخفيض الضريبة على السلع، كما فعل السلطان أبو السعادات النّاصر فرج بن برقوق (ت815هـ/1412م)، حيث قرّر أن يؤخذ من التُّجار المغاربة العُشر بدلا من الثُلث[2]، فالتجار لهم دور كبير في نشر العلم والإسلام والثقافة، وذلك عن طريق اقتناء الكتب والمؤلفات وإعادة بيعها في مختلف الأقاليم.

الفرع الرابع: الأسباب الثقافية

عرفت بلاد المشرق نهضة علمية وفكرية كبيرة خلال العصر الوسيط، حيث أنشأ الملوك والسلاطين مدارس ودور القرآن والحديث، والمساجد والزوايا والخوانيق والبيمارستانات، ومراكز للترجمة، وهذه العوامل استقطبت المغاربة من أهل العلم كالطلاب والعلماء والفقهاء، ومنحت للمعلمين إعانات مالية واقامات، وكانت الرحلة في طلب العلم ولقاء علماء المشرق من الدوافع والأسباب التي ساهمت في توافد المغاربة على الحواضر العلمية بالمشرق، خاصة بلاد الشام وذلك لما تلقوه من ترحيب وتشجيع.

لقد اتسمت العلاقات العلمية والثقافية بين المغرب والمشرق الإسلامي بالحيوية والنشاط طيلة القرون الخمسة الهجرية الأولى، حيث أصبح المغرب الإسلامي، يرتكز على المشرق الإسلامي كونه منبعًا غنيًا من النّاحية المعرفية والثقافية[3]، ويقصده الطلاب لتلقي العلوم عن علمائه وتعلم قواعد اللغة العربية والتبحر في العلوم الإسلامية من أجل استقامة اللّسان عند النّطق بالقرآن وتلاوته وفهمه وتفسيره وتطبيق أحكامه.

كان جامع الأزهر كفيل بجلب نسبة هائلة من علماء المغرب الأوسط نحو مصر باعتباره مركزًا ثقافيًا إسلاميًا عريقًا لمن أتيحت لهم الفرصة للتعلم فيه[4]، كما كان للمالكية زاوية في الجانب الغربي من الجامع الأموي بدمشق يجتمع فيها المغاربة من طلاب العلم وحجاج وعلماء، فأولى لهم الأيوبيون الرعاية بتوفير مستلزمات الراحة كالمساكن، والخانات والحمامات، ونظم لهم صلاح الدين الأيوبي مارستانًا لعلاج مرضاهم ووكل بهم أطباء

[1]- ابن جبير (ت640هـ): تذكرة بالأخبار عن اتفاقات الأسفار، تقديم محمد زيادة، دار الشعب، مصر، د ت، ص259.

[2]- ابن العماد: المصدر السابق، ج13، ص128.

[3]- الحاج عيفة: المرجع السابق، ص80.

[4]- عمار هلال: العلماء الجزائريين، المرجع السابق، ص161.

يتفقدون أحوالهم ورتب لأبناء السبيل من المغاربة الطعام يوميا؛ بتعيينه خبزتين لكل إنسان في اليوم، واتخاذ إجراءات أخرى مثل إلغاء المكوس والضرائب، لذلك نجد ابن جبير يشجع المغاربة للرحيل إلى هذه البلاد[1].

كما وقّف الشاميون مقابر خاصة بموتى المغاربة مثل مقبرة خليل بن زويزان التي تقع بدمشق، ومقبرة "فقراء المغاربة"، كما نجد من أهل دمشق من وقّف جزءًا من ثروته على الفقهاء المغاربة مثل أحمد بن عبد الله الذهبي (ت663هـ/1265م)[2].

كذلك كان الجامع الطولوني الذي شيده أحمد بن طولون سنة(265هـ/879م)[3] مقصدًا للمغاربة الذين يقيمون فيه أيامًا عديدة، كما توجد عدة مساجد أطلق عليها اسم مسجد المغاربة[4]، وتوجد في الإسكندرية زاوية أبي صالح محمد، ينزلها طلبة مغاربة لهم فيها أوقاف[5]، كما وُقفت لهم زاوية في المسجد الأقصى وخانقاه تُعرف بـ"خانقاه الفخرية"[6].

لم يقتصر الأمر على مساجد مصر بل كانت الدروس تلقى في غيرها من مساجد العالم الإسلامي، فهناك العديد من الحلقات والمجالس التي يعقدها فقهاء وقراء وأدباء في مساجد القدس وبلاد الشام[7]. فالمسجد الأقصى له مكانة في الإسلام فهو مسرى النبي ﷺ، وإلى جانب نشاطه الديني يعتبر مركزا ثقافيا وعلميا تُشد إليه الرحال من البلدان الإسلامية المختلفة؛ إذ يفد إليه كثير من العلماء وطلاب العلم للمجاورة والتّعلم أمثال الشيخ أبو يعقوب المغربي (ت698هـ/1298م)، الذي أقام بالقدس وجاور بالمسجد الأقصى[8].

أما مساجد دمشق فهي مراكز علمية عظيمة بها حلقات العلم والقراءات، وحلقات للتدريس وكان العلم بها في متناول الجميع، خاصة أنّ أهل دمشق يحبون المغاربة. ولا يختلف عن ذلك حال مساجد بغداد التي من أشهرها الجامع الرسمي للخلافة العباسية وهو جامع الخليفة، وجامع المنصور وجامع الرُّصافة التي كانت تستقطب العلماء، حيث كانت

---

(1)- شوكت عارف محمد الأطروشي، درويش يوسف حسن: المرجع السابق، ص17.

(2)- المرجع نفسه، ص18.

(3)- أحمد عبد الرزاق: الحضارة الإسلامية في العصور الوسطى، دار الفكر العربي، ط1، القاهرة، 1995م، ص23.

(4)- يونان لبيب ومحمد مزين: تاريخ العلاقات المغربية المصرية، الدار البيضاء، المغرب، 1982م، ص39.

(5)- محمد عبد العظيم: الحضارة الإسلامية في العصور الوسطى، دار الفكر العربي، ط1، مصر، 1991م، ص29.

(6)- شوكت عارف محمد الأطروشي، درويش يوسف حسن: المرجع السابق، ص18.

(7)- أحمد عبد الرزاق أحمد: المرجع السابق، ص22.

(8)- علي نصر منصور شهاب: الحياة العلمية في القدس، حوليات الآداب والعلوم الاجتماعية، مجلس النشر العلمي، جامعة الكويت، الكويت، 2001م، العدد22، ص26.

بغداد مركزا للثقافة الإسلامية، هاجر إليها العلماء من كل بلاد. ومن علماء المغرب الأوسط الذين هاجروا إليها محمد بن محرز الوهراني (ت575هـ/1179م) المعروف بركن الدين، من الفضلاء، كاتب بارع رحل إلى بغداد ثم مصر على عهد السلطان صلاح الدين، ثمّ تولّى الخطابة بدمشق[1].

كذلك العالم عبد الله بن محمد الأشيري (ت561هـ/1165م) فقيه وأديب حاذق ومحدث رحل إلى الشام ثم العراق، استدعاه الوزير يحي بن هبيرة إلى بغداد لإقراء الحديث والتدريس بها[2]، كما نجد أبا يعقوب يوسف السدراتي (ت570هـ/1174م)، الذي دخل عواصم المشرق العلمية اللّامعة، فواصل طريقه بعد الحج إلى بغداد[3].

كانت رحلة هؤلاء العلماء وهجرتهم للتحصيل المعرفي ونيل الإجازات، فدَرسوا ودرّسوا، وأجازوا واستمعوا ونفعوا النّاس بعلمهم، وعملوا بالإفتاء والقضاء، نظراً لنزاهتهم وغزارة علمهم، وكذلك الحصول على الكتب العلمية وجلبها للاستفادة منها، خاصة الكتب الدينية ونقلها إلى المغرب الإسلامي من أجل تنوير العقول وإنشاء مكتبات.

وفي عهد الموحدين توطدت العلاقة بين المغرب الإسلامي والمشرق، خاصة عن طريق رحلات العلماء من مختلف التخصصات، والذين هاجروا من المغرب إلى مختلفة مدن المشرق؛ مصر الشام العراق الجزيرة العربية، وهي هجرة لم تُعهد من قبل، ومن الذين هاجروا إلى مصر في عهد الموحدين؛ النحوي الجزائري يحيى بن عبد المعطي الزواوي (ت628هـ/1230م)، صاحب أول ألفية في النّحو، وأوحى لابن مالك أن يؤلف ألفيته المشهورة[4].

قدر للمشرق أن يستقبل أعدادًا كبيرة من المغاربة والأندلسيين وكانوا موضع احترام وتقدير، ونزلوا أحسن المنازل وتبوءوا أعلى المناصب الدينية فازدادت ثروتهم وأملاكهم مقابل عملهم في التّعليم وتدريس الحديث والخطبة في المسجد[5]، ومن بينهم إبراهيم بن يوسف البوني(ت612هـ/1215م)، محدث ومقرئ، رحل إلى المشرق وسكن دمشق، تولى إمامة

---

[1]– محمد الحفناوي: المصدر السابق، ص487.

[2]– عمار هلال: المرجع السابق، ص163.

[3]– مصطفى بن صالح باجو: المرجع السابق، ص145.

[4]– الحاج عيفة: المرجع السابق، ص89.

[5]– المرجع نفسه، ص210.

المحراب وهو أحد مشايخها[1]، كذلك انتقال كل من: أبو يعقوب يوسف الوارجلاني للدراسة في قرطبة وإبراهيم بن أبي بكر التلمساني إلى غرناطة للدراسة وأبو الحسن عبيد الله بن محمد بن عبيد الله بن فتوح (ت642هـ/1245م) من الأندلس إلى بجاية[2].

كما هاجر إلى الأندلس كل من الأشيري بن حسن بن عبد الله (ت569هـ) ثم عاد إلى تلمسان وتوفي بها، كذلك ابن جنون التلمساني (ت577هـ1162م)، ومحمد عبد الحق الكومي التلمساني (ت625هـ/1228م) إلاّ أنّ هذه الهجرة العلمية لا تعني ركود الحياة الثقافية في حواضر المغرب الأوسط على عهد الموحدين، بل العكس من ذلك فقد استقبلت مثلا تلمسان نزلاء من الأندلس أمثال أبو بكر بن سعادة الإشبيلي (ت600هـ/1203م) الذي أخذ عن علمائها منهم أبو العباس بن حرب المسيلي، وقد تخرج على يده الكثير من العلماء، كما وفد إليها أبو عبد الله الشوذي الإشبيلي الذي عاصر أواخر العهد الموحدي، وساهم في ربط العلاقات بين المغرب والأندلس من خلال نشر التصوف بتلمسان[3].

كان لهذه الهجرات أثرها البالغ في تنشيط الحركة العلمية ببجاية وتلمسان ووارجلان وغيرها من الحواضر والمراكز، خاصة بعد هجرة الأندلسيين إلى المغرب للتدريس أو الاستقرار[4]، أثَّر هذا التلاقح والتفاعل بين المجتمعات الإسلامية في المجال الفكري والثقافي والعلمي وانتشرت مختلف العلوم والفنون، فبرزت معالم الحضارة الإسلامية في بلاد المغرب الإسلامي، وهذا بفضل جهود العلماء الذين كرسوا حياتهم وأموالهم في سبيل العلم خاصة خلال هذه الرحلات.

---

[1]- عمار هلال: المرجع السابق، ص170.

[2]- عبد الرحمن عبان: المرجع السابق، ص33.

[3]- عمار هلال: المرجع السابق، ص22.

[4]- طاهر توات: ابن خميس شعره ونثره، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1991م، ص236.

المبحث الرابع: إسهامات علماء المغرب الأوسط

لقد ساهم أبناء المغرب الأوسط في بناء حضارة الأمة الإسلامية خلال العصور الوسطى، وذلك عن طريق خدمة كتاب الله تعالى ونشر العلم والمعرفة وتنشيط الحلقات التعليمية.

إنّ مهمة المغاربة والأندلسيين في فترة من فترات ما قبل القرن (5هـ/11م) كانت تقتصر على السماع والأخذ عن المحدثين المشارقة ثمّ يعودون إلى بلادهم، أمّا فيما بعد فإنّ الصورة أصبحت عكسية تماما عندما أخذ المغاربة يرتادون المشرق قصد العمل والاستقرار بها، فوصلوا إلى أعلى المراتب عن جدارة واستحقاق[1]، حيث تقلدوا مناصب عليا في القضاء والإفتاء والتدريس والإمامة في المساجد والمؤسسات العلمية والدينية.

حاول علماء المغرب الأوسط نقل سائر العلوم من مختلف مناطق العالم من أجل نشرها وتطويرها في شتّى المجالات، لذلك اشتهرت علماء أفذاذ أظهروا تفوقًا ملحوظًا في المجال العلمي، باجتهاداتهم وتآليفهم التي باتت تنسخ وترسل إلى المشرق والحجاز، وحازوا على تقدير واعتراف المشارقة بعلو كعبهم فيها منهم من ذكرهم ابن الأبار مثل ابن الرمامة، أبو الحسن علي الصنهاجي (ت585هـ/1190م)، وأبو محمد الآشيري عبد الله بن محمد (ت561هـ/1165م)[2]، يروي ابن العماد في "شذرات الذهب" أنّه قصد الشام ونزل حلب فتفوق على جميع علمائها، فاستدعاه الوزير ابن هبيرة أبو المظفر إلى بغداد لإقراء الحديث وتدريس علومه فيها، فكان إمام عصره في الفقه والحديث والأدب[3].

-وأبو الحسن علي بن خلف بن معرور الكومي (ت599هـ/1201م) عالم صوفي أخذ عن علماء مكة واستقر بالإسكندرية مدرسًا الأصليين والحديث[4]، والعالم يحي أبو الحسن الزواوي (ت628هـ/1231م) من أعلام الأدب شاعر حاذق، رحل إلى دمشق وجلس

---

[1]- الحاج عيفة: المرجع السابق، ص211.

[2]- ابن الأبار: المصدر السابق، ج2، ص304.

[3]- ابن عماد الحنبلي(ت1089هـ): شذرات الذهب في أخبار من ذهب، دار المسيرة، ط2، لبنان، 1979م، ج4، ص198، عبد الرحمن الجيلالي: المرجع السابق، ج2، ص304. تيرس نوح، المرجع السابق، ص138.

[4]- الطاهر بونابي: المرجع السابق، ص269.

للتدريس، ثم استدعاه حاكم مصر لشهرته فانتقل إلى القاهرة ودرّس بالجامع الأزهر فانتفع به خلق كثير[1].

-ذكر لنا المقريزي العالم أبا عبد الله إسحاق محمد إبراهيم بن عبد الرحمان بن يحي بن زكرياء الأنصاري التلمساني المالكي (ت656هـ/1260م) سمع بسبتة ومكة، عادلاً ضابطًا صاحب أصول ساهم في نشر العلم[2].

-يخبرنا المقريزي كذلك عن أبي عبد الله محمد بن إبراهيم بن يحي بن منصور بن عيسى الأنصاري البجائي الزواوي (ت683هـ/1287م) الحلبي المنشأ الفقيه الحنفي، الذي رحل إلى المشرق ودرّس بالمدرسة الأزبكية في القاهرة[3].

-محمد بن عبد الله بن عبد العزيز بن عمر أبو عبد الله جمال الدين الزناتي التلمساني (ت691هـ/1295م) رحل إلى الإسكندرية وتصدر للإقراء والتدريس فتخرّج على يده كثير من العلماء[4]، كما ورد لدى الحفناوي عالم من علماء القرن السابع هجري سليمان بن يوسف رضي الدين الملياني الفقيه المالكي رحل إلى المشرق ودخل بغداد أخذ عن علمائها وسمع من ابن القبطي والصباغ القلعي[5].

- وذكر التنبكتي العديد منهم: محمد بن إبراهيم بن عبد الرحمان الخزرجي التلمساني (ت665هـ/1266م) من صلحاء العلماء، سمع بسبتة الموطأ على أبي محمد الحجري، رحل إلى المشرق واستقر بالإسكندرية واشتهر بنشر العلم والتدريس والتصوف، وهو شارح الجلاب المشهور[6].

-عبد السلام بن علي بن عمر بن سيد النّاس الزواوي المالكي (ت681هـ/1282م) تَعلّم من علماء بجاية، ثمّ رحل إلى المشرق ودرس على يد قاسم بن عيسى بالإسكندرية وأبي

---

(1)- عمار هلال: المرجع السابق، ص163.

(2)- المقريزي(ت845هـ): المقفى الكبير، تحقيق العيلاوي، دار الغرب الإسلامي، ط1، لبنان، 1991م، ج5، ص67.

(3)- المقريزي: المصدر السابق، ص67.

(4)- عادل نويهض: معجم أعلام الجزائر، المرجع السابق، ص80.

(5)- محمد الحفناوي: المصدر السابق، ص97.

(6)- التنبكتي: المصدر السابق، ص381، الطاهر بونابي: المرجع السابق، ص271.

السخاوي بدمشق، وبرع في علوم القرآن والفقه، تصدر التدريس بتربة أم صالح، وأسندت له مشيخة الإقراء الكبرى ثم رياسة هذا الفن بالشام كله[1].

وتتجلى إسهامات علماء المغرب الأوسط فيما يلي:

المطلب الأول: تعليم العلوم الدينية ونشرها

كانت إسهامات علماء المغرب الأوسط في العلوم الدينية أكثر من العلوم الأخرى خاصة الحديث والفقه وعلوم القرآن، فالعلوم الدينية تُعد المحور الرئيس الذي دارت عليه حركة الدراسة في مختلف أنحاء العالم الإسلامي خلال العصر الوسيط، فقد سعى المسلمون للاستزادة في تلك العلوم كوسيلة للتقرب بها إلى الله تعالى[2].

كانت وظيفة التدريس من أهم الوظائف التي تقلدها علماء المغرب الإسلامي، سواء التعليم الأولي وتأديب الصبيان أو مشاركة المغاربة في التدريس عن طريق حلقات العلم خاصة داخل الحرم النّبوي الشريف، فكانت لهم حلقات باهرة في شتّى العلوم والفنون خاصة الفقه المالكي والقراءات، وتفسير القرآن الكريم والحديث[3].

الفرع الأول: تعليم القرآن ونشر علومه

كان القرآن الكريم في المغرب الأوسط يدرس في كل مكان تقريبًا، في المساجد والمدارس، وفي الخوانق والرباطات والزوايا وحتّى البيوت، ولم يكن أغلب العلماء أو الطلاب يجهلون القرآن الكريم، ومن أشهر القراء في المغرب الأوسط محمد الأشيري (ت561هـ/1165م) الذي رحل إلى المشرق ودرس هناك[4]، ويعقوب بن يوسف بن إبراهيم الورجلاني (ت570هـ/1174م)، ومحمد بن يخلف بن يوسف بن حسون (606هـ/1210م)[5]. كانت لهم مساهمات في تفسير القرآن الكريم عن طريق تأليف مصنفات وكتب في التفسير.

القرآن دستور المسلمين؛ له أهمية في تشريعاتهم وفي تربية النفس وتهذيبها، عن طريق قراءته وتفسيره فظهر علم القراءات في تلمسان بفضل العلماء منهم: إبراهيم بن يسول

---

[1]- مفتاح خلفات: المرجع السابق، ص581.

[2]- الحاج عيفة: المرجع السابق، ص210.

[3]- محمد علي فهيم بيومي: المغاربة في المدينة المنورة، دار القاهرة، ط1، مصر، 2006م، ص172.

[4]- عمار هلال: المرجع السابق، ص163.

[5]- مصطفى بن صالح باجو: المرجع السابق، ص108.

الإشبيلي، ومتقن القراءات السبع ابن الحجام وأبو يوسف يعقوب الصنهاجي (ت ق6هـ)، ومن علماء هذا الفن في بجاية أبو الحسن الششتري وأبو العباس أحمد المعافري الذي اختصر كتاب"التيسير في القراءات" لأبي عمرو الداني فلُقب بأبي عمرو[1].

علم القراءات مصنف ضمن علوم القرآن الذي تصدر فيه القراء لإقراء القرآن ببلاد المشرق في المدارس والمساجد، وإنّ قراء المغرب بلغوا مبلغًا لا نظير له في علم القراءات، فكانوا عالمين بالقراءات وطرقها وأئمة في التجويد والإتقان، ممّا جعلهم يزاحمون القراء المشارقة في تدريس هذا العلم ونشره[2]، وكما ذكرنا سابقا فإنّه يوجد الكثير من القراء في المغرب الأوسط منهم إبراهيم الإشبيلي، ابن الحجام، يعقوب الصنهاجي.

الفرع الثاني: حفظ الحديث وروايته

كان لعلماء المغرب الأوسط عناية بالحديث وحفظه وروايته وتأليف مصنفات فيه، لأنّ له مكانة عظيمة في هذا الدين وهو المفسر والمبين للقرآن الكريم، وساهم هؤلاء المحدثون في علم الحديث فحدّثوا في المدارس والمساجد[3]، ومنهم المحدثون أبو محمد عبد الله بن محمد الصنهاجي الأشيري (ت561هـ/1165م) الذي حج وحدّث بالموطأ في دمشق[4]، ثم انتقل إلى حلب وأسمع بها الحديث سَنَتي (558هـ-559هـ)، كما حدّث ببغداد وغيرها من البلاد وأخذ عنه جماعة من العلماء، كان إمام المحدثين والفقهاء، توفي بالشام[5]، كذلك رحل أبو عبد الله محمد بن عبد الرحمن التجيبي (ت610هـ/1213م) إلى المشرق حاجًا وطالبًا للعلم، فاتسعت روايته وتحصّل على علم غزير، وأخذ عنه الطلبة بالمشرق والمغرب، ثم عاد إلى تلمسان واستوطنها وانتفع به خلق كثير[6].

---

(1)- الطاهر بونابي: المرجع السابق، ص238.

(2)- بوداعة نجادي: إسهامات علماء المغرب الإسلامي في بلاد المشرق على عهد الموحدين، مجلة عصور الجديدة، جامعة سعيدة، الجزائر، 2020م، المجلد10، العدد1، ص130.

(3)- بوداعة نجادي: المرجع السابق، ص124.

(4)- دمشق: توجد في الإقليم الرابع، وبعدها عن خط الاستواء ثلاثة وثلاثون درجة، وبعدها عن خط المغرب ستون درجة، وهي مدينة قديمة، ليس في أرض الإسلام والروم مثلها، لها سور من الحجارة. ينظر: إسحاق بن الحسين المنجم: آكام المرجان في ذكر المدائن المشهورة في كل مكان، عالم الكتب، بيروت، 1988م، ص57.

(5)- الذهبي: سير أعلام النبلاء، المصدر السابق، ج20، ص466، ابن الأبار: المصدر السابق، ج2، ص305.

(6)- المقري التلمساني: المصدر السابق، ج2، ص650، ابن الأبار: المصدر السابق، ص102.

تولى أبو سهل يونس بن يوسف الجذامي القصري (قصر كتامة) المعروف بابن طريبة (ت641هـ/1243م) التدريس بدار الحديث الكاملية في القاهرة حوالي سنة (617هـ/1220م)، وبهذا ساهم علماء المغرب الأوسط في نقل الحديث وتدريسه في مختلف المدارس والزوايا، خاصة بعد عودتهم من رحلاتهم، ونافسوا المشارقه وكانوا أئمة حافظين لأحاديث الرسول صلى الله عليه وسلم [1]، وأدى المغاربة دورا كبيرا في تنشيط دراسات الحديث، ظل من أبرز الأنشطة التي ساهموا بها في الدراسات الدينية، ومشاركة المشارقة في وضع الحجر الأساس للدراسات المالكية.[2]

إنّ علماء بجاية وتلمسان لم ينصرفوا إلى تصحيح أمهات كتب الحديث أو الاعتناء بضبط روايتها أو النظر في أسانيدها فحسب، بل اجتهدوا في استخراج الحديث واستدراك ما غاب عن المحدثين، واهتمامهم انصب على كل كتب الحديث دون مفاضلة[3].

لقد كان لعلماء المغرب الأوسط مساهمة بقسط وفير بالنسبة لعلم الحديث في المغرب والمشرق خلال عهد الموحدين، وذلك لتفوقهم في هذا العلم ومنافستهم لعلماء المشرق، فكانوا أئمة في علم الحديث، عكفوا على تدريسه في المؤسسات الدينية والعلمية.

الفرع الثالث: تعليم الفقه وحل المسائل الفقهية

اعتنى علماء المغرب الأوسط بنشر علم الفقه وتدريسه للطلبة في المشرق والمغرب كما تولوا مهمة الإفتاء، فشاركوا فقهاء المشرق في الإفتاء وتدريس علم الفقه[4]، فأغلب المغاربة الذين استقروا بالمشرق كانوا على مذهب الإمام مالك، لذلك يُسندون إليهم مشيخة المالكية والفتوى على هذا المذهب، كما ازدهر الفقه في المغرب الإسلامي بصفة عامة والمغرب الأوسط بصفة خاصة نتيجة رحلات الطلاب والعلماء إلى المراكز العلمية خاصة نحو المشرق، فنبغ في المغرب الأوسط فقهاء في مذاهب مختلفة منهم الفقيه الإباضي أبو يحي زكرياء بن صالح اليراسني (حيا سنة580هـ/1184م)، وأبو عمار عبد الكافي الوارجلاني (ت570هـ/1174م)، وفقيه المذهب الشافعي ابن الرمامة

[1]– بوداعة نجادي: المرجع السابق، ص128.

[2]– الحاج عيفة: المرجع السابق، ص222.

[3]– ابن خلدون: المقدمة، المصدر السابق، ص281.

[4]– بوداعة نجادي: المرجع السابق، ص129.

(ت567هـ/1171م)[1]، إلاّ أنّ أغلب الفقهاء في المغرب الأوسط كانوا على مذهب الإمام مالك ومنهم: أبو مدين شعيب (ت594هـ/1197م)، ومحمد بن عبد الحق اليفرني التلمساني (ت625هـ/1228م)، الذين اهتموا بتدريس مذهب الإمام مالك وكتابه الموطأ، ومحمد إبراهيم بن عبد الرحمن بن الشرس بن الجرح التلمساني (ت656هـ/1259م) سمع بسبتة ومكة، وكان عادلا ضابطا صاحب أصول، ساهم في نشر العلم[2]، ومنهم كذلك عبد السلام بن علي بن عمر بن سيد الناس الزواوي (ت681هـ/1282م)، تلقى تعليمه الأول على علماء بجاية ثم رحل إلى المشرق وبرع في علوم القرآن والفقه[3]، والبوني أحمد بن علي بن العباس (ت622هـ/1225م)، ناسك متعبد من أشهر الدارسين تعلم بعنابة ثم رحل إلى المشرق واستقر بالقاهرة، جنح على نمط ابن عربي فألف كتابين "موضح الطريق وقسطاس التحقيق من مشكاة أسماء الله الحسنى، والتقرب بها إلى المقام الأسنى" وهو مخطوط قيّم ونادر يشرح أسماء الله الحسنى، وكتاب "علم الهدى وأسرار الاهتداء في فهم معنى سلوك أسماء الله الحسنى"، وألّف في علم المكاشفة معتبرًا طبائع الحروف وأسرارها في الأكوان والأسماء، وبحث في أسرار الحروف والعلوم الخفية، فألّف عددًا من المؤلفات منها:"سرّ الصون في حوادث الكون" و"سرّ الجمال ولطائف الجلال في الطلسمات"، لذلك يقال أنّه فتح باب السحر والشعوذة[4].

-كما يذكر لنا الصفدي؛ العالم أبا الحسن أحمد بن محمد عبد العزيز بن إسماعيل (ت633هـ/1237م) الذي استقر بالقاهرة ونبغ في الفقه والحديث وكان له احتكاكا بعلمائها ومحدثيها كالبوصري وابن الرفاعة، ومن آثاره مجاميع في التصوف[5].

-ويذكر لنا المقديسي العالم الشيخ سعيد المغربي التلمساني (ت663هـ/1264م)، رحل إلى دمشق ونزل في مسجد بمحلة طواحين الأشنان خارج باب توما[6]، والعالم أبا العباس أحمد

---

[1]- عادل نويهض: معجم أعلام الجزائر، المرجع السابق، ص153.

[2]- أبو القاسم حفناوي: المرجع السابق، ص97.

[3]- مفتاح خلفات: المرجع السابق، ص589.

[4]- عمار هلال: المرجع السابق، ص169، الطاهر بونابي: المرجع السابق، ص271.

[5]- الصفدي: المصدر السابق، ج8، ص54.

[6]- المقديسي: تراجم رجال القرنين، المصدر السابق، ص189.

بن يوسف التلمساني (ت665هـ/1266م)، الذي استقر بجامع المنارة الشرقية في دمشق، وعلى رواية الحديث خاصة كتاب الأحكام الصغرى لعبد الحق الإشبيلي[1].

-محمد بن إبراهيم بن عبد الرحمن الخزرجي التلمساني (ت665هـ/1266م)، استقر بالإسكندرية واشتهر فيها بالعلم والتّصوف، ومن أثاره شرح كتاب التفريع (للجلاب) الذي يعتبر مختصرا فقهيا جامعا لكل أبواب الفقه، من عبادات ومعاملات على المذهب المالكي[2].

-وورد لدى التنبكتي العالم علي بن أبي نصر فاتح بن عبد الله البجائي (ت652هـ/ 1254م)، فقيه وعالم من بجاية، اهتم بجمع الإجازات، رحل إلى المشرق، سمع بمكة من طرف يونس بن يحي الهاشمي، وبالقدس أبا الحسين جبير، وبدمشق الدمياطي، وبالإسكندرية الأبياري، ثم عاد إلى بجاية ونشّط بها حلقات ودروس علمية[3].

-والعالم الكبير الذي ترجم له العديد من المؤرخين أبو مدين شعيب البجائي (ت594هـ/1198م)، الذي توجه إلى المشرق وأخذ من أعلام علمائها واستفاد من أوليائها وتعرف بالشيخ عبد القادر الجيلاني فقرأ عليه في الحرم الحديث ثم عاد إلى بجاية واستوطنها ودرّس فيها[4]، خاصة الرسالة القشيرية، لذلك له دور في إدخال المصنفات الصوفية السنية التي اعتمدها مرجعية لأصل طريقته التي ذاع صيتها، فكثر أتباعه في المغرب خلال القرن السادس هجري[5].

-والعالم الذي لا يقل شأنًا عنهم أبو زكريا يحي الزواوي (ت611هـ/1214م) من أهل أمسيون ببجاية ولد في بني عيسى قبائل زواوة، كان من المتعبدين الزهاد الأولياء تكررت رحلته إلى المشرق فأخذ عن علمائه ثم عاد إلى المغرب الوسط واستوطن بجاية، وادخل إليها كتبًا مذهبية ككتاب "المصابيح" لأبي سعيد مخلوف بن جارة، ووضع تآليف في هذا الميدان أحجمت المصادر عن ذكرها، بعد رجوعه من المشرق جلس لنشر العلم[6].

---

[1]- المقديسي: تراجم رجال القرنين، المصدر السابق، ص233.

[2]- عادل نويهض: معجم أعلام الجزائر، المرجع السابق، ص69.

[3]- أحمد بابا التنبكتي: المصدر السابق،ج1،ص321، ابن الأبار: المصدر السابق، ج3، ص252.

[4]- التنبكتي: المصدر السابق، ص197.

[5]- الطاهر بونابي: المرجع السابق، ص72.

[6]- الغبريني: المصدر السابق، ص138، التادلي بن الزيات: المرجع السابق، ص429.

– أبو عبد الله محمد بن إبراهيم الفهري المشتهر بالأصولي (ت612هـ/1215 م) من أهل بجاية، رحل إلى المشرق ولقي أهل العلم وأخذ عنهم، ثم عاد إلى بجاية وولي القضاء بها ثلاث مرات، وله الفضل في التقدم العلمي، وكان يحضر مجالس العلم لأمير المؤمنين ابن عبد المؤمن، وتوفي ببجاية[1].

–دعا أبو علي الحسن المسلي إلى فتح باب الاجتهاد والقياس من خلال كتابه المفقود "النبراس في الرد على منكر القياس" والذي يرد فيه على ابن حزم، واعتمد معاصره ابن الرمامة في قلعة بني حماد مبدأ الميل إلى المذهب الشافعي، يأخذ بالكتاب والسنة والإجماع والأثر ثم القياس، فألف كتاب"تسهيل المطلب في تحصيل المذهب"[2] الذي يعتبر من المخطوطات النادرة من مضامينها فقه العبادات مثل الصلاة وأحكامها.

–عبد الوهاب بن يوسف بن عبد القادر أبو محمد البجائي (ت680هـ/1281م) رحل إلى المشرق ولقي أفاضل العلماء، وحصل تحصيلاً علميًا جيدًا في الفقه والأصليين، ولّي قضاء جملة بلاد إفريقية كتوزر وقفصة[3].

–أبو عبد الله محمد بن موسى بن النعمان التلمساني(ت683هـ/1284م)، هاجر إلى القاهرة واستقر بالقرافة، اشتهر بالزهد والعبادة من المتضلعين في المذهب المالكي، لما توفي حضر جنازته خلق كبير دلالة على منزلته في القاهرة[4].

–يذكر الجزري أنّ العالم عفيف الدين سليمان بن علي بن عبد الله الكومي التلمساني (ت690هـ/1291م)، كان أحد أقطاب وحدة الوجود في تلمسان، رحل إلى المشرق وأثرى الحياة الثقافية والفكرية في كل من مصر والشام، محطته الأولى دخول بلاد الروم، قام بأربعين خلوة كل خلوة بأربعين يومًا، عمل بخزانة السلطان المنصور في دمشق، وحظي بالاحترام والتبجيل[5]، جمع بين الكتابة والشعر والتصوف، ساهم في التأليف، له شرح على كتاب "المواقف في التصوف" لمحمد النفزي (ت354هـ)، وشرح كتاب "فصوص الحكم"

---

[1]– الغبريني: المصدر السابق، ص209.

[2]– المصدر نفسه والصفحة نفسها.

[3]– عادل نويهض: معجم أعلام الجزائر، المرجع السابق، ص37.

[4]– المصدر نفسه والصفحة نفسها.

[5]– الجزري: حوادث الزمان، ص350، الحفناوي: المصدر السابق، ج2، ص74.

لمحي الدين بن عربي الذي يتحدث فيه عن الأسرار الإلهية، وأسرار الأنبياء والرسل، وعلاقة الإنسان بالكون وبخالق الكون، وهو من أهم كتب التّصوف[1].

-ترجم الغبريني للعالم الذي ذكرته في الفصل السابق، وهو عمر بن عبد المحسن الوجهاني الصواف أبو علي (ت691هـ/1292م)، فقيه مالكي من الزهاد، قرأ ببجاية وارتحل إلى المشرق وحج بيت الله الحرام ولقي أفاضل العلماء، وكان مفتياً[2].

-جعفر بن عبد الرحمان بن جعفر بن عثمان الصقلي البجائي (ت644هـ/1246م) روى عن القاضي أبي نصر محمد بن هبة الله بن مميل الشيرازي، توفي بمكة، له دور في تدريس العلوم الشرعية، حيث سمع منه الحافظ شرف الدين الدمياطي[3]، استفاد منه خلق كثير في المشرق الإسلامي، وبهذا ساهم فقهاء المغرب الأوسط في نشر هذا العلم بالإفتاء، والقضاء والتدريس.

الفرع الرابع: الزهد ونشر التصوف

إنّ التصوف من العلوم الشرعية، وأصله من العكوف على العبادة والانقطاع إلى الله تعالى والإعراض عن زخرف الدنيا[4]، انتشر في المغرب الأوسط، ومن علمائه ورواده أبو مدين شعيب الذي تمكن من تحويل بجاية خلال النصف الثاني من القرن السادس الهجري إلى مركز إشعاع صوفي، نهل منه صوفية إفريقية والمغرب الأقصى والأندلس، ومنهم الشيخ أبو محمد صالح بن ينصارن الماجري (ت631هـ/1234م)، من أهل فاس ويذكر لنا ابن الزيات أنّه أخذ التصوف عن أبي مدين شعيب في بجاية ثم توجه إلى آسفي وأقام رباطًا واعتكف فيه للتّعبد والتّعليم فتخرّج على يده صوفية من المغرب الأوسط عادوا ونشروا في بجاية تعاليم الماجري خلال القرن السابع هجري منهم: أبو الربيع سليمان بن عمارة المسيلي وسليمان بن حبوش الحسناوي[5].

---

(1)- حاجي خليفة: المرجع السابق، ج2، ص189.

(2)- الغبريني: المصدر السابق، ص92.

(3)- تقي الدين الفاسي: المصدر السابق، ج3، ص426، الغبريني: المصدر السابق، ص171، القرافي: المصدر السابق، ص51.

(4)- ابن خلدون: المقدمة، المصدر السابق، ص611.

(5)- ابن الزيات: المصدر السابق، ص13، الغبريني: المصدر السابق، ص133.

كما أخرج أبو مدين شعيب التصوف من داخل حواضر المغرب الأوسط كقلعة بني حماد وبجاية وتلمسان وقسنطينة وبونة إلى البوادي والأرياف، وفتح باب التصوف على مصراعيه أمام العامة، فشهد انتشارًا واسعًا في المغرب الأوسط إبّان القرن 7هـ لم يسبق له نظير[1]. لذلك كان للصوفية دور في المغرب الأوسط من خلال التقوى والعدل والعطف على الفقراء والمساكين، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وكان الخلفاء الموحدون يكاتبونهم ويسألونهم الدعاء والتبرك، خاصة خلال الحروب ويستدعونهم إلى قصورهم ويمولونهم بالمال ويعطفون عليهم.

كانت رحلات الصوفية إلى المشرق لا تنقطع ويتدفقون عليه تدفقًا مستمرًا، وهي حلم معظمهم، ومن بينهم الزهاد والعُباد، الرّحالة، من أجل لقاء نظرائهم في المشرق ومنهم:

-عفيف الدين التلمساني (ت690هـ/1291م) الذي تتلمذ على يد ابن عربي بدمشق، واعتنق مذهبه الصوفي، فشرح عدة مؤلفات له حتّى وصفه الذهبي بزنديق الصوفية[2]. وأبو عبد الله محمد بن حسان التاونتي المعروف بابن الميلي (ت590هـ/1193م)، من أعلام تلمسان، توجه إلى مكة والمدينة ثم بلاد الشام، ثم استقر بجبل الدرن في لبنان وأُختير كشيخ الصوفية هناك[3]، والعالم الصوفي أبو الحسن علي بن خلف بن معرور الكومي (ت599هـ/1201م) الذي أخذ عن علماء مكة وبغداد ودرس بالإسكندرية[4]. والناسك المتعبد البوني أحمد بن علي أبو العباس (ت622هـ/1225م) الذي رحل إلى المشرق واستقر بالقاهرة[5]. وعمر بن محسن الصوّاف (ت690هـ/1291م) غادر بجاية نحو مكة، ثمّ استقر بالقاهرة، اشتهر بالزهد والفتوى، حتى أصبح حكام المماليك يتبركون به[6].

---

(1)- الطاهر بونابي: المرجع السابق، ص129.

(2)- الذهبي: المصدر السابق، ج5، ص367.

(3)- الطاهر بونابي: المصدر السابق، ص269.

(4)- المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

(5)- عمار هلال: المصدر السابق، ص169.

(6)- الطاهر بونابي: المرجع السابق، ص272.

المطلب الثاني: دراسة العلوم اللسانية والاجتماعية والخطابة في المساجد

لعلماء المغرب الأوسط دور في نشر العلوم نذكر منها:

الفرع الأول: دراسة العلوم العربية

ساهم علماء المغرب الأوسط في تأليف الكتب ونسخها خاصة ببلاد المشرق، والقيام على المؤلفات المشرقية سواء بالشرح أو الاختصار أو التعليق، وقد تولى الأديب أبو عبد الله محمد بن محرز الوهراني (ت585هـ/1189م) خطابة جامع داريا إحدى قرى دمشق، وحينما نزل بها عمل المنامات[1] والرسائل، واشتهر بمنامه الكبير الذي قال عنه ابن خلكان (ت681هـ):" لو لم يكن له فيها إلا المنام الكبير لكفاه"، بلغ فيه الغاية والإجادة وفاق أبا العلاء المعري في "رسالة الغفران" التي تعتبر ردًا على رسالة ابن القارح يشكو إليه ويعرض فيها الزنادقة[2]، ويعتبر هذا الكتاب من الكتب المغربية الجديدة في موضوعها ومضمونها، فهو يحتوي فنًا لم يسبقه إليه أحد ولم يأت مثله من بعده في هذا الإطار، كما كان للمغاربة دور في نقل المُوَشّحات الأندلسية إلى المشرق[3]، ويشهد على ذلك ابن دحية الأندلسي (ت633هـ/1236م) نزيل القاهرة، في كتابه "المطرب في أشعار أهل المغرب" حيث يقول:" الموشحات زبدة الشعر وخلاصة جوهره وصفوته وهي من الفنون التي أغرب بها أهل المغرب على أهل المشرق وظهروا فيها كالشمس الطالعة والضياء"[4].

ورد في كتاب الصفدي أنّ لابن العربي (ت638هـ) دورًا في تصنيف عدة كتب بالمشرق، حيث كان يكتب ثلاثة كراريس كل يوم عند تصنيفه كتاب "الفتوحات المكية"، وقد اشتغل الناس بكتبه فذاع صيته في اليمن وأخذ عنه العلماء[5]، وقد برع علماء المغرب والأندلس في مجال الكتابة لبلاغتهم، وتميزوا بالسرعة فيها، وحُسن خطِهم وإتقان الضبط ونسخ الكتب[6].

---

[1]– منامات: هي مجموعة من المقامات الأدبية وعدد من الرسائل لحكام ووزراء مشارقة كان قد عاصرهم وقد طارت شهرة هذا الكتاب في أيامه وتداوله الناس من بعده، وقد تحدث عنه ابن العماد. ينظر: الحاج عيفة: المرجع السابق، ص208.

[2]– ابن القاضي: المصدر السابق، ص286.

[3]– الحاج عيفة: المرجع السابق، ص208.

[4]– ابن دحية: المصدر السابق، ص186.

[5]– الصفدي(ت764هـ): المصدر السابق، ج4، ص274، المقري: المصدر السابق، ج2، ص66.

[6]– بوداعة نجادي: المرجع السابق، ص131.

كان لعلماء المغرب الأوسط اهتمام بارز في الشعر، فظهرت نُخب من الشعراء، كان لهم ذكر طيب مثل عفيف الدين التلمساني وابنه بمدينة دمشق، وقد وصف الذهبي شعر عفيف الدين بقوله:" وأما شعره ففي الذروة العليا من حيث البلاغة والبيان لا من حيث الإيجاد"[1]، وكذلك ابن عربي (638هـ/1240م)، الذي له قصائد بديعة ذاع صيتها في أرجاء بلاد المشرق، مما يظهر مدى تفوقهم في الأدب على وجه العموم وفي الشعر على وجه الخصوص[2]، وهناك من الشعراء من تتخذهم الدولة وسيلة إعلامية، ولهم دور في الرّفع من مكانة الخلفاء وشأنهم عن طريق المدح والوصف، فوهبوا أنفسهم وشعرهم لهم، حيث قاموا بوصف قوتهم ومعاركهم وحروبهم وقوة سلاحهم المستعمل في المعارك، وفي هذا الصدد يقول المؤرخ والشاعر عبد الواحد المراكشي في الخليفة المنصور الموحدي[3]:

أحييتم المنصور فهو كأنه *** لم تفتقده معالم وعلوم

ومحابر ومنابر ومحارب *** وحمى يحاط وأرمل ويتيم

ويقول أبو الربيع في انتصار جيش المسلمين:

جيش الظلال بجيش الحق مهزوم *** فنفذ العزم إن الفتح محتوم[4]

قام العلماء بصيانة اللغة العربية وحماية كلام الله من التحريف والاختلاط بالعامية، كما قاموا بشرح كتب النحو خاصة كتاب سيبويه، لذلك ظهرت النهضة النحوية في المغرب الإسلامي وأسست مدارس النحو، وعلموا الطلاب عليه، فظهر نحاة كبار من المغرب الأوسط خلال عهد الموحدين، وأول من ألف في علم النحو عن طريق النظم الشعرية النحوي أبو الحسن يحي بن عبد المعطي الملقب بزين الدين المعروف بالزواوي (ت628هـ/1230م)، شيخ النحو في المسجد الأموي، وناظر العلماء بمصر، ثم عاد إلى دمشق وولي بها مصالح المساجد، وأثناء ذلك نظّم ألفيته المشهورة في النحو وعمره لم يتجاوز الحادية والثلاثين سنة، وأقرأ النّحو بدمشق، ثم رجع إلى مصر وتفرغ للتدريس

[1]– الذهبي: العبر، المصدر السابق، ج5، ص359، الصقاعي(ت726هـ): تالي وفيات الأعيان، تحقيق جاكلين سوبلة، المعهد الفرنسي، دمشق، 1974م، ص82.

[2]– بوداعة نجادي: المرجع السابق، ص128.

[3]– عبد الواحد المراكشي: المعجب، المصدر السابق، ص309.

[4]– أبو الربيع(ت634هـ): ديوان أبي الربيع، تحقيق سامي الدهان، دار المعارف، القاهرة، مصر، 1970م، ص32.

بالجامع العتيق[1]، ولا ننسى الأديب النحوي التاهرتي أبا الحسن بن علي بن طريف من أهل تيهرت، رحل إلى الأندلس وأخذ عن الكثير من علمائها، ثم عاد إلى المغرب ودرس النحو، توفي سنة (501هـ)[2].

الفرع الثاني: الخطابة في المجالس العلمية

تعتبر الخطابة فن للتواصل، الغرض منها ترغيب النّاس فيما ينفعهم في حياتهم، وهي وسيلة الخطباء ومظهر من مظاهر الرقي الإنساني والتطور الاجتماعي[3]، ومن أهم خطباء المغرب الأوسط في هذه الفترة المدروسة أبو عبد الله محمد بن محرز بن محمد ركن الدين الوهراني (ت575هـ/1179م) الأديب البارع، الذي تولى الخطابة بجامع داريا بدمشق[4].

كذلك علي بن عبد الله بن ناشر المبارك أبو بكر الوهراني (ت615هـ/1219م)، مفسر نحوي وأصولي، الشاعر الذي رحل إلى الشام وسكن دمشق، وليّ الخطابة بجامع داريا بدمشق وسمع منه أبو الحجاج يوسف الدمشقي سنة (555هـ)[5].

المطلب الثالث: القضاء والتأليف

استطاع علماء المغرب الأوسط أن يرتقوا إلى أعلى المراتب في مختلف الدول الإسلامية وتأليف الكثير من المصنفات.

الفرع الأول: القضاء

القضاء من الخطط الدينية الشرعية المندرجة تحت الإمامة الكبرى (الخلافة)، وهي منصب يفصل بين الناس في الخصومات حسمًا للتنازع وقطعًا للتداعي[6]، وقد اهتم الموحدون بهذه المهنة وإجلال صاحبها بما تحويه من مراتب وأنواع منها؛ قاضي الجماعة، وله وظيفة إدارية واقتراح قضاة الأقاليم، والتحقيق فيما يرفع إليه من شكاوى، كما تميزوا

---

[1]- المقري: المصدر السابق، ج2، ص143، ابن الأبار، المصدر السابق، ج2، ص125، الداودي: المصدر السابق، ص221، يحي بوعزيز: أعلام الفكر، المصدر السابق، ج1، ص288.

[2]- عبد الحميد حاجيات: تلمسان مركز الإشعاع الثقافي، المرجع السابق، ص37.

[3]- عامر فتحي محمد الشيخ احمد: فن الخطابة في العصرين الأيوبي والمملوكي، رسالة ماجستير، جامعة الشرق الأوسط، الأردن، 2015م/2016م، ص62.

[4]- عمار هلال: المرجع السابق، ص164.

[5]- عادل نويهض: معجم أعلام، المصدر السابق، ص349، عمار هلال: المرجع السابق، ص169.

[6]- ابن خلدون: المقدمة، المصدر السابق، ص174.

بتطبيق الصرامة بين الرعية، ولهم مهاما أخرى منها صلاة الجماعة، تقديم الخطبة يوم الجمعة، والمشاركة في مجالس الدولة مثل مجلس الشورى، مجلس الحسبة، الشرطة، قضاء المظالم. وقد تولى علماء المغرب الأوسط هذه المهنة الصعبة في مناطق من العالم الإسلامي، ومن بين علماء المغرب الأوسط الذين تولوا منصب القضاء في المشرق نجد البجائي محمد عبد السلام بن عمر سيد الناس الذي تولى القضاء في دمشق[1]. وشمس الدين محمد بن عفيف الدين سليمان التلمساني (ت688هـ/1289م)، الشاعر المجيد، هاجر إلى المشرق، واشتغل بالشام فعمل كاتبًا في خزانة بيت المال. وعفيف الدين سليمان بن علي التلمساني (ت690هـ/1291م)، كان عمله الكتابة كموظف في الدواوين[2].

-ويذكر الذهبي وابن خلكان القاضي المالكي ببلاد الشام أبامحمد عبد السلام بن علي بن عمر الزواوي المالكي الملقب زين الدين المولود بمدينة بجاية سنة (589هـ/1193م) قدم مصر سنة (615هـ/1219م)، وكان نزوله الإسكندرية ودرس علم القراءات، ثم استقر بالشام عام (616هـ/1220م)، وتصدّر مشيخة التدريس بتربة أم صالح وبالجامع الأموي الكبير، وعندما أُستحدثت مناصب قاضي القضاة الأربعة بدمشق، أجبر على تسلم قاضي قضاة المالكية وظل يمارس هذه الوظيفة على كره فترة تسع سنوات، ثم عاد إلى التدريس إلى أن وافته المنية سنة (681هـ/1283م)، وبقي قبره مزارًا، ويُعد من الشخصيات النادرة لرفضه راتب القضاء[3]، ابن عمه الذي ترجم له ابن كثير وهو يوسف بن عبد الله بن عمر أبو يعقوب جمال الدين الزواوي (ت684هـ/1286م)، كان نائبا له، ثم قاضي القضاة، ثم تتالت الشخصيات القضائية من آل الزواوي بدمشق، حيث خلَفه محمد بن سليمان (ت717هـ/1318م)[4].

-والعلامة عبد السلام بن علي بن عمر بن سيد الناس الزواوي وليد بجاية عام (589هـ/1196م)، درس بها العلوم الأولية فحفظ القرآن وتعلم اللغة العربية على يد علمائها، ثم انتقل إلى مصر وشارك في حلقات التدريس التي كانت تقام في مساجدها

[1]- الطاهر بونابي: المرجع السابق، ص164.

[2]- الذهبي: العبر، المصدر السابق، ج5، ص82، ابن خلكان: المصدر السابق، ص184.

[3]- الذهبي: العبر، المصدر السابق، ج5، ص366، ابن خلكان: المصدر السابق، ص106.

[4]- ابن كثير: المصدر السابق، ج14، ص85.

ومدارسها، ودرس بها على الإمام البخاري، حيث تأثر بعلمائها منهم: العالم الجليل أبو القاسم بن عيسى مدرس بمدينة الإسكندرية التي تعتبر محطة للقادمين من المغرب والأندلس، حيث كان الكثير من تجارها ومدرسيها وقضاتها من أصول مغربية[1].

–عبد الله بن محمد المعروف بابن التلمساني (ت664ھ/1266م)، درّس في مدارس القاهرة وألف عدة كتب منها "شرح التنبيه" وهو كتاب حول الفقه والقضايا الإسلامية والعبادات والمعاملات مثل الصدقات، والنذر وأجرها، وكتاب"شرح الجمل"[2] المتخصص في علوم اللغة العربية؛ النّحو والصرف، كما تركوا آثارهم في المشرق، فنجد بعضها يحمل اسم المغاربة مثل: زقاق المغاربة في الشام، وحارة كتامة قرب الجامع الأزهر بمصر، حارة بني السوس، حارة المصامدة، وكالة المغاربة يسار شارع ابن طولون، عطفة المغاربة، درب المغاربة على يمين باب الفتوح، وحاز المغاربة على الأراضي وتوثقت المعاملات مع الإدارة في المشرق[3]. وقد تميز القضاء الموحدي بنوعية استقلالية حيث كان من عادتهم أنّهم لا يولون أحدا القضاء أكثر من عامين[4]، كما أنّ أغلب قضاتها من المذهب المالكي ويتميزون بالعدل والورع، حتّى أنّ القلوب تتحسر على فراقهم خاصة بعد وفاتهم.

الفرع الثاني: التأليف

إن علماء المغرب الأوسط ألفوا مؤلفات كثيرة، وساهموا في تطور وانتشار اللغة العربية عن طريق المؤسسات والرحلات العلمية، وبذلك أنجبت فطاحل العلماء وكبار الكُتّاب والمؤلفين.

لقد صنّف علماء هذا العصر في مختلف الميادين العلمية والثقافية، وساهموا في نقل المعارف والفكر الإسلامي وحياة الشعوب وثقافاتها، باعتبار الكتابة إحدى وسائل الاتصال بين الحضارات، كما تُقدم صورة عن مختلف جوانب الدولة الدينية والسياسية والاجتماعية، وتمثل هذه المؤلفات جزءًا مهمًا من تاريخ الدولة الموحدية، إلاّ أنّ أغلبها كان في مجال

---

[1]– أحمد مختار العبادي: التأثير المتبادل بين الإسكندرية والمغرب، مجلة الفيصل، المملكة العربية السعودية، 2000م، العدد28، ص83، عمار هلال: المرجع السابق، ص170.

[2]– الحاج عيفة: المرجع السابق، ص290.

[3]– المرجع نفسه، ص339.

[4]– الزركشي: المرجع السابق، ص55.

العلوم النقلية خاصة الدينية، وجُل علماء المغرب الأوسط لهم مصنفات ومؤلفات متنوعة نذكر منهم:

-أبو محمد عبد الله بن محمد الأشيري (ت561هـ) له كتاب " الإفصاح في شرح المعاني الصحاح" وكتاب"تهذيب الاشتقاق في دلالات الكلام" التي يعرف بها أصل الألفاظ لمحمد المبرد إمام اللغة ببغداد، وكتاب"وجوب الطمأنينة" لم يُذكر موضوعه، وله "شرح قصيدة الحُصْري" في قراءة الإمام نافع وله معارضات على بعض أبياتها، وضبط كتاب "أحكام القضاة" للفقيه محمد الكلابي، وحاشية مفقودة على كتاب "الاستيعاب" للحافظ ابن عبد البر، استدرك فيها بعض الأعلام، ومعظم كتبه أتلفها خصومه في الأندلس[1].

والطبيب عمر بن علي البذوخ القلعي (ت576هـ/1180م) عالم أدوية، ترك مؤلفات منها كتاب "شرح فصول أبقراط"، و"أرجوزة"، و"ذخيرة الألباب" في الباءة، وكتاب "حواشي على قانون ابن سينا"[2]، إلاّ أنّ هذه الكتب والحواشي والأراجيز غير متاحة ولم يعثر عليها -على حد علمنا- لذلك نأمل أن يتم جمعها ودراستها.

-علي بن عبد الله الوهراني، له كتاب"تفسير القرآن الكريم" و"شرح شواهد الجمل للزّجاجي في النحو" الذي يعد من أهم مصنفات علوم اللغة، ومخطوط "شرح المعلقات السبع وإعرابها"[3] وهي من أروع قصائد الجاهلية[4].

-أحمد بن علي أبو العباس، صاحب تآليف تفوق خمسين مؤلَفًا منها: "أسرار الحروف والكلمات" و"إظهار الرموز وإبداء الكنوز" وتحفة الأحباب" و"موضع الطريق وقسطاس التحقيق"و"سر الصوت في حوادث الكون" اعتبر رائد العلوم الغيبية. وكذلك محمد إبراهيم عبد الرحمان الخزرجي التلمساني، له شرح كتاب "التفريع والجلاب"[5]، حيث شُرحت أهم مؤلفاته في المبحث الثاني من هذا الفصل.

---

[1]- نويهض: معجم أعلام، المرجع السابق، ص17، مراد تجنانت: الحافظ أبو محمد عبد الله بن محمد الأشيري(500هـ-561هـ) نشاطه وإسهاماته، المجلة التاريخية، جامعة المسيلة، الجزائر، 2022م، العدد1، مج6، ص305.

[2]- الزركلي: الأعلام، المصدر السابق، ج5، ص55.

[3]- عمار هلال: المرجع السابق، ص129.

[4]- المعلقات السبع: هي قصائد شعراء الجاهلية وهم (امرؤ القيس، طرفة بن العبد، زهير بن أبي سلمى، لبيد بن أبي ربيعة، عمرو بن كلثوم، عنترة بن شداد، الحارث بن حلزة اليشكري).

[5]- الطاهر بونابي: المرجع السابق، ص271.

-أبو يعقوب الورجلاني (ت570هـ) الذي قدّم عصارة علمية وتجارية، ومن مؤلفاته تفسير للقرآن الكريم، يقال أنه موجود بإحدى خزائن روما عاصمة إيطاليا، وفي الحديث له"ترتيب المسند"مسند الربيع بن حبيب، وكتاب في أصول الفقه بعنوان "العدل والإنصاف في معرفة أصول الفقه والاختلاف" في ثلاثة أجزاء، وله رسائل وفتاوى كثيرة منها رسالة "ترجمة رجال الإباضية"، وكتاب "الدليل والبرهان" في الفلسفة، ويتضمن نظرية المعرفة التي تُبين الخلاف القائم في حصول المعرفة بالحس أم بالعقل، كما له " شرح رسائل إخوان الصفا"، وكتاب "مرج البحرين"تحدث فيه عن المنطق وفوائده والقياس والبرهان المنطقي وقواعده، وخصص فيه بابًا للرياضيات بعنوان الأرتماطيقا (العدد)، وكتاب "مروج الذهب في الفلسفة" تُرجم إلى عدة لغات أوروبية نظرًا لأهميته، وكتاب في التاريخ بعنوان "فتوح المغرب" أو "تاريخ المغرب" موجود بخزائن ألمانيا، و"القصيدة البائية" التي رثى فيها أستاذه أبا أيوب بن إسماعيل، و"القصيدة الحجازية" بها أبياتًا بعدد أيام العام، وصف فيها رحلته إلى البقاع المقدسة[1].

-في مجال التّصوف نجد الصوفي أبا مدين شعيب، له مؤلفات منها كتاب " أنس الوحيد ونزهة المريد" الذي يُعد من جواهر كتب التصوف والعرفان، وضعه عالم حكيم في علم التوحيد، ويشتمل على العديد من الحكم لتوحيد الخالق ومعرفته معرفة صحيحة، وكتاب"تحفة الأريب" وعقيدة في التوحيد، وكذلك "مفاتيح الغيب لإزالة الريب وستر العيب"؛ وهي رسائل في علم النجوم والهيئة الفلكية والملاحم وعلم الحروف والأوفاق، و"ذكر المختار"، وله قصائد وأزجال ومنامات رمزية[2].

وهذه المؤلفات بحاجة إلى الاهتمام والدراسة والنّظر والتحليل، لأنّ مؤلفيها وصلوا إلى مراتب عليا، وبعضهم كان له ولاء لدولة الموحدين، ما جعلهم يقدمون لمحة وفكرة حول جوانب كثيرة عن هذه الدولة إلاّ أنّ أغلب مؤلفات هؤلاء العلماء للأسف مفقودة أو على شكل مخطوطات وغير متاحة.

---

[1]– مصطفى بن صالح باجو: المرجع السابق، ص156، دليلة خبزي: أبو يعقوب الوارجلاني مفسراً(500هـ-570هـ)، مجلة البحوث العلمية والدراسات الإسلامية، كلية العلوم الإسلامية، الجزائر1، 2018م، العدد11، ص486.

[2]– نصيرة شينة: الشعر الصوفي المغربي، أطروحة الدكتوراه، جامعة باتنة، الجزائر، 2018م/2019م، ص43.

المطلب الرابع: التكافل الاجتماعي

يُشكل التكافل الاجتماعي أهم الأسس التي يبنى عليها المجتمع الإسلامي من أجل البقاء ونشر المودة والرحمة والأمن والسلام، وهو جوهر الإسلام كما يشير إلى ذلك قوله تعالى:﴿ لَّيْسَ ٱلْبِرَّ أَن تُوَلُّواْ وُجُوهَكُمْ قِبَلَ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلْكِتَٰبِ وَٱلنَّبِيِّۦنَ وَءَاتَى ٱلْمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ ذَوِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينَ وَٱبْنَ ٱلسَّبِيلِ وَٱلسَّآئِلِينَ وَفِى ٱلرِّقَابِ وَأَقَامَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَى ٱلزَّكَوٰةَ﴾[1]، ويؤكده قوله ﷺ:{ المؤمنُ للمؤمنِ كالبُنيان المرْصوص يشُد بعْضه بعْضاً}[2]، وقوله:{ مَثَلُ الْمُؤْمِنِينَ فِي تَوَادِّهِمْ، وَتَرَاحُمِهِمْ، وَتَعَاطُفِهِمْ مَثَلُ الْجَسَدِ، إِذَا اشْتَكَى مِنْهُ شَيْءٌ، تَدَاعَى لَهُ سَائِرُ الْجَسَدِ بِالسَّهَرِ وَالْحُمَّى}[3] وقوله:{ لَا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّى يُحِبَّ لِأَخِيهِ – أَوْ قَالَ: لِجَارِهِ – مَا يُحِبُّ لِنَفْسِهِ}[4]، إلى غير ذلك من الآيات والأحاديث التي تحض على التكافل الاجتماعي الذي يهدف إلى تحقيق الرخاء في المجتمع، و من وسائل تحقيق التكافل الاجتماعي الزكاة والنفقات والكفارة والدية والوقف والهبة والهدية وغيرها .

إنّ الدين الإسلامي دين تكافل يسعى لحفظ المجتمع والرّقي به، عن طريق نشر الفضائل وإزالة الرذائل، والأمر بالمعروف والنّهي عن المنكر، لذلك اهتم الخلفاء الموحدون بهذا الجانب منهم الخليفة أبو يوسف يعقوب المنصور في بداية حكمه فقد حارب مظاهر الفساد والدعة واللّهو والخمور، وأنذر المخالفين بعقوبة الموت، وكان الخليفة المأمون المنصور يبعث بالكتب إلى الولاة في مختلف الأقاليم يدعو إلى الأمر بالمعروف والنّهي عن المنكر وإقامة الصلاة وإيتاء الزكاة.[5]

---

[1]- سورة البقرة، الآية (177).

[2]- موسى شاهين لاشين: فتح المنعم شرح صحيح مسلم، دار الشروق، مصر، 2002م، باب من الإيمان أن تحب لأخيك ما تحب، رقم26، ج1، ص167.

[3]- أخرجه الإمام أحمد بن حنبل(ت241هـ) في مسنده، تحقيق الأرناؤوط وآخرون، دار الرسالة العالمية، ط1، دمشق، سوريا، 2001م، باب حديث النعمان بن بشير، رقم18373، ج30، ص323.

[4]- أخرجه مسلم(ت261هـ) في صحيحه، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي، ط1، بيروت، لبنان، 2009م، باب الدليل على أن من خصال الإيمان، رقم71، ج1، ص67.

[5]- خالد محمود عبد الله وأحمد صالح محمد: دور العلماء في الحياة الاجتماعية في عهد الموحدين، مجلة الدراسات التاريخية والحضارية، جامعة تكريت، العراق، د ت، مج3، العدد10، ص239.

لقد ساهم حُكام الدولة الموحدية في تحسين مستوى معيشة الرعية ومحاربة الفقر ومختلف الآفات الاجتماعية، وتجاوز الأزمات الاقتصادية لأنّ المجتمع المغربي تعرض لعدة أزمات اقتصادية واجتماعية زمن الموحدي نفي القرن السادس والسابع هجريين كالجفاف والقحط والمجاعات والأوبئة والأمراض والكوارث الطبيعية وما يصاحبها من غلاء الأسعار ونُدرة المواد الغذائية، وذلك من أجل استقطاب الرعية وتثبيت دعائم الحكم. وساهم العلماء في التخفيف من حدتها عن طريق صلاة الاستسقاء وإخراج الصدقات وإيواء المحتاجين، ويشهد لذلك أنّ أهل تلمسان لمّا أصابهم جفاف طلبوا من العالم الصوفي أبي زكريا بن يوغان أن يصلي بهم صلاة الاستسقاء. وأهل بجاية لمّا أصابتهم مجاعة أوائل القرن السابع الهجري[1]، وامتلأت الشوارع بالمعوزين ولم يتحرك ولاة الموحدين، حمل العالم الصوفي أبو زكريا يحي الزواوي (ت611هـ/1215م) على عاتقه مسؤولية إعالتهم، ولجأ إلى جمع المعونات من الأغنياء واكترى فندقا بثلاثمائة دينار جمع فيه الفقراء واشترى لهم الطعام واللّباس[2].

العلماء لا ينتظرون نفقات الدولة في حالة الأزمات، بل يسارعون في إنفاق أموالهم لمساعدة الفقراء والمحتاجين، وقد احتك العلماء بمجتمع المغرب الأوسط، وقدموا للنّاس المساعدات المادية والمعنوية، وكانت علاقتهم وطيدة، فحازوا المحبة والتقدير.

وللعلماء دور ديني يتجلى في توعية النّاس بأمور دينها في المساجد والربط والزوايا، ومن أبرز مجالس الوعظ والإرشاد في بجاية خلال القرن السادس هجري مجلس أبي مدين شعيب وأبي زكريا يحي الزواوي وأبي تميم الوهراني، وفي تلمسان نجد مجلس أبي عبد الله الحجام الذي وصفه يحي بواعظ زمانه، حيث يعملون على التعريف بالدين الإسلامي ونشر مبادئه. وأبو مدين شعيب الذي تخرج على يده مئات التلاميذ ممن عادوا إلى أريافهم عملوا على نشر ما تعلموه[3].

---

[1]– كان القرن السابع هجري قرن الجفاف والمجاعات في المغرب الإسلامي اضطر خلالها الناس إلى أكل الميتة. ينظر: الطاهر بونابي، المرجع السابق، ص187.

[2]– ابن الزيات: المصدر السابق، ص429.

[3]– التنبكتي: المصدر السابق، ص127، الغبريني: المصدر السابق، ص136، يحي بن خلدون: المصدر السابق، ج1، ص102، ابن الزيات: المصدر السابق، ص462.

كما أدوا أدوارًا في تسهيل مأمورية الحج ومساعدة الفقراء في ذلك، مثل محمد التاونتي التلمساني المعروف بابن الميلي (ت590هـ/1193م)، لما اتجه إلى مكة اشترط على من يركب معه أن يحمل كل الفقراء المتوجهين إلى مكة دون أجر، ويخبرنا ابن الزيات أنّه دخل المدينة ثمّ الشام ثمّ جبل لبنان حيث اختاروه إمامًا لورعه[1]. وكان لهم أثر في حركة الجهاد ضد نصارى إسبانيا منذ أن رفع المسلمون راية الفتوحات في الأندلس، وتواصلت حتّى بعد مجيء الموحدين، ومساهمتهم في صد هجمات النصارى وحماية الثغور، سواء عن طريق حث النّاس على الجهاد والتضحية في سبيل الله، أو جهادهم بالنفس والنفيس، وذكر لنا يحي بن خلدون منهم ابن الحجام في الأندلس، وعابد بن منديل وزيان بن محمد[2].

قام علماء الصوفية بنشر الثقافة الدينية في المغرب الأوسط خاصة الحديث والفقه على مذهب الإمام مالك، والمذهب الأشعري في العقائد، وتمكن الطلبة الذين تلقوا تعليمهم في بجاية وتلمسان على يد كبار الصوفية من العودة إلى مواطنهم الأصلية في البوادي والأرياف وتأسيس الزوايا وأصبحوا شيوخًا أخذوا بدورهم في نشر العلوم[3]، ونجح علماء الصوفية في تعميم التعليم المجاني، فقضوا على الجهل والأمية في المغرب الأوسط[4].

تم نشر التعليم النخبوي بين الطلبة الشباب وأغلب دروسهم في العلوم العقلية كالفلسفة والعلوم العددية والمنطق وكان معظم أساتذته من الأندلس، والتعليم الجماهيري الذي تولاه الصوفية السُنية التي كانت دروسهم حول العلوم النقلية كالتفسير، والحديث والفقه، هذا ما يفسر غلبة الدراسات النقلية على العقلية في المغرب الأوسط[5]، وفي المجال الاجتماعي يتم عقد حلقات الوعظ والإرشاد، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والدعوة إلى التغيير ونشر الأفكار الدينية.

كما تمكنوا من قضاء حوائج الناس وكانت من المهمات التي اضطلع بها العلماء في المغرب والأندلس للتخفيف من معاناة الناس وحل مشاكلهم؛ الجلوس للإفتاء، لأنّ الإسلام

---

[1]- ابن الزيات: المصدر السابق، ص375.

[2]- يحي بن خلدون: المصدر السابق، ج1، ص102.

[3]- الطاهر بونابي: المصدر السابق، ص236.

[4]- ابن الزيات: المصدر السابق، ص288، الغبريني: المصدر السابق، ص136.

[5]- الغبريني: المصدر السابق، ص(145-180)، الطاهر بونابي: المصدر السابق، ص236.

أكّد على قضاء حوائج المسلمين[1]، حيث قال ﷺ :{ الْمُسْلِمُ أَخُو الْمُسْلِمِ، لَا يَظْلِمُهُ وَلَا يُسْلِمُهُ، مَنْ كَانَ فِي حَاجَةِ أَخِيهِ كَانَ اللهُ فِي حَاجَتِهِ، وَمَنْ فَرَّجَ عَنْ مُسْلِمٍ كُرْبَةً، فَرَّجَ اللهُ عَنْهُ بِهَا كُرْبَةً مِنْ كُرَبِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ، وَمَنْ سَتَرَ مُسْلِمًا سَتَرَهُ اللهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ}[2].

وبرز خلال العهد الموحدي علماء عُرفوا بكثرة صدقات التطوع التي تحمي من الضلالة، ومنهم من تصدّق بجميع ماله بدافع الزهد وضرورة إنفاق الأموال مثل أبي عبد الله محمد التاونتي المعروف بابن الميلي (ت590هـ/1193م)، الذي انقطع إلى حياة الزهد[3].

كان لعلماء المغرب الأوسط فضل في إنشاء المساجد التي حظيت باهتمامهم، لأنّها ذات أهمية كبيرة؛ إذ تؤدي فضلا عن الدور التعبدي أدوارا علمية وسياسية واجتماعية وغيرها، فهذا الفقيه إبراهيم بن محمد بن خلف السلمي بنى نحو عشرين مسجدا[4]، كما كان العلماء يقومون بإطعام الناس امتثالا لقول الرسول ﷺ للذي سأله عن أفضل أعمال الإسلام:{ تطعمُ الطعامَ، وتقرأُ السلامَ على مَن عرفتَ وَمَن لم تعرفْ}[5].

كما كانوا يبادرون إلى فداء الأسرى لأنّ فك أسرى المسلمين من العدو واجب، لذلك تنافس المجتمع الإسلامي وفي مقدمتهم العلماء في هذا العمل الخيري، فضحى بعض العلماء بمصيره لإنقاذ الأسرى دون خوف أو تردد. والشاهد على ذلك ما روي عن العالم الصوفي أبي مدين شعيب (594هـ/1197م)، الذي أسِره العدو وأركبه سفينة مع مجموعة من أسرى المسلمين، ولما استقر بالسفينة شاء الله تعالى القدير إيقاف سيرها، وأيقن النّصارى أنّهم لا يستطيعون السير ومعهم أبا مدين شعيب، لأنّهم ظنوه قسيسا ومن أصحاب السرائر، وعندما قرروا إنزاله عارضهم وأبى النزول إلا إذا أطلقوا سراح جميع الأسرى، فأطلقوا سراحهم جميعًا، وهذا ما يعبر عن نفسيته الشجاعة[6].

---

[1]- خالد محمود عبد الله، أحمد صالح محمد: المرجع السابق، ص222.

[2]- أخرجه مسلم(ت261هـ) في صحيحه، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، د ت، باب تحريم الظلم، رقم2442، ج4، ص1996.

[3]- ابن الزيات: المصدر السابق، ص358.

[4]- خالد محمود عبد الله، أحمد صالح محمد: المرجع السابق، ص228.

[5]- أخرجه ابن ماجة(ت273هـ) في سننه، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء الكتب، ط1، دمشق، دت، باب إطعام الطعام، رقم3253، ج2، ص1083.

[6]- المرجع نفسه، ص232.

إنّ لوقف الأملاك (الحبس) أهمية كبيرة في دعم المحتاجين وتقديم خدمات للمجتمع في مجالات مختلفة، ولذلك ساهم العلماء زمن الموحدين بحبس الأموال المنقولة وغير المنقولة، أمثال المحدث علي بن محمد بن علي الغافقي الذي حبس مكتبة على أهل العلم بالمغرب[1]، وأبو مدين شعيب الذي حبس بعض الأماكن في القدس على المغاربة المقيمين فيها[2].

فالوقف نوع من أنواع الإنفاق في سبيل الله قائم على مبدأ التكافل الاجتماعي، لأنّ الغاية منه تلبية حاجيات المحتاجين والفقراء، وتقديم الإعانات وزرع التضامن بين الناس فهو صدقة جارية تساهم في تحقيق الاستقرار الاجتماعي وصناعة الحضارة الإسلامية، ويعتبر مؤسسة خيرية دائمة البرّ تعبر عن روح التضامن الاجتماعي وغرس القيّم الإسلامية في نفوس المسلمين.

والأحاديث في الوقف كثيرة منها ما أمر به عمر بن الخطاب عندما أصاب أرضا بخيبر حيث قال له:{ إن شئت حبست أصلها وتصدقت بها}[3]، ومنه وضح الفقهاء معنى الوقف وأهدافه، ومشروعيته بالكتاب والسنّة والإجماع، حيث حث في قوله تعالى:﴿لَن تَنَالُواْ ٱلْبِرَّحَتَّى تُنفِقُواْ مِمَّا تُحِبُّونَ وَمَا تُنفِقُواْ مِن شَيْءٍ فَإِنَّ ٱللَّهَبِهِۦ عَلِيمٌ﴾[4]، والوقف نوع من أنواع الإنفاق، ومن أهدافه رعاية المؤسسات والمراكز الدينية والعلمية عن طريق البناء والتّشييد والتّعليم بها، مثل دور العبادة من مساجد وجوامع، وتوفير المساكن للإيواء والغذاء للطلاب والمساكين وعابري السبيل.

كما كان للعلماء دور في رعاية الأيتام والأرامل، لأنّها من أعمال البّر، وتهدف إلى تحقيق التكافل الاجتماعي، وفي هذا يقول ﷺ:{ أنا وكافِلُ اليَتيم كهاتَيْنِ في الجنَّةِ" وقَرَنَ

---

[1]–خالد محمود عبد الله، أحمد صالح محمد: المرجع السابق، ص232.

[2]– محمد إفرخاس: رحلات المغاربة إلى المشرق، دائرة الشؤون الإسلامية، الإمارات العربية المتحدة، د ت، ص23.

[3]– أخرجه البخاري في كتاب الشروط، باب الشروط في الوقف (418/5) برقم (2737)، ومسلم في كتاب الوصية، باب الوقف (88/11) برقم (1632).

[4]– سورة آل عمران الآية(92).

بينَ إصبَعَيه: الوسطَى والتي تلي الإبهامَ}[1]، واشتهر المقرئ علي بن إبراهيم بن علي التجيبي بصدقاته وعطاياه لليتامى والأرامل[2].

إنّ دورهم مع طلبة العلم لم يقتصر على التّعليم فقط، بل شمل رعايتهم ومتابعتهم وتشجيعهم على مواصلة العلم والإبداع، إدراكًا منهم أنّ العلم هو الأساس الذي ترتقي به الأمم وركزوا على الطبقات الفقيرة بالعطاء والاهتمام[3]، دون أن نهمل حضورهم الجنائز من أجل توطيد أواصر العلاقات الاجتماعية، لأنّ الرسول ﷺ حث على الحضور والتعزية حيث قال:{ حَقُّ الْمُسْلِمِ عَلَى الْمُسْلِمِ خَمْسٌ: يُسَلِّمُ عَلَيْهِ إِذَا لَقِيَهُ، وَيُشَمِّتُهُ إِذَا عَطَسَ، وَيَعُودُهُ إِذَا مَرِضَ، وَيَشْهَدُ جِنَازَتَهُ إِذَا مَاتَ، وَيُجِيبُهُ إِذَا دَعَاهُ}[4].

ويتكافل الأطباء أحيانا مع الفئات المحرومة بعلاج مرضاهم دون أجرة، فالعلماء على اختلاف تخصصاتهم ساهموا بأعمال خيرية كثيرة ابتغاء مرضاة الله وخدمة المجتمع وحل المشكلات من أجل التماسك الاجتماعي، لذلك كان مجتمع المغرب الأوسط يحب العلماء ويبجلهم، ويتأسف لفقدانهم وموتهم، كما وصف الغبريني في ذلك جنازة الشيخ أبي بكر محمد بن محرز (ت655هـ/1258م) باليوم العظيم، الذي شبهه بيوم العيد، إذ لم يتخلف عنها أحد[5]. بهذا ساهم علماء المغرب الأوسط بقسط كبير في تطوير الحركة العلمية ونشر العلوم بأنواعها، وإبراز مظاهر التّطور والتّقدم وبذل الجهد في سبيل تحقيق التكافل والحفاظ على شبكة العلاقات الاجتماعية، في إطار البعد الديني والقوة الإيمانية، ممّا يدل على سعة علمهم وقيمهم الدينية، إضافة إلى توليهم مناصب عليا، سخروها لخدمة الدولة والمجتمع.

---

[1]- أخرجه ابن ماجة(ت273هـ) في سننه، تحقيق الأرناؤوط وآخرون، دار الرسالة العالمية، ط1، دمشق، 2009م، باب إماطة الأذى، رقم3681، ج4، ص642.

[2]- خالد محمود عبد الله، أحمد صالح محمد: المرجع السابق، ص235.

[3]- المرجع نفسه، ص236.

[4]- أخرجه الإمام أحمد بن حنبل(ت241هـ) في مسنده، تحقيق الأرناؤوط وآخرون، دار الرسالة العالمية، ط1، دمشق، 2001م، باب مسند أبي هريرة، رقم10966، ج16، ص566.

[5]- الغبريني: المرجع السابق، ص287.

المبحث الخامس: التلاقح العلمي في الحواضر الإسلامية

كانت العلاقات الثقافية بين حواضر العالم الإسلامي في نمو مطرد خلال عهد الدولة الموحدية، لأنّ هذه الحواضر كانت مراكز للإشعاع الثقافي والعلمي وقبلة تجلب الطلاب والعلماء من أجل الاستفادة والإفادة، وكان لعلماء المغرب الأوسط مساهمة علمية وفكرية من خلال هجرة أعداد هائلة منهم إلى حواضر وبلدان المشرق والمغرب والأندلس؛ وذلك عن طريق الرحلات العلمية إلى عواصم هذه الأقطار أو أثناء زيارتهم إلى البقاع المقدسة لأداء فريضة الحج والاحتكاك بعلمائها في مراكز العلم، حيث وصلوا إلى أعلى المراتب خاصة منصب الإفتاء ونالوا احترام العامة والخاصة[1]، وأنّ حركة العلماء وتنقلاتهم بين مختلف الحواضر والأقطار تعتبر من سبل انتقال العلوم والفنون بين الأمم، مما أدى إلى تنشيط الحياة الفكرية والعلمية وتحقيق أهداف تعليمية في الكثير من الحواضر.

المطلب الأول: التأثير والتأثر في المغرب الإسلامي والأندلس

لقد حدث تأثير وتأثر بين العلماء في مختلف حواضر المغرب الإسلامي بفضل رحلات العلماء الذين استطاعوا نقل المعارف وثقافات المجتمعات والتلاقح فيما بينها.

الفرع الأول: القيروان

كانت للمغرب الأدنى صِلات ثقافية وعلمية مع المغرب الأوسط نظرًا لقرب المسافة بينهما، ولكون جامع الزيتونة قبلة لكثير من علماء المغرب الأوسط، وذلك من أجل الدراسة والتفقه في الدين الإسلامي، كما كان المغرب الأدنى نقطة عبور إلى المشرق الإسلامي لأداء فريضة الحج ويقيمون به خلال الذهاب والإياب.

كان أهل المغرب الأوسط يسافرون إلى القيروان من أجل العلم والمعرفة، لكن تعرضها للخراب على يد القبائل الهلالية (449هـ/1057م)، وما تبعها من غزو النورمان لمدن إفريقية خلال القرن السادس الهجري، الثاني عشر ميلادي جعل علماءها يتوجهون إلى المغرب والأندلس، ممّا أحدث فراغا ثقافيا بها دفع طلبتها لشدّ الرحال إلى المغرب خاصة بجاية وتلمسان مراكز الإشعاع الثقافي والعلمي، ومحل مشيخة علمية خاصة في عهد أبي مدين شعيب الذي نهلوا من علومه وعادوا لنشرها في إفريقية، منهم أبو محمد عبد العزيز

[1]- الطاهر بونابي: المرجع السابق، ص68.

المهداوي (ت621هـ/1225م)، الذي عاد من بجاية واستقر بتونس معلمًا على طريقة أبي مدين شعيب، والدهماني الذي أسس زاوية في القيروان بعد رجوعه من بجاية[1].

كما تأثر أهل إفريقية بأبي مروان البوني منهم الصوفي أبو سعيد بن خلف بن يحي التميمي الباجي (ت628هـ/1231م) الذي تعلم في رابطة رأس الحمراء ببونة، لدرجة أنّهم صلوا عليه صلاة الغائب بقرطاجنة وجثمانه في بونة[2].

الفرع الثاني: الأندلس والمغرب الأقصى

من الطبيعي أن تكون هناك علاقة تأثير وتأثر بين الأندلس والمغرب الأقصى لأنّه جزء من العالم الإسلامي، كما يعتبر الجزء الآخر للدولة الموحدية التي شهدت تقدما في جميع الميادين العلمية والثقافية، ولأنهما يشكلان وحدة سياسية وعلمية في عهد الموحدين.

كما أدرك أبناء هاتين المنطقتين تلك الصلة الوثيقة بين أقطارها، فمظاهرهما الجغرافية متشابهة، إضافة إلى سهولة الاتصال بين مدن المغرب الإسلامي والأندلس فارتبطا بعلاقات منذ عهود قديمة في شتّى المجالات خاصة العلمية منها[3]، إضافة إلى التوافق المذهبي المتمثل في سيادة المذهب المالكي في كلا المنطقتين، وكان أهلها يفضلونه عن باقي المذاهب لتماشيه مع عقليتهم وطبيعتهم، فهو مذهب علمي وعملي واضح وبسيط وبعيد عن التعقيد، لذلك ترسخ في عقلية الحكام والرعية، فزاد الإقبال عليه وتم تداول أشهر مصنفاته[4]، ويظهر تأثير الأندلسيين في الحياة العلمية بالمغرب الأوسط من خلال تراجم هؤلاء العلماء الوافدين إليه والمتواجدة في مختلف المصادر والمراجع وما خلفوه من آثار.

إنّ فتنة المرحلة الانتقالية بين سنتي (539هـ-542هـ) لها صدى وتأثيرًا على أهل الأندلس وكانت سببًا في هجرة العلماء وتغيير أوطانهم، خاصة القضاة والفقهاء والأدباء لأنّهم أكثر عرضة للخطر فاضطروا للمغادرة طلبًا للنّجاة، منهم عبد الحق بن عبد الرحمن بن عبد الله الأزدي الإشبيلي (ت582هـ)، فقيه ومحدث نزل بجاية واستوطنها تفرغ لنشر

---

[1]- الطاهر بونابي: المرجع السابق، ص277.

[2]- الغبريني: المصدر السابق، ص281.

[3]- عبد القادر بوحسون: المرجع السابق، ص169.

[4]- المرجع نفسه، ص117، نجاة بلعباس: المرجع السابق، ص170.

العلم والتدريس، له عدة تآليف قيمة منها الأحكام الكبرى والصغرى، وأحمد بن محمد بن عبد الرحمن الأنصاري (ت610هـ) نزل فاس، وغيرهم كُثر [1].

لكن قبل هذه الفترة محل الدراسة كانت العلاقات الثقافية بينهم محتشمة لم ترق إلى مستوى التأثير والتأثر، لأنّ المغرب الأوسط مرتبط ثقافيًا بالقيروان، أمّا المغرب الأقصى فمرتبط بالأندلس، وبعد مجيء الموحدين ظهرت مراكز ثقافية وعلمية منها بجاية وتلمسان، جذبت إليها عددًا من الطلاب وشيوخ المغرب الأقصى، فأخذوا عن أبي مدين شعيب وعادوا إلى بلادهم مؤثرين ومتأثرين بالحياة الثقافية، منهم أبو داود المزاحم (ت578هـ/1182م) الذي رجع إلى منطقة الريف وأسس رابطة بجانب البحر للتعليم على الطريقة المدينية (مقلدًا لأبي مدين شعيب)، كذلك أبو محمد الماجري (ت636هـ/1238م) برباط آسفي، وعبد الرزاق الجزولي تلميذ أبي مدين الذي دخل الإسكندرية وانفرد بزاوية ذي النون المصري متعبدًا مدرّسًا لتعاليم أبي مدين[2].

وأبو عمرو بن علي التلمساني (ت542هـ/1147م)،الذي انتقل من تلمسان إلى سجلماسة وبرع بها في تلاوة القرآن[3]، والأخوان الضريران ابنا الخضار العالمان من تلمسان، نزلا سبتة وأقرأ بها خلال القرن 7هـ، وعاشا فيها ردحًا من الزمن فمات بها أحدهما، أما الآخر فهاجر إلى الأندلس ومات بها، فرغم فقدان البصر إلا أنّ الله أنعم عليهما بالبصيرة فجلسا للإقراء والتحديث[4].

وعالم آخر هو عبد الله بن أحمد بن عمر بن الدرّاج التلمساني، قاضٍ من فقهاء المالكية، نشأ بسبتة فكفله أميرها وأعانه في طلب العلم، ثم درس على أعلام ومشايخ فاس ثم درّس بها وتولى قضاءها، ومن آثاره شرح الجمل سماه "جمع الأمل لمتأمل الجمل" وهو كتاب خاص بعلوم اللغة العربية من نحو ونثر وغيرها من المصنفات[5]، ومحمد بن عبد

---

[1]- محمد الطمار: المرجع السابق، ص168، لحبيب اكمي: الروابط العلمية بين بلاد المغرب والأندلس على عهد الموحدين(541-626هـ)، أطروحة الدكتوراه، جامعة أحمد بن بلة وهران، الجزائر، 2016م/1017م، ص62.

[2]- المرجع نفسه، ص282.

[3]- ابن الزيات: المصدر السابق، ص135، يحي بن خلدون: المصدر السابق، ج1، ص108.

[4]- نجاة بلعباس:المرجع السابق، ص175.

[5]- عادل نويهض: معجم أعلام الجزائر، المرجع السابق، ص75.

الحق قاضي تلمسان الذي هاجر إلى سبتة من أجل العلم، وبهذا ساهم هؤلاء العلماء في خدمة العلم بفضل تنوع مصنفاتهم ومعارفهم.

إن خلفاء الدولة الموحدية كانوا يستدعون ويستقبلون وفود من علماء الأندلس، مما ساهم في التواصل بين حواضر المغرب الأوسط والمغرب الأقصى والتبادل العلمي والثقافي، وقيام بيئات ثقافية متأصلة ومتعددة الفروع ومتنوعة الثقافات، خاصة بعد هجرة الأسر الأندلسية إلى القيروان وبجاية وتلمسان ومراكش وفاس، ويظهر التأثير الموحدي في الأندلس خلال توحيدهم للعدوتين، حيث رفعت الشعارات التومرتية بما تحمله من توجه عقدي وفكري وإصلاحي جديد في البيئة الأندلسية، وحاول الموحدون نشر الموروث العلمي الذي خلفه ابن تومرت وشجعوا الناس على الأخذ به خاصة في الحواضر الكبرى.

من هؤلاء المهاجرين أبو عبد الله موفق الصوفي البجائي (ق6هـ/12م)، الذي انتقل إلى مالقة، وحضر مجالس عمر الواعظ، ثم هاجر إلى مراكش[1]، والعالم الجليل أبو عبد الله محمد بن علي بن حماد بن عيسى بن أبي بكر الصنهاجي (ت628هـ/1230م)، من قلعة بني حماد قرأ ببجاية وأخذ عن علمائها، برع في الأدب وفي عدة علوم، انتقل إلى مراكش، واستقضى بالجزيرة الخضراء وبسلا وأزمور ومرسية، ثم دخل الأندلس فروى عن شيوخها وأجازوه وخلّف مصنفات كثيرة ومتنوعة منها "الإعلام بفوائد الأحكام"[2] من كتب الحديث والأحكام.

-إبراهيم بن يوسف الوهراني ابن قرقول (ت569هـ/1173م)، يعتبر من أعمدة التصوف الباطني، درس بالأندلس على يد بن ورد وبن وضاح وأبي بكر بن عربي، ثم مصر حيث أجازه شيوخها منهم أبي الطاهر السلفي والأسدي والمازني، ثم المغرب الأقصى، حيث أدى دورًا بارزًا في ميدان التصوف والحديث والأدب والخط بسبتة وسلا ومكناس توفي بفاس[3].

تعد الرحلة العلمية من سبل التلاقح والتفاعل الثقافي والحضاري بين الشعوب، وقد شهدت فاس هجرات كثيرة من طرف علماء المغرب الإسلامي إلى تلمسان من أجل طلب العلم، فأصبحت فاس مدينة الثقافة والحضارة خلال العهد الموحدي، ولها دور في تفعيل

---

[1]- ابن الزيات: المصدر السابق، ص450.

[2]- حاكمي لحبيب: المرجع السابق، ص131.

[3]- الحفناوي: المصدر السابق، ج1، ص261، ابن القاضي: المصدر السابق، ص89.

الحركة الثقافية في المغرب الإسلامي، ويرى عبد الواحد المراكشي أنّه اجتمع فيها علم القيروان وعلم قرطبة وتدعى بغداد المغرب، كما يقال: ولد العلم بالمدينة، وربّي بمكة، وطحن بمصر وغربل بفاس[1]، لذلك تعد الرحلة إلى مدينة فاس من أهم سبل تنشيط التلاقح والتفاعل الثقافيين خاصة مع تلمسان، فشهدت هجرات علمية كثيرة خلال هذا العهد، منها رحلة العالم حسن بن إبراهيم بن زكون التلمساني (ت553هـ) الذي نزل فاس، كذلك الفقيه سليمان بن عبد الرحمان التلمساني (ت579هـ) نزل بفاس وتوفي بها، وأبو بكر بن خلف المواق، أبو العباس أحمد الحصار، ومحمد بن أحمد اللخمي، وابن اللحام وغيرهم ممن كان لهم دور فعال في جعلها مركز إشعاع حضاري[2].

كما ذكر لنا ابن القاضي العالم الحسن بن حجاج بن يوسف الهواري (ت598هـ) أصله من بجاية، وأهل بيته ينتمون إلى تجيب، سكن مراكش وروى عن أبيه وغيره وتفقه بالقاضي أبي موسى بن عمران ودخل الأندلس مرارًا، ولي الخُطبة بإشبيلية، كان بليغًا فصيحًا، توفي بفاس[3]، وحسن بن إبراهيم بن عبد الله بن زكون التلمساني (ت553هـ) أصله من تلمسان ونزل فاس، كتب بها عن عيسى بن يوسف بن الملجوم، ودخل الأندلس فسمع بقرطبة من ابن عتاب، وبمرسية من أبي علي بن سكره، له تأليف في الرأي[4].

-أبو الربيع سليمان الصنهاجي التلمساني (ت579هـ/1183م)، انتقل من تلمسان إلى سلا، كان وثاقًا يكتب الوثائق بها ولا يأخذ على الوثيقة أكثر من حقه، كان متعففًا، متصوفًا زاهدًا على سنن أهل الفضل والدين، يدرس الفقه وصار له أصحاب وتابعون، استقر بفاس ومات بها[5].

-وترجم يحي ابن خلدون للعالم ابن الحجام (ت614هـ/1217م)، ولد بتلمسان وتعلم بها، نبغ في الشعر والتصوف، انتقل إلى مراكش بطلب من الخليفة الموحدي يعقوب بن يوسف

---

(1)- عبد الواحد المراكشي: المصدر السابق، 357.

(2)- حنينة طبيش: التفاعل الثقافي بين حاضرتي تلمسان وفاس في العهد الموحدي، مجلة إحالات، المركز الجامعي مغنية، الجزائر، 2021م، العدد2، مج3، ص62.

(3)- ابن القاضي: المصدر السابق، ج1، ص180.

(4)- المصدر نفسه، ج1، ص148.

(5)- ابن الزيات: المصدر السابق، ص280، يحي بن خلدون: المصدر السابق، ج1، ص108، ابن القاضي: المصدر السابق، ج2، ص518، الطاهر بونابي: المرجع السابق، ص283، نويهض: معجم أعلام ، المرجع السابق، ص69.

واستوطنها وساهم في الحياة الثقافية والفكرية، له مجالس الوعظ بها طلبة مفتونين بكلامه وحسن صوته، نال الحظوة والاهتمام من طرف خلفاء الموحدين؛ يعقوب المنصور (580هـ-595هـ/1184م-1199م)، وأبو عبد الله الناصر (594هـ-609هـ/1198م-1207م)، والمستنصر بالله (610هـ-620هـ/1208م-1218م)[1].

كان للتوجه العلمي للخلفاء الموحدين أثر كبير في دعم الصِلات بين الأندلس والمغرب، حيث هاجرت طائفة من العلماء للإفادة والاستفادة ورُحب بهم، كما استدعوا للتدريس والتطبيب واستخدموا في عدة مناصب، خاصة أنّ الأندلسيين كانوا متفوقين في مجال الطب والصيدلة مما أدى إلى نقل طرق التدريس والعلاج وصنع الأدوية إلى المغرب الإسلامي، لأنّه لا يخفى على أحد مدى تفوق الأندلسيين على سواهم في العلوم بصفة عامة، وفي الفنون والآداب بصفة خاصة، لذلك استفاد أهل تلمسان من معارفهم العلمية والأدبية ومن خبرتهم الفنية والصناعية[2]، وأنّ أغلب الوافدين الأندلسيين من النخبة الممتازة وغالبًا ما تكون وجهتهم إلى بجاية وتلمسان للاستقرار الدائم أو المؤقت، لأنهما تحتضنان كراسي الملك بالمغرب الأوسط وانتشار التعليم بهما[3].

كان الأندلسيون في هذه الفترة يرتادون حواضر المغرب الأوسط الرئيسة كبجاية وتلمسان في طريقهم إلى المشرق طلبا للعلم أو أداء فريضة الحج، أو الاستزادة من حواضر المغرب الأوسط التي ارتقت إلى مراكز القطب الثقافي والعلمي منذ القرن (6هـ/12م)، وانتقلت أفكارها الصوفية إلى الأندلس، خاصة طريقة أبي مدين شعيب حيث تسربت أفكاره إلى غرناطة وبلنسية عن طريق الصوفي أحمد بن جعفر سيد بونة الخزاعي (ت624هـ/1226م)، وأبي يعقوب يوسف بن خلف الكومي الذي استقر ببلنسية وأخذ عنه الطلبة منهم ابن عربي[4]، كما كانت فاس مقرًا له من أجل التفرغ للعلم ثم بجاية التي كانت مركزًا لانتشار طريقته الصوفية، وخلال هذه الفترة كانت تعج بالعلماء والمتعلمين وكانت

---

[1]- يحي بن خلدون: المصدر السابق، ج1، ص102.

[2]- محمد بن رمضان شاوش: المصدر السابق، ص401.

[3]- محمد عمارة: المرجع السابق، ص166.

[4]- الطاهر بونابي: المرجع السابق، ص285.

مقصد الأندلسيين، وقد ذكر الغبريني حوالي ثلاثة وثلاثين عالما أندلسيًا عاشوا بها في هذا العهد[1].

كان تأثير الجالية الأندلسية هامًا في الميدان الثقافي، لأنّ المثقفين الأندلسيين كانوا من الكثرة والفاعلية غيروا وجه البلاد الثقافي، فانخرطوا في الارتزاق عن طريق التعليم، وتخصص مشاهير العلماء في التعليم العالي، والغالبية في التعليم الابتدائي خاصة في الكتاتيب، حيث كان إقبال النّاس عليهم عظيما لأنّ طريقتهم جذابة[2]، لذلك انتقل سند التعليم رواية ودراية، فظهرت مراكز تعليمية جديدة، وانتقلت خزائن الكتب ونسخت، وهو الأمر الذي استفادت منه الدولة كثيراً[3].

وقد ساعد هذا التواصل على التمازج الثقافي بين هذه المناطق في الكثير من المجالات والمظاهر الحضارية مثل؛ نقل طرق التعليم، وتقسيم المواد المدروسة من إجبارية واختيارية، كانت طريقتهم في التعليم متقدمة، حتى أصبح ابن خلدون يقول أنه صار المغاربة يقلدون طريقة التعليم الأندلسية فيخلطون تعليم الصبيان القرآن بالحديث واستظهاره ودراسة قوانين العلوم وبعض مسائلها وعنايتهم بالخط[4].

في مجال علوم الحديث نقل علماء الأندلس معارفهم عن طريق إقامة حلقات للتدريس، وقد عرف عن هذه النخبة العناية بالرواية عن أكابر الشيوخ وتحري الأسانيد العالية والصحيحة، وتخريج الحديث من أمهات الكتب، على غرار ابن سيد الناس في الجامع الأعظم ببجاية الذي كان يحفظ عشرة آلاف حديث بأسانيدها[5]، ومنهم القراء والأئمة والمفسرون الذين يقيمون حلقات العلم للتدريس، إضافة إلى براعتهم في العلوم الطبيعية خاصة الطب حيث فتحوا مجالاً لتعليمه أمثال ابن أندراس الذي يعد من أهم أطباء الأندلس المهاجرين إلى المغرب الأوسط، اشتهر بالبراعة في تشخيص الأمراض وعلاجها وصناعة الأدوية[6].

---

[1]– الغبريني: المصدر السابق، ص294.

[2]– محمد طالبي: الهجرة الأندلسية إلى إفريقيا، مجلة الأصالة، الجزائر، 1975م، العدد26، ص64.

[3]– حاكمي لحبيب: المرجع السابق، ص63.

[4]– ابن خلدون: العبر، المصدر السابق، ج6، ص540.

[5]– الغبريني: المصدر السابق، ص294.

[6]– المصدر نفسه: ص75.

كان ارتباط علماء وفقهاء الأندلس والمغرب بعلاقة وثيقة عمادها التواصل العلمي ومراسلات فيما بينهم لأخذ العلم، وطلب المشورة الفقهية وتبليغ الأحكام القضائية في إطار المذهب المالكي، مما يعكس المشاركة الفعالة للمغاربة في نشر هذا المذهب والتأليف حوله، فتكونت بينهم علاقات تعاون مكثف عكس بروز جيل من الفقهاء المتمكنين[1].

إن أغلب صوفية المغرب الأوسط الذين وفدوا الأندلس من أجل الجهاد والرباط ضد حركة الاسترداد المسيحي منهم: أبو عبد الله بن محمد إسماعيل المتيشي (ت625هـ/1228م)، من بجاية عالم برواية الحديث والشعر، وفن الخط، استقر في مرسية، شارك في علم الحديث وتولى الخطابة في مساجدها وانتفع بعلمه الكثير من الأندلسيين[2]، وعبد الغني بن عبد الجليل التلمساني (ت721هـ/1321م)، الصوفي الباطني، استوطن غرناطة له مصنفات منها: "ذريعة الوصول إلى زيارة جناب حضرة الرسول"، وابن الخميس (ت708هـ/1309م)، الذي درس علوم اللغة في غرناطة، وأبو عبد الله التجيبي (ت610هـ/1211م) نزيل تلمسان[3].

كان للصوفية الأثر البالغ في نمو وازدهار الحياة الفكرية والعلمية في المغرب الأوسط، الذي تحولت حواضره إلى مراكز الإشعاع الثقافي والعلمي، وتغذت منها روافد الحضارة العربية الإسلامية خاصة في مجال التصوف والعلوم النقلية، ويعد القرنان السادس والسابع الهجريان مرحلة الاعتراف الشعبي والرسمي بالصوفية في المشرق والمغرب كشريحة لا يمكن الاستغناء عنها[4]، وقد شدّ علماء المغرب الأوسط خاصة من بجاية وتلمسان الرّحال إلى مختلف الحواضر المغربية والأندلسية والمشرقية رغبة في الاستزادة من علم كبار علماء وشيوخ هذه الحواضر ومواصلة حلقات الدرس والتحصيل العلمي والتعمق في المعارف[5].

كما كان للهجرة الأندلسية تأثير إيجابي على جميع القطاعات منها الاقتصادية كحركة إدخال الأموال والمعادن النفيسة، أو إدخال أنماط زراعية جديدة لم تكن المنطقة

---

(1)– نجاة بلعباس: المرجع السابق، ص171.

(2)– ابن الأبار: المصدر السابق، ج2، ص622.

(3)– الطاهر بونابي: المرجع السابق، ص285.

(4)– المرجع نفسه، ص286.

(5)– نجاة بلعباس: المرجع السابق، ص170.

تعرفها، وتطوير أنظمة الري والآبار، واستخدام الصهاريج والقنوات[1]، خاصة بعد معركة حصن العقاب سنة 1212م، حيث أصبح الأندلسيون يشكلون جاليات كبيرة في حواضر المغرب الإسلامي، ويملكون بساتين وحقولا وديارا وحرفا وعادات وتقاليد، وأغلبهم من سكان الحضر والطبقة المثقفة، لذلك شكلوا مساهمة فعالة في مجتمعات المغرب الإسلامي، وتأثيرا قويًا وفعالا على عادات السكان وطريقة عيشهم وتطوير الثقافة العربية الإسلامية في المغرب عبر طرق وأساليب علمية أندلسية حيّة، كما احتلوا مكانة مرموقة في مختلف المجالات[2]. ففي القرن السابع الهجري يرى الغبريني أن عدد الوافدين إلى بجاية يشكل 60 %من مجموع علمائها الذين بلغ عددهم 108 عالمًا، وشكّل الأندلسيون أكثر من النصف بنسبة 34% والباقي من مختلف المدن المغاربية ومن المشرق[3].

كما أنّ للهجرة الأندلسية دورًا كبيرًا في تطور الحياة الفكرية في المغرب الإسلامي عن طريق نقل العلوم والأفكار، والمؤلفات إلى حواضر المغرب منها: مراكش وتلمسان وبجاية وغيرها، خاصة أثناء التدهور السياسي وقيام الحروب، كما أدّى امتداد الدولة الموحدية في المغرب والأندلس إلى توثيق العلاقات بين أقطارها وتوطيد العلاقة بين سكانها، فأصبح الطلاب والعلماء يتنقلون بحرية للدراسة والتدريس، وهذا ما أدى إلى تكوين الكثير من رجال العلم الذين نبغوا في مختلف المجالات العلمية، فأصبح للصلة الوثيقة بين المغرب والأندلس في عهد الموحدين أثرها في تقدم الحياة الفكرية والعلمية، وتأثير متبادل بين حواضرها فانتقل إليها الكثير من العلماء الذين تركوا آثارهم بها في الكثير من المجالات العلمية خاصة التدريس والتأليف.

المطلب الثاني: التأثير والتأثر في المشرق الإسلامي

رغم العلاقة الوطيدة والتبادل الفكري بين المغرب والأندلس إلاّ أنّ المغاربة لم يستغنوا عن الحضارة الإسلامية بالمشرق؛ وذلك عن طريق الرحلات المتبادلة من أجل اكتساب العلم والمعرفة من الشيوخ والعلماء، فقد كان المؤسس الروحي للدولة الموحدية المهدي بن تومرت من بين الذين رحلوا إلى المشرق طلبًا للعلم والاستزادة، وملاقاة أشهر علمائها ثم الرجوع إلى

[1]– أحمد سعودي: المرجع السابق، ص144.

[2]– صديقي عبد الجبار: التحولات الاجتماعية والاقتصادية في المغرب الإسلامي، المرجع السابق، ص283.

[3]– عبد الجليل قربان: المرجع السابق، ص151.

المغرب لنشر أفكاره المكتسبة من المشرق، فتزامن نشوء الدولة الموحدية في المغرب مع وجود الدولة العباسية في المشرق، وكان أغلب الخلفاء المسلمين من العلماء ومحبي العلم، ومشجعي العلم والعلماء الذين توجه الكثير منهم إلى المشرق في رحلة علمية، من أجل طلب العلم من منابعه، وكما وفد إلى هذه الدولة علماء من المشرق الإسلامي إلى المغرب خاصة إلى الأندلس، أمثال الشيخ تاج الدين بن حموية السرخسي (ت ق6هـ/ 12م)[1].

تميز العهد الموحدي بكثرة الرحلات خاصة العلمية والحجية منها، فظل انتقال الناس من التجار والحجاج والعلماء بين المغرب والمشرق، الأمر الذي ترتب عليه إثراء الحياة الفكرية وتلاقح الأفكار وتمتين الصلات، ووجود نوع من الوحدة الفكرية والثقافية بين المشرق والمغرب الإسلامي، خاصة أنّ الحج كان قاسما مشتركًا بين الوافدين[2]، لأنّ فريضة الحج في الإسلام كانت من أعظم دوافع الرحلة من طرف المغاربة إلى الحجاز وزيارة المقامات المباركة بالمشرق، كالمسجد الأقصى بالقدس، وقبر إبراهيم الخليل، كما يعرجون على دمشق وبغداد عاصمة العباسيين بالعراق، والجامع الأزهر بمصر فأصبحت هذه الحواضر المشرقية مراكز هامة للتبادل الفكري والحضاري فنتج عن ذلك تأثير وتأثر بين هؤلاء العلماء.

إنّ اندماج المغاربة في المجتمع المشرقي، خاصة الشامي، كان سريعًا، نظرًا لما تمتع به هؤلاء الوافدون من سمعة طيبة وورع وأمانة، فكانوا محل ترحيب[3]، ويتجلى هذا التأثير والتأثر بين المشرق والمغرب من خلال انتقال الكتب العلمية من المشرق ووضع شروح عليها، وهذا عن طريق مختلف الرحلات خاصة العلمية التي تعتبر من سمات التطور الحضاري، ومن بين المؤلفات التي نقلها المغاربة إلى المشرق كتاب في علم القراءات يسمى"التيسير في القراءات السبع" للمقرئ الأندلسي الشهير أبي عمرو عثمان الداني (ت444هـ/1052م)[4]، وهو كتاب يبحث علم القراءات، والذي يتحدث عن القراءات السبعة المتواترة واختلافاتها حسب السور.

---

[1]- المقري: نفح الطيب، المصدر السابق، ج3، ص99.

[2]- الحاج عيفة: المرجع السابق، ص209، شوكت عارف الأطروشي، درويش يوسف حسن: المرجع السابق، ص14.

[3]- شوكت عارف محمد الأطروشي، درويش يوسف حسن: المرجع السابق، ص18.

[4]- المرجع نفسه، ص19.

ولم تقتصر الرحلة إلى المشرق على أداء فريضة الحج والعلم فحسب، بل شملت أيضا دافع التجارة والاستكشاف، وسائر الرحلات التكليفية ضمن المهمات الرسمية التي تصدر عن ولاة الأمور، إلا أن أهم الدوافع وأجلها هو طلب العلم، وحرص العلماء على التزود به عن طريق ملاقاة الشيوخ والفقهاء والعلماء للانتهال من علمهم[1].

هناك الكثير من علماء المغرب الأوسط الذين رحلوا إلى مختلف حواضر المشرق الإسلامي وانتفعوا من علم شيوخها وعلماءها، فحظي هؤلاء العلماء في المشرق بالاحترام والتقدير على المستويين الشعبي والرسمي، وتصدروا مجالس العلم والتدريس، كما أسندت إليهم أعلى الرتب والمناصب خاصة القضاء والتدريس، فأصبحوا أساتذة عن جدارة واستحقاق، ترأسوا المدارس ودرسوا بها، ومن بين هؤلاء العلماء الأشيري عبد الله بن محمد (ت561هـ/1165م)[2] المحدث، الأديب الحاذق، والنحوي البارع يحي بن عبد المعطي الزواوي، الذي رحل إلى المشرق موطن إنتاجه العلمي، فألف أشهر المنظومات النحوية "الدرة الألفية في علم العربية" والذي عُدّ الرائد الحقيقي لهذا النوع من المنظومات[3]، التي تأثر بها عدد كبير من العلماء مثل ابن مالك النحوي الأندلسي، الذي نسج ألفيته على منوالها، وابن محرز الوهراني، والبوني إبراهيم بن يوسف، وغيرهم الكثير كما سبقت الترجمة لهم في الفصول السابقة.

كان لعلماء وطلبة العلم المغاربة الذين انتقلوا للدراسة في الحواضر العلمية المشرقية تأثير في مجتمعاتها، وقد حاز العلماء منهم على مكانة علمية عالية جعلتهم قبلة فئات المجتمع يؤمونهم ليفتونهم في مسائل دينهم وأحوالهم الشخصية، ولينتفعوا بعلمهم ويأخذوا عنهم، وأصبح لهؤلاء روادهم وطلابهم الذين تأثروا بهم ونقلوا هذا التأثير إلى محيط أسرهم ومجتمعاتهم، وقد تولى العلماء المغاربة الكثير من المناصب المؤثرة، مما جعل أثرهم يبرز في المجتمعات المشرقية[4]، فقد أجاز علماء المغرب كثير من طلاب العلم في المشرق في مختلف المجالات العلمية.

---

[1]– نجاة بلعباس: المرجع السابق، ص163.

[2]– ابن عماد النبلي: المصدر السابق، ج4، ص198.

[3]– جميلة راجاح: المرجع السابق، ص250.

[4]– الحاج عيفة: المرجع السابق، ص345.

ويظهر التلاقح الروحي بين المشرق والمغرب خاصة في مجال التصوف، لأنّ التّصوف انتشر انتشارًا واسعًا في المشرق ثم انتقل هذا التيار إلى المغرب عن طريق الرحلات العلمية، وبالتالي دخلت الطرق الصوفية والمذاهب إلى المغرب لأنه مرآة عاكسة لما يحدث في المشرق، وفي عهد الموحدين ذاع صيت هذه الطرق والمصنفات الصوفية خاصة طريقة الغزالي وأبي مدين شعيب والرسالة القشيرية.

كما استطاع العلماء المغاربة المهاجرون تكوين جسر التواصل الثقافي بين المشرق والمغرب، فتعرّف أهل المشرق بثقافة أهل المغرب، كما حدث العكس خاصة بعد عودتهم إلى المغرب، فتشكلت خميرة التلاقح بينهما ونقلوا مظاهر الثقافة المشرقية إلى المغرب وتم نشر ما تأثروا به من أفكار وأراء ومذاهب، وذلك من خلال المصنفات والكتب، والجلوس لنشرها في المؤسسات الدينية والتعليمية، ومنهم أبو زكرياء يحي الزواوي البجائي وغيرهم كثير.

المطلب الثالث: التأثير والتأثر بين حواضر المغرب الأوسط

لقد برزت في المغرب الأوسط مدن وحواضر ثقافية وعلمية، منها بجاية وتلمسان، نظرا لموقعهما الاستراتيجي الممتاز، حيث تقعان في ملتقى الطرق الرابطة بين الشرق والغرب، فكانت تلمسان منارة مشعة ومركزا للحياة الفكرية خلال العصر الوسيط، وكانت مقصدًا للطلاب والعلماء الذين كان لهم دور كبير في تثمين العلاقات الثقافية بين حواضر العالم الإسلامي، كما ينطبق هذا على مدينة بجاية التي شهدت حياة علمية وثقافية زاخرة، وأصبحت العلاقة مترابطة ومتكاملة بينهما بسبب هجرة الطلاب والعلماء بين الحاضرتين لتبادل العلم والمعرفة.

وقد ورد في المصادر التاريخية ما لتلمسان وبجاية من قيمة حضارية وثقافية في عهد الموحدين، حيث قاموا بتحصين تلمسان وتشييد أسوارها وبناء قصور بها، ومؤسسات دينية وعلمية كثيرة ومتنوعة، وهذا ما هيأها لتكون قبلة الطلاب والعلماء لطلب ونشر العلم.

وقد أخذ النشاط العلمي لبجاية موقعا متميزا بعدما صارت تابعة للموحدين الذين أدركوا نفاسة الموروث العلمي البجائي ورصانته، فاستخلصوا بعض علمائها إلى البلاط الموحدي في العاصمة مراكش لتولي مناصب هامة، منهم البجائي الطبيب أبو إسحاق إبراهيم

الداني لإدارة بيمارستان مراكش[1]، واستدعى عبد المؤمن بن علي من بجاية أبا الفضل بن محمد بن علي بن طاهر لكتابة سره في مراكش[2].

إن طلبة وعلماء تلمسان اعتادوا على شدّ الرحال نحو بلاد زواوة "بجاية"، كما وفد على تلمسان عدد كبير من العلماء والطلاب البجائيين، بكل حرية وتجاوز لأي عائق، مما أتاح للحاضرتين أن تكونا مركزا ملاقاة المشايخ والطلاب والعلماء لتبادل العلم والمعرفة، فكانت الرحلة بينهما مرتبطة بطلب العلم من شيوخ معينين عندما تشيع أخبار تبحرهم في العلم، أو حضور المجالس العلمية لأكابر العلماء في المؤسسات العلمية أو المجالس السلطانية[3]، لأن الطالب يجب أن يجلس إلى شيخه ويسمع منه بشكل مباشر لكي يتحصل على أكبر قدر من العلم[4].

لقد انصهرت واندمجت ثقافات حواضر المغرب الأوسط فيما بينها خاصة بجاية وقلعة بني حماد وتلمسان، بفضل الرحلات العلمية والتجارية، حيث يتنقل الطلاب والعلماء بين هذه المدن من أجل العلم وتحصيل المعرفة، وخير مثال على ذلك مؤسس الدولة الموحدية عبد المؤمن بن علي الذي شد الرحال من تلمسان مسقط رأسه إلى بجاية حيث التقى بابن تومرت الذي مهد لتأسيس هذه الدولة، فعقدت بينهما جلسات علمية واكتشف حدة ذكائه، واصطحب عبد المؤمن معه ابن تومرت إلى تلمسان للتدريس[5].

والعالم أبو محمد عبد العزيز بن عمر بن مخلوف التلمساني (ت686هـ/1279م) أصله من تلمسان درَس بها ثم انتقل إلى بجاية واستقر ودرّس بها كذلك وانتفع به خلق كثير، وكان له مسجد هناك، كما تولى قضاء الأنكحة بها وكان مشاورًا وعلى فتواه العمل، كما تولى القضاء في بسكرة وقسنطينة والجزائر[6]، ولا ننسى العالم محمد بن أحمد العجيسي التلمساني الذي زار بجاية، وعمران المشدالي الذي استوطن تلمسان بعدما قدم من بجاية[7]،

---

[1]– ابن أبي أصيبعة: المصدر السابق، ص534.

[2]– الغبريني: المصدر السابق، ص55.

[3]– نجاة بلعباس: المرجع السابق، ص164.

[4]– ابن مريم: المصدر السابق، ص216.

[5]– نجاة بلعباس: المرجع السابق، ص166.

[6]– الغبريني: المصدر السابق، ص91.

[7]– عبد الحميد حاجيات: تلمسان مركز الإشعاع الثقافي، المرجع السابق، ص138.

والعالم القطب أبا مدين شعيب الذي عاش ببجاية وعكف على تعليم الأجيال وكان مقامه بتلمسان بموقع العباد، ومدرسته الصوفية استمرت بعده في نشر التصوف، لذلك أثّرت هذه الرحلات العلمية تأثيرًا مباشرًا في المناهج التعليمية وطرق التدريس، كما أدت هذه الرحلات إلى الالتقاء بالمشايخ والأخذ عنهم والتعرف على أنواع الثقافات والعلوم، وبالتالي نتج التفاعل الفكري والتبادل العلمي والثقافي بين هذه المجتمعات.

لقد احتفظت مدينة تلمسان وبجاية بمكانتهما العلمية والثقافية عبر العصور، وازدانتا بثلة من العلماء الكبار الوافدين من كل مكان فأدوا دورًا مهمًا في ازدهار الحضارة الإسلامية ونشر معالمها، خاصة فيما يتعلق بالرحلة بين الحاضرتين، وخلق جسور التواصل الثقافي والعلمي بينهما، بداية بمؤسس الدولة الموحدية عبد المؤمن بن علي الذي تعلم بتلمسان ثم انتقل إلى بجاية ليلتقي بمعلمه وقدوته المهدي بن تومرت[1].

نالت حاضرتا بجاية وتلمسان حظًا كبيرًا بين حواضر المغرب الإسلامي، ومراكز الإشعاع الفكري والعلمي عبر العهود، وقد برزت الصِلات الثقافية بين هذه المراكز عن طريق تواصل نشاط الرحلات العلمية للعلماء والطلبة للتدريس والدراسة، وعقد المجالس العلمية والمناظرات، فازدهرت حركة التأليف في شتّى أصناف العلوم والمعرفة، فنبغ علماء مبرزون أثْروا الحياة الثقافية ببلاد المغرب والأندلس وحتّى المشرق، إلى أن أصبحت تلك الرحلات العلمية بمثابة معيار أساس لمعرفة درجة تحصيل الطلبة والعلماء ومستواهم الفكري، وهذه الرحلات لم تنحصر في الطلبة بل حتى العلماء والمشايخ طلبا لمزيد من العلم والبركة والاجتماع بأشهر العلماء والصلحاء والأولياء، وتبادل الزيارات والرسائل والمصنفات والاستشارات العلمية والفتاوى وتحصيل الإجازات العلمية[2].

برز للعيان مشاركة علماء تلمسان وبجاية في الإصدارات العلمية والثقافية الأصيلة سواء من قريب أو بعيد، وهذا ما عزّز روابط التواصل والتفاعل بين مختلف حواضر المغرب الإسلامي بصفة عامة والمغرب الأوسط بصفة خاصة، فقد حظيت هذه المدن بتراث علمي ضخم، وأنّ الملاحظ لواقع الحركة الفكرية والعلمية في المغرب الإسلامي سيجد حواضره دائمة الذكر خاصة بجاية وتلمسان، نظرًا لإسهامات علمائها في بناء التاريخ الثقافي والعلمي

---

(1)– نجاة بلعباس: المرجع السابق، ص166.

(2)– المرجع نفسه، ص163.

لهذه البلاد، وبفضل التفاعل والتلاقح العلمي والثقافي بين حواضره ومختلف حواضر العالم الإسلامي.

وهذه الأهمية ظهرت خاصة عندما تحولت حاضرتا بجاية وتلمسان إلى مركزين للإشعاع الثقافي والفكري، استقطب اهتمام المغاربة والأندلسيين الذين أخذوا يتوافدون للأخذ عن شيوخ هاتين الحاضرتين ونقل أفكارهم وعلومهم إلى بلدانهم[1]، خاصة وأن بجاية كانت عبارة عن همزة وصل بين الأندلس والمغربين الأقصى والأوسط وبين المشرق الإسلامي، تستقبل العلماء بالأخص الأندلسيين والإطاليين، لذلك تم تناقل وتمازج بين الحضارات والثقافات المتنوعة.ويعد التواصل العلمي بين الأقطار والمدن الإسلامية في العصر الوسيط ظاهرة حيوية وفعالة في نقل عناصر التطور الحضاري الثقافي والفكري بين مختلف المراكز العلمية، وهو ما أثمر بروز حواضر علمية لها شأن كبير في تطوير العلوم[2].

إنّ كثرة المعارف وتنوعها في الحواضر العلمية السابقة وذيوع صيت علمائها ومشايخها الأجلاء، أدى إلى جلب اهتمام الطلاب والعلماء فشدوا الرحال إليها لينالوا من كثرة علومها وتنوعها، ثم يعودون إلى بلادهم ينقلون إليها ما اكتسبوه من علوم وثقافة جالبين معهم المصنفات القيمة في مختلف المجالات، وبذلك ساهموا في إثراء الحياة العلمية والثقافية عن طريق التدريس والتأليف وبالتالي تركوا بصماتهم التي احتفظ بها التاريخ.

---

[1]– الطاهر بونابي: المرجع السابق، ص69.

[2]– جليل قريان: التلاقح العلمي بين حاضرتي بجاية وتلمسان، مجلة عصور، جامعة وهران، الجزائر، 2013م، العدد10، ص48.

المبحث السادس: رحلات علماء المغرب الأوسط

سنتطرق في هذا المبحث إلى نماذج من علماء سافروا من أجل العلم والمعرفة، ومنهم من طالت رحلته وبقي هناك ومنهم من عاد إلى وطنه محملا بأسس العلم لينير عقول الطلاب.

المطلب الأول: نماذج من الرحلات المؤقتة لعلماء المغرب الأوسط

هناك علماء رحلوا إلى مختلف الحواضر الإسلامية ونهلوا من علومها ثم عادوا إلى بلادهم حاملين معهم نفيس الكتب وإجازات الكفاءة والتقدير وأسانيد القراءة والحديث، وعملوا على نشر كل ما حصلوه من معارف في مجالس العلم وتصدروا حلقات الدرس، منهم المؤسس الروحي للدولة الموحدية محمد بن تومرت الذي بدأ رحلته في طلب العلم إلى الأندلس، ثم رحل إلى المشرق وهناك درس الفقه الأشعري، واعتنق مذهبه، من مؤلفاته رسالة"المرشدة " ورسالة "التوحيد" وألف كتابا في الإمامة "أعز ما يطلب"[1]، ثم عاد إلى المغرب وبدأ بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر[2]، ومن بين العلماء الذين عادوا إلى المغرب الأوسط بعد الرحلة:

-العالم الورجلاني أبو يعقوب يوسف ابن إبراهيم السدراتي رحل إلى المشرق لأداء فريضة الحج ثم إلى بغداد ثم القاهرة واستفاد من مجالس العلم والعلماء، ثم عاد إلى بلده وتفرغ للتدريس والتأليف[3].

-العالم أبو مدين شعيب (ت594هـ/1198م) توجه إلى المشرق وأخذ من علمائها خاصة الصوفية منهم عبد القادر الجيلاني، ثم غادر من المشرق نحو بجاية لنشر الصوفية[4].

-أبو زكريا يحي بن علي الزواوي (ت611هـ/1214م)، رحل إلى المشرق وأخذ عن علمائها ثم عاد إلى المغرب الأوسط واستوطن بجاية وجلس بها لنشر العلم[5]. أبو عبد الله محمد بن إبراهيم الأصولي (612هـ/1215م)، من أهل بجاية رحل إلى المشرق ولقي جلة أهل العلم،

---

[1]- ابن خلدون: العبر، المصدر السابق، ج6، ص302.

[2]- علي محمد الصلابي: المرجع السابق، ص258.

[3]- مصطفى بن صالح باجو: المرجع السابق، ص108.

[4]- التنبكتي: الديباج، المصدر السابق، ج2، ص195.

[5]- ابن يحي التادلي: المصدر السابق، ص428.

ثم عاد إلى بجاية وولي القضاء بها[1]. وأبو العباس أحمد بن عثمان بن عبد الجبار الملياني (644هـ/1246م) رحل إلى المشرق لقي الشيوخ الأفاضل ثم رجع إلى المغرب وسكن بجاية ودرّس بها، له علم بالفقه والأصول[2]. علي بن أبي نصر فاتح بن عبد الله البجائي (ت652هـ/1254م) فقيه ورع رحل إلى المشرق وسمع بمكة يونس الهاشمي، وبالقدس أبو الحسين جبير، وبدمشق، ثم عاد إلى بجاية ودرّس بها[3].

المطلب الثاني: نماذج من الرحلات الدائمة لعلماء المغرب الأوسط

إن علماء المغرب الأوسط قاموا برحلات كثيرة ومتنوعة خاصة، فهناك من نهل من علومها ثم عاد إلى بلاده ومنهم من اختار البقاء في المهجر كما سأذكر بعض النماذج التالية.

-العالم الصوفي أبو الحسن علي بن خلف بن معرور الكومي (ت599هـ/1201م)، أخذ عن علماء مكة واستقر بالإسكندرية مدرسًا الأصليين والحديث وانتفع به خلق كثير[4].

- البوني أحمد بن علي أبو العباس (ت622هـ/1225م)، أصله من عنابة ناسك متعبد من أشهر المهتمين والدارسين، تعلم في عنابة، ثم رحل إلى المشرق العربي واستقر نهائيا بالقاهرة[5].

-يحي بن عبد المعطي بن عبد النور الزواوي المغربي زين الدين (ت628هـ/1230م)، يعتبر من أحد أئمة عصره في النحو والأدب، شاعر مجيد من زواوة، سكن دمشق وكان مدرسًا بها، ثم درّس كذلك بالقاهرة في الجامع العتيق إلى أن توفي هناك[6]. ومن علماء المغرب الأوسط الذين حالفهم الحظ بالتدريس في المدرسة المنصورية بجانب المسجد الحرام جعفر بن عبد الرحمان بن جعفر بن عثمان الصقلي البجائي (ت644هـ/1246م) والذي ولد ببجاية وتوفي بمكة المكرمة[7].

---

[1]- الغبريني: المصدر السابق، ص208.

[2]- المرجع نفسه، ص314.

[3]- التنبكتي: الديباج، المصدر السابق، ج2، ص321.

[4]- الطاهر بونابي: المرجع السابق، ص271.

[5]- عمار هلال: العلماء الجزائريين، المرجع السابق، ص169.

[6]- عبد الله كنون: المرجع السابق، ج1، ص153، عادل نويهض: معجم أعلام الجزائر، المصدر السابق، ص167.

[7]- تقي الدين الفاسي: المصدر السابق، ج3، ص426.

-أبو محمد عبد الله بن محمد بن علي الفهري شرف الدين (ت644هـ/1246م) فقيه أصولي سكن القاهرة وتصدر للإقراء بها إلى أن مات، له شرح التنبيه لأبي إسحاق الشيرازي، وشرح المعالم في أصول الفقه للرازي[1]. ومحمد إبراهيم بن عبد الرحمن بن الشرس بن الجرح التلمساني (ت656هـ/1259م)، سمع بسبتة ومكة، كان عادلا ضابطًا صاحب أصول، مساهمًا في نشر العلم[2].

-عبد السلام بن علي بن عمر بن سيد الناس الزواوي المالكي (ت681هـ/1282م)، تلقى تعليمه الأول ببجاية، ثم رحل إلى المشرق وقد برع في علوم القرآن والفقه [3].

-أبو بكر بن عمر بن علي بن سالم الإمام رضي الدين القسنطيني (ت695هـ/1295م)، نشأ بالقدس، أخذ العربية عن عبد المعطي، يعتبر من كبار الأئمة وله معرفة بالفقه[4]. والشاعر أبو عبد الله البوصيري (ت699هـ/1297م) رحل إلى مدينة بوصير، يؤم بجامعها الأعظم بمصر [5].

---

[1]- عادل نويهض: معجم أعلام الجزائر، المصدر السابق، ص70.

[2]- أبو القاسم حفناوي: المصدر السابق، ص97.

[3]- مفتاح خلفات: قبيلة زواوة، المرجع السابق، ص589.

[4]- السيوطي: البغية، المصدر السابق، ج1، ص470.

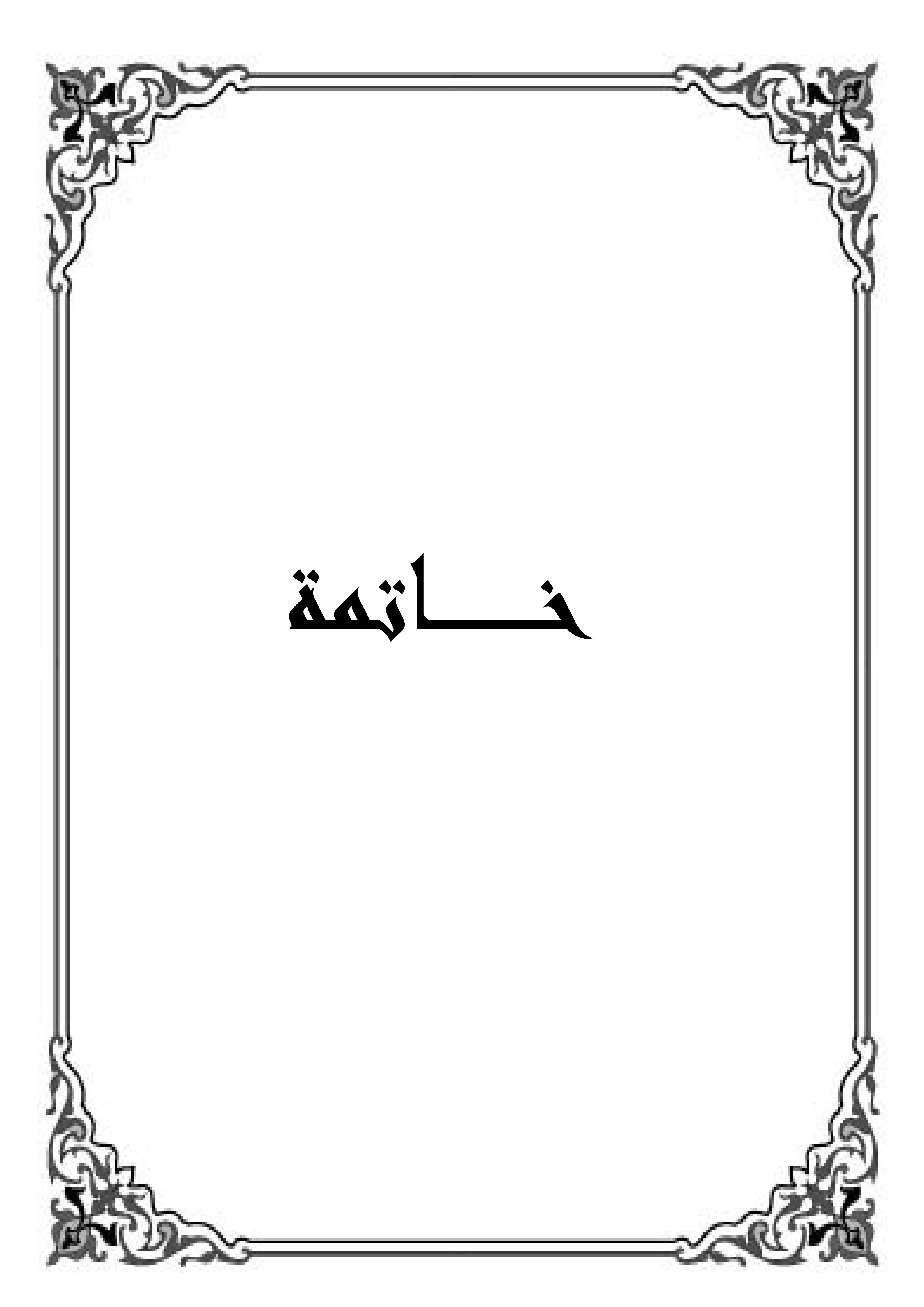
[5]- محمد افرخاس: المرجع السابق، ص24.

خلاصة

لقد ساهم علماء المغرب الأوسط في نشر العلوم وتطويرها من خلال التدريس في المدارس ودور العلم، ومن خلال المؤلفات التي خلفوها، وأسهموا في إحياء كثير من العلوم خاصة النحو والصرف وغيرها من العلوم، ويتضح ذلك من خلال المناصب التدريسية التي شغلوها في المدارس والمساجد ومختلف المؤسسات العلمية والدينية.

استطاع علماء المغرب الأوسط النهوض بالحركة العلمية والثقافية بفضل عنايتهم بالعلم والحرص على طلبه ونشره بمختلف تخصصاته، فنالت العلوم الدينية النصيب الأكبر من الاهتمام والتطوير، ثم تلتها العلوم اللسانية والأدبية، كما كانوا حريصين على تعلم وتعليم العلوم العقلية خاصة الطب والرياضيات.

إن العلماء المغاربة وجدوا العناية والاهتمام من قبل المشارقة، رحبوا بهم وأحسنوا إليهم، وهيئوا لهم الظروف مما جعلهم يساهمون في نقل المعارف وتطويرها، والمغاربة لم يتواجدوا في الأماكن المقدسة فقط، بل كانوا منتشرين في جميع المناطق التي تتوفر فيها سبل العيش والعلم، وكانوا يتميزون بالأمانة، فطال لهم فيها الذكر واستلموا الكثير من المناصب المرموقة لاسيما في مجال التعليم، فمنهم من تسلم تسيير شؤون المدارس والمساجد، ومنهم من تسلم مهام تدريس علم من العلوم خاصة النحو والحديث والفقه، ولم تقتصر أعمالهم على التعليم فقط إنما تعدت إلى التأليف والكتابة. وكما يقال أن وفاة العالم هو فقدان الأمة لأحد مصابيحها، إذ لا توجد فاجعة أشد من فقدانه، وهو ما ينطبق على علماء المغرب الأوسط.



خـــاتمة

الحمد لله الذي وفقنا لإنهاء هذا البحث الموسوم ب:" **أصناف المعارف وشيوخ العلم في المغرب الأوسط زمن الموحدين" من القرن السادس إلى القرن السابع الهجريين"(ق 12-13م)**"، والذي حاولنا من خلاله أن نعرض جانباً من تاريخ المغرب الأوسط، ألا وهو الجانب المعرفي والعلمي في عهد الدولة الموحدية، وإبراز إسهامات علمائه في هذه الحياة الفكرية، وخلصنا بعد دراسة الموضوع إلى مجموعة الاستنتاجات ذيلتها ببعض التوصيات التي أتوقع أن تفتح آفاقاً للبحث مستقبلاً، منها:

الاستنتاجات:

1. إن حدود المغرب الأوسط خلال العصر الوسيط هي حدود سياسية سلطوية وليست جغرافية مستقرة خاصة الجهة الشرقية، وذلك حسب المصادر التاريخية والدراسات السابقة الذكر، وعلى العموم لا تخالف كثيراً الحدود الجزائرية الحالية.
2. خلال القرن السادس الهجري خضع المغرب الإسلامي لسلطة الموحدين، بعد بروز شخصية مميزة تمثلت في محمد بن تومرت الذي لعب دوراً كبيراً في ذلك، وبعد وفاته سنة (524هـ/1130م) خلفه تلميذه عبد المؤمن بن علي الذي لم يكن أقل حكمة من معلمه حيث استطاعت وطيد أركان الدولة الموحدية والتي استمرت من سنة (515هـ إلى668هـ)، فأحكم قبضته وسيطرته على المغرب الأقصى، ثم وجه اهتمامه إلى المغربين الأوسط والأدنى، وحقق الوحدة السياسية للمغرب الإسلامي، واتخذ من مراكش عاصمة للخلافة.
3. لقد استطاعت الدولة الموحدية أن توسع أراضيها على غرار المغرب والغرب الإسلامي بأكمله لتشمل المغرب الأقصى والمغرب الأوسط والمغرب الأدنى والأندلس، وعاشت حوالي قرنا من الزمن، فشهدت تطورات كثيرة في مجالات متنوعة يتصدرها المجال الثقافي.
4. شهد المغرب الأوسط فترة من أخصب فترات عطائه الثقافي، كما تنعم باستقرار وأمن سياسي بفضل مجهودات خلفائه وقادته الذين يتقدمهم عبد المؤمن بن علي لا سيما بعد القضاء على ثورات بني غانية وأعراب بني هلال، كما أنّ جل خلفائه أدركوا الدور الريادي للعلم والعلماء في التحضر والرقي؛ فأولوا لذلك عناية فائقة على غرار مؤسسيها ابن تومرت وعبد المؤمن بن علي اللذان يعتبران بحراً متفجراً بالعلم.
5. اهتم الموحدون بالعلم والعلماء؛ فشيدوا المؤسسات الدينية والعلمية والفضاءات الثقافية وبنوا المدارس والمساجد والكتاتيب والزوايا والرباطات، فأضحت مراكز للإشعاع الديني

والعلمي، ونشروا التعليم الإجباري والمجاني، وتمّ استقطاب العلماء والفقهاء من مختلف مناطق العالم الإسلامي، خاصة أنّ المغرب الأوسط يُعد همزة وصل بين الأندلس والمشرق فأصبحت حواضره لها وزنا وقيمة علمية.

6. لقد أسهمت المؤسسات العلمية في تغذية التربية الإسلامية وبث تعاليم الدين الإسلامي في ربوع المغرب الأوسط، كما يرجع إليها الفضل في صيانة تراث العلماء، وكانت مرآة عاكسة للتطورات الحضارية التي شهدتها المنطقة.

7. حاز الجانب العلمي والفكري اهتمام الدولة الموحدية، وتربع فيها على مكانة مرموقة امتد أثرها إلى الدول التي ورثتها؛ فكان لها نصيب من هذه الحضارة.

8. تنوع العلوم النقلية والعقلية في المغرب الأوسط وتطورها بفضل علمائه، ويتجلى ذلك من خلال مؤلفاتهم، خاصة علم الطب واكتشاف الأدوية والعلاج لبعض الأمراض، كما شهد علم المنطق والفلسفة تطوراً وازدهاراً كبيراً في المغرب الإسلامي، بعدما كانت الفلسفة تُعد من العلوم المحرمة بحجة أنّ أفكارها لا تتماشى مع الدين الإسلامي، وهذا بعد زوال التحجير على كتب الغزالي.

9. عرفت العلاقات الثقافية بين أقطار العالم الإسلامي أوج ازدهارها في عهد الموحدين فحدث تلاقح فكري وثقافي بين المغرب الإسلامي والأندلس والمشرق الإسلامي، ووقع تأثير وتأثر بفضل هجرة العلماء ونقل العلم وتبادل المعرفة.

10. لقد ازدهرت العلوم بأنواعها النقلية والعقلية بفضل اهتمام الخلفاء الموحدين بها وبعلمائهاودعمهم للحياة العلمية والثقافية بشتّى الوسائل المادية والمعنوية؛ من الإسهام في إنشاء مراكز التعليم كالكتاتيب والمساجد والرباطات والزوايا والمدارس إلى رصد الجوائز ورفع المقامات والتعيين في المناصب العالية وغيرها من التحفيزات.

11. كان فقهاء المغرب الأوسط سندا للشعب في مختلف المجالات الاجتماعية والسياسية والثقافية؛ فبينوا لأهل المغرب الإسلامي أصول الدين والثقافة الإسلامية ونشر لواء العلم.

12. رغم طابع الصراع المذهبي في بلاد المغرب الإسلامي مثلما كان عليه الحال في المشرق لأنّ المغرب كان – كما نعلم– مرآة عاكسة لما يحدث في المشرق، إلا أنّ المذهب المالكي استطاع ترسيخ جذوره في المنطقة، لذلك ظهرت مدارس فقهية في المغرب الإسلامي منها مدرسة المغرب الأوسط والمتمثلة في حاضرتي بجاية وتلمسان، وبقي مذهب

الموحدين مذهب الأقلية الحاكمة لذلك زال بزوالهم، في حين تمسك السواد الأعظم بالمذهب المالكي المنتشر على أوسع نطاق واعتمد عليه كمرجعية وحيدة في بلاد المغرب الإسلامي.

13. ساهمت شرائح مجتمع المغرب الأوسط في العلم والثقافة الإسلامية والحث عليه بوسائل مختلفة؛ وذلك بفضل مساعي السلطة الحاكمة التي ساهمت في بناء مؤسسات التعليم وتشييد المدارس، وتحفيز المتعلمين والوافدين على حلقات الدروس وحماية الفقهاء والعلماء وتشجيعهم وتكريمهم ورصد الجوائز لخيارهم.

14. كان التعليم في المغرب الأوسط منظما؛ يتم بالتدرج عبر مراحل حتّى يتحقق الهدف من ذلك في تحصيل العلوم والمعارف، حيث تبدأ المرحلة الأساسية واللبنة الأولى في الكتاتيب، وتُعد المدرسة الابتدائية النواة الأولى لتعلم مبادئ القراءة والكتابة، ثم تأتي مرحلة الحلقات في المساجد والزوايا لدراسة الفقه والتفسير والحديث واللغة وغيرها. ولم يقتصر على هذه المراكز وإنّما شمل مؤسسات أخرى مثل الرباطات والمكتبات والبيمارستانات لدراسة الطب إلى أن ظهرت المدارس.

15. تعد الرحلة من عوامل ازدهار التعليم في المغرب الأوسط، وقد تعددت أهدافها واتجاهاتها في مختلف حواضر المغرب الإسلامي والمشرق، حيث خاض علماء وطلاب العلم مغامرة في سبيل تحقيق التحصيل العلمي؛ وذلك من أجل السند العالي في الحديث أو الإجازة والتلقي عن شيوخ العلم والبحث عن مصنفاتهم، فكانت الرحلة سببا في تداول المعارف والكتب والإنتاج الفكري وتبادل الإجازات والتطور في مختلف العلوم خاصة الدينية منها. وقد ضاهوا في ذلك المشرق وتقدموا فيها بقدر تقدم المشارقة فألفوا كتبا ذاع صيتها في الآفاق، كما انتصبوا للتدريس والإقراء في المغرب والمشرق فأقبل عليهم الطلبة من كل حدب وصوب، فلم يقتصر دورهم على نشر معارفهم ضمن الإطار المحلي بل كانوا خير رسل علم وفكر، نقلوه إلى مختلف أنحاء العالم الإسلامي ونالوا به المراتب العليا في مجالس الخلفاء والسلاطين والحكام، والدليل على ذلك استدعاء كثير من العلماء للتدريس وإلقاء محاضرات خاصة في موسم الحج في إطار ما يسمى بالرحلة الحجازية، فظل هذا التواصل قائما بين المشرق والمغرب على امتداد التاريخ.

16. إن تبادل العلوم والمعارف بين أقطار المغرب الإسلامي والتلاقح الفكري يعود إلى تنقلات العلماء والطلاب، وانعدام الحواجز الجغرافية في ظل الدولة الموحدية ووحدة اللغة

والانتماء والهوية والعادات والتقاليد والتاريخ المشترك، كما يعود الانتعاش الفكري إلى التركيبة البشرية للمغرب الأوسط التي طعمت بعناصر من العرب والأندلسيين ومختلف العناصر الإسلامية، فهذا التمازج والاحتكاك ولّد حيوية معرفية وعلمية.

17. لقد اهتم المغاربة باللغة العربية وعلومها لعدة أهداف منها فهم القرآن الكريم والحديث الشريف ومختلف علوم الدين والقرآن، ومن جهة أخرى فهي وسيلة لدراسة أنواع العلوم العقلية وتدريسها والتأليف بها حتى أصبحت وسيلة للتواصل.

18. قامت على أكتاف هؤلاء العلماء نهضة علمية بارزة، فتنوع المنتوج المعرفي وتعددت العلوم وتشعبت خاصة العلوم الدينية من تفسير وحديث وأصول وفقه وفروع، إضافة إلى العلوم العقليةمن طب ورياضيات وعلم الفلك، إلاّ أنّ العلوم النقلية استحوذت على حصة الأسد في التدريس والتأليف نظراً لرواجها في العالم الإسلامي كله، لأنّ أغلب علماء المغرب الأوسط انصب اهتمامهم على الدراسات الدينية، وهذا راجع إلى طبيعة أهل المغرب الذين عرفوا بحب خدمة الدين الإسلامي والتمكن منه، لأنّه مرتبط بالحياة العامة وعلاقة الإنسان بربه، فهو ناظم لسلوك المجتمع، فكان إنتاجهم في التفسير وعلم القراءات والحديث والفقه والتصوف وغيرها.

19. كان لعلماء المغرب الأوسط دور كبير في مختلف مجالات الحياة عن طريق الفتوى وفض النزاعات والمشاكل الاجتماعية والتكافل مع فئات المجتمع، كما لهم شأن في تسيير شؤون الدولة وتولي المناصب العليا منها القضاء والفتوى والتعليم، خاصة علماء الأندلس الذين استقروا به فنقلوا طرقهم العلمية ومختلف الحرف والصناعات والفنون والزخرفة والعمران، وتخرج على أيديهم جمع غفير من العلماء والأدباء.

20. برز فنانون خاصة في مجال الفن العمراني، منها العمارة الدينية التي تميز بها المغرب الإسلامي؛ من مساجد وزوايا ورباطات ذات طابع مغربي ممزوج بالطابع الأندلسي، والتي لها كان لها دور في نشر العلم والثقافة ممّا يدل على مظاهر التأثير والتأثر بين المغرب والأندلس، ومن مظاهر التأثير والتأثر بين مختلف حواضر العالم الإسلامي وجود جسور التواصل الثقافي الذي انعكس على ازدهار الحياة الثقافية والفكرية عن طريق الحوار الثقافي ومجالسات ومناظرات بين هؤلاء الفقهاء.

21. تحظى الفنون الإسلامية بمكانة مرموقة بين الفنون التي عرفتها الحضارة الإنسانية، فقد استطاعت الانتشار في العديد من مناطق العالم، والدليل على ذلك مختلف الآثار والزخارف المتواجدة في الأندلس والمغرب الإسلامي عامة، والتي ظهرت بوادره في عهد المرابطين ثمّ الموحدين من بعدهم.

22. إنّ الموقع الجغرافي الاستراتيجي الذي يتمتع به المغرب الأوسط جعله ملتقى التيارات الفكرية والثقافية، فاستقصده الطلاب والشيوخ خاصة في بجاية وتلمسان، كما له فضل في نجاح العملية العلمية وظهور تزاوج بين الحواضر.

23. يتميز الجانب المعرفي والثقافي في المغرب الأوسط بالارتقاء والازدهار خاصة من حيث التأليف وكثرة العلماء وتعدد اختصاصاتهم، فأغلب العلماء موسوعيين؛ يجمعون بين التخصص الديني والعلمي، فمعظم الفقهاء والمفسرين والمحدثين لهم باع في عدة فنون كالأدب والشعر والفلكوالطب ونحوه.

24. كان للمتصوفين نصيب كبير في تطوير علم التصوف ونشر مبادئ الدين الإسلامي، كما لهم الفضل في نشأة الزوايا وتدريس العلوم خاصة تحفيظ القرآن الكريم وإعانة طلاب العلم وحل مشكلاتهم.

25. لقد أبدع علماء المغرب الأوسط في التأليف فدونوا في شتّى أنواع العلوم؛ من تاريخ وتراجم وسيرة ومناقب، وغيرها، فبرز أعلام أفذاذ لازالت مدوناتهم شاهدة على جهودهم المتميزة وثقافاتهم الإسلامية وحضارتهم الرائدة، وبعض آثارهم ماثلة للعيان ومعلومة المكان في المكتبات ورفوف الزوايا والبيوتات والخزائن في أنحاء العالم الإسلامي، ناهيك عن تلك المتواجدة في العديد من البلدان.

26. برزت المدرسة الفقهية المغربية بفضل إسهامات علمائها ونبوغهم في العلوم الدينية المختلفة، فتنوع الإنتاج المعرفي، ونبغ فقهاء ونحويون وشعراء شاركوا في إثراء المجال العلمي والمعرفي بمؤلفات ومنظومات شعرية وتصانيف مستمدة من المبادئ الإسلامية.

27. إن المغرب الأوسط يزخر بالمدن والحواضر الثقافية التي أسهمت في تنشيط الحركة الفكرية والثقافية، وبفضل علمائها تطورت هذه الحواضر العلمية وبتشجيع من الخلفاء الموحدين خاصة تلمسان وبجاية والجزائر، كما كانت هذه النهضة العلمية نتيجة التلاقح بين

الثقافات والتفاعل بين الحضارات التي وفدت إليه، ولا شك أنّ وعي القادة والقاعدة واستعدادهم للتطور أهلهم لبلوغ ذلك المستوى من الرقي والتحضر.

28. إنّ العلماء والشيوخ زمن الموحدين ليس لهم اختصاص معين وإنّما تعددت مواهبهم واتجاهاتهم؛ فنجد الطبيب شاعراً والفقيه أديباً ونحو ذلك، والمهم في الأمر أنّ علماء المغرب الأوسط تركوا بصمات معرفية طيبة في التراث الثقافي الإسلامي والعلمي سواء في المغرب أم المشرق والأندلس.

29. خلّف علماء المغرب الأوسط تراثاً علمياً وثقافياً متنوعاً من مخطوطات ومصنفات وكتب كثيرة، ساهمت في إثراء الرصيد العلمي والمعرفي، ونقل العلوم للأجيال اللاحقة وتطويرها.

وفي الأخير توصلنا إلى اقتراح بعض **التوصيات** وهي:

1. أن أغلب تراث ومخلفات علماء المغرب الإسلامي بصفة عامة والمغرب الأوسط بصفة خاصة ضائعة أو لا تزال حبيسة رفوف الخزائن المغربية والمشرقية والعالمية، وبقيت عبارة عن مخطوطات تستنجد بأقلام الباحثين لنفض الغبار عنها، وتدعو إلى تظافر الجهود والاهتمامات قصد بث الحياة فيها بإخراجها إلى الساحة العلمية وتمكين الباحثين من الاستفادة منها وخدمة العلم وأهله، لذلك نتطلع أن يلتفت المعنيون إلى إنشاء مراكز ومؤسسات تُعنى بتاريخ وتراث علماء المغرب الأوسط، حتى تصبح هذه الكنوز في متناول الباحثين.

2. رغم الدراسات التاريخية حول الدولة الموحدية في مختلف مجالاتها السياسية والاجتماعية والدينية، إلا أنّ معظمها لم يتطرق إلى الجانب الثقافي والعلمي ولم ينل قسطاً وافراً من البحث والتنقيب، لذلك نأمل أن تتوالى المبادرات مستقبلا في هذا المجال.

3. بما أنّ العلماء والشيوخ زمن الموحدين تميزوا بالموسوعية؛ فإنّنا نأمل أن تفتح هذه الدراسة المجال أمام الباحثين كل في تخصصه، من أجل الكشف عن تلك الكنوز وإثراء مختلف الفنون في الساحة العلمية بميراثهم.

4. عرفنا من خلال هذا البحث أنّ علماء المغرب الأوسط خلفوا تراثاً معرفيا وثقافياً متنوعاً بين المخطوط والمصنف، ساهم في إثراء الرصيد العلمي والمعرفي، ونقل العلوم للأجيال اللاحقة وتطويرها، ومن هذا المنطلق فإنّي أهيب بالباحثين إلى التنقيب عنهاوالعناية بها.

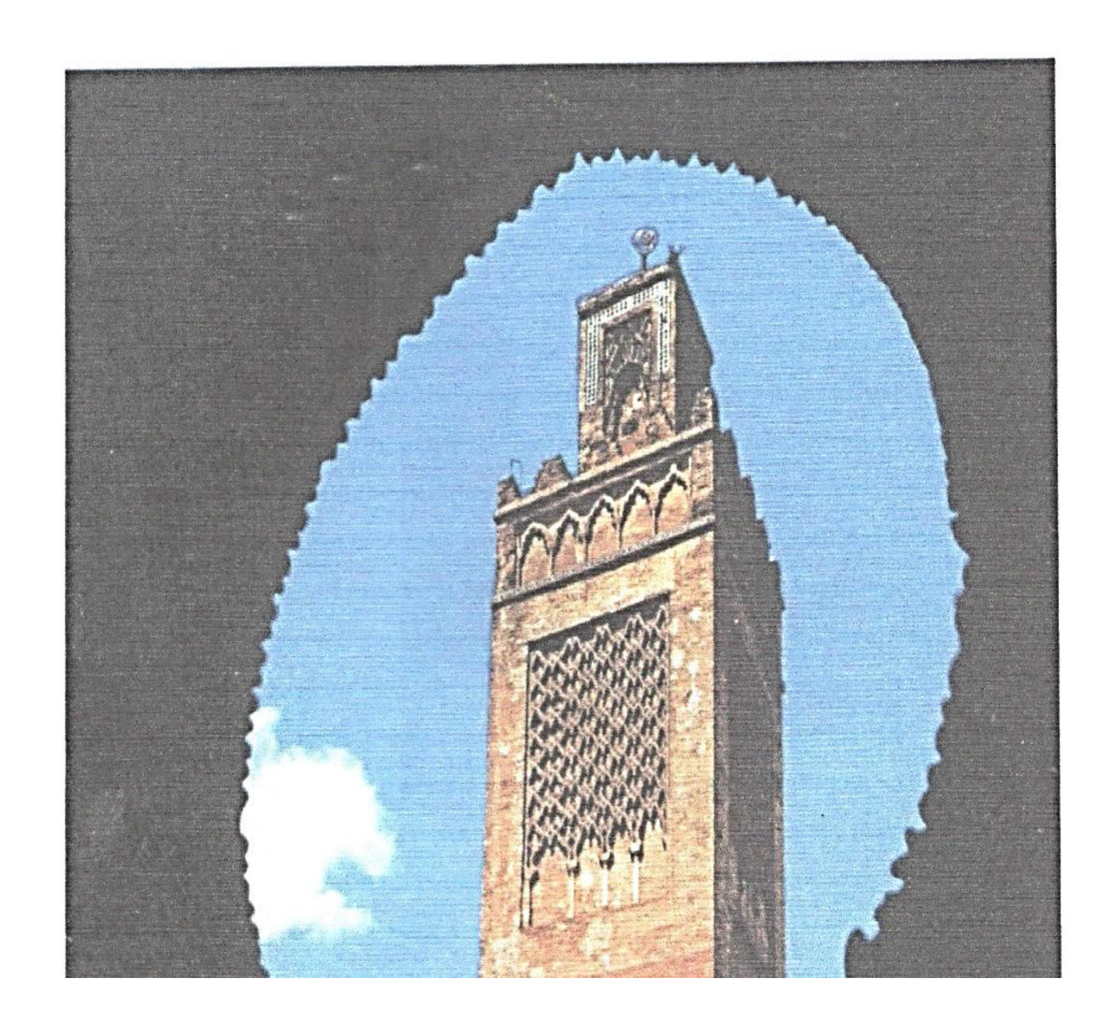
وصفوة القول: نأمل أن يكون هذا البحث لبنة تسد فجوة أو فراغا في صرح تاريخ المغرب الأوسط، وتثري بعض جوانبه، وإسهامًا في الاعتراف ببعض الفضل لعلمائه الذين أفنوا أعمارهم في نشر العلوم والمعارف.

وفي الأخير: نسأل الله تعالى أن يتجاوز عمّا في هذا الجهد من نقائص رغم بذل الوسع، ويجعل ما فيه من محاسن في ميزان حسناتي وحسنات كل من وقف بجانبي داعماً ومحفزاً.

وصلّ اللهم وسلم وبارك على سيدنا محمد

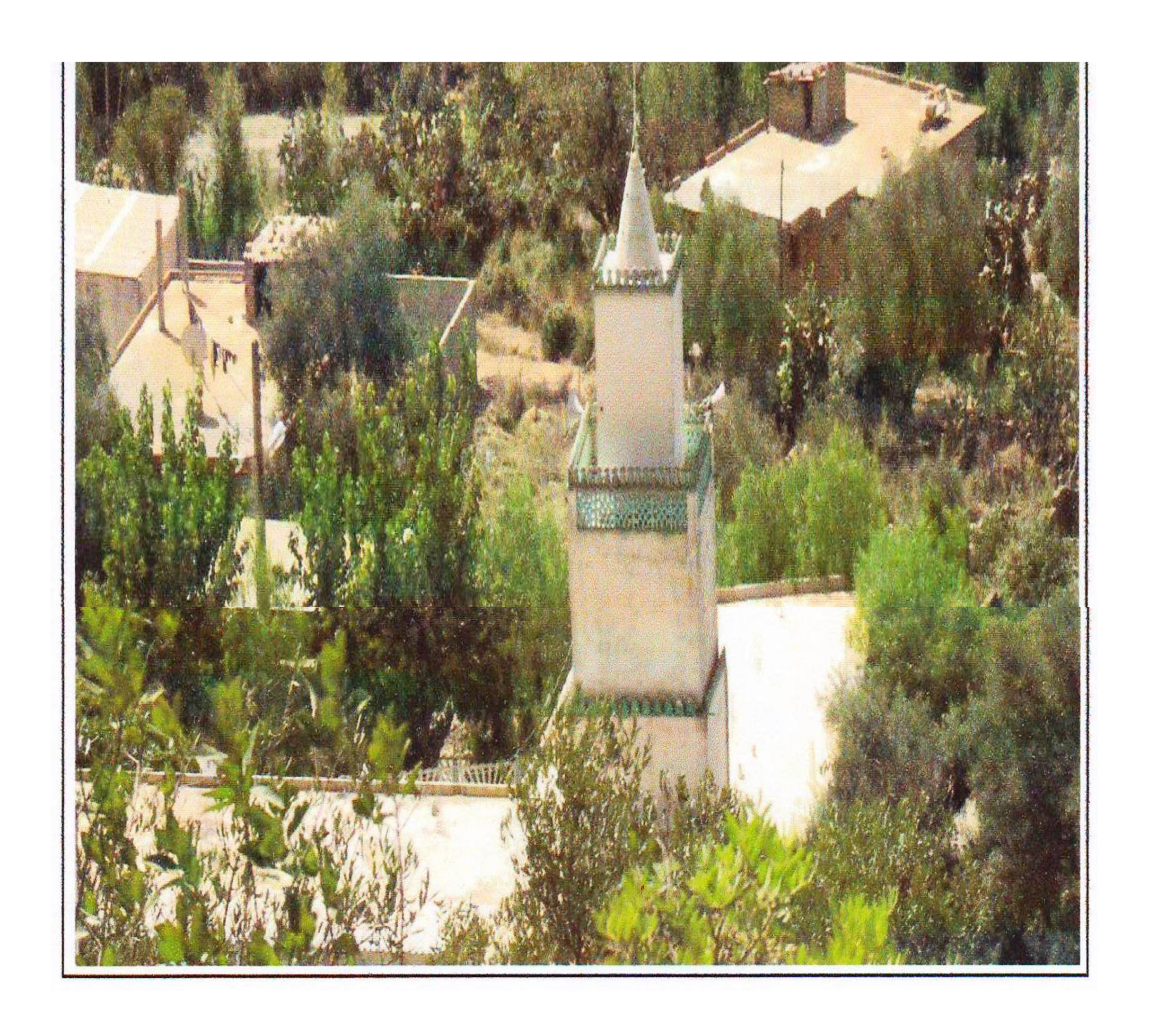
صلى الله عليه وسلم

الملاحق



صورة "01" مئذنة الجامع الكبير بتلمسان

عن: محمد بن رمضان شاوش، المرجع السابق، ص225.



صورة "02" جامع ابن تومرت بملالة "بجاية"

عن: عبد العزيز لعرج، المرجع السابق، ص207.



صورة "03" زخارف محراب جامع ملالة

عن: عبد العزيز لعرج، المرجع السابق، ص106.



صورة "04" ضريح الشيخ أبي مدين شعيب بالعباد

عن: نصر الدين بن داود: المرجع السابق، ص318.



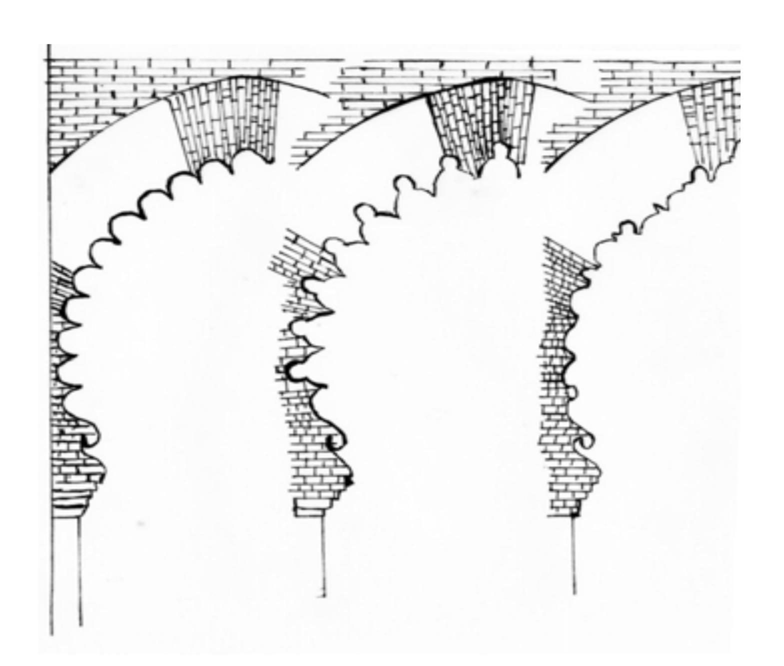
صورة "05" الواجهة الجنوبية الشرقية لجامع القصبة ببجاية

عن: عبد الكريم عزوق، المرجع السابق، ص282.



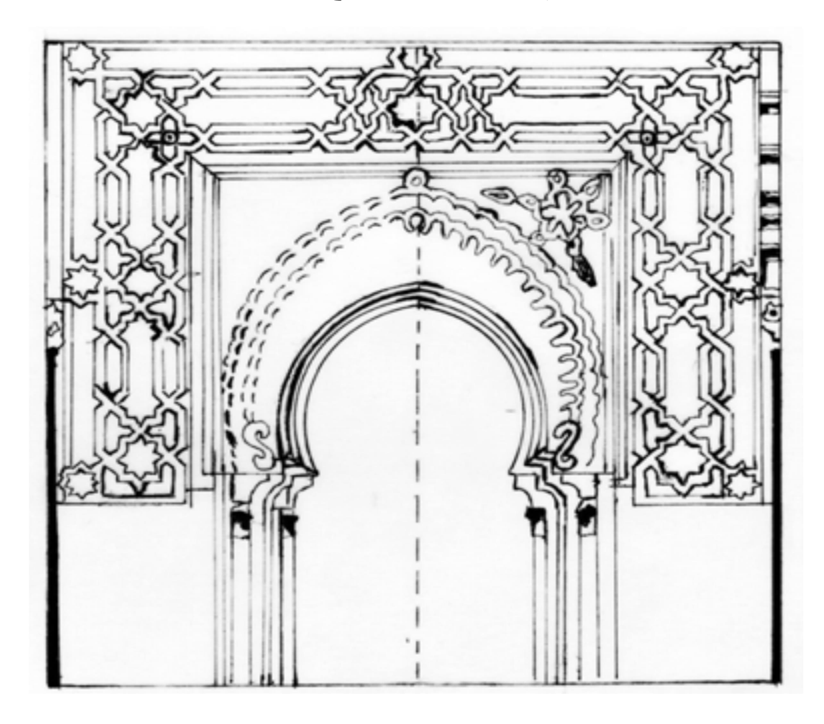
صورة"5" عمود وتاج بجامع القصبة ببجاية

عن: عبد الكريم عزوق، المرجع السابق، ص282.



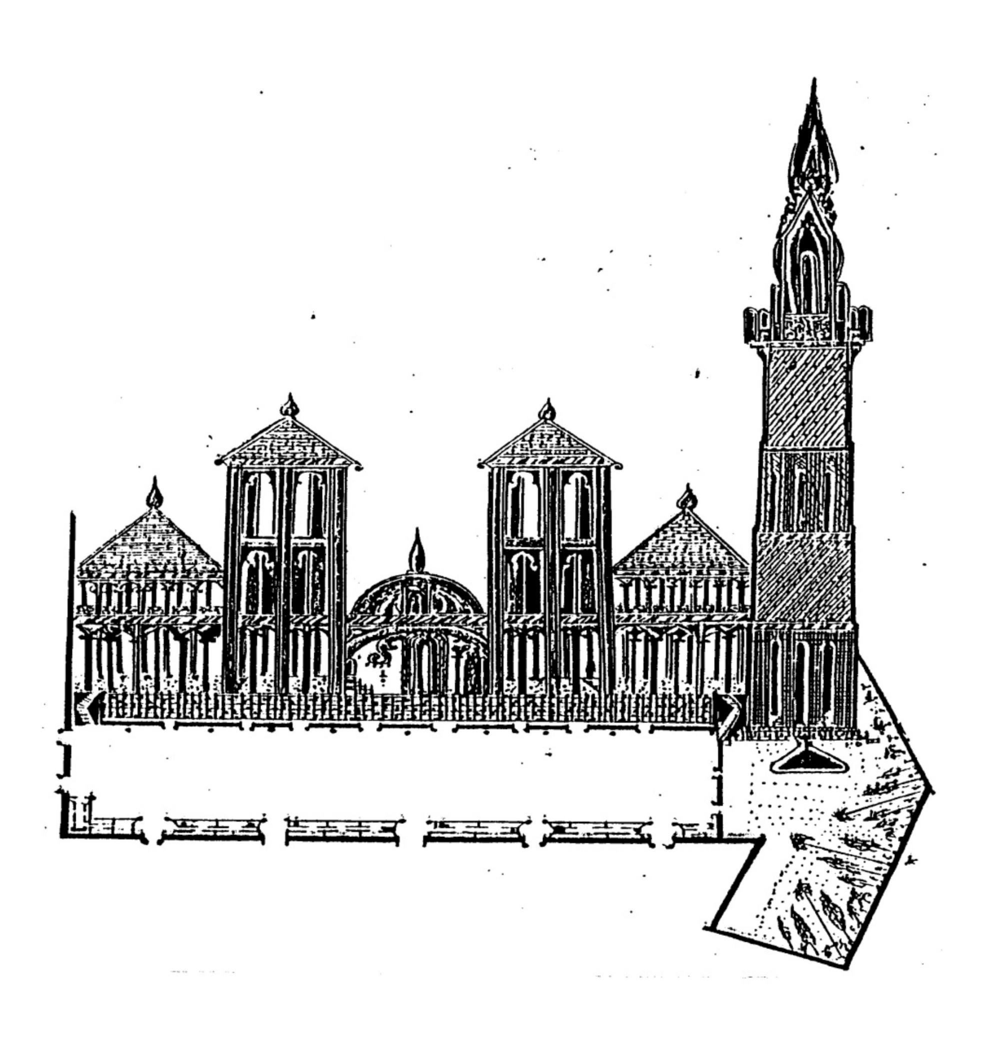
صورة"06" عقود مفصصة منتشرة في العمائر الموحدية

عن: عبد الكريم عزوق، المرجع السابق، ص228.



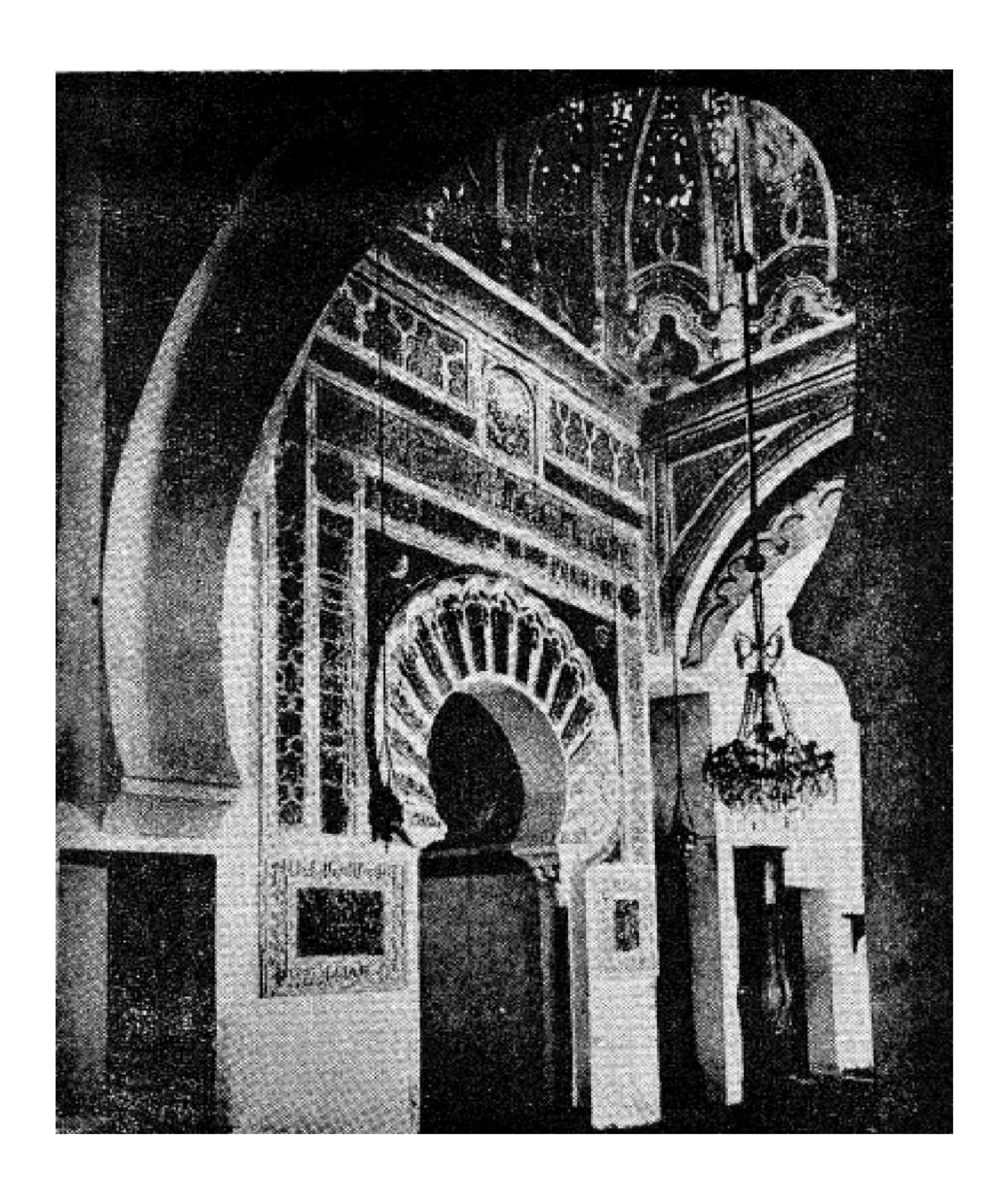
صورة"06" زخارف محراب تنمل من العهد الموحدي

عن: عبد الكريم عزوق، المرجع السابق، ص228.



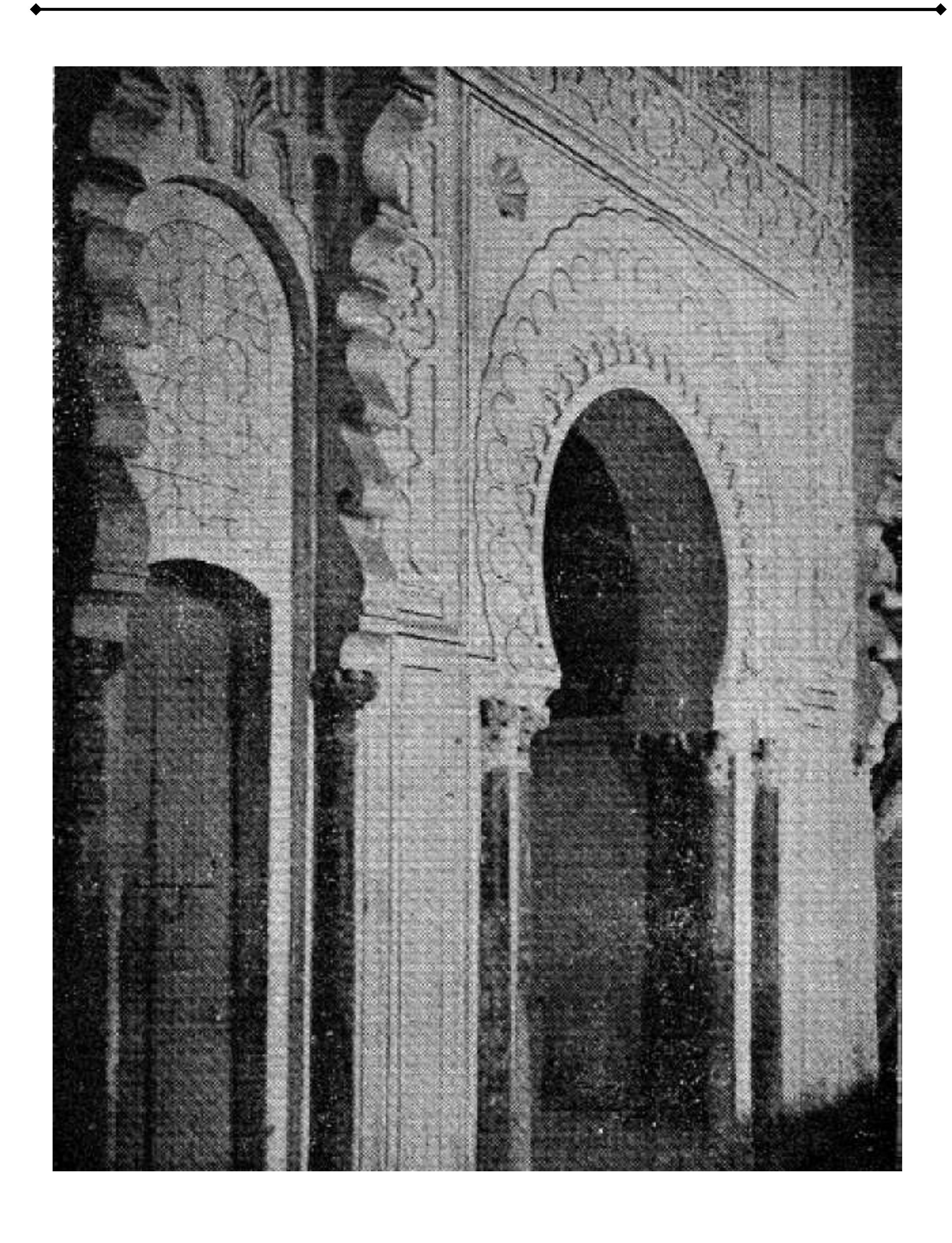
صورة "7" المسجد الملحق بقصر اللؤلؤة

عن: عبد الكريم عزوق، المرجع السابق، ص325.



صورة"08" محراب المسجد الجامع بتلمسان

عن: ليوبولدو توريس: الفن المرابطي والموحدي، ترجمة سيدي غازي، دار المعارف، مصر، 1981م، ص77.



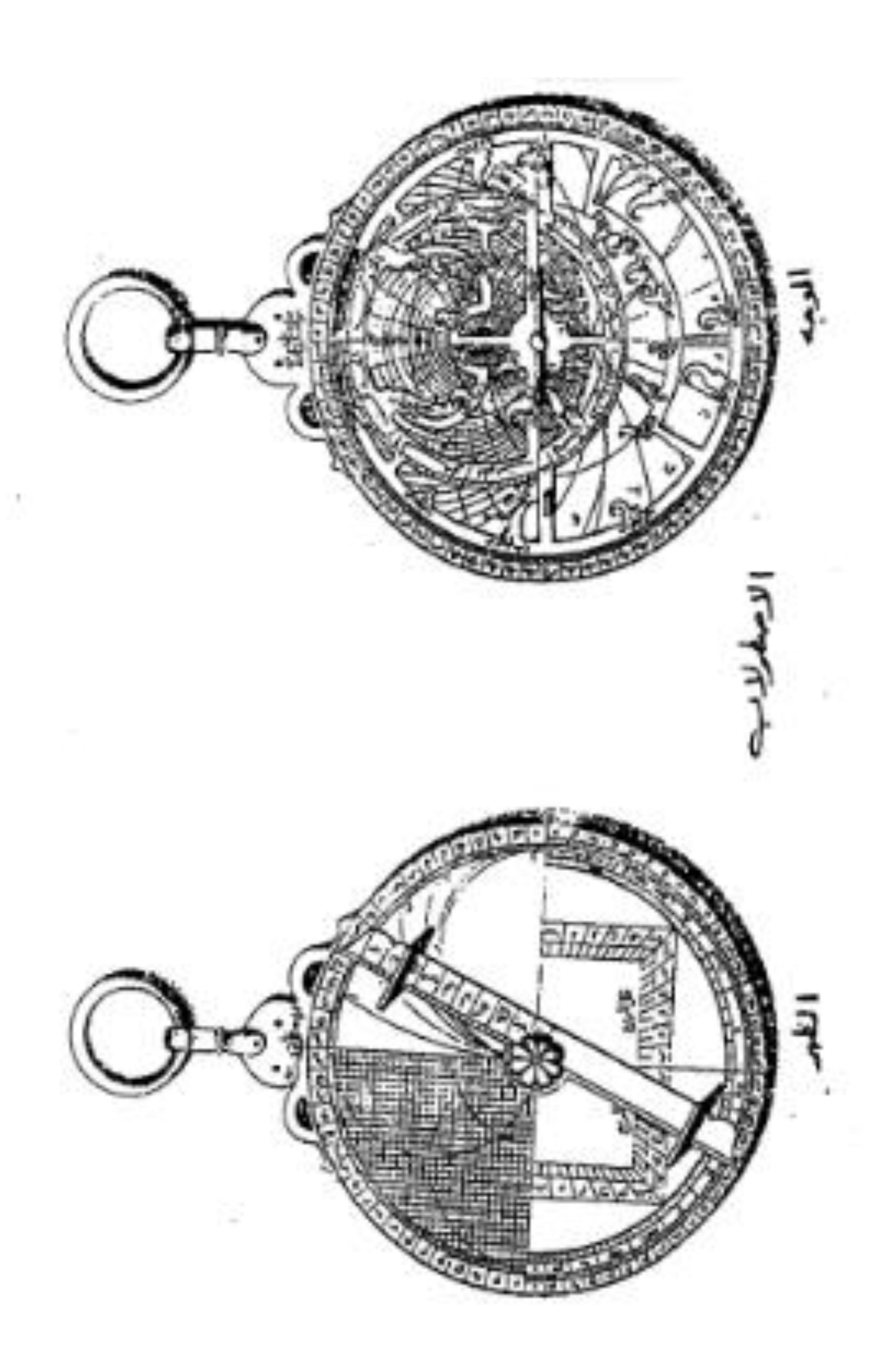
صورة"9" محراب جامع الكتيبة مراكش

عن: ليوبولدو توريس، المرجع السابق، ص98.



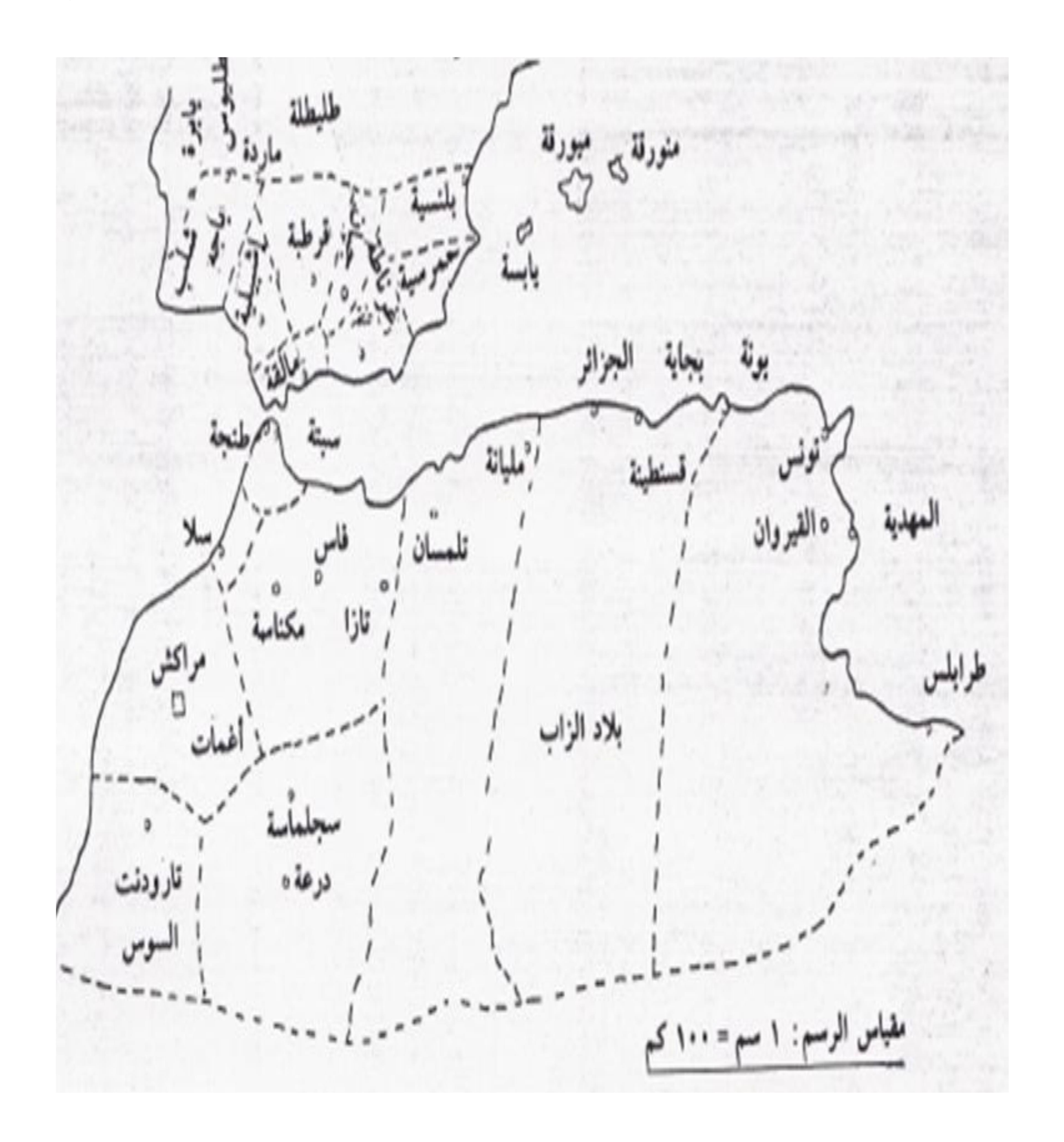
صورة"10" مدرسة العباد بتلمسان

عن: نصر الدين بن داود، المرجع السابق، ص317.



صورة"11" الاصطرلاب

عن: محمد حسين محاسنة، المرجع السابق، ص204.



_ _ _ _ _ حدود الدولة الموحدية

خريطة"01" خريطة المغرب الإسلامي خلال عهد الدولة الموحدية

عن: عز الدين عمر موسى، المرجع السابق، ص132.



قائمة المصادر والمراجع

أولا: باللغة العربية

*القرآن الكريم، برواية ورش عن نافع، دار الريادة، دمشق، 2015م.

1-المصادر

1- ابن أبي أصيبعة أبو العباس أحمد(ت668ه/1270م): عيون الأنباء في طبقات الأطباء، نشر امرؤ القيس بن الطحان، معهد تاريخ العلوم العربية والإسلامية، فرانكفورت، 1995م، ج1، ج2.

2- ابن أبي دينار أبو عبد الله محمد(ت1102ه): المؤنس في ذكر أخبار إفريقيا وتونس، مطبعة الدولة التونسية، تونس، 1967م.

3- ابن أبي زرع أبو الحسن علي(ت 726ه): الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس، تحقيق عبد الوهاب بن منصور، دار المنصور للطباعة، الرباط،1972م.

4- ابن الأثير أبو الحسن عز الدين (ت630ه): الكامل في التاريخ، تحقيق أبي الفداء عبد الله القاضي، دار الكتب العلمية، ط 2، بيروت، 1995م، ج9.

5- ابن الأثير أبو الحسن عز الدين (ت630ه): اللباب في تهذيب الأنساب، مكتبة المثنى، العراق، د ت، ج1.

6- ابن الأبار أبو عبد الله محمد(ت658ه): التكملة لكتاب الصلة، نشر عزت العطار الحسيني، مكتبة الخانجي، القاهرة، 1956م.

7- ابن الأكفاني أبو عبد الله محمد(ت749ه): إرشاد القاصد إلى أسنى المقاصد في أنواع العلوم، تحقيق عبد المنعم محمد عمر، دار الفكر العربي، القاهرة، د ت.

8- ابن الجزري أبو الخير محمد(ت833ه):غاية النهاية في طبقات القراء، تحقيق ج برجستراسر، دار الكتب العلمية، بيروت، 2006م، ج2.

9- ابن الجزري أبو الخير محمد(ت833ه): منجد المقرئين ومرشد الطالبين، تحقيق ناصر محمدي محمد جاد، دار الآفاق العربية، ط1، مصر، 2010م.

10- ابن الجوزي أبو الفرج عبد الرحمن(ت597ه): فضائل القدس، تحقيق جبرائيل سليمان جبور، منشورات دار الأفاق الجديدة، لبنان، 1979م.

11- ابن الدباغ أبو زيد عبد الرحمن بن محمد(ت696ه): معالم الإيمان في معرفة أهل القيروان، تحقيق محمد ماضور، الشركة التونسية لفنون الرسم، تونس، 1978م.

12- ابن الزبير مصعب الغرناطي(ت708ه): صلة الصلة، نشر محمد بن شريف، أكاديمية المملكة المغربية، الرباط، 1984م.

13- ابن الزيات محمد بن عبد الملك(ت627ه): التشوف إلى رجال التصوف، تحقيق أحمد التوفيق، مطبعة النجاح، المغرب، 1997م.

14- ابن الطواح عبد الواحد بن محمد(ت.ق8ه): سبك المقال لفك العقال، تحقيق محمد مسعود جبران، منشورات جمعية الدعوة الإسلامية العالمية، ط2، طرابلس، 2008م.

15- ابن العربي محمد بن علي(ت638ه): عنقاء مغرب في معرفة ختم الأولياء وشمس المغرب، تحقيق عبد الباقي أحمد مفتاح، مطبعة العلم، دمشق، 1970م.

16- ابن العربي: أحكام القرآن، تحقيق علي البجاوي، دار الجيل، ط1، بيروت، 1988م، ج2.

17- ابن العماد عبد الحي بن أحمد(ت1089ه): شذرات الذهب في أخبار من ذهب، تحقيق الأرناؤوط، دار ابن كثير، ط1، بيروت، 1986م، ج7.

18- ابن الفرضي أبو الوليد عبد الله(ت403ه): تاريخ علماء الأندلس، دار المعارف، القاهرة، 2008م.

19- ابن القاضي أبو العباس أحمد المكناسي(ت1025ه): جذوة الاقتباس في ذكر من حل من الأعلام مدينة فاس، دار المنصور للطباعة، الرباط،1973م، ج2.

20- ابن القطان أبو الحسن علي(ت ق7ه): نظم الجمان لترتيب ما سلف من أخبار الزمان، تحقيق محمد علي مكي، دار الغرب الإسلامي، ط2، بيروت، لبنان، 1990م، ج6.

21- ابن القلانسي حمزة بن أسد(ت555ه/1160م): ذيل تاريخ دمشق، تحقيق سهيل زكار، دار حسان، دمشق، 1983م.

22- ابن النديم محمد بن إسحاق(ت384ه): الفهرست، دار المعرفة، بيروت، 1978م.

23- ابن الحاج النميري(ت768ه): فيض العباب وإفاضة قداح الآداب في الرحلة السعيدة إلى قسنطينة والزاب، تحقيق محمد بن شقرون، دار الغرب الإسلامي، ط1، بيروت، 1990م، ج2.

24- ابن بشكوال أبو القاسم بن عبد الملك(ت578هـ/1183م): كتاب الصلة، تحقيق أبو العلا العدوي، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، 2008م.

25- ابن بطوطة محمد بن عبد الله بن محمد الطنجي(ت779هـ): تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار، مكتبة التقدم، القاهرة، ج1.

26- ابن تغري بردي يوسف بن عبد الله(ت874هـ): النجوم الزاهرة، وزارة الثقافة، مصر، 2016م، ج2.

27- ابن تغري بردي(ت874هـ): المنهل الصافي والمستوفى بعد الوافي، تحقيق محمد أمين، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر، د ت، ج3.

28- ابن تيمية تقي الدين أبو العباس أحمد(ت728هـ): الصوفية والفقراء، حققه محمد عبد الله السمان، سلسلة الثقافة الإسلامية، القاهرة، 1960م.

29- ابن جبير أبو الحسن محمد بن أحمد(ت640هـ): تذكرة بالأخبار عن اتفاقات الأسفار، تقديم محمد مصطفى زيادة، دار الشعب، دار الكتاب المصري، مصر، د ت.

30- ابن حزم أبو محمد علي بن أحمد الأندلسي(456هـ): رسائل ابن حزم، تحقيق إحسان عباس، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ط1، لبنان، 1983م، ج1.

31- ابن خلكان شمس الدين أبو العباس أحمد(ت681هـ): وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، تحقيق إحسان عباس، دار صادر، بيروت، لبنان، 1972م، ج5.

32- ابن خلدون عبد الرحمن بن محمد الحضرمي(ت808هـ): كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر، مراجعة سهيل زكار، دار الفكر للطباعة، ط1، بيروت، لبنان، 2000م، ج6.

33- ابن خلدون عبد الرحمن بن محمد الحضرمي(ت808هـ): المقدمة، دار القلم، ط4، بيروت، لبنان، 1981م، ص470.

34- ابن خلدون عبد الرحمن بن محمد الحضرمي(ت808هـ): المقدمة، تحقيق عبد السلام الشدادي، مطبعة خزانة ابن خلدون، الدار البيضاء، المغرب، 2005م، ج2.

35- ابن سحنون أحمد الراشدي(ق12هـ): الثغر الجماني في ابتسام الثغر الوهراني، تحقيق المهدي البوعبدلي، مطبعة البحث، قسنطينة، 1973م.

36- ابن عباد أبو عبد الله محمد الرندي(ت792هـ): الرسائل الصغرى، تحقيق الأب بولس يوحنا اليسوعي، دار المشرق، بيروت، 1974م.

37- ابن عجيبة أحمد(ت1224هـ): التشوف إلى حقائق التصوف، نشر محمد بن أحمد بن العاشمي التلمساني، مطبعة الاعتدال، ط1، دمشق، 1937م.

38- ابن عماد شهاب الدين(ت1089هـ): شذرات الذهب في أخبار من ذهب، تحقيق عبد القادر الأرناؤوط ومحمود الأرناؤوط، دار ابن كثير، دمشق، د ت، ج6.

39- ابن رشد محمد بن أحمد بن محمد(ت595هـ): الكليات في الطب، تحقيق عمار طالبي، دار الأمة، ط1، الجزائر، 2013م.

40- ابن دحية الكلبي عمر بن الحسن(ت633هـ): المطرب من أشعار أهل المغرب، تحقيق مصطفى عوض الكريم، جامعة الخرطوم، السودان، 1954م.

41- ابن عبد الحكم أبو القاسم عبد الرحمن بن عبد الله(ت257هـ): فتوح إفريقيا والأندلس، تحقيق عبد المنعم عامر، الهيئة العامة لقصور الثقافة، القاهرة، دت، ج5.

42- ابن عبد المالك أبو عبد الله محمد المراكشي(703هـ): الذيل والتكملة لكتابي الموصول والصلة، تحقيق إحسان عباس، ومحمد بن شريفة، دار الثقافة، بيروت، 1973م، ج6.

43- ابن عذارى أبو العباس أحمد المراكشي(ت ق8هـ): البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، تحقيق محمد إبراهيم الكتاني وآخرون، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1985م.

44- ابن عساكر أبو القاسم علي بن الحسن(ت571هـ): تهذيب تاريخ دمشق الكبير، تحقيق عبد بدران، دار المسيرة، ط2، لبنان، 1979م، ج1.

45- ابن عماد عبد الحي بن أحمد الحنبلي(ت1089هـ): شذرات الذهب في أخبار من ذهب، دار المسيرة ، ط2، لبنان، 1979م، ج4، ص198.

46- ابن سحنون محمد المالكي(ت256هـ): آداب المتعلمين، تحقيق محمود عبد المولى، الشركة الوطنية للنشر، الجزائر، 1981م.

47- ابن صاحب الصلاة أبو محمد عبد الملك(ت ق6هـ): المن بالإمامة، تحقيق عبد الهادي التازي، دار الغرب الإسلامي، ط3، بيروت، لبنان، 1987م، السفر2.

48- ابن فرحون أبراهيم بن علي بن محمد(ت799هـ): الديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب، تحقيق أحمد المحمدي أبو نور، دار التراث والنشر، القاهرة، 1976م، ج1.

49- ابن الفقيه أحمد بن محمد(ت365هـ): مختصر كتاب البلدان، دار إحياء التراث العربي، ط1، لبنان1988م.

50- ابن قنفذ أحمد بن حسن بن علي القسنطيني(ت810هـ): الفارسية في مبادئ الدولة الحفصية، تحقيق محمد الشاذلي النيفر وعبد المجيد التركي، الدار التونسية للنشر، 1968م.

51- ابن قنفذ أحمد بن حسن بن علي القسنطيني(ت810هـ): أنس الفقير وعز الحقير، تصحيح محمد الفاسي وأودلف فور، مطبعة أكدال، الرباط، 1965م.

52- ابن قنفذ القسنطيني أحمد بن حسن بن علي القسنطيني(ت810هـ): الوفيات، تحقيق عادل نويهض، دار الآفاق الجديدة، ط4، بيروت، 1983م.

53- ابن قنفذ القسنطيني أحمد بن حسن بن علي القسنطيني(ت810هـ): شرف الطالب، تحقيق محمد بن يوسف القاضي، شركة نوابغ الفكر، القاهرة، 2009م.

54- ابن قتيبة أبو محمد عبد الله بن مسلم الدينوري(ت276هـ): الشعر والشعراء، تحقيق أحمد محمد شاكر، دار الحديث، القاهرة، 2006م.

55- ابن قيم الجوزية أبو عبد محمد الله شمس الدين(ت751هـ): الطب النبوي، تحقيق عبد الغني عبد الخالق وآخرون، دار الفكر، بيروت، د ت.

56- ابن محرز أبو عبد الله محمد الوهراني(ت575هـ): مناماته ومقاماته ورسائله، تحقيق إبراهيم شعلان ومحمد تغش، دار الكتاب العربي، القاهرة، 1968م.

57- ابن مخلوف محمد بن الحسن(ت1260هـ): شجرة النور الزكية، تحقيق علي عمر، مكتبة الثقافة الدينية، مصر، 2007م، ج1.

58- ابن مرزوق الخطيب أبو عبد الله محمد شمس الدين الجد(ت781هـ): المناقب المرزوقية، تحقيق سلوى الزاهري، وزارة الأوقاف، مطبعة النجاح، ط1، الدار البيضاء، 2008م.

59- ابن مرزوق بن محمد بن أبي بكر الحفيد(ت842هـ): المسند الصحيح الحسن في مآثر ومحاسن مولانا أبي الحسن، تحقيق ماريا خيسوس بيغيرا، تقديم محمود بوعياد، الشركة الوطنية للتوزيع والنشر، الجزائر،1981م.

60- ابن مريم أبو عبد الله محمد بن محمد المديوني(ق11هـ): البستان في ذكر الأولياء والعلماء بتلمسان، تحقيق محمد ابن أبي شنب، المطبعة الثعالبية، الجزائر، 1908م.

61- أبو الربيع سليمان(ت634هـ): ديوان أبي الربيع، تحقيق سامي الدهان، دار المعارف، القاهرة، مصر، 1970م.

62- أبو الفتح عبد الكريم بن أبي بكر الشهرستاني(ت548هـ): الملل والنحل، تحقيق أمير علي مهنا، دار المعرفة، بيروت، 1993م، ج1.

63- أبو الفداء إسماعيل بن علي بن محمود(ت732هـ): تقويم البلدان، اعتنى به رينود والبارون ماك كوكين ديسلان، دار الطباعة السلطانية، باريس، 1840م.

64- أبو الفداء إسماعيل بن علي بن محمود(ت732هـ): المختصر في أخبار البشر، المطبعة الحسينية، القاهرة، د ت، ج2.

65- أبو القاسم الجنيد بن محمد النهاوندي(ت298هـ): رسائل الجنيد، تحقيق علي حسن عبد القادر، دار الكتب المصرية، القاهرة، 2003م.

66- أبو حامد محمد الغزالي(ت505هـ): إحياء علوم الدين، دار ابن حزم، ط1، بيروت، 2005م.

67- أبو حامد الغزالي(ت505هـ): المستصفى من علم الأصول، تحقيق أحمد زكي حماد، دار الميمان للنشر والتوزيع، السعودية، د ت.

68- أبو حامد الغزالي (ت505هـ): معيار العلم في المنطق، شرح أحمد شمس الدين، دار الكتب العلمية، ط1، لبنان، 1990م.

69- أبو حامد الغزالي(ت505هـ): تهافت الفلاسفة، تحقيق سليمان دنيا، دار المعارف، مصر، 1972م.

70- أبو عبد الله الزهري محمد بن مسلم الأندلسي(ت ق6هـ): كتاب الجعرافية، تحقيق محمد حاج الصادق، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، مصر، د ت.

71- أبو عبيد الله البكري عبد الله بن عبد العزيز(ت487): المغرب في ذكر بلاد افريقية والمغرب، تحقيق حماه الله ولد سالم، دار الكتب العلمية، بيروت، 2013م.

72- إخوان الصفا: الرسائل، قدمها بطرس البستاني، دار بيروت للنشر، بيروت، 1983م، ج1.

73- إسماعيل بن الأحمر أبو الوليد فرج(ت807هـ): تاريخ الدولة الزيانية بتلمسان، تحقيق هاني سلامة، مكتبة الثقافة الدينية، ط1، بور سعيد، مصر، 2001م.

74- الإدريسي محمد بن محمد بن عبد الله بن إدريس(ت560هـ): نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، تحقيق إسماعيل العربي، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1983م.

75- الإدريسي محمد بن محمد بن عبد الله بن إدريس(ت560هـ): المغرب وأرض السودان ومصر والأندلس، مأخوذة من كتاب نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، مطبعة بريل، ليدن، هولندا، 1863م.

76- البرزلي أبو القاسم بن أحمد بن محمد القيرواني(ت844هـ): جامع مسائل الأحكام لما نزل من القضايا بالمفتين والحكام، تحقيق أحمد الحبيب الهيلة، دار الغرب الإسلامي، ط1، بيروت، 2002م،ج1.

77- البيذق أبو بكر بن علي الصنهاجي(ت.ق6هـ): أخبار المهدي بن تومرت، تحقيق عبد الحميد حاجيات، المؤسسة الوطنية للكتاب، ط2، الجزائر، 1986م.

78- البيذق أبو بكر بن علي الصنهاجي(ت.ق6هـ): المقتبس من كتاب الأنساب في معرفة الأصحاب، تحقيق عبد الوهاب بن منصور، دار المنصور للطباعة، الرباط، 1971م.

79- التنبكتي أحمد بابا الصنهاجي(ت1036هـ): نيل الابتهاج بتطريز الديباج، تقديم عبد الحميد عبد الله، منشورات كلية الدعوة الإسلامية، ط2، طرابلس، 1989م.

80- التنبكتي أحمد بابا الصنهاجي(ت1036هـ): كفاية المحتاج، تحقيق محمد مطيع، وزارة الأوقاف، المغرب، 2000م.

81- التهانوي محمد بن علي(ت.بعد1158هـ): موسوعة كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم، تحقيق علي دحرج، مكتبة لبنان، ط1، لبنان، 1996م، ج2.

82- الجرجاني أبو بكر عبد القاهر بن عبد الرحمن(ت471هـ): كتاب التعريفات، مكتبة لبنان، ط2، بيروت، 1985م.

83- أحمد التيفاشي أبو العباس بن يوسف(ت651هـ): كتاب نزهة الألباب فيما لا يوجد في كتاب، تحقيق جمال جمعة، دار رياض، ط1، لندن، 1992م.

84- الحافظ التنسي أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن عبد الجليل(ت899هـ): نظم الدر والعقيان في بيان شرف بني زيان(طبع باسم تاريخ بني زيان ملوك تلمسان)، تحقيق محمود بوعياد، المكتبة الوطنية، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1985م.

85- الحميري محمد بن عبد المنعم(ت900هـ/1495م): الروض المعطار في خبر الأقطار، تحقيق إحسان عباس، مطبعة هيدلبورغ، ط2، بيروت، لبنان، 1984م.

86- الخوارزمي محمد بن موسى(ت232هـ): مفاتيح العلوم، مكتبة الكليات الأزهرية، القاهرة، 1981م.

87- الخوارزمي: كتاب الجبر والمقابلة، منشورات بول بارنيه، بيروت، 1937م.

88- الداودي أحمد بن نصر(ت945هـ): طبقات المفسرين، دار الكتب العلمية، بيروت، 1983م، ج1.

89- الدرجيني أحمد بن سعيد بن سليمان بن علي(ت670هـ): طبقات المشائخ بالمغرب، تحقيق إبراهيم طلاي، دار البعث، قسنطينة، 1975م، ج2.

90- الذهبي شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد(ت748هـ): العبر في خبر من غبر، تحقيق محمد السعيد زغلول، دار الكتب العلمية، لبنان، 1985م، ج2.

91- الذهبي شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد(ت748هـ): سير أعلام النبلاء، تحقيق شعيب الأرناؤوط و محمد نعيم العرقسوسي، مؤسسة الرسالة، ط 9، بيروت، 1992م، ج 19.

92- الرازي أبو عبد الله محمد بن أبي بكر(ت666هـ): مختار الصحاح، تحقيق سليم محمد، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 2015م.

93- الرصاع محمد بن قاسم الأنصاري(ت894هـ): فهرسة الرصاع، تحقيق محمد العنابي، المكتبة العتيقة، تونس، 1967م.

94- الزبيدي مرتضى محمد بن محمد بن عبد الرزاق الأندلسي(ت1205هـ): طبقات النحويين واللغويين، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف، ط2، القاهرة، د ت.

95- الزركشي أبو عبد الله بدر الدين محمد(ت794هـ): تاريخ الدولتين الموحدية والحفصية، تحقيق الحسين اليعقوبي، المكتبة العتيقة، ط1، تونس، 1998م.

96- الزركشي أبو عبد الله بدر الدين محمد(ت794هـ): إعلام الساجد بأحكام المساجد، تحقيق أبو الوفا مصطفى المراغي، مطابع الأهرام التجارية، ط5، مصر، 1999م.

97- الزركشي أبو عبد الله بدر الدين محمد(ت794هـ): البرهان في علوم القرآن، تحقيق أبو الفضل إبراهيم، دار الغرب الإسلامي، ط3، بيروت، 1983م، ج2.

98- الزركلي خير الدين بن محمود بن محمد الدمشقي (ت1396هـ): الأعلام، دار العلم للملايين، ط15، بيروت، 2002 م، ج4.

99- السخاوي الحافظ شمس الدين أبو الخير محمد(ت902هـ): الضوء اللامع، دار الجيل، بيروت، 1992م، مج5.

100- السخاوي: الإعلان بالتوبيخ لمن ذم أهل التاريخ، تحقيق فرانز روزنثال، ترجمة صالح أحمد العلي، مؤسسة الرسالة، ط1، بيروت، 1986م.

101- السلاوي أحمد بن خالد الناصري(ت1315هـ): الاستقصا لأخبار المغرب الأقصى، تحقيق جعفر الناصري، دار الكتاب، المغرب، 1954م، ج2.

102- السهروردي أبو الفتوح يحي بن حبش(ت632): عوارف المعارف، ضبطه وصححه محمد عبد العزيز الخالدي، دار صادر، بيروت، 1999م.

103- السيوطي جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر(ت911هـ): تدريب الراوي في شرح تقريب النووي، تحقيق عرفان العشا حسونة، دار الفكر، بيروت، 2009م.

104- السيوطي جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر(ت911هـ): بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، المكتبة العصرية، لبنان، د ت، ج2.

105- السيوطي: صون المنطق والكلام، تحقيق علي سامي النشار وسعاد علي عبد الرزاق، سلسلة إحياء التراث الإسلامي، دار النصر، ط2، مصر، 1970م.

106- الغبريني أبو العباس أحمد(ت704هـ): عنوان الدراية فيمن عرف من العلماء في المائة السابعة ببجاية، تحقيق عادل نويهض، دار الأفاق الجديدة، ط2، بيروت، 1979م.

107- الفارابي محمد أبي نصر(ت339هـ): إحصاء العلوم، مركز الإنماء القومي، لبنان، 1991م.

108- الفراهيدي الخليل بن أحمد(ت170هـ): كتاب العين، تحقيق عبد الحميد الهنداوي، دار الكتب العلمية، بيروت، 2003م، ج3.

109- الصقاعي فضل الله بن فخر(ت726هـ): تالي وفيات الأعيان، تحقيق جاكلين سوبلة، المعهد الفرنسي، دمشق، 1974م.

110- القرافي أبو العباس أحمد شهاب الدين(ت1009هـ): توشيح الديباج وحيلة الابتهاج، تحقيق علي عمر، مكتبة الثقافة الدينية، ط1، القاهرة، 2004م.

111- القاضي عياض بن موسى اليحصبي(ت544هـ): الإلماع إلى معرفة أصول الرواية وتقييد الراوي، تحقيق السيد أحمد صقر، دار التراث، القاهرة، د ت.

112- القاضي عياض: ترتيب المدارك وتقريب المسالك لمعرفة أعلام مذهب مالك، ضبط وتصحيح محمد سالم هاشم، دار الكتب العلمية، ط1، بيروت، 1998م، ج1.

113- القشيري أبو القاسم عبد الكريم بن هوازن(ت465هـ): الرسالة القشيرية، وضع حواشيه خليل المنصور، دار الكتب العلمية، لبنان، د ت.

114- القلقشندي أبو العباس شهاب الدين أحمد بن علي(ت821هـ): صبح الأعشى في صناعة الإنشا، تحقيق نبيل خالد، دار الكتب العلمية، لبنان، د ت، ج5.

115- القلصادي أبو الحسن علي بن محمد بن علي القرشي(ت891هـ): رحلة القلصادي، تحقيق محمد أبو الأجفان، الشركة التونسية للتوزيع، تونس، 1978م.

116- الصفدي صلاح الدين أبو الصفاء خليل(ت764هـ): الوافي بالوفيات، تحقيق أحمد الأرناؤوط وتركي مصطفى، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط1، 2000م، ج4.

117- المقدسي شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد(ت378هـ): أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، مكتبة مدبولي، القاهرة، 2008م.

118- الكلاباذي أبو بكر محمد بن إسحاق البخاري(ت334هـ): التعرف لمذهب أهل التصوف، دار الكتب العلمية، بيروت، 2001م.

119- المقريزي أبو العباس تقي الدين أحمد بن علي(ت845هـ): المقفى الكبير، تحقيق محمد العيلاوي، دار الغرب الإسلامي، ط1، لبنان، 1991م.

120- الونشريسي أبو العباس أحمد بن يحي(ت914هـ): المعيار المعرب والجامع المغرب عن فتاوى أهل إفريقيا والأندلس والمغرب، محمد حجي وجماعة من الفقهاء، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية للمملكة المغربية، الرباط، 1981م، ج8.

121- الهجويري أبو الحسن علي بن عثمان الغزنوي(ت465هـ): كشف المحجوب، ترجمة وتعليق إسعاد عبد الهادي قنديل، دار النهضة للطباعة والنشر، مصر، 1980م.

122- تقي الدين الجراعي أبو بكر(ت883هـ): تحفة الراكع والساجد في أحكام المساجد، تحقيق طه الولي، المكتب الإسلامي، بيروت، 1981م.

123- تقي الدين الفاسي أبو الطيب محمد بن أحمد(ت832هـ): العقد الثمين، تحقيق محمد حامد الفقي، مؤسسة الرسالة، لبنان، 1986م، ج3.

124- حسن الوزان بن محمد(ت944هـ): وصف إفريقيا، ترجمة محمد حجي ومحمد الأخضر، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1983م، ج2.

125- ساجقلي زادة محمد بن أبي بكر(ت1145هـ): ترتيب العلوم، تحقيق محمد بن إسماعيل السيد احمد، دار البشائر الإسلامية، ط1، بيروت، 1988م.

126- شمس الدين محمد الوادي آشي(ت749هـ): برنامج ابن جابر الوادي آشي، تحقيق محمد الحبيب الهيلة، كلية الشريعة والدراسات الإسلامية، جامعة أم القرى مكة المكرمة، 1981م.

127- شهاب الدين أحمد المقري التلمساني(ت1041هـ): نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، المطبعة الأزهرية المصرية، مصر، 1885م، ج8.

128- شهاب الدين أحمد بن أبي الربيع(ت272هـ): سلوك المالك في تدبير الممالك، تحقيق عارف أحمد عبد الغني، دار كنان، دمشق، 1996م.

129- شهاب الدين النويري أحمد بن عبد الوهاب(ت733هـ): نهاية الإرب في فنون الأدب، تحقيق عبد المجيد تروجيني، دار الكتب العلمية، لبنان، د ت، ج24.

130- عبد الجليل الحافظ التنسي(ت899هـ): نظم الدر والعقيان في بيان شرف بني زيان(القسم الأدبي)، تحقيق محي الدين طالب، منشورات دحلب، الجزائر، د ت.

131- عبد العزيز الملزوزي(ت668هـ/1298م): نظم السلوك في الأنبياء والخلفاء والملوك، تحقيق عبد الوهاب المنصور، المطبعة الملكية، ط1، الرباط، 1963م.

132- عبد الواحد محي الدين بن علي المراكشي(ت647هـ): المعجب في تلخيص أخبار المغرب من لدن الفتح الأندلسي إلى آخر عصر الموحدين، تحقيق محمد سعيد العريان، مكتبة مصر، القاهرة، 1962م.

133- صلاح الدين محمد بن شاكر (ت764هـ): فوات الوفيات: تحقيق إحسان عباس، دار صادر، بيروت، 1973م، ج2.

134- طاش كبري زادة أحمد بن مصطفى(ت968هـ): مفتاح السعادة ومصباح السيادة في موضوعات العلوم، دار الكتب الحديثة، القاهرة، د ت، ج1.

135- لسان الدين بن الخطيب أبو عبد الله محمد بن عبد الله(ت776هـ): كناسة الدكان، تحقيق كمال شبانة، مكتبة الثقافة الدينية، ط1، القاهرة، 2003م.

136- محمد بن الشماع التونسي أبو عبد الله (ت ق9هـ): الأدلة النورانية في مفاخر الدولة الحفصية، تحقيق الطاهر المعموري، الدار العربية للكتاب، ليبيا، 1984م.

137- محمد الحفناوي أبو القاسم(ت1360هـ): تعريف الخلف برجال السلف، فونتانة الشرقية، الجزائر، 1906م، ج2.

138- محمد بن محمد العبدري الحاحي(ت ق7هـ): ما سما إليه الناظر المطرق في خير الرحلة إلى بلاد المشرق، تقديم سعد بوفلاقة، منشورات بونة للبحوث والدراسات، الجزائر، 2007م.

139- محمد بن أحمد بن الشماع(ت863هـ): الأدلة النورانية في مفاخر الدولة الحفصية، تحقيق الطاهر بن محمد المعموري، الدار العربية للكتاب، تونس، 1984م.

140- مجهول(ت ق6هـ): الاستبصار في عجائب الامصار، نشر وتعليق سعد زغلول عبد الحميد، المطبعة الجامعية، الاسكندرية، 1958م.

141- مجهول أندلسي(ت.ق6هـ): الحلل الموشية في ذكر الأخبار المراكشية، تحقيق سهيل زكار وعبد القادر زمامة، دار الرشاد الحديثة، ط1، الدار البيضاء، 1979م.

142- مجهول(ق8هـ): الذخيرة السنية في تاريخ الدولة المرينية، تحقيق محمد بن أبي شنب، مكتبة جون كربونل، الجزائر، 1920م.

143- محي الدين أبو العباس أحمد بن علي البوني(ت602هـ/1205م): شمس المعارف الكبرى ولطائف العوارف، المكتبة الثقافية، لبنان، د ت.

144- مؤيد الدين العرضي الدمشقي(ت664هـ): تاريخ علم الفلك العربي، تحقيق جورج صليبا، مركز دراسات الوحدة العربية، ط1، لبنان، 1999م.

145- يحي بن خلدون أبو زكريا بن محمد(ت780هـ/1379م): بغية الرواد في ذكر ملوك من بني عبد الواد، تحقيق عبد الحميد حاجيات، المكتبة الوطنية، الجزائر، 1980م.

2- كتب الحديث

146- ابن ماجة أبو عبد الله بن محمد بن يزيد القزويني(ت273هـ): السنن، تحقيق الأرناؤوط وآخرون، دار الرسالة العالمية، ط1، دمشق، 2009م، ج1، ج3.

147- أبو داود سليمان بن الأشعث بن إسحاق السجستاني(ت275هـ): السنن، تحقيق الأرناؤوط وآخرون، دار الرسالة العالمية، ط1، دمشق، 2009م، ج1، ج2.

148- أحمد بن حنبل أبو عبد الله الشيباني(ت241هـ): المسند، تحقيق الأرناؤوط وآخرون، دار الرسالة العالمية، ط1، دمشق، 2001م، ج30.

149- الألباني محمد أبو عبد الرحمن: مختصر صحيح البخاري، مكتبة المعارف، ط1، الرياض، 2002م، مج4.

150- الترمذي محمد أبو عيسى(ت279هـ): السنن، تحقيق أحمد محمد شاكر وآخرون، نشر مطبعة مصطفى البابي الحلبي، ط2، مصر، 1975م، ج5.

151- شهاب الدين بن حجر العسقلاني: فتح الباري شرح صحيح البخاري، دار طيبة، الرياض، 2005م، ج11.

152- مسلم أبو الحسين بن الحجاج القشيري النيسابوري(ت261هـ): الصحيح، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي، ط1، بيروت، 2009م، ج1.

153- محمود بدر الدين العيني: عمدة القاري شرح صحيح البخاري، دار إحياء التراث العربي، بيروت، د ت، ج4.

3-المعاجم والقواميس

154- ابن منظور أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم بن علي الأنصاري(ت711هـ): لسان العرب المحيط، الدار المصرية، القاهرة، د ت.

155- الجوهري إسماعيل بن حماد(ت393هـ): الصحاح، تحقيق أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين، ط2، بيروت، 1979م، ج4.

156- أبو منصور محمد الأزهري: تهذيب اللغة، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، الدار المصرية للتأليف، القاهرة، 1964م، ج11.

157- الزبيدي مرتضى محمد بن محمد بن عبد الرزاق(ت1205هـ): تاج العروس من جواهر القاموس، تحقيق الترزي وآخرون، مطبعة حكومة الكويت، الكويت، 1975م، ج15.
158- الفيروز آبادي: القاموس المحيط، تحقيق محمد العرقوسي، مؤسسة الرسالة، ط8، لبنان، د ت.
159- دوزي رينهارت: تكملة المعاجم العربية، ترجمة محمد سليم النعيمي، مراجعة جمال الخياط، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، العراق، 1982م، ج6.
160- شوقي ضيف وآخرون: المعجم الوسيط، مشترك مجمع اللغة العربية، ط4، مصر، 2001م.
161- عاصم محمد رزق: معجم المصطلحات العمارة والفنون الإسلامية، مطبعة مدبولي، ط1، مصر، 2000م.
162- مجموعة مؤلفين: المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية، مكتبة الشروق الدولية، ط4، مصر، 2004م.
163- مجمع اللغة العربية: المعجم الوسيط، مكتبة الشروق الدولية، ط4، مصر، 2004م.
164- مصطفى عبد الكريم الخطيب: معجم المصطلحات والألقاب التاريخية، مؤسسة الرسالة، ط1، بيروت، 1994م.
165- ياقوت الحموي أبو عبد الله شهاب الدين البغدادي(ت626هـ): معجم البلدان، دار صادر، بيروت، 1977م، ج2.

4- المراجع

166- إبراهيم القادري بوتشيش: مقالات في تاريخ الغرب الإسلامي خلال عصري المرابطين والموحدين، مطبعة سجلماسة، ط4، المغرب، 2018م.
167- إبراهيم القادري بوتشيش وآخرون: التصوف السني في تاريخ المغرب، منشورات افرسن، المغرب، 2016م.
168- إبراهيم حركات: المغرب عبر التاريخ، دار الرشاد الحديثة، الدار البيضاء، 2000م، ج2.
169- أبو القاسم سعد الله: تاريخ الجزائر الثقافي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1998م، ج1.

170- أبو العباس أحمد القسطلاني: لطائف الإشارات وفنون القراءات، تحقيق مركز الدراسات القرآنية، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، السعودية، 2012م، ج1.
171- أبو مصطفى كمال السيد: جوانب من الحياة الاجتماعية والاقتصادية والدينية والعلمية في المغرب الإسلامي من خلال نوازل المعيار المعرب للونشريسي، مركز الإسكندرية، مصر، 1996م.
172- أحمد أمين: ضحى الإسلام، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر، 1998م، ج2.
173- أحمد الحفناوي: الزاوية، الموسوعة الإسلامية العامة، وزارة الأوقاف، القاهرة، 2003م.
174- أحمد الرفاعي: البرهان المؤيد للتصوف الإسلامي الجامع بين الشريعة والحقيقة، قدم له محمد عمر ريحاوي، مطبعة حلب، سوريا، 2001م.
175- أحمد رمضان أحمد: الرحلة والرحالة المسلمون، دار البيان العربي، جدة، دت.
176- أحمد عبد الرزاق احمد: الحضارة الإسلامية في العصور الوسطى، دار الفكر العربي، ط1، القاهرة، 1995م.
177- أحمد عيسى بك: تاريخ البيماريستانات، دار الرائد العربي، ط1، بيروت،1981م.
178- أحمد علي الملاء: أثر العلماء المسلمين في الحضارة الأوروبية، دار الفكر، ط2، دمشق، 1981م.
179- أحمد فؤاد باشا: المؤسسة العلمية والتعليمية في عصر الحضارة الإسلامية، مركز الدراسات المعرفية، مصر، 2007م.
180- أحمد فؤاد باشا: التراث العلمي للحضارة الإسلامية، دار المعارف، مصر، 1983م.
181- أحمد فؤاد الاهواني: التربية في الإسلام، دار الغرب، ط2، الجزائر، 2006م.
182- أحمد فكري: المسجد الجامع بالقيروان، مطبعة المعارف، مصر، 1936م.
183- أحمد طه: مدينة فاس في عصري المرابطين والموحدين، دار الوفاء، الإسكندرية، 2001م.
184- أحمد مختار: المعجم الوسيط، مكتبة الشروق الدولية، مصر، 1789م، ص722.
185- أحمد مختار العابدي: دراسة في تاريخ المغرب والأندلس، مؤسسة الشباب، الإسكندرية، د ت.

186- أرنست ماير: هذا هو علم البيولوجيا دراسة في ماهية الحياة والأحياء، ترجمة عفيفي محمود عفيفي، سلسلة عالم المعرفة، الكويت، 2002م، عدد 277.

187- إسماعيل العربي: دولة بني حماد ملوك القلعة وبجاية، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1980م.

188- إسحاق بن الحسين المنجم: آكام المرجان في ذكر المدائن المشهورة في كل مكان، عالم الكتب، بيروت، 1988م.

189- إسماعيل العربي: المدن المغربية، المؤسسات الوطنية للكتاب، الجزائر، 1984م.

190- إسماعيل سامعي: معالم الحضارة العربية الإسلامية، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 2007م.

191- الأغا بن عودة المزاري: طلوع سعد السعود في أخبار وهران والجزائر واسبانيا وفرنسا، تحقيق يحي بوعزيز، دار الغرب الإسلامي، لبنان، د ت، ج1.

192- الترغي عبد الله مرابط: فهارس علماء المغرب منذ النشأة إلى نهاية القرن الثاني عشر للهجرة، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية، ط1، تيطوان، 1999م.

193- الحسن السائح: الحضارة الإسلامية في المغرب، دار الثقافة للنشر والتوزيع، ط2، الدار البيضاء، المغرب، 1986م.

194- الحسين أسكان: تاريخ التعليم في المغرب خلال العصر الوسيط، مطبعة المعارف، الرباط، 2004م.

195- الحسين بن محمد شواط: مدرسة الحديث في القيروان، الدار العالمية للكتاب، ط1، الرياض، 1990م.

196- الحسين بن محمد الورثلاني: نزهة الأنظار في فضل علم التاريخ والأخبار، منشورات معهد تاريخ العلوم العربية والإسلامية، ط2، الجزائر، د ت، ج1.

197- الخطيب محمد عجاج: الوجيز في علوم الحديث ونصوصه، المطبعة الجديدة، دمشق، 1982م.

198- الزرقاني: مناهل العرفان في علوم القرآن، دار الكتاب العربي، بيروت، 1990م، ج2.

199- السيد محمد باقر الحكيم: علوم القرآن، مجمع الفكر الإسلامي، ط3، لبنان، دت.

200- السيوطي: الإتقان في علوم القرآن، مطبعة مصطفى بابي الحلبي، القاهرة، د ت، ج2.

201- الطاهر بونابي: التصوف في الجزائر خلال القرنين6و7هـ/12و13م، دار الهدى، عين مليلة، الجزائر، 2004م.

202- العباس بن إبراهيم السملالي: الإعلام بمن حل مراكش وأغمات من الأعلام، مراجعة عبد الوهاب بن منصور، المطبعة الملكية، الرباط، 1993م، ج4.

203- المغراوي: جامع جوامع الاختصار والبيان فيما يعرض للمعلم وآباء الصبيان، تحقيق أحمد جلولي البدوي ورابح بونار، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1975م.

204- الناجي لمين: رحلات علماء المغربين الأقصى والأوسط الملكية وآثارهما العلمية من خلال القرنين السابع والثامن الهجريين، دار الكلمة، القاهرة، 2016م.

205- الهادي روجي إدريس: الدولة الصنهاجية، ترجمة حمادي ساحلي، دار الغرب الإسلامي، لبنان، 1992م، ج2.

206- أوليري دي لاس: الفكر العربي ومركزه في التاريخ، ترجمة إسماعيل بيطار، دار الكتب اللبناني، لبنان، 1982م.

207- بشير رمضان التليسي: الاتجاهات الثقافية في بلاد الغرب الإسلامي خلال القرن4هـ، دار المدار، بيروت، 2003م.

208- بطرس البستاني: أدباء العرب، دائرة المعارف، بيروت، 1816م.

209- بل الفريد: دائرة المعارف الإسلامية، ترجمة أحمد الشنتناوي، دار المحجة، القاهرة، 1933م.

210- جاسم بن محمد بن مهلهل، الجداول الجامعة في العلوم النافعة: مؤسسة، الريان، بيروت، 2010م.

211- جلال الدين السيوطي: تأكيد الحقيقة العلية وتشييد الطريقة الشادلية، تحقيق وتعليق محمد حسني مصطفى، دار القلم العربي، ط1، سوريا، د ت.

212- جمال أحمد طه: مدينة فاس في عصري المرابطين والموحدين، دار الوفاء، الإسكندرية، 2001م.

213- حاجي خليفة: كشف الضنون عن أسامي الكتب والفنون، دار إحياء التراث العربي، لبنان، د ت، ج2.

214- حسام الدين عباس الحزوري: الحركة الفكرية ومراكزها في دمشق، الهيئة العامة للكتاب، سورية، 2011م.

215- حسن إبراهيم حسن: تاريخ الإسلام السياسي والديني والثقافي، والاجتماعي، مكتبة النهضة المصرية، ط4، القاهرة، 1996م، ج4.

216- حسن علي حسن: الحضارة الإسلامية في المغرب والأندلس، مكتبة الخانجي، ط1، مصر، 1980م.

217- حسن صديق خان: أبجد العلوم، دار الكتب العلمية، بيروت، د ت.

218- حسين مؤنس: معالم تاريخ المغرب والأندلس، مكتبة الأسرة، ط1، مصر، 2004م.

219- حسين مؤنس: موسوعة تاريخ المغرب والأندلس، مكتبة الثقافة الدينية، مصر، 1996م، ج1.

220- حسين مؤنس: المساجد، سلسلة عالم المعرفة، الكويت، 1981م، العدد37.

221- حكمت نجيب عبد الرحمن: دراسات في تاريخ العلوم عند العرب، دار الكتب، بغداد، 1977م.

222- حمدي عبد المنعم: مدينة سلا في العصر الوسيط، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية، 1993م.

223- حمو محمد عيسى النوري: دور الميزبيين في تاريخ الجزائر، دار البعث، قسنطينة، الجزائر، د ت، ج1.

224- خالد بلعربي: الدولة الزيانية في عهد يغمراسن(دراسة تاريخية وحضارية)(632هـ-681هـ) (1235م- 1282م)، دار الريان للطباعة والنشر، ط3، الجزائر، 2005م.

225- خالد الصمدي: مدرسة فقه الحديث بالغرب الإسلامي، منشورات وزارة الأوقاف، ط1، المملكة المغربية، 2006م، ج1.

226- خضر عكاوي: الموجز في تاريخ الطب عند العرب، دار المناهل، بيروت، 2000م.

227- خير الدين سيب: القراءات القرآنية، دار الخلدونية، الجزائر، 2005م.

228- ذياب سعد آل حمدان الغامدي: الوجازة في الإثبات والإجازة، دار قرطبة، ط1، بيروت، لبنان، 2007م.

229- رابح بونار: المغرب العربي، الشركة الوطنية، ط2، الجزائر، 1981م.

230- راغب السرحاني: ماذا قدم المسلمون للعالم إسهامات المسلمين في الحضارة الإنسانية، مؤسسة إقرأ، ط2، القاهرة، 2009م.

231- راغب السرجاني: قصة العلوم الطبية في الحضارة الإسلامية، مؤسسة إقرأ، ط1، القاهرة، 2009م.

232- ربحي مصطفى عليان: المكتبات في الحضارة العربية الإسلامية، دار الصفاء، ط1، عمان، 1999م.

233- رشيد بورويبة: وهران فن وثقافة، وزارة الإعلام، الجزائر، 1985م.

234- رشيد بورويبة: الدولة الحمادية، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1977م.

235- رشيد بورويبة: مدن مندثرة، وزارة الإعلام والثقافة، الجزائر، 1981م.

236- رشيد عبد الله الجميلي: دولة الأتابكة في الموصل، دار النهضة العربية، ط1، بيروت، 1970م.

237- رضا عبد الغني الكساسبة: النثر الفني في عصر الموحدين، دار الوفاء، الإسكندرية، 2004م.

238- رمضان الصباغ: العلم عند العرب وأثره في الحضارة الأوروبية، دار الوفاء، ط1، مصر، 1998م.

239- روباربرنشفيك: تاريخ افريقية من العهد الحفصي، ترجمة حمادي الساحلي، دار الغرب الإسلامي، ط1، لبنان، 1988م، ج2.

240- روجيه إدريس: الدولة الصنهاجية، ترجمة حمادي الساحلي، دار الغرب الإسلامي، 1992م، ج2.

241- زبيب نجيب: الموسوعة العامة لتاريخ المغرب والأندلس، تحقيق أحمد بن سودة، دار الأمير للثقافة، بيروت، 1995م، ج3.

242- زيدان جرجي: تاريخ التمدن الإسلامي، مراجعة وتحقيق حسين مؤنس، دار الهلال، مصر، د ت، ج3.

243- زيغريد هونكة: شمس العرب تسطع على الغرب، ترجمة فاروق بيضون وكمال الدسوقي، دار الجيل، بيروت، ط8، 1993م.

244- زين الدين عمر بن الوردي: تاريخ ابن الوردي، المطبعة الحيدرية، النجف، العراق، 1969م، ج2.

245- سحر عبد العزيز سالم: مدينة الرباط في التاريخ السياسي، مؤسسة شباب الجامعة، القاهرة، 1996م.

246- سعد الدين محمد منير: دراسات في تاريخ التربية عند المسلمين، دار بيروت المحروسة، بيروت، 1992م.

247- سعيد بن صعد: النجم الثاقب، مكتبة الملك عبد العزيز، المغرب، د ت.

248- سعيد عبد الفتاح عاشور وآخرون: دراسات في تاريخ الحضارة العربية الإسلامية، دار المعرفة الجامعية، القاهرة، 1996م.

249- سعيد عبد الفتاح عاشور: عصر المماليك في مصر والشام، دار النهضة العربية، ط1، مصر، 1965م.

250- سيد قطب: في ظلال القرآن، دار الشروق، ط32، القاهرة، 2003م، ج2.

251- شحاتة فتواتي: تاريخ الصيدلة والعقاقير في العهد القديم والعصر الوسيط، أوراق شرقية، ط2، لبنان، 1996م.

252- سميث إيميلي ساقاج: موسوعة تاريخ العلوم العربية، مركز الدراسات العربية، ط3، بيروت، 2006م، ج3.

253- شوقي أبو خليل: الحضارة العربية الإسلامية، دار الفكر المعاصر، لبنان، 2002م.

254- شوقي أبو خليل: الأرك، دار الفكر، لبنان، 1993م.

255- شوقي ضيف: عصر الدولة والإمارات، دار المعارف، مصر، 2011م.

256- صالح بلعيد: العلاقات العلمية والحضارية بين زواوة وتلمسان، منشورات الشؤون الدينية والأوقاف، الجزائر، 2011م.

257- صالح بن قربة: عبد المؤمن بن علي، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1991م.

258- صالح بن قربة وآخرون: تاريخ الجزائر في العصر الوسيط من خلال المصادر، منشورات المركز الوطني للدراسات والبحث، طبعة خاصة بوزارة المجاهدين، الجزائر، 2007م.

259- صالح بن قربة وآخرون: المئذنة المغربية والأندلسية في العصور الوسطى، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1986م.

260- صلاح أحمد البهنسي: عمارة المغرب والأندلس في العصر الإسلامي، جامعة عين شمس، مصر، دت.

261- صلاح الدين المنجد: المشرق في نظر المغاربة والأندلسيين في العصور الوسطى، دار الكتاب الجديد، ط1، بيروت، 1963م.

262- صالح فركوس: تاريخ الثقافة الجزائرية، دار ايدكوم، الجزائر، 2013م، ج1.

263- صديق بن حسن القنوجي: أبجد العلوم الوشي المرموق في بيان أحوال العلوم، دار الكتب العلمية، دمشق، 1978م، ج2.

264- صلاح مؤيد العقبي: الزوايا والطرق الصوفية بالجزائر، دار البراق، بيروت،2002م.

265- طاهر توات: ابن خميس شعره ونثره، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1991م.

266- طه الوالي: المساجد في الإسلام، دار العلم للملايين، لبنان، 1988م.

267- عادل نويهض: معجم أعلام الجزائر، مؤسسة نويهض الثقافية، بيروت، لبنان، 1980م.

268- عادل نويهض: معجم المفسرين، مؤسسة نويهض الثقافية، بيروت، 1983م.

269- عبد الحليم عويس: دولة بني حماد، دار الوفاء، ط2، القاهرة، 1991م.

270- عبد الحميد حاجيات: أبو حمو موسى الزياني، الشركة الوطنية للنشر، ط2، الجزائر، 1982م.

271- عبد الجواد توفيق: تاريخ العمارة والفنون الإسلامية، المطبعة الحديثة، القاهرة، 1972م.

272- عبد العزيز بن عبد الله: معلمة القرآن والحديث بالمغرب الأقصى، دار الثقافة والنشر بجامعة محمد بن سعود الإسلامية، السعودية، 1985م.

273- عبد العزيز شهبي: تاريخ المغرب الإسلامي، مؤسسة كنوز الحكمة، ط1، الجزائر، 2013م.

274- عبد العزيز اللبدي: تاريخ الجراحة عند العرب، دار الكرمل، عمان، 1992م.

275- عبد الحميد سعد زغلول: محمد بن تومرت وحركة التجديد في المغرب والأندلس، دار الأحد، بيروت، 1973م.

276- عبد الحكيم عبد الغني قاسم: المذاهب الصوفية ومدارسها، مكتبة مدبولي، ط2، القاهرة، 1999م.

277- عبد الحي الكتاني: التراتيب الإدارية، دار الكتاب العربي، بيروت، د ت، ج2.

278- عبد الحي الكتاني: فهرس الفهارس، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 2009م، ج1.

279- عبد العزيز فيلالي: تلمسان في العهد الزياني، موفم للنشر والتوزيع، الجزائر، 2011م، ج1.

280- عبد العزيز فيلالي: ومحمد الهادي لعروق: مدينة قسنطينة، دار البعث، ط1، الجزائر، 1984م.

281- عبد الفتاح مقلد غنيمي: موسوعة تاريخ المغرب العربي، مكتبة مدبولي، ط1، القاهرة، 1994م، مجلد3.

282- عبد الرحمن بن أحمد التجاني: الكتاتيب القرآنية بندرومة، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1983م.

283- عبد الرحمن الجيلالي: تاريخ الجزائر العام، دار الأمة، الجزائر، 2009م، ج2.

284- عبد الله المالكي: رياض النفوس، مكتبة النهضة المصرية، مصر، 2016م، ج1.

285- عبد الله علي علام: الدولة الموحدية بالمغرب، دار الطباعة للجيش، الجزائر، 2007م.

286- عبد الله عنان: دولة الإسلام في الأندلس، مكتبة الخانجي، ط2، القاهرة، 1990م، ج2.

287- عبد الله فياض: الإجازات العلمية عند المسلمين، مطبعة الإرشاد، بغداد، 1967م.

288- عبد الله كنون: النبوغ المغربي في الأدب العربي، دار الكتاب اللبناني، ط1، بيروت، 1961م، ج1.

289- عبد الله نجيب سالم: التعريف ببعض علوم الإسلام الحنيف، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، الكويت، 1999م.

290- عبد المجيد النجار: المهدي بن تومرت، دار الغرب الإسلامي، لبنان، 1983م.

291- عبد الحميد خالدي: الوجود الهلالي السليمي في الجزائر، دار هومة، الجزائر، 2003م.

292- عبد المحسن طه رمضان: تاريخ المغرب والأندلس، دار الفكر، ط1، عمان، 2011م.

293- عبد المنعم خفاجي: الأدب في التراث الصوفي، مكتبة غريب، القاهرة، د ت.

294- عبد المنعم ماجد: تاريخ الحضارة الإسلامية في العصور الوسطى، مكتبة الأنجلو المصرية، ط2، القاهرة، 1972م.

295- عبود عبد الغني: التربية الإسلامية، دار الفكر العربي، القاهرة، 1977م.

296- عبيد بوداود: ظاهرة التصوف في المغرب الأوسط مابين القرنين(7-9هـ/13-15م)، دار الغرب، الجزائر، 2003م.

297- عثمان بن عبد الرحمان بن صلاح: مقدمة ابن صلاح، معرفة أنواع علوم الحديث، تحقيق نور الدين عتر، المكتبة العلمية، المدينة المنورة، السعودية، 1972م.

298- عثمان كعاك: موجز التاريخ العام للجزائر، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 2003م.

299- عثمان محمد عبد الستار: المدينة الإسلامية، مكتبة المتنبي، الكويت، 1978م.

300- عز الدين أحمد عمر أحمد موسى: دراسات في تاريخ المغرب الإسلامي، دار الشروق، ط1، مصر، 1983م.

301- عز الدين عمر موسى: الموحدون في الغرب الإسلامي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، د ت.

302- عقيلة الغناي: قيام دولة الموحدين، دار الكتب الوطنية، ط2، بنغازي، 2008م.

303- عصمت عبد اللطيف دندش: الأندلس في نهاية المرابطين ومستهل الموحدين، دار الغرب الإسلامي، ط1، بيروت، 1988م.

304- عطا الله دهينة: الجزائر في التاريخ، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1984م، ج3.

305- عطية القوصي: اليهود في ظل الحضارة الإسلامية، مركز الدراسات الشرقية، القاهرة، 2001م.

306- علاوة عمارة: دراسات في التاريخ الوسيط للجزائر، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 2008م.

307- علي بن سعيد: المغرب في حلى المغرب، تحقيق شوقي ضيف، دار المعارف، ط4، القاهرة 2009م.

308- علي بن محمد القابسي: الرسالة المفصلة لأحوال المعلمين والمتعلمين، تحقيق أحمد خالد، الشركة التونسية للتوزيع، تونس، 1986م.

309- علي أحمد: الدور الفكري للأندلسيين والمغاربة في المشرق العربي منذ نهاية القرن الخامس حتى نهاية القرن التاسع الهجري، دار شمأل، دمشق، 1995م.

310- علي موسى الشوملي: شرح ألفية ابن معطي، مكتبة الخريجي، ط1، الرياض، 1985م.

311- عمار عمورة: موجز تاريخ الجزائر، دار الريحان، ط1، الجزائر، 2002م.

312- عمار هلال: العلماء الجزائريين في البلدان العربية الإسلامية(9م-10م)، ديوان المطبوعات الجامعية، ط2، الجزائر، 2010م.

313- عمر الجيدي: مباحث في المذهب المالكي بالمغرب، مطبعة المعارف، الرباط، 1993م.

314- عمر رضي كحالة: معجم المؤلفين، مطبعة الترقي، دمشق، 1957م، ج13.

315- عواطف محمد يوسف: الرحلات المغربية الأندلسية، مكتبة الملك فهد الوطنية، الرياض، 1996م.

316- عيسى بن الذيب: الحواضر والمراكز الثقافية في الجزائر خلال العصر الوسيط، منشورات المركز الوطني للدراسات والبحث، الجزائر، 2007م.

317- عيسى بن الذيب وآخرون: الحواضر والمراكز الثقافية في الجزائر خلال العصر الوسيط، سلسلة المشاريع الوطنية، جامعة حسيبة بن بوعلي الشلف، الجزائر، 2007م.

318- فويال سعاد: المساجد الأثرية لمدينة الجزائر، دار المعرفة، الجزائر، 2006م.

319- قدري حافظ طوفان: تراث العرب العلمي في الرياضيات والفلك، مكتبة العرب، ط1، مصر، 1941م.

320- كمال بوشامة: الجزائر ارض عقيدة وثقافة، ترجمة محمد المعراجي، دار هومة، الجزائر، 2007م.

321- كمال السيد أبو مصطفى: جوانب من الحياة الاجتماعية والاقتصادية والدينية والعلمية في المغرب، مركز الإسكندرية، مصر، 1996م.

322- لخضر بولطيف: فقهاء المالكية والتجربة السياسية الموحدية في الغرب الإسلامي، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، ط1، فرجينيا، الولايات المتحدة الأمريكية، 2009م.

323- لفيتسكي تاديوس: المؤرخون الإباضيون في إفريقيا الشمالية، ترجمة ماهر جرار وريما جرار، دار الغرب الإسلامي، ط1، بيروت، لبنان، 2000م.

324- ليفي بروفانسال: الإسلام في المغرب والأندلس، ترجمة السيد سالم ومحمد حلمي، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية، 1990م.

325- مارمول كربخال: إفريقيا، ترجمة عماد حجي، دار المعرفة، الرباط، المغرب، 1984م.

326- مايكل ديلون: مختصر تاريخ الصين، ترجمة ناسبي محمد، دار العربي، ط1، القاهرة، 2018م.

327- مبارك الميلي: تاريخ الجزائر في القديم و الحديث، ج2، تقديم وتصحيح محمد الميلي، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1999م، ج3.

328- محمد أبو بكر: التعرف لمذهب أهل التصوف، دار الكتب العلمية، بيروت، دت.

329- محمد أبو زهرة: تاريخ المذاهب الإسلامية، دار الفكر العربي، القاهرة، د ت.

330- محمد إفرخاس: رحلات المغاربة إلى المشرق، دائرة الشؤون الإسلامية، الإمارات العربية المتحدة، د ت.

331- محمد أسعد طلس: التربية والتعليم في الإسلام، دار العلم للملايين، بيروت، 1957م.

332- محمد الأمين بلغيث: نظرات في تاريخ الغرب الإسلامي، دار الخلدونية للنشر والتوزيع، الجزائر، 2007م.

333- محمد الشاذلي النيفر: موطأ الإمام مالك، دار الغرب الإسلامي، لبنان، 2004م.
334- محمد الشريف سيدي موسى: مدينة بجاية، دار كرم الله، الجزائر، 2011م.
335- محمد العربي حرز الله: تلمسان مهد حضارة وواحة الثقافة، دار السبيل، ط1، الجزائر، 2011م.
336- محمد الصادق عفيفي: تطور الفكر الطبي عند المسلمين، مكتبة الخانجي، القاهرة، 1976م.
337- محمد الصلابي: تاريخ دولتي المرابطين والموحدين، دار المعرفة، ط2، 2005م.
338- محمد الصلابي: الدولة الفاطمية، مؤسسة إقرأ، ط1، مصر، 2006م.
339- محمد الصلابي: إعلام أهل العلم والدين بأحوال دولة الموحدين، دار التوزيع والنشر الإسلامية، ط1، مصر، 2003م.
340- محمد الطاهر علاوي: العالم الرباني سيدي ابو مدين شعيب، دار الأمة، الجزائر، 2004م.
341- محمد الطمار: تلمسان عبر العصور، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1985م.
342- محمد الطمار: الروابط الثقافية بين الجزائر والخارج، الشركة الوطنية للنشر، الجزائر، 1983م.
343- محمد الطيب عقاب: لمحات عن العمارة والفنون الإسلامية في الجزائر، مكتبة زهراء الشرق، ط1، القاهرة، 2002م.
344- محمد المنوني: العلوم والآداب والفنون على عهد الموحدين، دار المغرب، ط2، الرباط، 1977م.
345- محمد المنوني: حضارة الموحدين، دار توبقال، ط1، الدار البيضاء، 1989م.
346- محمد العيد مطمر: رحلة إلى تيمقاد، دار الهدى، عين مليلة، الجزائر، 2011م.
347- محمد فريد وجدي: دائرة معارف القرن العشرون، دار الفكر، بيروت، د ت.
348- محمد بن أحمد بن شقرون: مظاهر الثقافة المغربية، مطبعة الرسالة، الرباط، 1982م.
349- محمد بن إسماعيل الأمير الحسني الصنعاني: توضيح الأفكار لمعاني تنقيح الأفكار، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد، المكتبة السلفية، المدينة المنورة، د ت، ج2.

350- محمد بن يوسف الزياني: دليل الحيران وأنيس السهران في أخبار مدينة وهران، تعليق المهدي البوعبلي، الشركة الوطنية للنشر، الجزائر، 1979م.

351- محمد بن رمضان شاوش: باقة السوسان في التعريف بحضارة تلمسان، تحقيق الحاج الغوثي بن احمدان، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 2001م، ج1.

352- محمد بن عميرة ولطيفة بشاري: تاريخ بجاية، دار الفاروق قسنطينة، الجزائر، 2015م.

353- محمد حسين الذهبي: علم التفسير، دار المعارف، القاهرة، د ت.

354- محمد حسين محاسنة: أضواء على تاريخ العلوم عند المسلمين، دار الكتاب الجامعي، ط1، الإمارات العربية المتحدة،2001م.

355- محمد سيد الجلينيد: من قضايا التصوف في ضوء الكتاب والسنة، مكتبة الزهراء، القاهرة، 1990م.

356- محمد عادل عبد العزيز: التربية الإسلامية في المغرب، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 1987م.

357- محمد عبد الله عنان: دولة الإسلام في الأندلس، مكتبة الخانجي، ط2، القاهرة، 1990م، ج2.

358- محمد عبد العظيم أبو النصر: الحضارة الإسلامية في العصور الوسطى، دار الفكر العربي، ط1، مصر، 1991م.

359- محمد علي فهيم بيومي: المغاربة في المدينة المنورة، دار القاهرة، ط1، مصر، 2006م.

360- محمد ماهر حمادة: المكتبات في الإسلام، مؤسسة الرسالة، ط2، بيروت، 1978م.

361- محمد منير مرسي: كتاب التربية الإسلامية أصولها وتطورها في البلاد العربية، عالم الكتب، القاهرة، 2005م.

362- محمد نسيب: زوايا العلم والقرآن بالجزائر، دار الفكر، الجزائر، د ت.

363- محمود بوعياد: جوانب من الحياة في المغرب الأوسط القرن التاسع هجري، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1982م.

364- محي الدين الطعمي: تكملة جامع كرامات الأولياء، دار الكتب العلمية، بيروت، 2008م.

365- معمر محمد الهادي: جهاد الموحدين في بلاد الأندلس، دار هومة، الجزائر، 2012م.

366- مفتاح خلفات: قبيلة الزواوة بالمغرب الأوسط، دار الأمل، تيزي وزو، الجزائر، 2011م.

367- مسعود كواتي: شخصيات جزائرية مواقف وآثار ونصوص، دار طليطلة، الجزائر، 2011م.

368- مسعود مزهودي ومبارك بوطارق: الحواضر والمراكز الثقافية في الجزائر خلال العصر الوسيط، المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية، الجزائر، 2007م.

369- مصطفى أبو ضيف: القبائل العربية في المغرب في عصري الموحدين وبني مرين، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1982م.

370- مصطفى أحمد الزرقة: الفقه الإسلامي ومدارسه، دار القلم، دمشق، 1995م.

371- مصطفى الشكعة: مناهج التأليف، دار العلم للملايين، بيروت، 1991م.

372- مصطفى بن صالح باجو: أبو يعقوب الورجلاني، وزارة التراث والثقافة، عمان، 2007م.

373- منال عبد المنعم جاد الله: التصوف في مصر والمغرب، منشأة المعارف، الإسكندرية، 1997م.

374- موسى شاهين لاشين: فتح المنعم شرح صحيح مسلم، دار الشروق، مصر، 2002م، ج1.

375- ناجي معروف: أصالة الحضارة العربية الإسلامية، مطبعة التضامن، بغداد، 1969م.

376- ناصر الدين سعيدوني: شهادات ودراسات مهداة إلى أبي القاسم سعد الله، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 2000م.

377- ناصر بن عبد الكريم العقل: الفرق الكلامية، دار الوطن، السعودية، 2001م.

378- نور الهدى الكتاني: الأدب الصوفي في المغرب والأندلس في عهد الموحدين، دار الكتب العلمية، بيروت، 2008م.

379- هوارد تيرنر: العلوم عند المسلمين، ترجمة فتح الله الشيخ، المجلس الأعلى للثقافة، الكويت، 2004م.

380- ويل ديورانت: قصة الحضارة، ترجمة زكي نجيب محمود، دار الجيل، بيروت، د ت، ج3.

381- يحي بوعزيز: تلمسان عاصمة المغرب الأوسط، وزارة الثقافة، الجزائر، 2007 م.

382- يحي بوعزيز: الموجز في تاريخ الجزائر، ديوان المطبوعات الجامعية، ط2، الجزائر، 1999م، ج1.

383- يحي بوعزيز: أعلام الفكر والثقافة في الجزائر المحروسة، دار الغرب الإسلامي، لبنان، 1995م، ج1.

384- يحي بوعزيز: المساجد العتيقة في الغرب الجزائري، دار البصائر، الجزائر، 2009م.

385- يوسف أشباخ: تاريخ الأندلس في عصر المرابطين والموحدين، ترجمة محمد عبد الله عنان، مكتبة الخانجي، ط2، القاهرة، 1996م، ج2.

386- يوسف الكتاني: مدرسة الإمام البخاري في المغرب، دار لسان العرب، بيروت، د ت، ج2.

387- يوسف بن عبد الهادي: ثمار المقاصد في ذكر المساجد، المعهد الفرنسي، بيروت، 1943م، ج3.

388- يونان لبيب ومحمد مزين: تاريخ العلاقات المغربية المصرية، الدار البيضاء، المغرب، 1982م.

5-الأطروحات والرسائل الجامعية

389- الحاج عيفة: إسهامات المغاربة والأندلسيين في مصر والشام من ق6ه إلى ق9ه، أطروحة دكتوراه، جامعة الجزائر، الجزائر، 2010م/2011م.

390- الطاهر بونابي: الحركة الصوفية في المغرب الأوسط خلال القرنين(8-9ه/14-15م)، أطروحة دكتوراه، جامعة الجزائر، 2008/2009م.

391- إلياس حاج عيسى: الحياة الإجتماعية في المغرب الأوسط خلال العهد الحمادي، أطروحة الدكتوراه، جامعة أبو القاسم سعد الله الجزائر2، الجزائر، 2017م/2018م.
392- أمينة بوتشيش: بجاية دراسة تاريخية وحضارية بين القرنين السادس والسابع هجريين، رسالة ماجستير، جامعة أبي بكر بلقايد تلمسان، الجزائر، 2008م/2009م.
393- أيمن شاهين سلام: المدارس الإسلامية في مصر، أطروحة دكتوراه، جامعة طنطا، مصر، 1999م.
394- بلبشير عمر: جوانب من الحياة الاجتماعية والاقتصادية والفكرية في المغربين الأوسط والأقصى من ق6هـ إلى 9هـ، من خلال كتاب الونشريسي، أطروحة دكتوراه، جامعة وهران، 2010/2009م.
395- بلقاسم فيلالي: رحلات طلبة المغاربة في طلب العلم خلال القرنين السادس والسابع هجريين، أطروحة دكتوراه، جامعة قسنطينة، 2014م/2015م.
396- تيرس نوح: جهود علماء المغرب الأوسط في تطور العلوم النقلية من ظهور الرستميين إلى نهاية الزيانيين، أطروحة دكتوراه، جامعة الجيلالي اليابس، سيدي بلعباس، 2018م/2019م.
397- جميلة راجاح: إسهامات علماء المغرب الوسيط في تنمية الدرس النحوي، أطروحة دكتوراه في الأدب العربي، جامعة مولود معمري، تيزي وزو، الجزائر، 2015م/2016م.
398- حمزة حمادة: جمالية الرمز الصوفي في ديوان أبي مدين شعيب، رسالة ماجستير، جامعة قاصدي مرباح، ورقلة، 2007م/2008م.
399- خديجة بورملة: صورة المغرب الأوسط في كتابات الرحالة والجغرافيين العرب والمسلمين، رسالة ماجستير، جامعة معسكر، 2011م/2012م.
400- زينب رزيوي: مؤسسات التوجيه الثقافي في مجتمع المغرب الأوسط، رسالة ماجستير، جامعة سيدي بلعباس، الجزائر، 2010م/2011م.
401- زينب رزيوي: العلوم والمعارف الثقافية بالمغرب الأوسط ما بين القرنين7و9هـ/13و15م، أطروحة دكتوراه، جامعة جيلالي اليابس، سيدي بلعباس، الجزائر، 2016/2015م.

402- سمية مزدور: المجاعات والأوبئة في المغرب الأوسط، رسالة ماجستير، جامعة منتوري، قسنطينة، 2009/2008م.

403- صادق خشاب: تأثير الفن الزخرفي الأندلسي على نظيره المغاربي، نموذج تلمسان، رسالة ماجستير، جامعة تلمسان،2000م/2001م.

404- صادق قاسم: العلاقات الثقافية بين الأندلس والمشرق الإسلامي، أطروحة دكتوراه، جامعة أحمد بن بلة وهران، الجزائر، 2017م/2018م.

405- صلاح جلول: تأثير قلعة بني حماد على بجاية في المجال العلمي والاجتماعي، رسالة ماجستير في التاريخ والحضارة الإسلامية، جامعة وهران، 2014م/2015م.

406- عامر فتحي محمد الشيخ أحمد: فن الخطابة في العصرين الأيوبي والمملوكي، رسالة ماجستير، جامعة الشرق الأوسط، الأردن، 2015م/2016م.

407- عبد الحميد بالأعرج: علاقات دول المغرب الإسلامي بدول المماليك سياسيا وثقافيا، أطروحة الدكتوراه، جامعة أبي بكر بلقايد، تلمسان، الجزائر، 2012م/2013م.

408- عبد الرحمن عبان: الشعر التعليمي في الأدب الجزائري القديم على عهد الموحدين، رسالة ماجستير، جامعة قاصدي مرباح ورقلة، الجزائر، 2007م/2008م.

409- عبد القادر بوحسون: العلاقات الثقافية بين المغرب والأندلس خلال العهد الزياني، رسالة ماجستير، جامعة أبي بكر بلقايد، تلمسان، 2008/2007م.

410- عبد القادر بوعقادة: الحركة الفقهية في المغرب الأوسط ق(7و9هـ/13و15م)، أطروحة دكتوراه، جامعة الجزائر2، 2015/2014م.

411- عبد الرؤوف زواري أحمد: العلاقات العلمية بين المغرب الأوسط والحجاز خلال القرنين 7-9هـ، أطروحة دكتوراه، جامعة الوادي، 2020م/2021م.

412- عبد الكريم عزوق: المعالم الأثرية الإسلامية ببجاية ونواحيها، أطروحة دكتوراه، جامعة الجزائر، الجزائر، 2007م/2008م.

413- علي عشي: المغرب الأوسط خلال عهد الموحدين، رسالة ماجستير، جامعة باتنة1 الحاج لخضر، الجزائر، 2011م/2012م.

414- فوزية كرراز: عامة المغرب الأوسط في ظل السلطة الموحدية، أطروحة دكتوراه، جامعة أحمد بن بلة، وهران، 2015/2014م.

415- قاسمي بختاوي: التعليم في المغرب الأوسط بين القرنين4و7هـ/10و13م، أطروحة دكتوراه، جامعة جيلالي اليابس سيدي بلعباس، الجزائر، 2016/2015م.

416- كريمة نقاز: بنية الخطاب الشعري الصوفي خلال القرنين السادس والثامن الهجريين، أطروحة دكتوراه، جامعة أحمد بن بلة، وهران، 2018م/2019م.

417- لحبيب اكمي: الروابط العلمية بين بلاد المغرب والأندلس على عهد الموحدين(541-626هـ)، أطروحة الدكتوراه، جامعة أحمد بن بلة وهران، الجزائر، 2016م/1017م.

418- لخضر عبدلي: الحياة الثقافية بالمغرب الأوسط، في عهد بني زيان، أطروحة الدكتوراه، جامعة أبي بكر بلقايد تلمسان، الجزائر، 2004م/2005م.

419- محمد الأمين بلغيث: الربط بالغرب الإسلامي ودورها في عصر المرابطين والموحدين، رسالة ماجستير، جامعة الجزائر، 1987م.

420- محمد الأمين بلغيث: الحركة الفكرية في الأندلس في عصر المرابطين(479-539هـ/1085-1144م)، أطروحة دكتوراه، جامعة الجزائر02، 2003/2002م.

421- محمد بوشقيف: تطور العلوم ببلاد المغرب الأوسط خلال القرنين الثامن والتاسع الهجريين، أطروحة دكتوراه، جامعة أبي بكر بلقايد، تلمسان، الجزائر، 2010م/1011م.

422- محمد عليلي: الإشعاع الفكري في المغرب الإسلامي، أطروحة الدكتوراه، جامعة أبي بكر بلقايد تلمسان، الجزائر، 2016/2015م.

423- مريم بوعامر: الهجرة الأندلسية في المغرب الأدنى ودورها في الازدهار الحضاري(7-9هـ/13-15م)، رسالة ماجستير، جامعة أبي بكر بلقايد، تلمسان، 2010/2009م.

424- مريم معلاش: الحياة العلمية ببجاية في ظل الدولة الحفصية، رسالة ماجستير، جامعة أبي بكر بلقايد، تلمسان، 2010م/2011م.

425- نبيلة شلغوم: الدور الحضاري لمدينة تيهرت في العصر الإسلامي الوسيط، رسالة ماجستير، جامعة الجزائر، 2014م/2015م.

426- نجاة بلعباس: بجاية وتلمسان وأثرهما الثقافي والحضاري على المغرب الإسلامي من القرن الخامس الهجري إلى القرن السابع الهجري، أطروحة الدكتوراه، جامعة أبي بكر بلقايد، تلمسان، الجزائر، 2017م/2018م.

427- نبيلة رزقي: الزخرفة الجصية في عمائر المغرب الأوسط والأندلس، رسالة دكتوراه، جامعة أبو بكر بلقايد، تلمسان، 2014/2015م.

428- نسرين سلامة عطوان السيوف: الحياة العلمية في الأندلس في عهد الدولة الموحدية، رسالة ماجستير، الجامعة الأردنية، الأردن، 2007م/2008م.

429- نصيرة بوخشة: المؤسسات التعليمية ودورها في ازدهار الحركة العلمية في العهد الموحدي (524-595هـ/1130-1159م)، رسالة ماجستير، جامعة مولاي الطاهر، سعيدة، 2015م/2016م.

430- نصيرة شينة: الشعر الصوفي المغربي، أطروحة الدكتوراه، جامعة باتنة، الجزائر، 2018م/2019م.

431- نصيرة عزرودي: تطور علم الفلك في المغرب الأوسط خلال الفترة الوسطى، أطروحة دكتوراه، جامعة جيلالي اليابس، سيدي بلعباس، الجزائر، 2016/2017م.

6- المجلات العلمية

432- إبراهيم بن مراد: من مظاهر تطور الطب في بلاد الشام(ق6و7هـ)، مجلة التراث العربي، دمشق، 1985م، العدد19.

433- أحمد سعودي: الحياة الاقتصادية والثقافية لقلعة بني حماد، مجلة هيرودوت، مؤسسة هيرودوت قالمة، الجزائر، 2021م، العدد2، مج5.

434- أحمد مختار العبادي: التأثير المتبادل بين الإسكندرية والمغرب، مجلة الفيصل، المملكة العربية السعودية، 2000م، العدد28.

435- أحميدي بن شارف: من ملامح النهضة اللغوية والأدبية بالمغرب الأوسط في العهد الموحدي، مجلة الباحث، جامعة وهران، الجزائر، د ت، العدد17.

436- البشير غانية: مدينة وهران النشأة والتطور والدور في العصر الوسيط، مجلة المعارف، جامعة الوادي، الجزائر، 2021م، العدد2.

437- المهدي البوعبدلي: تاريخ بونة الثقافي والسياسي عبر العصور، مجلة الأصالة، الجزائر، 1976م، العدد20، مج35/34.

438- المهدي بوعبدلي: الرباط والفداء في وهران والقبائل الكبرى، مجلة الأصالة، الجزائر، 1973م، العدد13.

439- إيمان نايل عبيد: جهود العرب والمسلمين في علم الفلك، مجلة أفكار، سوريا، 1990م، العدد14.

440- براهيم بن داود، جمال عبد الكريم: البعد الحضاري التكاملي بين حاضرة تلمسان والأندلس، مجلة التراث، جامعة زيان عاشور، الجلفة، الجزائر، 2012م، العدد2.

441- بغداد غربي: الكتابة الرسمية عند الموحدين في الغرب الإسلامي، مجلة الأكاديمية للدراسات الاجتماعية والإنسانية، جامعة شلف، الجزائر، جوان2016م، العدد16.

442- بوبة مجاني: المدارس الحفصية، مجلة العلوم الإنسانية، جامعة منتوري قسنطينة، الجزائر، 1999م، العدد12.

443- بوداعة نجادي: إسهامات علماء المغرب الإسلامي في بلاد المشرق على عهد الموحدين، مجلة عصور الجديدة، جامعة سعيدة، الجزائر، 2020م، المجلد10، العدد1.

444- حسان عزوزي: التأليف في القراءات بالمغرب والأندلس، مجلة الحضارة الإسلامية، مركز البحث في العلوم الإسلامية والحضارة، جامعة وهران، الجزائر، 1993م، العدد1.

445- حسين بوبيدي: بلاد المغرب الإسلامي بين التعايش والصراع المذهبي، مجلة الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة قسنطينة2 عبد الحميد مهري، الجزائر، 2002م، العدد1، مجلد11.

446- حسين بولقطيب: ابن تومرت وتجديد الفكر الإسلامي، مجلة الاجتهاد، بيروت، 1993م، العدد20.

447- حنينة طبيش: التفاعل الثقافي بين حاضرتي تلمسان وفاس في العهد الموحدي، مجلة إحالات، المركز الجامعي مغنية، الجزائر، 2021م، العدد2، مج3.

448- خالد محمود عبد الله وأحمد صالح محمد: دور العلماء في الحياة الاجتماعية في عهد الموحدين، مجلة الدراسات التاريخية والحضارية، جامعة تكريت، العراق، د ت، مج3، العدد10.

449- دليلة خبزي: أبو يعقوب الوارجلاني مفسراً(500هـ-570هـ)، مجلة البحوث العلمية والدراسات الإسلامية، كلية العلوم الإسلامية، الجزائر1، 2018م، العدد11.
450- رشيد الزواوي: التبادل العلمي بين المشرق والمغرب الإسلامي، مجلة الحضارة الإسلامية، الجزائر، 1993م، العدد3.
451- رشيد مصطفاوي: بجاية في عهد الحماديين، مجلة الأصالة، مطبعة البعث، قسنطينة، الجزائر، 1971م، العدد1.
452- شوكت عارف محمد الأطروشي، درويش يوسف حسن: مساهمة المغاربة والأندلسيين في الحركة العلمية ببلاد الشام على عهد الأيوبيين، مجلة قضايا تاريخية، العراق، 2016م، العدد2.
453- صافية كساس: الرحلات العلمية من وإلى المغرب العربي ودورها في تنشيط الحركة العلمية والتعليمية بالمغرب العربي، مجلة الممارسات اللغوية، جامعة ملود معمري، تيزي وزو، الجزائر، 2011م، العدد8.
454- صبان عبد اللطيف: بعض أدوار النساء في البلاطات الموحدي، مجلة أمل، الناشر محمد معروف، المغرب، 2001م، العدد22-23، مج8.
455- صديقي عبد الجبار: محنة المالكية في العهد الموحدي، مجلة الإنسان والمجال، المركز الجامعي نور البشير، البيض، الجزائر، 2015م، العدد1.
456- صديقي عبد الجبار: التحولات الاجتماعية والاقتصادية في المغرب الإسلامي خلال مرحلة اضمحلال الدولة الموحدية، مجلة دراسات، جامعة بشار، الجزائر، 2016م، العدد1.
457- عباس الجراري: الموحدون ثورة سياسية ومذهبية، مجلة المناهل، وزارة الشؤون الثقافية، الرباط، 1974م، العدد1.
458- عبد الجليل قريان: التلاقح العلمي بين حاضرتي بجاية وتلمسان في العصر الوسيط، مجلة عصور الجديدة، جامعة وهران، الجزائر، 2013م، العدد10.
459- عبد الحميد حاجيات: ملاحظات حول تطور الحياة الفكرية بالجزائر في عهد الموحدين، مجلة الحوار المتوسطي، جامعة تلمسان، الجزائر، 2017م، العدد15-16.
460- عبد الحميد حاجيات: تلمسان مركز الإشعاع الثقافي في المغرب الأوسط، مجلة الحضارة الإسلامية، الجزائر، 1993م، العدد1.

461- عبد الحميد حاجيات: تطور الفكر الإسلامي بالمغرب الأوسط على عهد الموحدين، مجلة عصور الجديدة، الجزائر، 2012م، العدد5.

462- عبد القادر زبادية: نشأة المدارس الفقهية في الإسلام، مجلة الأصالة، الجزائر، 1971م، العدد1.

463- عبد القادر عثماني: الزوايا والتعليم القرآني والديني بها، مجلة الدراسات الإسلامية، الجزائر، 2002م، العدد2.

464- عبد الكريم حساين: الحركة العلمية بالمغرب الإسلامي في عصر الموحدين، المجلة الجزائرية للبحوث والدراسات التاريخية المتوسطية، جامعة سيدي بلعباس، الجزائر، 2016م، العدد3.

465- عبد الهادي التازي: رسالة المنصور الذهبي لأحد أقطاب الشرق، مجلة دعوة الحق، المملكة المغربية، 1967م، العدد98-99.

466- عبد الهادي حسيس: موقف يعقوب المنصور من الظاهرية، مجلة دار الحديث الحسنية، مطبعة المعارف الجديدة، الرباط، 1981م، العدد2.

467- عثمان الكعاك: تلمسان ونشأة الدولة الموحدية، مجلة الأصالة، وزارة التعليم، الجزائر، 1975م، العدد26.

468- عفاف بسطي: هجرة العلماء في المغرب الأوسط في العصر الوسيط، مجلة الفضاء المغاربي، جامعة تلمسان، الجزائر، 2003م، العدد4، مج2.

469- علاوة عمارة، زينب موساوي: مدينة الجزائر في العصر الوسيط، مجلة إنسانيات، الجزائر، 2009م، العدد44.

470- علي عشي: دور علماء المغرب الأوسط في مجال العلوم الدينية خلال العهد الموحدي، مجلة الدراسات الإسلامية، جامعة عباس لغرور خنشلة، الجزائر، 2013م، العدد2.

471- علي نصر منصور شهاب: الحياة العلمية في القدس، حوليات الآداب والعلوم الاجتماعية، مجلس النشر العلمي، جامعة الكويت، الكويت، 2001م، العدد22.

472- فاتح مزرد، الطيب بوسعد: دور العلماء في ازدهار الحياء الفكرية في المراكز الحضارية لبلاد الزاب خلال العصر الوسيط، مجلة العلوم الإنسانية، الجزائر 2022م، العدد1.

473- قاسمي بختاوي: واقع التعليم في المغرب الأوسط من خلال نوازل الونشريسي، المجلة الجزائرية للبحوث والدراسات التاريخية المتوسطية، جامعة حسيبة بن بوعلي الشلف، الجزائر، 2015م، العدد2.

474- كينة مليودة: العنف السياسي في الدولة الموحدية، مجلة المعارف للبحوث والدراسات التاريخية، جامعة الوادي، الجزائر، 2015م، العدد17.

475- لخضر عبدلي: تلمسان حاضرة المغرب الأوسط، مجلة الفضاء المغاربي، جامعة تلمسان، الجزائر، 2017م، العدد04.

476- محمد المنوني: نشاطات الدراسات الرياضية في المغرب العصر الوسيط الرابع(عصر بني مرين)، مجلة المناهل، وزارة الشؤون الدينية الثقافية، المغرب، 1985م، العدد33.

477- محمد بلغراد: أعلام بونة، مجلة الأصالة، الجزائر، 1976م، العدد34/35.

478- محمد بن تاويت: أصداء في الأدب الموحدي، مجلة دعوة الحق، وزارة عموم الأوقاف والشؤون الإسلامية، الرباط، المغرب، 1968م، العدد9-10.

479- محمد عباسة: العلاقات الثقافية بين العرب والإفرنج خلال القرون الوسطى، مجلة حوليات التراث، جامعة مستغانم، الجزائر، 2013م، العدد13.

480- محمد عمارة: الأثر العلمي للأندلسيين بالمغرب الأوسط خلال القرن7هـ/13م، مجلة العلوم الاجتماعية والإنسانية، جامعة محمد بوضياف المسيلة، الجزائر، 2016م، العدد11.

481- محمد عياش: مدينة آشير، مجلة المغاربي للمخطوطات، جامعة الجزائر، الجزائر، 2011م، العدد1.

482- محمد طالبي: الهجرة الأندلسية إلى إفريقيا، مجلة الأصالة، الجزائر، 1975م، العدد26.

483- محمد محمدي: المساجد والزوايا ببجاية ودورها في حفظ الدين والفكر الصوفي، مجلة حوليات التراث، جامعة سعيدة، الجزائر، 2013م، العدد13.

484- محمد مكيوي: عوامل ازدهار الحياة الفكرية في القرنين7 و8ه بالمغرب الأوسط، مجلة الأثر، جامعة قاصدي مرباح، ورقلة، الجزائر، 2010م، العدد9.

485- مراد تجنانت: الحافظ أبو محمد عبد الله بن محمد الأشيري(500هـ-561هـ) نشاطه وإسهاماته، المجلة التاريخية الجزائرية، جامعة المسيلة، الجزائر، 2022م، العدد1، مج6.

486- مفتاح خلفات: إسهامات القلعيين في الحياة الثقافية ببجاية، مجلة الآداب واللغات، جامعة المسيلة، الجزائر، 2013م، العدد3.

487- ميلود بن حاج: الإصلاح الديني والاجتماعي عند المرابطين والموحدين، مجلة دراسات تاريخية، الجزائر، 2022م، العدد2، مج10.

488- يحي بوعزيز: أوضاع المؤسسات الدينية بالجزائر خلال القرنين 19و20م، مجلة الثقافة، الجزائر، 1983م، العدد63.

489- يحي بوعزيز: ماضي مدينة وهران، مجلة الثقافة، الجزائر، 1979م، العدد17، مج52.

490- يوسف عابد: الحركة الموحدية الإصلاحية، مجلة جامعة الأمير عبد القادر قسنطينة، الجزائر، 2013م، العدد3.

ثانيا- باللغة الأجنبية

491- Basst René : Les Nom Berbères Des Plantes dons le Traité des Simples d'Ibn el Bettar, Giornaldella Societa Italiana, Volume Doclicesiom 1899.

492- Fatima Zohra, Bouzinaoufrih : Tlemcen Capital Musulman le siècle d'or du Maghreb Central, édition d'alimon, Algérie, 2011.

493- Georges Marçais, Tlemcen, édition du tell, Algérie, 2003.

494- Golvin Lucien : Le Maghreb Central a L'époque des Zirides Recherches d'Archéologie et d'Histoire, arts et métiers graphiques, Paris, 1957.

495- Stéphan Gsell: Histoire Ancienne de L'Afrique du Nord, librairie Hachette, Paris, 1920.



فهرس الأماكن والأعلام

فهرس الأماكن

المكان	الصفحة
اسبانيا	257
الأوراس	39
بجاية	17
بسكرة	39
بونة	242
ندرومة	56
تنس	18
تلمسان	16
تينملل(تنملل)	30
تيهرت	70
الجزائر	15
قسنطينة	17
المدية	36
ورجلان	20
وهران	18
ملالة	28
بوماريا	53
سلا	118

فهرس الأعلام

الأعلام	الصفحة
أبا الحسن علي بن أبي القاسم عبد الرحمن بن أبي قنون	177، 178
إبراهيم بن أبي الفضل بن صواب الحجري	228
إبراهيم بن أبي بكر التلمساني الوشقي أبو إسحاق	253
إبراهيم بن يخلف التنسي المطماطي	280
إبراهيم بن يوسف بن محمد بن دهاق الأوسي المالقي ابن المرأة	107، 192، 197
ابن أبي المليح	232
ابن أبي قنون	56، 156
ابن الخراز	156، 288
ابن الخراط	50، 106، 177
ابن الرهيبد أبا جعفر لحسن محمد بن الحسن الأنصاري	265
ابن برطلة أبو محمد عبد الله بن عبد الرحمان بن عميرة الازد	280
ابن تومرت	21، 42، 48، 103، 112، 120، 166، 186، 260، 272، 286، 340
ابن سهل	213
ابن صاحب الصلاة	29، 34، 90، 101 149، 200، 267، 304
ابن عطية الأندلسي	160
ابن محشرة أبو الفضل محمد بن علي بن ظاهر القيسي	208

أبو إسحاق إبراهيم الداني البجائي	228، 236، 348
أبو إسحاق إبراهيم بن أحمد بن الخطيب البجائي	292
أبو إسحاق إبراهيم بن حماد القلعي	172
أبو إسحاق إبراهيم بن ميمون بن بهلول الزواوي	202
أبو إسحاق إبراهيم بن يحي بن محمد بن موسى التجيبي	172
أبو إسحاق إبراهيم بن يوسف المري الحمزي الوهراني قرقول	213، 288
أبو الحجاج يوسف بن سعيد بن يخلف الجزائري	211
أبو الحسن بن أبي نصر فتح بن عبد الله البجائي المرادي	156
أبو الحسن بن علي بن عمران الملياني بن أساطير	192
أبو الحسن جابر بن أحمد بن إبراهيم القرشي الحسني التلمساني	168
أبو الحسن طاهر بن علي بن محمد بن عبد الرحمن السلمي	157، 210
أبو الحسن عبيد الله بن عبد المجيد بن عمر بن يحي الأزدي	190
أبو الحسن عبيد الله بن محمد بن عبيد الله بن فتوح النفزي	188، 258، 313
أبو الحسن علي الششتري	262
أبو الحسن علي بن أحمد الحرالي التجيبي	162
أبو الحسن علي بن خلف الكومي التلمساني	188
أبو الحسن علي بن عبد الكريم التلمساني	180
أبو الحسن علي بن عبد الله بن أبي بكر بن قلال الجزائري	157
أبو الحسن علي بن عبد الله بن ناشر بن المبارك الوهراني	293
أبو الحسن علي بن محمد الزواوي	95، 112، 191
أبو الحسن علي بن محمد بن عبد الله الكتامي الضرير	157
أبو الحسن علي بن موسى بن محمد بن شلوط الشبارتي	169، 234
ابو الحكم مروان بن عمار بن يحي	211
أبو الخطاب عمر بن الحسن بن علي بن دحية الكلبي	170

أبو الربيع سليمان بن عبد المؤمن الكومي	208
أبو الربيع سليمان بن موسى بن سالم الحميري الكلاعي	171
أبو الطاهر عمارة بن يحي بن عمارة البجائي	213
أبو العباس أحمد بن عيسى بن عبد الرحمن الغماري	196
أبو العباس أحمد بن محمد القرشي الغرناطي	162
أبو العباس أحمد بن محمد بن عبد الله المعافري القلعي	155
أبو العباس أحمد بن هلال العروضي	64، 205
أبو العباس محي الدين أحمد بن علي بن يوسف القرشي البوني	242
أبو الفضل قاسم بن محمد القرشي القرطبي	126، 192
أبو الفضل يوسف بن النحوي	177
أبو القاسم عبد الرحمن بن محمد بن أبي بكر بن السطاح	63، 179، 202
أبو القاسم عبد الرحمن بن يوسف بن عبد الرحمن البجائي	186
أبو القاسم محمد بن أحمد بن محمد المرسي ابن أندارس	235
أبو النجم هلال بن يونس بن علي الغبريني	190
أبو الوليد يزيد بن أبي الحسن بن عبد الرحمن	162
أبو بكر بن زهر	227، 228
أبو بكر بن عصفور	156
أبو بكر محمد بن أحمد بن يحي الشهير بابن سيد الناس	171
أبو بكر محمد بن محمد بن عبد الله بن معاذ اللخمي القلعي	154
أبو بكر محمد بن يوسف بن مفرج بن سعادة الاشبيلي	156
أبو تمام	212
أبو تميم ميمون بن جبارة بن خلفون الكتامي	178
أبو جعفر أحمد بن أحمد علي بن غزلون	168
أبو جعفر أحمد بن عتيق بن الحسن بن زياد البلنسي الذهبي	155، 253، 257

أبو جعفر أحمد بن محمد بن عبد العزيز بن عبد الرحمن التجيبي	202
أبو جعفر أحمد بن يوسف الفهري الليلي	205
أبو جعفر عمر بن علي بن بذوخ القلعي	232، 298
أبو حامد الغزالي	23، 147، 148
أبو حفص السلمي	171
أبو حفص عمر بن حسان بن عياض الميلي جمال الدين	211
أبو ذر مصعب بن محمد بن مسعود الخشني	155، 201
أبو زكريا يحي عصفور	186
أبو زكرياء المرجاني الموصلي	105، 188
أبو زكرياء يحي بن زكريا بن محجوبة القرشي السطيفي	192
أبو زكرياء يحي بن علي الزواوي	61، 201، 287، 352
أبو زكرياء يحي بن علي بن حسن بن حبوس الهمذاني	178
أبو زيد عبد الرحمن بن علي بن أبي دلال	257
أبو زيد عبد الرحمن بن يخلفتن بن أحمد الفزازي القرطبي	170
أبو عبد الله محمد التاونتي المعروف بابن الميلي	291، 323، 334
أبو عبد الله محمد بن إبراهيم البجائي المهدي	194، 307
أبو عبد الله محمد بن أحمد اللخمي بن اللحام التلمساني	215
أبو عبد الله محمد بن أحمد بن محمد بن أحمد الأريسي	188، 201
أبو عبد الله محمد بن إسماعيل المتيجي	170
أبو عبد الله محمد بن الحسن بن علي بن ميمون القلعي	214
أبو عبد الله محمد بن الصمغان القلعي	168
أبو عبد الله محمد بن سحنون الكومي الندرومي	257، 261
أبو عبد الله محمد بن عبد الحق بن سليمان الكومي التلمساني	156، 197، 289

أبو عبد الله محمد بن عبد الرحمن بن سليمان التجيبي	169
أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن حامد البجائي ابن النباش	233
أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن عبد العزيز الزناتي التلمساني	215
أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن مروان التلمساني	202
أبو عبد الله محمد بن علي بن حماد بن أبو بكر الصنهاجي	106، 296، 340
أبو عبد الله محمد بن علي بن مروان بن جبل	162
أبو عبد الله محمد بن عمر القرشي	256
أبو عبد الله محمد بن محمد بن أبي بكر المنصور القلعي	233، 251، 253، 300
أبو عبد الله محمد بن محمد بن الحسين الخشني	180
أبو عبد الله محمد بن محمد بن عبد الله الكتامي التلمساني	280
أبو عبد الله محمد بن يحي بن عبد السلام	215، 235
أبو عثمان سعيد بن علي بن محمد بن عبد الرحمن البلنسي	156
أبو علي أحمد الحرالي	192
أبو علي الحسن بن علي بن محمد الاغماتي	201
أبو علي حسن بن علي بن عمر بن الفكون القسنطيني	215
أبو علي حسن بن علي بن محمد المسيلي	178، 169، 290
أبو علي عمر بن أحمد العمري البجائي	280
أبو علي عمر بن العباس الصنهاجي المعروف بالحباك	291
أبو علي عمر بن عبد المحسن الوجهاني الصواف	189، 322
أبو علي عمر بن محمد بن عمر بن خميس الحجري التلمساني	171
أبو علي مروان بن محمد بن علي بن مروان بن جبل الهمذاني	178
أبو عمار عبد الكافي الوارجلاني	177، 318
أبو عمران موسى بن حجاج بن أبي بكر الأشيري	161، 290

أبو عمرو عثمان بن علي التلمساني	290
أبو فارس عبد العزيز بن علي بن عمر بن مخلوف التلمساني	172
أبو محمد الزهري	171
أبو محمد القشتالي	191
أبو محمد زين الدين بن عمر بن سيد الناس	157
أبو محمد عبد الحق بن إبراهيم بن محمد بن سبعين المرسي	189
أبو محمد عبد الحق بن ربيع بن أحمد بن عمر الأنصاري	257
أبو محمد عبد العزيز بن عمر بن مخلوف التلمساني	349
أبو محمد عبد الكريم بن عبدالملك بن عبد الله بن طيب الأزدي	119، 190
أبو محمد عبد الله بن حجاج بن يوسف الجزائري	179
أبو محمد عبد الله بن عبد الرحمن بن عبد الله بن عميرة الأزدي	209
أبو محمد عبد الله بن عبد الواحد بن إبراهيم الناصر المجاص	156
أبو محمد عبد الله بن محمد بن جبل الهمذاني	67، 160
أبو محمد عبد الله بن محمد بن عبد الله الصنهاجي الأشيري	168، 287، 306
أبو محمد عبد الله بن محمد بن عمر بن عبادة القلعي	172
أبو محمد عبد الله بن نعيم الحضرمي القرطبي القسنطيني	202
أبو محمد عبد المنعم بن عشير الجزائري	168
أبو مدين شعيب	48، 50، 55، 59، 64، 156، 178، 185، 214، 262، 289، 322
أبو مروان عبد الملك ابن قاسم القرطبي	228
أبو مطرف أحمد بن عبد الله بن محمد بن حسين المخزومي	179
أبو نواس	212

أبو يعقوب يوسف بن إبراهيم بن مناد السدراتي الوارجلاني	219، 252، 265، 300
أبو يوسف حجاج بن يوسف الهواري	177
أبو يوسف يعقوب المنصور	42، 167، 176، 261، 331
أبو يوسف يعقوب بن يوسف المنجلاتي الزواوي	190
أبي عبد الله محمد محيو الهواري	186
أبي فرحون القسي	250
أبي محمد صالح بن ينصارن الماجري	322
أبي يحي بن القاسم الإشبيلي	228
أحمد بن باسة	270
أحمد بن عبد الرحمن بن محمد بن سعيد بن حريث بن مضاء	197
أحمد بن عبد الصمد بن أبي عبيدة محمد بن أحمد الأنصاري	169
أحمد بن عبد الله بن خميس بن نصرون أبي جعفر	251
أحمد بن عبد الله بن طمليس بن معاوية الأزدي القرطبي	177
أحمد بن محمد بن سعيد بن حرب المسيلي	154
أحمد بن يحيى بن أبي بكر ابن أبي حجلة التلمساني	242، 282
آمنة بنت يغروسن	190
البحتري	212
جرير	212
جعفر بن عبد الرحمان بن جعفر الصقلي البجائي	220
حسن بن أبي زكون التلمساني	196
الحسن بن الحجاج بن يوسف الهواري	201، 341
الحسن بن عبد الله بن حسن التلمساني الأشيري	288

حماد بن علي البين	202
شمس الدين محمد بن سليمان بن العفيف التلمساني	216
شهاب الدين أحمد بن يوسف التيفاشي	234
صالح بن أبي خلف بن عامر الأنصاري الأوسي	194
صلاح الدين الأيوبي	39، 41، 292، 304، 305، 310
عائشة الشريفة ابنة عمارة الشريف الحسيني	216
عبد الحق بن عبد الرحمن بن عبد الله بن حسين بن الخراط	154، 205
عبد الرحمن بن يخلفتن بن أحمد اليجفشي الفزازي	170، 197، 215
عبد السلام التونسي	55، 124، 186
عبد السلام بن مشيش	192
عبد العزيز بن عمر بن مخلوف أبو محمد القيسي	180
عبد العزيز بن يوسف بن إبراهيم اللخمي الدباغ	169
عبد الله الونشريسي	31، 154
عبد الله بن ياسين	22
عبد المؤمن بن علي	27، 28، 29، 31، 36، 41، 54، 106، 130، 138، 166، 188، 200، 212، 241، 269، 273، 277، 307، 350
عبد الواحد بن أبي حفص الهنتاني	44
عبد الوهاب بن يوسف بن عبد القادر البجائي	258، 280، 321

علي بن غانية	38، 39
علي بن محمد بن خيار البلنسي	197
علي بن معصوم بن أبي ذر القلعي	252
عمر بن عبد الله القفصي التبسي سديد الدين	170
عيسى بن مسعود أبو الروح الزواوي	297
الفرزدق	212
محمد بن إبراهيم الغساني	171
محمد بن أحمد بن الحجام	155
محمد بن خلف الكلاعي الإشبيلي	249
محمد بن عبد الرحمن التجيبي	155، 191، 197، 220، 317
محمد بن عبد الرحيم الخزرجي	162، 215
محمد بن عبد الله بن علي بن مروان بن جبل الهمذاني الوهراني	288
محمد بن علي الأفرم المسيلي	201
محمد بن قاسم بن منداس المغربي البجائي الأشيري	210
محمد بن محرز بن محمد الوهراني	202، 210
مروان بن عمار البجائي	197، 201
الناصر بن علناس بن حماد بن زيري بن مناد بن بلكين	47
يحي بن إبراهيم الورجلاني	219
يحي بن العزيز	48
يحي بن عبد المعطي بن عبد النور الزواوي أبو الحسين	293، 353
يحي بن محمد بن موسى أبو زكريا التجيبي التلمساني	161، 172، 184
يعقوب بن إسحاق الكندي	259
يغمراسن بن زيان	45، 132، 395

يوسف بن عبد المؤمن المستنصر	41، 130، 153، 159، 167، 195، 219، 228، 261، 273، 276
يوسف بن علي بن جعفر التلمساني	186
يوسف بن محمد بن عبد الله بن يحي البلوي الحجاج	201



فهرس الموضوعات

مقدمة	أ
الفصل الأول: المـغرب الأوسط وحواضـره العلـمية زمن الدولة الموحدية	
تمهيد:	15
المبحث الأول: إلحاق المغرب الأوسط بالموحدين	15
المطلب الأول: دلالة المغرب الأوسط	15
المطلب الثاني: نشأة الدولة الموحدية وتوسعاتها (524هـ-668هـ/1130م-1269م)	21
الفرع الأول: أسس ومبادئ قيام الدولة الموحدية	21
الفرع الثاني: دور المغرب الأوسط في ظهور الدولة الموحدية	27
المطلب الثالث: سقوط الدولة الموحدية وانعكاسه على المجال العلمي في المغرب الأوسط	43
المبحث الثاني: الحواضر العلمية في المغرب الأوسط خلال عهد الموحدين	47
المطلب الأول: الحواضر الكبرى	47
الفرع الأول: بجاية	47
الفرع الثاني: تلمسان	52
الفرع الثالث: قسنطينة	57
الفرع الرابع: ورجلان	59
المطلب الثاني: الحواضر الصغرى	61
الفرع الأول: بونة	61
الفرع الثاني: مدينة الجزائر	62
الفرع الثالث: بسكرة	64
الفرع الرابع: مليانة	65
الفرع الخامس: وهران	66
الفرع السادس: قلعة بني حماد	67

الفرع السابع: أشير	69
الفرع الثامن: تيهرت	70
خلاصة	72
الفصل الثاني: التعليم ومؤسساته في المغرب الأوسط زمن الموحدين	
تمهيد:	74
المبحث الأول: التعليم في المغرب الأوسط زمن الموحدين	74
المطلب الأول: المعلمون وشيوخ العلم وأجورهم	77
الفرع الأول: أصناف المعلمين زمن الدولة الموحدية	77
الفرع الثاني: أجور المعلمين زمن الموحدين	80
المطلب الثاني: المتعلمون	81
المطلب الثالث: مستويات ومراحل التعليم	82
الفرع الأول: المستوى الأول(التعليم الابتدائي)	83
الفرع الثاني: المستوى الثاني(التعليم الثانوي)	84
الفرع الثالث: المستوى الثالث(التعليم العالي)	86
الفرع الرابع: الإجازة العلمية	88
المطلب الرابع: طرق التدريس	91
الفرع الأول: الطريقة التلقينية	92
الفرع الثاني: طريقة الإلقاء والشرح	93
الفرع الثالث: طريقة المحاورة والمناظرة	94
الفرع الرابع: طريقة الرواية	96
المبحث الثاني: مؤسسات التعليم في المغرب الأوسط زمن الموحدين	98
المطلب الأول: المساجد	98
الفرع الأول: نشأة المساجد ودورها	99
الفرع الثاني: المساجد في المغرب الأوسط زمن الموحدين	103

المطلب الثاني: الكتاتيب	108
الفرع الأول: تعريف الكُتاب	108
الفرع الثاني: نشأة الكتاتيب ودورها	109
الفرع الثالث: الكتاتيب في المغرب الأوسط زمن الموحدين	112
المطلب الثالث: الرباطات	116
الفرع الأول: تعريف الرباطات	116
الفرع الثاني: نشأة الرباطات ودورها	116
الفرع الثالث: الرباطات في المغرب الأوسط زمن الموحدين	117
المطلب الرابع: الزوايا	120
الفرع الأول: تعريف الزوايا	120
الفرع الثاني: نشأة الزوايا ودورها	121
الفرع الثالث: الزوايا في المغرب الأوسط زمن الموحدين	124
المطلب الخامس: المكتبات	127
الفرع الأول: تعريف المكتبة	127
الفرع الثاني: نشأة المكتبات وأنواعها	127
الفرع الثالث: المكتبات في المغرب الأوسط زمن الموحدين	130
المطلب السادس: المدارس	133
الفرع الأول: تعريف المدارس	134
الفرع الثاني: نشأة المدرسة وأدوارها	134
الفرع الثالث: المدارس زمن الموحدين	135
المطلب السابع: البيمارستانات وبيوتات العلماء	139
الفرع الأول: البيمارستانات	139
الفرع الثاني: بيوتات العلماء	141
خلاصة	143

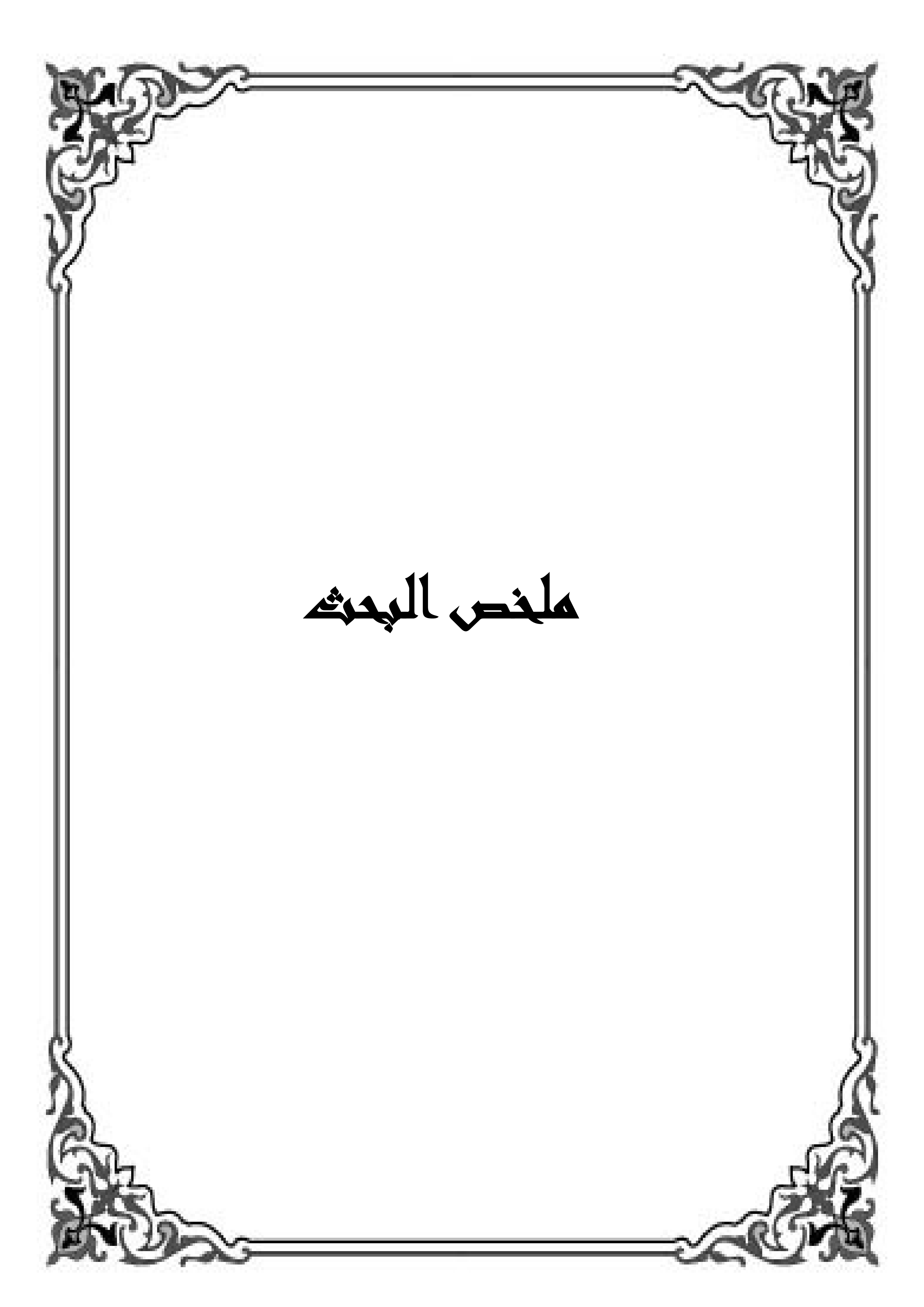
الفصل الثالث: العلـوم النقليـة في المـغرب الأوسط زمن الموحدين	
تمهيد	145
المبحث الأول: علوم القرآن	150
المطلب الأول: علم القراءات	151
الفرع الأول: علم القراءات قبل الموحدين	151
الفرع الثاني: علم القراءات زمن الموحدين	152
المطلب الثاني: علم التفسير	158
الفرع الأول: تعريف علم التفسير	158
الفرع الثاني: علم التفسير زمن الموحدين	159
المبحث الثاني: علم الحديث	163
المطلب الأول: علم الحديث قبل الموحدين	163
المطلب الثاني: علم الحديث زمن الموحدين	165
المبحث الثالث: علم الفقه	173
المطلب الأول: علم الفقه قبل الموحدين	173
المطلب الثاني: علم الفقه زمن الموحدين	175
المبحث الرابع: علم التصوف	181
المطلب الأول: التّصوف قبل الموحدين	182
المطلب الثاني: التصوف زمن الموحدين	184
المبحث الخامس: علم الكلام والمناظرات	193
المطلب الأول: علم الكلام	193
المطلب الثاني: المناظرة	194
المبحث السادس: العلوم الأدبية(اللسانية)	199
المطلب الأول: علم اللغة	203
المطلب الثاني: النثر	205

الفرع الأول: النثر الفني	206
الفرع الثاني: النثر التأليفي:	208
المطلب الثالث: علم النحو	209
المطلب الرابع: الشعر	211
المبحث السابع: علم التاريخ	217
المطلب الأول: علم التاريخ قبل الموحدين	217
المطلب الثاني: علم التاريخ زمن الموحدين	218
خلاصة	221
الفصل الرابع: العلـوم العقليـة في المـغرب الأوسط زمن الموحدين	
تمهيد:	223
المبحث الأول: علم الطب والصيدلة	223
المطلب الأول: الطب قبل زمن الموحدين	223
المطلب الثاني: الطب زمن الموحدين	226
المطلب الثالث: الصيدلة في المغرب الأوسط زمن الموحدين	229
المبحث الثاني: علم الفلك والنجوم والأوفاق	238
المطلب الأول: علم الفلك والنجوم	238
المطلب الثاني: علم الأوفاق	243
المبحث الثالث: علم الرياضيات والمنطق والفلسفة	245
المطلب الأول: علم الرياضيات	245
الفرع الأول: الرياضيات قبل الموحدين	247
الفرع الثاني: الرياضيات زمن الموحدين	249
المطلب الثاني: علم المنطق	254
الفرع الأول: المنطق قبل الموحدين	254
الفرع الثاني: المنطق زمن الموحدين	255

المطلب الثالث: الفلسفة	258
الفرع الأول: الفلسفة قبل الموحدين	259
الفرع الثاني: الفلسفة زمن الموحدين	259
المبحث الرابع: علم الجغرافيا والفن العمراني	263
المطلب الأول: علم الجغرافيا	263
الفرع الأول: علم الجغرافيا قبل الموحدين	264
الفرع الثاني: علم الجغرافيا زمن الموحدين	265
المطلب الثاني: الفن العمراني	266
الفرع الأول: الفن العمراني قبل الموحدين	266
الفرع الثاني: الفن العمراني زمن الموحدين	266
المبحث الخامس: الأدوار العلمية والتربوية للمرأة في عهد الموحدين	272
المبحث السادس: عوامل ازدهار الحركة الفكرية بالمغرب الأوسط زمن الموحدين	275
المطلب الأول: الأوضاع السياسية	275
المطلب الثاني: تشجيع العلم والعلماء	275
المطلب الثالث: الصلة الوثيقة بين المغرب الإسلامي والأندلس	277
المطلب الرابع: الرحلات العلمية	278
المطلب الخامس: انتشار المعاهد والمؤسسات الدينية والعلمية	283
خلاصة	284
الفصل الخامس: جهود علماء المغرب الأوسط زمن الموحدين	
تمهيد:	286
المبحث الأول: شيوخ العلوم النّقلية	286
المطلب الأول: المفسرون المحدثون	286
الفرع الأول: المفسرون	287
الفرع الثاني: المحدثون	287

المطلب الثاني: الفقهاء والمتصوفون	289
الفرع الأول: الفقهاء	290
الفرع الثاني : المتصوفون	290
المطلب الثالث: الأدباء والمؤرخون	292
الفرع الأول: الأدباء	292
الفرع الثاني: المؤرخون	296
المبحث الثاني: شيوخ العلوم العقلية	298
المطلب الأول: الأطباء	298
المطلب الثاني: الفلكيون والرياضيون	299
الفرع الأول: الفلكيون	299
الفرع الثاني: الرياضيون	300
المبحث الثالث: هجرة علماء المغرب الأوسط	302
المطلب الأول: أنواع هجرة علماء المغرب الأوسط	302
الفرع الأول: هجرة داخلية	302
الفرع الثاني: هجرة خارجية	302
المطلب الثاني: أسباب هجرة علماء المغرب الأوسط	302
الفرع الأول: الأسباب السياسية والاجتماعية	302
الفرع الثاني: الأسباب الدينية	307
الفرع الثالث: الأسباب الاقتصادية	309
الفرع الرابع: الأسباب الثقافية	310
المبحث الرابع: إسهامات علماء المغرب الأوسط	314
المطلب الأول: تعليم العلوم الدينية ونشرها	316
الفرع الأول: تعليم القرآن ونشر علومه	316
الفرع الثاني: حفظ الحديث وروايته	317

الفرع الثالث: تعليم الفقه وحل المسائل الفقهية	318
الفرع الرابع: الزهد ونشر التصوف	322
المطلب الثاني: دراسة العلوم اللسانية والاجتماعية والخطابة في المساجد	324
الفرع الأول: دراسة العلوم العربية	324
الفرع الثاني: الخطابة في المجالس العلمية	326
المطلب الثالث: القضاء والتأليف	326
الفرع الأول: القضاء	326
الفرع الثاني: التأليف	328
المطلب الرابع: التكافل الاجتماعي	331
المبحث الخامس: التلاقح العلمي في الحواضر الإسلامية	337
المطلب الأول: التأثير والتأثر في المغرب الإسلامي والأندلس	337
الفرع الأول: القيروان	337
الفرع الثاني: الأندلس والمغرب الأقصى	338
المطلب الثاني: التأثير والتأثر في المشرق الإسلامي	345
المطلب الثالث: التأثير والتأثر بين حواضر المغرب الأوسط	348
المبحث السادس: رحلات علماء المغرب الأوسط	352
المطلب الأول: نماذج من الرحلات المؤقتة لعلماء المغرب الأوسط	352
المطلب الثاني: نماذج من الرحلات الدائمة لعلماء المغرب الأوسط	353
خلاصة	355
خاتمة:	357
الملاحق	365
قائمة المصادر والمراجع	378
فهرس الأماكن	417
فهرس الأعلام	418
فهرس الموضوعات	429
الملخص	



ملخص البحث

الملخص

يدور موضوع البحث حول الحياة العلمية والثقافية وجهود القائمين بها في المغرب الأوسط خلال عهد الدولة الموحدية، التي ظهرت في المغرب الأقصى بعد قضائها على دولة المرابطين، وكيف أصبح المغرب الأوسط جزءً لا يتجزأ منها، لذلك تعين طرح الإشكالية الآتية: **ما مدى حضور أصناف المعارف وشيوخها في المغرب الأوسط زمن الدولة الموحدية؟** وتكمن أهمية هذه الدراسة في كونها تُعنى بالتعريف بأنواع العلم ومصنفاته، وتسهم في إبراز علماء المغرب الأوسط وشيوخه الذين يمثلون الطبقة العلمية فيه من فقهاء وأدباء وعلماء، ولهم باع طويل في نشر العلوم الدينية النقلية، ومختلف العلوم العقلية عن طريق إنشاء المؤسسات الدينية والعلمية التي لها دور كبير في ازدهار الحركة العلمية والفكرية خلال عهد الموحدين، واقتفاء أثر نشاط هؤلاء العلماء في ميدان التدريس والتأليف وتراثهم الفكري، ومعرفة جسور التواصل الثقافي بين حواضر العالم الإسلامي، إضافة إلى إبراز مختلف العوامل التي كان لها دور في إثراء الحياة العلمية والثقافية والإنتاج الفكري الذي لم يصلنا منه إلا النزر القليل.

Abstract

This research focuses on the scientific and cultural life, as well as the efforts of its promoters, in the Central Maghreb during the Almohad caliphate. This latter emerged in the Far Maghreb after its elimination of the Almoravid dynasty. Also how did Central Maghreb become an integral part of it, for this it is necessary to raise the following problem: During the Almohad era, how prevalent were different types of knowledge and their scholars in the central Maghreb? The importance of this study cannot be overstated as it aims to define while also showcasing the numerous distinguished scholars and leaders of the Central Maghreb who represented its intellectual class, including jurists, writers, and scientists. These scholars and leaders have a long history in promoting traditional religious sciences and various intellectual fields by establishing religious and academic institutions which played a significant role in facilitating the development of scientific and intellectual movements during the era of the Almohads. Following the steps of these scholars in the fields of teaching and authorship, also exploring their intellectual heritage, as well as understanding the cultural communication bridge between the cities of the Islamic world. Moreover, the study aims to shed light on the various factors that contributed in enriching the scientific and cultural life, as well as the intellectual production that we have only glimpsed a small portion of.